غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢١٨) - شعبان ١٤١٥هـ - يناير ١٩٩٥م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (218) JAN.1995

كيف تتخفف من أحزانك؟

صيد اللؤلؤ
تقاليد تحيا في الذاكرة

العربية هويتنا

أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادي بوأدي في ربيع حياتي
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً
من القبر يدنيني بغير أناة
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

ملف العدد

شرح العقائد النسفية

لمسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٣هـ.





كتاب العقائد النسفية الذي ألفه أبوحفص عمر بن محمد النسفي، المتوفى سنة ٥٧٥هـ من كتب أصول الدين المهمة، فقد تحدث فيه عن الأسماء والصفات، والجنة والنار، والشفاعة، والإسراء والمعراج، وغير ذلك من أبواب العقيدة.

وشرْحُ التفتازاني هذا من بين عشرات الشروح والحواشي والتعليقات التي اعتنت بالكتاب، وهو أجلُّها، فقد شرح الأصول التي ذكرها صاحب المتن مستخدماً علم المنطق والأدلة العقلية والنقلية للبرهنة على صحتها، وقد أراد في شرحه هذا لكتاب النسفي أن يُفَصِّلَ مجملاته ويُبيِّنَ معضلاته ، كما قال في المقدمة.

وهذه النسخة التي أمامنا كتبت سنة ١٣٠١هـ بخط فارسي جميل، وكتبت بعض عباراتها بالمداد الأحمر، وبعضها بالمداد الأزرق، وفي كل صفحة جداول مذهبة، وعلى الصفحة الأولى زخارف مذهبة وملونة باللونين الأحمر والأزرق، كما أن الجلد الخارجي لها عليه زخارف مضغوطة كتب عليها اسم صانع الجلد.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

إعداد: إبراهيم باجس عبدالمجيد

في العدد القادم:

- مسؤولية الإعلام .. كيف نحددها ؟
- التقنية .. كيف تؤثر في الشخصية الروائية ؟

البريد

THE MAIL

إنسان بلتداون

اطلعت في العدد ٢١٥ من مجلة «الفيصل» على موضوع «إنسان بلتداون ضلل الداروينيين أربعين عامًا». وأفيد بأنني كنت قد أرسلت موضوعًا حول القضية نفسها، لكنه لم يحظ بقبولكم بالرغم من أنه متكامل العرض، واستوفى مجمل جوانب القضية، فالموضوع الذي نشرته «الفيصل» للدكتور محمد علي الجندي تنقصه عدة جوانب:

أولاً: الموضوع غير مدعم بالصور، والصورة الوحيدة المنشورة - بالرغم من جودتها - لاعلاقة لها بالموضوع.

ثانيا: ما ذكره الدكتور الجندي في عرضه للقضية هو «نصف الكلام»، والنصف الآخر لاجواب له، فالدكتور الجندي ذكر اكتشاف التزوير من قبل علماء البحث العلمي، إلا أنه أغفل ذكر أحد المتواطئين في قضية التزوير، والذي نُشر بعد وفاته.

أعتقد أن مصادر معلومات د. الجندي تتوقف عند أوائل السبعينيات بينما الأحداث حول هذه القضية العلمية توالت إلى أواخر السبعينيات.

ليلى محمد البيروتي
دمشق - سورية

استدراك

نظرًا لما ورد في مجلتكم الغراء عدد "٢٠٥" رجب ١٤١٤هـ تحت عنوان: «ردود خاصة» من إجابة عن استفسار سائل من الجزائر عن وجود أقسام للعلوم الفلكية بالجامعات السعودية، فقد كانت الإجابة غير كاملة حيث إنها أهملت ذكر قسم العلوم الفلكية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، الذي تم تأسيسه عام ١٣٩٩هـ، وله الكثير من المشاركات الداخلية والخارجية.

د. حسن محمد باصرة
جامعة الملك عبدالعزيز
كلية العلوم - قسم العلوم الفلكية

المحرر:

نشكر للدكتور حسن باصرة متابعته وتصحيحه الخطأ غير المقصود - وليس الإهمال - الذي أسقط هذه المعلومة المهمة، أما إذا أراد الأخ رضوان بوجناس من بومرداس بالجزائر - وهو صاحب الاستفسار - مزيدًا من المعلومات، فيمكنه الكتابة إلى جامعة الملك عبدالعزيز، ص.ب (١٥٤٠) - جدة - المملكة العربية السعودية.

نحو إبداع أصيل

وصلتني مجموعة الأعداد التي طلبتُها منكم، وهذا - في الحقيقة - يدل على مدى حرصكم على مدّ جسور الثقة مع القراء، وأستغل هذه المناسبة لأزجي للمجلة وللقائمين عليها جزيلَ الشكر للمعالجات الجادة والمتزنة للموضوعات المختلفة، ولبعض القضايا الساخنة، مثل: قضية الحداثة وغيرها، بروح هادئة وطرح علمي موضوعي بعيدا عن التشنج والمبالغات. كما أشكر للمجلة إتاحتها الفرصة للرأي والرأي الآخر في رحابة صدر وتقبل للنقد، ونشر ذلك النقد على صفحاتها، وهذا مما يزيدنا ثقة بمجلتنا الحبيبة "الفيصل".

كما أشكركم جزيل الشكر على مطبوعاتكم التي أرسلتموها إليَّ، وأخص بالذكر كتيب "نحو إبداع أصيل"، الذي يتعرض لكلمة سمو الأمير خالد الفيصل في جائزة سمو أمير المنطقة الشرقية، وهي الكلمة التي وضعت النقاط فوق الحروف في قضية الحداثة الشائكة، من مثل قوله: «كيف يرضى من كان موطنه منبع الإلهام ومهد الرسالة أن يكون تابعا رديفا في فكره وأدبه، يحبو متعثرا وراء الأفكار الغربية، يخطو حائرا خلف الاتجاهات المريبة؟ لم لايكون أصلا في الإبداع والابتكار والتجديد؟» أو قوله: «إن التحديث لايكون بالتقليد، ولايتحقق بتبني المذاهب الأدبية الغربية عن مثلنا القيمة، وشخصيتنا الأصيلة، ووجودنا الحضاري المشرق، وإنما ينبع التجديد المأمول من عبقرية الأمة صافيا رقراقا.. ومن إبداع أبنائها عطاء حيًا، أما النقل عن الآخرين فسيظل مرتبطا بأصله الغريب، ومنشئه الغريب..».

إن هذه الرؤية الصافية والعقلية الحكيمة التي تتميز بموضوعية في النظر إلى الأمور، فتعلمنا ماذا نأخذ من الغرب وماذا ندع، ثم تعلمنا كيف نأخذ وكيف نترك؛ هي من سمات سمو الأمير، وهل يُستغرب منه مثل هذا النهج وهذا الوضوح وهذه الأصالة وهذا الانتماء العميق لدين الأمة وتراثها؟ أليس هو ابن الفيصل زعيم الأمة الإسلامية، المدافع عن الدين القويم الذي ارتضته هذه الدولة نهجا لها؟ ثم أليس هو القائل يصف منهجه وترسمه لخطى أبيه:

من فيصل أعيش بأمثالي
أدرس وأدرس من كتابه

والقائل أيضًا:

وين العزا مابه عزا غير نجزاك
بمواصلة مسعاك والدرب معلوم

إن هذه الكلمة، وما تلاها من تعليقات، حري بها أن تنشر، وأن تتعلم منها الأجيال، وأقترحُ عليكم توزيع هذا الكُتيِّب مجانا مع المجلة، أو إتاحته للقراء في طبعة تجارية.

شكرا لكم وافر الشكر مرة أخرى، وتقبلوا تحياتي.

محمد علي السعيد
الرياض - المملكة العربية السعودية

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة



وكم عز أقوام

اللغة هي حاملة الثقافة، ووعاؤها ولسان حالها، ومن ثم فإن ارتباطهما وثيق، وتفاعلهما أكيد؛ فكلما ارتقت الثقافة وعظم شأنها، انعكس ذلك إيجابا على اللغة، وكانت مجاراتها الثقافة في السمو والارتقاء أمرًا واقعًا لايداخله الشك والريبة؛ إذ تتسع قدرتها على التعبير عن الأفكار والمشاعر، وتتزايد مواكبتها لكل ما يطرأ على شؤون الحياة من تطور وتقدم، فيكون استيعابها للنتاج الثقافي والفكري متسمًا بالشمول والدقة. ومن البدهي - والحال كذلك - أن يكون الانعكاس سلبيًا، حين تضمحل الثقافة، ويذبل الفكر، فتأخذ اللغة في الضمور والتراجع، والعجز عن التجديد ومواكبة التطور، وقد ينتهي بها الأمر إلى الموات والاندثار. وهذا ما حدث للغات كانت - يومًا - ملء السمع والبصر، فصارت أثرًا بعد عين، بل إن هناك لغات اختفى أثرها، ولم يعد لها ذكر.

واللغة العربية أنموذج فريد لهذا الارتباط والتفاعل، لما تتسم به من قدرة كبيرة على حمل مضامين الثقافة والفكر اللذين تعبر عنهما، وهذه القدرة التعبيرية تستمدها من كونها لغة القرآن الكريم، ولسانه المبين الذي عجز عن مباراته كل من مَلَكَ ناصية البيان، وَسَبَرَ أغوار اللغة وأسرارها، مما يعد تشريفًا وتكريمًا للغة الضاد التي خصها الله - سبحانه وتعالى - بدقة الأداء وقدرة الإحاطة بدقائق المعاني، وكفلها بحفظه، حين تكفَّل بحفظ كتابه العزيز. وهذا ما يفسر بقاء اللغة العربية حية في النفوس على الرغم من الوهن الذي أصاب أهلها، بينما اندثرت لغات أخرى كثيرة حين ضعفت قوة الناطقين بها، وتوارت ثقافتهم بعيدا من مراكز الريادة والصدارة.

وقد فطن أعداء الإسلام للعرى الوثيقة التي تربط بين العقيدة الإسلامية واللغة العربية، فعملوا جاهدين على محاربة اللغة، وإضعافها، واتبعوا في حربهم هذه طرائق شتى، بغية إصابة الإسلام في مقتل، بعدأن فشلت محاربته محاربة سافرة، لأن إعلانهم العداء للإسلام وإظهارهم له بشكل سافر كان يؤدي بالمسلمين إلى شد العزم، وشحذ الهمم، والاعتصام بحبل الله المتين في مواجهة كل من يريد بدينهم وعقيدتهم سوءًا.

وحين أدرك المتربصون بالدين الإسلامي، الحاقدون على حضارته، أن مواجهة الإسلام في ميادين الحرب لن تجدي فتيلاً، وأنهم - لا محالة - خاسرون جولاتها، سعوا لتقويض عقيدة المسلمين، من طريق تطويق لغتها، ومحاربة لسانها؛ لأن دروس التاريخ وحقائق الواقع أكدت لهم أن لاثقافة أصيلة دون لسان يعبر عنها، ويحمل مضامينها، ويشرح ألفاظها ومعانيها، ويصون فكرها؛ مما يعني أن فقدان الثقافة لسانها هو في الواقع موات لها. ومن ثم وفد كثير من المستشرقين الذين وُظفوا لهذا الغرض إلى ديار الإسلام؛ فعكفوا على دراسة أحوالها وظروفها، والسبل الكفيلة باختراقها، والسيطرة عليها. ولأن قوافل المستشرقين كانت المقدمة التي تمهد لاستعمار أي بلد من بلدان العالم الإسلامي، عن طريق قيادة حملات لاستكشاف أوجه حياتها الثقافية والفكرية؛ فقد رأى هؤلاء أن إشاعة روح الازدراء والكراهية في نفوس أبناء المسلمين تجاه لغتهم، تعد سبيلاً من السبل التي يمكن أن يسلكوها لتحقيق مآربهم في إحكام السيطرة على البلاد الإسلامية، وتأصيل روح التبعية في الأجيال الجديدة؛ بحيث تنقطع كل صلة لها بإرثها الحضاري.

وَصَوَّرَ هؤلاء المستشرقون اللغة العربية على أنها تحمل كل مظاهر الضعف والهوان في ثناياها، وأنها عاجزة عن احتواء مصطلحات العلوم ومسميات آلات الحضارة، ومستجدات الفكر الإنساني في المجالات المختلفة، وبذلك تكون قد بلغت - في زعمهم - المرحلة التي بلغتها لغات أخرى، قعدت عن ملاحقة الركب، فانكفأت على ذاتها، وانزوت، ولم يعد لها مكان إلا في بطون الكتب القديمة.

وجاء الاستعمار العسكري إلى كثير من البلدان الإسلامية بخطط وسياسات رمت إلى توسيع الهوة بين المسلمين ولغتهم العربية، إذ أغلقت المدارس العربية، واضطُهِدَ علماء الدين واللغة، وتم الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية، وحُوِّلت بعض المساجد إلى كنائس، وحُرم كل من يعتز بعربيته، ويتخذها لغة الحديث والعلم، من تبوّء الوظائف. وفي الوقت نفسه أُنشئت المدارس التي تُعنى بتعليم لغة المستعمر، وكان جل من التحق بها من أبناء علْية القوم، ممن انساقوا وراء مزاعم المستعمر، فرطنت ألسنتهم بلغته، وتولّد لديهم شعور بالرفعة والتميّز من غيرهم من أبناء جلدتهم، مما أدى إلى انسلاخهم من مجتمعهم، وانقيادهم للمستعمر الذي وجد فيهم أداة صالحة لتنفيذ مخططاته، ومؤامراته الرامية إلى إحلال لغته محل اللغة العربية؛ التي أشاع عنها أنها لغة المشاعر والعواطف، ولاتصلح للعقول والأفكار والعلوم التي هي نتاج العصر وسمته البارزة.

وظن بعض أبناء المسلمين - الذين بهرتهم حضارة المستعمر، وسرى في لغتهم الضعف والاستعجام - أن هذا هو الطريق المؤدي إلى إذابة الفروق بين الشرق والغرب، وتحقيق الرباط الحضاري بينهما، وإحداث نقلة حضارية للشرق الإسلامي، تختزل سنوات التخلف والركود التي عاشها، مما دعاهم إلى المناداة باستعمال الحرف الأجنبي بدلاً من الحرف العربي الذي يتسم - في زعمهم - بالصعوبة والتعقيد. وروج بعضهم الدعوة إلى التخلص من حركات الإعراب التي زعموا أنها تعوق جريان اللغة بسلاسة وعذوبة على الألسنة.

وواتت الجرأة بعض المستشرقين للدعوة إلى إفساح المجال للعامية، حتى تصبح لغة الحياة والثقافة، بوصفها اللغة التي تتحدث بها الغالبية، بينما يقتصر استخدام اللغة الفصحى على فئة قليلة من المثقفين. ومسوغ دعوتهم أنهم يريدون إشاعة الثقافة في أوساط العامة. وقد ربط المستشرق وليم ويلكوكس بين استخدام اللغة الفصحى وتخلُّف المصريين، وَبَشَّر بأن تقدمهم مرهون باستخدام العامية، لأنها لغة الشارع، التي يستطيعون بها مجاراة العصر في مصطلحات علومه وتقنياته. وقد كثرت التآليف التي وضعها المستشرقون لقواعد العامية، وبخاصة المصرية واللبنانية منها، ورُصدت الجوائز لمن يؤلف بالعامية، وجارى بعض العرب المستشرقين في اتجاههم نحو تفضيل العامية، وتقديمها على اللغة الفصحى، وكان جلهم من الذين يحملون حقدًا دفينًا على الإسلام والقرآن الكريم؛ فهم لايرون غضاضة في أن يضع المسلم مؤلفه باللغة العامية، ويتعبد لربه ويؤدى فرائض دينه باللغة الفصحى، متناسين أن العرى بين الدين الإسلامي ولغته العربية لاتنفصم؛ إذ لا مكان للازدواج اللغوي في الثقافة الإسلامية، كما هو الحال في غيرها من الثقافات، وفاتهم أن شيوع العامية يعني التخلي عن التراث الثقافي الهائل الذي خلفته الحضارة الإسلامية على امتداد القرون، مما يمثل انقطاعًا عن الجذور، وتيهاً في بيداء العدم.

ولكن، على الرغم من سطوة المستعمر وامتلاكه أسباب النفوذ والقوة، وقدرته على تمرير سياساته وخططه، فإن كثيرًا من أبناء الأمة الإسلامية الحادبين على لغتهم العربية فطنوا إلى مايراد بهم وبثقافتهم الإسلامية؛ فراحوا يفندون الدعاوى التي بُنيت عليها تلك السياسات والخطط، وكشفوا أن الحضارة الإسلامية - التي كان لها القِدْحُ المُعَلَّى في صون الإرث الحضاري الإنساني من الضياع في غياهب الجهل الذي ساد أوربا وغيرها من مناطق العالم إبان القرون الوسطى - لم تكن لغتها إلا اللغة العربية، التي استوعبت العطاءات الحضارية للإنسانية جمعاء، حتى أصبح العربي الذي لم يكن له عهد بعلوم الحساب والهندسة والفلسفة والطب وغيرها، يردد نظرياتها، ويعرف أسماء أصحابها، ويفهمها فهمًا واعيًا، بل يضيف إليها، ويقومها، حتى إن أوربا لم تستطع النهوض من ركودها وتخلفها وتحقيق ماهي عليه الآن من تقدم حضاري، إلا بفضل اتصالها بالحضارة الإسلامية، وعكوفها على ترجمة ما أبدعه علماء المسلمين في مجالات الفكر والعلم كافة.

وقد أظهر جمع كبير من المثقفين في البلدان الإسلامية -

بعزّ لغات

في تلك الآونة ـ اعتدادهم بالثقافة الإسلامية ولسانها العربي. يقول الأستاذ عبدالله النديم ـ ردًا على دعوة المستشرقين لإحلال العامية محل الفصحى ـ: «إننا نعلم علم اليقين، أنه لو ظهر ألف داع، بل مئات ألوف من دعاة أوروبا لاستعمال لغة تُميت لغة القرآن، ما وجدوا آذانا سامعة، ولاعرفوا إلى ذلك سبيلاً».

وصاحَبَ الرد على مزاعم المستشرقين وأتباعهم دعواتٌ مخلصة لإصلاح مناهج تعليم اللغة وطرائق تدريسها، لأنها من السبل الكفيلة بإزالة العجمة من اللسان، وتعويد الناشئة النهج السليم في استخدام مكونات اللغة وأساليبها في البيان والإيجاز. ففي مقالة كتبتها السيدة نبوية موسى في مجلة المقتطف، نجدها تضيق من عُقم الأسلوب المتبع في تدريس اللغة العربية، إذ تقول فيها: «اللغة العربية لغة البلاغة والبيان، لغة الخيال والشعر ودقة التشبيه، لغة تكاد تفوق جميع اللغات لغزارة مادتها، وحسن أسلوبها، ورقة معناها، وشدة تأثيرها. لَغة تجتذب قلوب الأذكياء متى فهموها، وتجلى لأعينهم بهاؤها، فما بالها الآن أصبحت غريبة بين أهلها، يفر منها أبناؤنا وبناتنا لغير ذنب جنته، سوى صعوبة الطريقة المتبعة في تعليمها، حتى أصبح يتهيبها صغار المتعلمين ويستسهلون تعلّم اللغات الأجنبية إلى جانب تعلمها». وساقت مثالاً على ذلك، إذ ذكرت أنها استطاعت أن تعيد سيدة أجنبية إلى درب اللغة العربية، بعد أن رجعت هذه السيدة عن رغبتها في تعلم العربية، للصعوبة التي وجدتها في أسلوب تدريس المدرس الذي أحضرته خصيصًا لهذا الغرض.

والعجيب أن تظل الشكوى نفسها باقية على الرغم من انقضاء أكثر من ثمانين عامًا على هذه المقالة، وقد تَضَمَّنَ الملف الذي قدمناه في هذا العدد، مقالة عن القضية ذاتها، تبين أن المشكلة قد استفحلت، واتسع مداها، نتيجة لاتباع أسلوب الترقيع والتلفيق في وضع المناهج الدراسية، وعدم مراعاة هذه المناهج الرصيد اللغوي للتلميذ من الكلمات والجمل والتراكيب، وقلة عنايتها بتدريس نصوص القرآن الكريم والأدب الرفيع، مما يؤدي إلى معاناة التلميذ، وصعوبة استيعابه قواعد اللغة العربية، التي توسم اليوم بالتعقيد، نتيجة لأسلوب الحفظ والتلقين المتبع في دراستها، ولما تتسم به مناهجها من حشو زائد وافتقارها إلى التطبيق والاستعمال بشواهد من واقع الحياة اليومية، الأمر الذي يؤدي إلى بناء حواجز نفسية بينها وبين الطلاب، ذلك على الرغم من أن أبا عثمان الجاحظ أثبت عمليا ـ منذ أزمان بعيدة ـ بكتابه «البخلاء» أن الفصحى يمكنها أن تعبر عن أبسط الحاجات اليومية في حياة الناس من عامة الشعب، كما أن العربي في البادية كان يتحدث بها سليقة دون أن يجد صعوبة في التعبير عن حاجاته وكوامن نفسه، ودون عكوف على دراسة نحوها وصرفها.

وهذا الواقع المرير للمناهج الدراسية يدل دلالة واضحة على أن الحلول التي وُضعت لهذه القضية ـ من خلال المؤتمرات والندوات المتعددة التي عقدت في أكثر من دولة عربية برعاية منظمات وهيئات أكاديمية متخصصة على مدى السنوات الفائتة ـ لم تؤخذ في الحسبان عند التخطيط التربوي والتعليمي في معظم البلدان الإسلامية، مما يقتضي تقويمًا موضوعيًا للواقع التعليمي، ودراسة واعية لخططه وسياساته تتضمن بحثًا عميقًا في النتائج والتوصيات التي تمخضت عنها هذه المؤتمرات والندوات، ويقود ـ بالتالي ـ إلى التحديد الدقيق للأهداف المرجوة منها، ووضع الأساليب المؤدية لتحقيقها، آخذين في الحسبان الإمكانات المادية والبشرية المتوافرة.

وقد كانت اللغة التي سادت الصحافة المقروءة في مطلع هذا القرن، محل تداول ونقاش عميقين. وكانت من أكثر القضايا إثارة للجدل والخلاف؛ إذ رماها كثيرون من المنافحين عن اللغة الفصحى بالركاكة والسوقية والابتذال، ورأوا فيها وجهًا آخر للمؤامرة على لغة الأمة، لكونها جاءت مفتقدة لكثير من رواء اللغة العربية ورونقها، ولإصرار مبتدعي ماعُرف بلغة الصحافة على اتخاذ أساليب في التعبير لاعهد للعربية الفصحى بها، خلطوا فيها بين العامي والفصيح، بحجة أنهم يُقَرِّبونَ الثقافة من أفهام عامة الناس. وأذاعوا أن الخطأ الشائع على ألسنة العامة أفضل من الفصيح المهجور الذي يتربع في مكانه من كتب اللغة والتراث. واتسع نطاق الجدل حول لغة الإعلام التي يجب أن تسود، حين برزت إلى الوجود والانتشار وسائل الإعلام المسموعة والمرئية المختلفة؛ كالمسرح والخيالة والمذياع. واختلفت الآراء اختلافًا بيّنًا، وكان ظن الغُيرِ على اللغة الفصحى أن هذه الوسائل قادرة ـ بما لديها من إمكانات التعبير والإقناع ـ على الانتصار للغة الفصحى، ومعالجة الوهن الذي أصابها، من جراء صراعها المرير على مدى قرون طويلة مع أعدائها، ومن تبعهم من أبنائها، الذين سُلِبَتْ عقولهم، فلم يعرفوا للغتهم قيمتها.

ومما لاشك فيه أن استقراء مستجدات الواقع اليوم، يبين جليًا أن الظروف المحيطة باللغة العربية زادت خطورتها، وأصبحت أدعى ـ أكثر من أي وقت مضى ـ لتكاتف جهود الحادبين من أبنائها، حيث أدى تقدم تقنيات الاتصال إلى اتساع مدى تأثير وسائل الإعلام، ومضاعفة قدرتها على الإقناع. وقد أكدت الدراسات والبحوث أن وسائل الإعلام ـ وبخاصة المرئية منها ـ أصبح لها دور بارز في التربية والتنشئة الاجتماعية، مما يقتضي توظيفها وفق أسس وقواعد تنبع من مرتكزات مجتمعها ومقوماته الحضارية، حتى لايحدث خلل في البنيان الثقافي للمجتمع، يؤدي إلى تقويضه.

وأكدت هذه الدراسات ـ كذلك ـ أن الدول التي لاتملك وسائل إعلام فعالة تعمل على ترسيخ ثقافتها في نفوس ناشئتها، تتعرض ـ أكثر من غيرها ـ لما يعرف بالاستلاب الثقافي الذي يعني سريان ثقافة الغالب، وإزاحة الثقافة الأم، وحدوث الانقطاع بين الأجيال الجديدة وحضارة أمتها. وهذا ما يرجح مقولة: إن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية، ولعل هذا ما عَبَّرَ عنه الوزير الفرنسي بينو، بقوله: «لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية ، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية».

فالإمبراطوريات الثقافية في هذا العصر يشيدها التوظيف الواعي لوسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، التي تمثل سياساتها وخططها جزءًا أصيلاً من توجهات المجتمع الذي تعبر عنه.

ولقد كان من المأمول أن تكون وسائل الإعلام العربية والإسلامية أدوات لترسيخ الثقافة الإسلامية، ووسائل فعالة لإقالة عثرة لسانها، كي تعود إليه سليقته التي فقدها، ولكن، جاء مردود كثير من هذه الوسائل سلبيًا، لما تميزت به من ركاكة في استعمال اللغة الفصحى، وجنوح نحو اتخاذ العامية لغة لها، في حين جاء تقديمها اللغة الفصحى ـ غالبا ـ متسمًا بالجفاف والجدية المصطنعة، بينما قدمت التمثيليات الإذاعية والتلفازية نماذج شائهة عن اللغة العربية ومدرسيها. وإذا أخذنا في الحسبان الزخم الإعلامي القادم من مجتمعات تختلف قيمها وعاداتها وتقاليدها عن قيمنا ومقوماتنا الحضارية، لَتَبَيَّنَ لنا حجم الخطر الذي يهدد ثقافتنا ولغتنا.

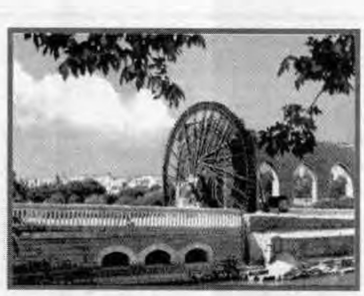
ومجلة «الفيصل» ـ من منطلق إحساسها بحجم هذا الخطر الذي يحدق بلغتنا العربية ـ تطرح ملفًا خاصًا في هذا العدد، يتناول خصائص لغتنا العربية، وأسباب تدهورها، وخطورة انقطاع المجتمع عن لغته، ونتائج ازدواجية اللغة (العامية والفصحى)، ومظاهر ضعف الطلاب في اللغة العربية، وملامح سبل الارتقاء بمناهجها، وطرائق تدريسها، والدور المنشود لمجامع اللغة العربية، إضافة إلى إثارة التساؤلات حول سبل إعادة اللغة العربية لغة للعلوم والتقنية، كما كانت إبان ازدهار الحضارة الإسلامية.

و«الفيصل»، حين تطرح هذه القضية المهمة التي تحدد موقع أمتنا بين غيرها من الأمم، تدرك جيدًا أن جهدها هذا ليس إلا نقطة في بحر متلاطم، مما يقتضي ضرورة تعاون الغُيرِ من أبناء اللغة العربية من المتخصصين والمهتمين لمواصلة العمل الدؤوب من أجل الوصول إلى توصيف دقيق يحدد أسباب غربة اللغة العربية في ديارها، ويعين على إيجاد المخرج والسبيل لها لتعود لغة الثقافة والحياة. لذلك فإن مجلة «الفيصل» توجه الدعوة لأساتذة اللغة العربية وطلابها والمتخصصين في هذه القضية والمهتمين بها من قرائها، بل لكل عربي، للمشاركة في ندوة مستقبلية تُطرح فيها هذه القضية من جديد، بعد الاطلاع على هذا الملف ومحاوره، وملحق المراجع الذي تضمنه كتيب تهديه «الفيصل» لقرائها، تطلعًا لإسهام فعال منهم في هذه الندوة، آملين أن نتلقى مشاركات تتسم بالعمق والجدة. وعلى الله قصد السبيل.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد (٢١٨) ـ السنة (١٩) ـ شعبان ١٤١٥هـ ـ يناير ١٩٩٥م

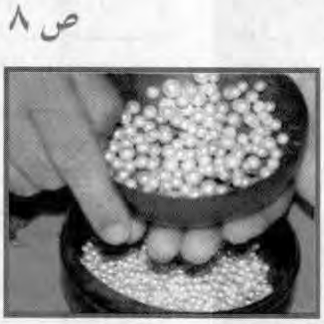
حماة مدينة الآثار



تقـول الحفـريات إن تاريخ مـدينة حـمـاة يعـود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، وقد برزت كـمدينة في العهـد الآرامي، ثم تعـاقب عليـها أقـوام كثيـرون، ومن ثم ضمـت آثارهم، ولكن أبرزها الآثار البيزنطية والإسلامية، وتظل أفـاميا ـ المدينة التي تتوغل في أعماق التاريـخ، وتمتد نشـأتها إلى الألف الثـانية قبـل الميلاد ـ أبرز آثار حـماة، لبقـائها حاضرة بمظاهرها العـمرانية رغم عاديات الزمن، فـما أهم الآثار الأخرى التي تضمها المدينة السورية حماة؟.

ص ٨

صيد اللؤلؤ وزمان ولَّى



قبـل ٤٠٠٠ سنـة جـذب بريق اللـؤلؤ أنظار العـالم إلى حـوض الخليج العربي؛ إذ كـان يمثل مصدرًا مـهـمًا لتجـارة الشـرق، وظل اهتـمـام العالـم منصبًا عـلى لؤلؤ الخليج العربي، حتى ظهور اللؤلؤ المزروع في اليـابان بثمنه الرخيص. واتخذت حرفة استخراج اللؤلؤ تقاليد وأسـاليب وأدوات تمكنت من ذاكرة أبناء الخليج، وأصبحت جزءًا من تراثهم، فما أصول هذه الحرفة وتقاليدها؟

ص ٨٣

أفدح كوارث العالم



لم يعـد إنسـان هذا العصـر يكتـرث بالكـوارث والنكبـات التي تحل بالعـالم وشعـوبه، ومن المؤسف أن حـديث الأرقام عن القـتلى والمشوهين والمعـاقين والمُهَجَّرين واللاجئين أصبح فاقدًا لمدلوله وبلا معنى. ربما يقال إن ذلك يعـود إلى التواتر اليومي لأنبـاء الكوارث. ولكن، ماذا لو جُمعت أفدح كوارث العالم وأبشعها بين دفتي كتاب، ورصد مؤلفه الأرقام الفلكية للضحايا؟.. تُرى، كم سيكون ذلك مؤثرًا؟

ص ٩٣

ملف خاص

اللغة العربية .. سياج هويتنا

أدب وفكر

تعليم

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

من كتاب العدد

د. حامد صادق قنيبي



- من مواليد يافا، فلسطين ١٩٣٩م.
- حصل على الماجستير (١٩٧٤م) والدكتوراه (١٩٧٨م) من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.
- عمل بالتدريس في مراحل التعليم المختلفة، ويعمل حاليا أستاذًا مشاركًا في قسم الدراسات الإسلامية العربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.

من مؤلفاته:
الكون والإنسان في التصور الإسلامي، معجم لغة الفقهاء (مع كشاف إنجليزي عربي بالمصطلحات الفقهية)، معجم المؤنثات السماعية، دراسات في تأصيل التعريب والمصطلح، الألفاظ (الكتابة والتعبير).

عاصم بن محمد بهجة البيطار



- مولود في دمشق عام ١٩٢٧م.
- نال إجازة في اللغة العربية من جامعة دمشق (١٩٥٢م)، والدبلوم في التربية وأهلية التعليم الثانوي (١٩٥٢م).
- درّس عامين في دار التوحيد بالطائف قبل دراسته الجامعية (١٩٤٤ - ١٩٤٦م)، وكان والده هو مؤسسها ورئيسها، وعمل مفتشًا للغة العربية في دولة قطر (١٩٥٩م)، وعمل أستاذًا للنحو والصرف في كلية اللغة العربية في الرياض (١٩٦٣ - ١٩٦٨م)، كما درّس النحو والصرف في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود (١٩٨٩ - ١٩٩٤م).
- يعمل حاليًا في مجلة الفيصل الثقافية.

من مؤلفاته:
النحو والصرف: كتاب جامعي مايزال يُدرّس في جامعتي دمشق وحمص، أضواء على شرح ابن عقيل (٣ أجزاء) يُدرس في السنوات الثانوية الثلاث من المعاهد الدينية في الرياض منذ عام ١٩٦٨م وحتى الآن، التسهيل، الدليل، المنهج الجديد: كتب مدرسية للمرحلة الثانوية، فهارس شرح المفصّل لابن يعيش (٤٠٠ص)، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للقاسمي: تقديم وتحقيق، الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين في شرح الأربعين العجلونية (في الحديث) للقاسمي: تقديم وتحقيق.
- له دراسات مختلفة منشورة، وحضر بعض المؤتمرات العلمية، ومن آخرها ندوة النحو والصرف المعقودة في دمشق عام (١٩٩٤م)، وتم تكريمه فيها مع العلاّمة سعيد الأفغاني والدكتور مازن المبارك.

د. صالح الخرفي



- من مواليد (القرارة) بولاية غرداية الجزائرية، ١٩٣٢م.
- حاصل على الدكتوراه من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٧٠م).
- عمل بالتدريس في جامعة الجزائر، ورأس دائرة اللغة والأدب العربي فيها (١٩٧١ - ١٩٧٦م).
- يعمل منذ عام ١٩٧٦م مديراً لإدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- رأس تحرير مجلة «الثقافة» الجزائرية (١٩٧١ - ١٩٧٦م)، ويرأس حاليا تحرير «المجلة العربية للثقافة» التي تصدر عن المنظمة. - عضو في مجمعي اللغة العربية الأردني والسوري، وعضو لجنة إصلاح التعليم العالي في الجزائر (١٩٧١م).
- حصل على شهادة تقدير من رئيس الجمهورية الجزائرية، وحصل على الوسام الثقافي من رئيس الجمهورية التونسية، كماحصل على جائزة الشعر من المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون في القاهرة (١٩٥٩م).

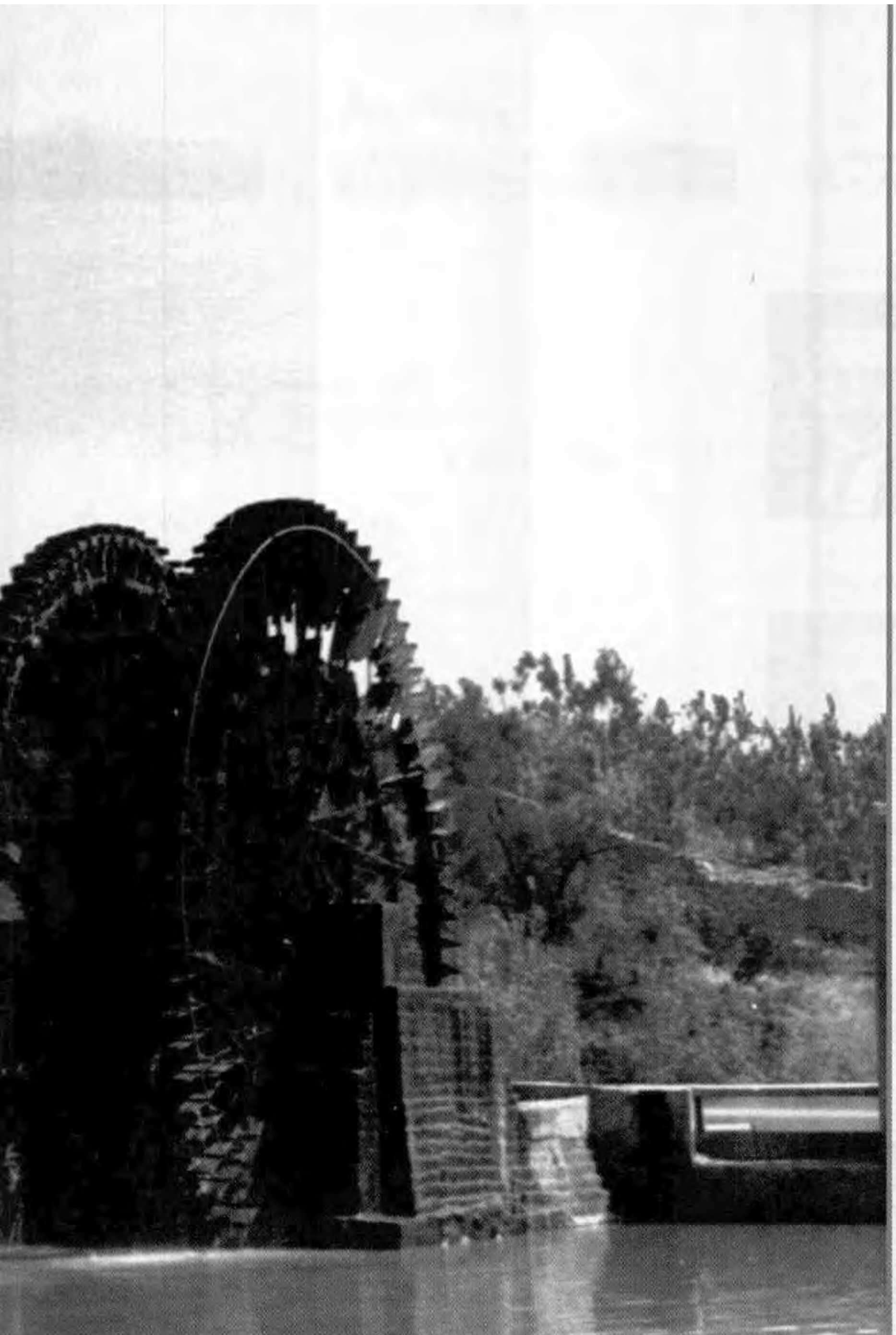
من مؤلفاته:
شعر الجزائر (١٩٦٩م)، شعر المقاومة الجزائرية (١٩٨٢م)، في ذكرى الأمير عبدالقادر (١٩٨٤م)، في رحاب المغرب العربي (١٩٨٥م). ومن دواوينه الشعرية: «صرخة الجزائر الثائرة»، «نوفمبر»، «أنت ليلاي »، وغيرها.
- نشر في معظم الدوريات العربية، وتُرجمت مختارات من شعره إلى بعض اللغات الأجنبية.

د. محمود إسماعيل عمّار



- أردني الجنسية، من مواليد بيت دراس، فلسطين ١٩٤٣م.
- حصل على الدكتوراه في الأدب من كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- عمل بالتدريس والتوجيه التربوي، ويعمل حاليا أستاذًا مساعدًا في كلية المعلمين بأبها.

من مؤلفاته:
العلاقة بين الطالب والمعلم (رؤية إسلامية)، أخطاء الطلاب الشائعة وسبل علاجها في القراءة والكتابة والمحادثة، تدريس اللغة العربية في ضوء النظريات الكلية (تحت الطبع)..
- عضو في نادي أبها الأدبي، وعضو في لجان التحكيم في بعض لمسابقات العلمية والأدبية.
- له مقالات منشورة في الصحف والمجلات المتخصصة.



النواعير.. من أجمل مااشتهرت به مدينة حماة

حماة مدينة الآثار

د. رفاه محمد كامل
محمد علي سرحان

حماة في التاريخ القديم

يمكن القول بأن أول حياة بشرية موثقة كما دلت حفريات البعثة الدانمركية في موقع مدينة حماة يعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد.

حماة (أبيفانيا) بدأت تبرز كمدينة في العهد الآرامي عندما أخذت تتصدى للحملات الآشورية، فصدّت الحملة الأولى بقيادة شلمنصر، بينما انتهت الثانية بتدميرها بقيادة صارغون الآشوري (٧٢٠ق.م). وبعد الآراميين خضعت المدينة للعديد من الأقوام الذين تعاقبوا عليها. فقد بدأ البابليون، ثم تلاهم الفرس ثم اليونان ثم البيزنطيون، وهكذا حتى عام ٦٣٨م حيث فتحها العرب المسلمون صلحًا.

أهمية حماة الأثرية

إن محافظة حماة غنية بالآثار الموغلة في التاريخ، فهي كباقي الأراضي السورية تعكس لنا حضارة الأجيال التي عاشت فيها على مر العصور، لكنها تتميز من باقي المدن بلوحات الموزاييك الأرضية التي لامثيل لها في العالم، خاصة لوحة الموسيقا الفريدة الرائعة في اكتمال (الجوقة) من العازفات، البديعة في تنسيق الألوان والأشكال مما جعلها تحكي درجة الترف البيزنطي قبل الفتح الإسلامي.

فآثار حماة كثيرة متنوعة، لكن أبرزها البيزنطية والإسلامية. وإنّ تعرّف بعض آثارها كفيل بتصور الدور الحضاري لهذه المنطقة.

أفاميا المدينة البائدة

أبرز تلك الآثار مدينة أفاميا البائدة الواقعة على بعد ٥٦ كم

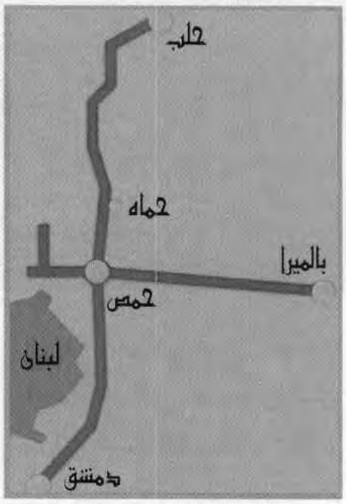


شمالي حماة، تلك المدينة التي تتوغل في أعماق التاريخ إلى الألف الثانية قبل ميلاد المسيح، لكنها لم تَحْظَ باسم أفاميا إلا في عهد سلوقس نيكاتور الذي سماها باسم زوجته الفارسية ٢٩٩ ق.م. ثم تداولها الأباطرة الرومان من كلوديوس وكاراكالا وبومباي، وجرى توسع المدينة العمراني في العهدين الروماني والبيزنطي، ثم مَنَّ الله على أبي عبيدة بن الجراح ففتحها صلحًا، وأصبحت أفاميا مدينة إسلامية. ثم تعاقب عليها الحكام بعد الفتح الإسلامي من الإخشيديين والحمدانيين والفاطميين وأمراء شَيْزَر، ثم وقعت في يد تنكريد حاكم أنطاكية أيام الحروب الصليبية ٤٩٩هـ/١١٠٦م بعد سلسلة هجمات، واستعادها السلطان نور الدين زنكي أثناء حروب التحرير والخلاص من الغزاة الصليبيين عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م. إلا أنها خربت بعد الزلزال المدمر سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م.

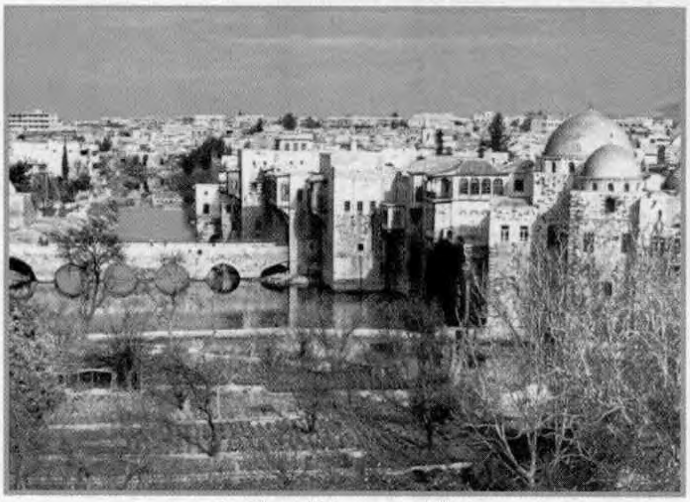
إن أشهر آثار هذه المدينة البائدة يتمثل في الشارع الرئيس الذي يمتد إلى حوالى ١٧٧٤مترًا، بعرض ٢٢ مترًا ونصف المتر مع وجود رواقين: رواق عن اليمين، ورواق عن اليسار، والرواقان مسقوفان بعرض سبعة أمتار ونصف المتر، يقومان على أعمدة متنوعة ملساءومخددة ومحلزنة. وفي الرواقين أمام الحوانيت التي أقيمت فيها فُرِشَتْ الأرضيات أمام تلك الحوانيت بالموزاييك (الفسيفساء الملونة). يخترق هذا الشارع الرئيس ثلاثة طرق



قصر العظم، وهو مقر متحف حماة



موقع حماة على الخارطة السورية



نهر العاصي يمر من خلال مدينة حماة

عرضية تأتي من الشرق إلى الغرب حيث الأكربول.

واشتهر سكان أفاميا القدامى بإتقان فن النحت وفن الزخرفة التي اشتهر بها العرب والمسلمون فيما بعد، واكتشفت أيضا لوحات فسيفسائية مؤلفة من الحجارة والفصوص الصغيرة الملونة والمحفورة التي تمثل الفن في المدينة عبر التاريخ، وزينوا مدينتهم بأفضل ما صنعته أياديهم، وبأبدع ما صنعه صناعهم من الفسيفساء التي عَبَّرَتْ عن هندسة بنائية غاية في الدقة والاعتناء.

فن الفسيفساء الذي اكتشف في أفاميا يختلف عنه في المدن الأخرى، إذ إنها تمثل في المدن الأخرى أساطير المثيولوجية اليونانية والرومانية، أما في أفاميا فقد اختصت الفنون هنالك، واشتهرت بما اشتهر به الآراميون بتدوين معارفهم الأثرية التاريخية، وعبروا عن معارفهم بالعلوم الطبيعية والبيئية والحيوانات والصيد، وظهر ذلك جليا في رسوم الحيوانات الفسيفسائية ورسومهم الخاصة التي تظهر الطيور السائدة وقتها، وهي لاتزال سائدة حتى يومنا هذا كالبط والحجل، وَرُسِمَتْ

بإتقان هندسي بالغ الروعة ضمن أشكال هندسية ومربعات فسيفسائية دقيقة، وأُحْسِنَ رصفها وترتيبها، واختيرت لها الألوان المناسبة الرشيقة التي حفظتها إلى يومنا هذا.

اعتنى الإسلام في عهوده المختلفة بوضع هذه المدينة الأثرية التاريخية والمدن الأخرى، وأرسل اليها خلف بن ملاعب الكلابي عام ٤٨٢ هـ. فتسلم أفاميا عن طريق كاتب الفاطميين سرا عام ٤٧٩هـ، واستولى على قلعتها، وخلع طاعة الفاطميين بعد استقراره فيها سنين عديدة أمام القلعة التي بناها العرب المسلمون واعتنوا بها اعتناء جليلا.

أما نور الدين زنكي فقد أمر بترميمها وإعادة بناء أسوارها. وأبراجها وأعمدتها وآثارها الحالية التي نشاهدها في الصور المرفقة هي من اهتمامات المسلمين في عهد نور الدين زنكي الذي أمر بإصلاح الآثار الدينية والاعتناء بها، كما تم تدعيم قلعة المضيق في عهد صلاح الدين الأيوبي القائد الإسلامي الشهير الذي اعتنى بحضارة العرب والإسلام ودافع عنها.

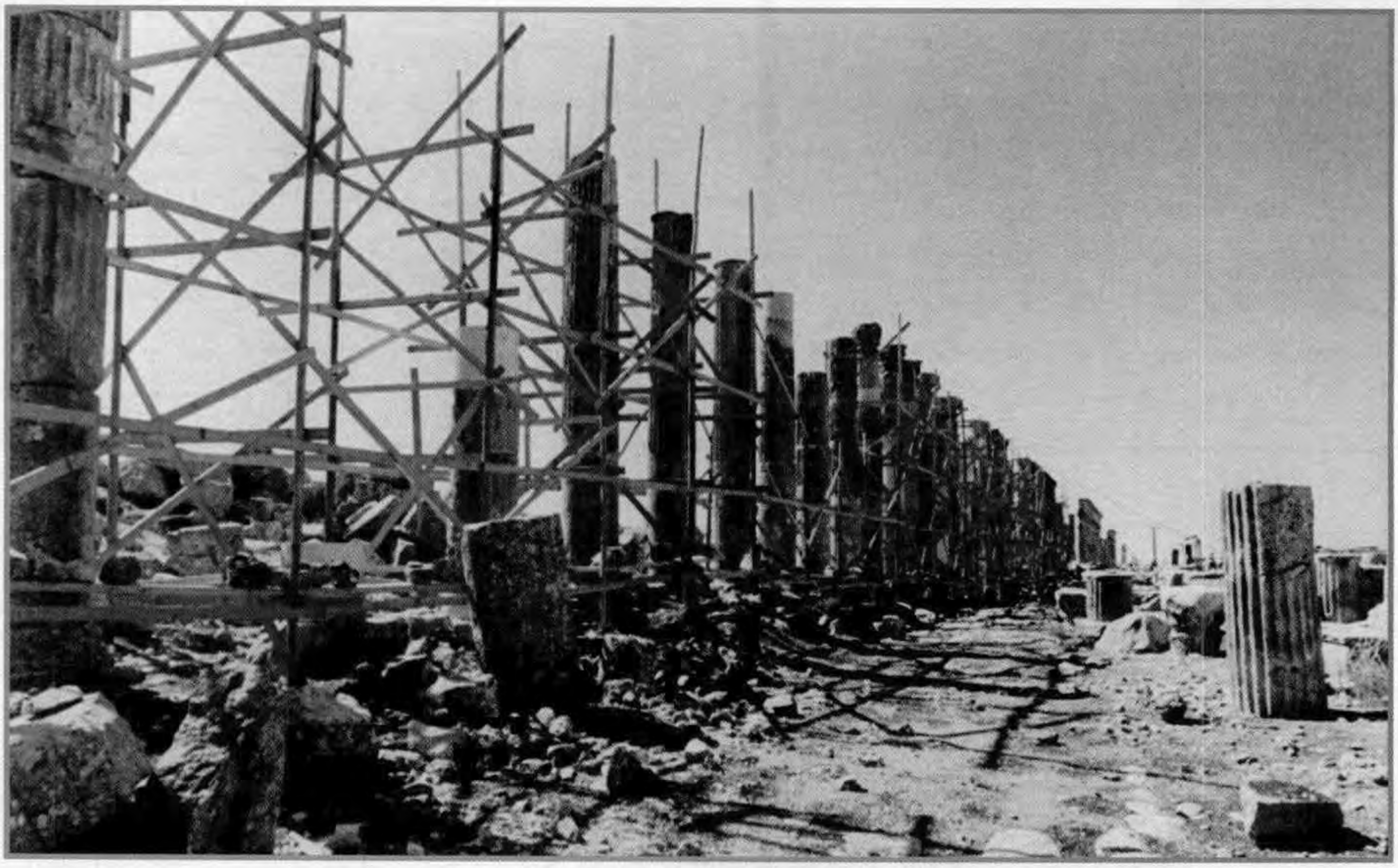
وكان الملك الظاهر بيبرس قد زارها وحشد جيوشه فيها، واستعد للزحف على أنطاكية. وكان ذلك الملك الشجاع مهتما بها أشد الاهتمام باعتبارها حلقة وصل وقلعة حربية مهمة. ويوجد في واجهة القلعة الداخلية نص عربي منقوش باسم سلطان حلب الملك الظاهر غازي تاريخه ٦٠٤هـ (١٢٠٥ - ١٢٠٦)م، ونُقِشَ النص على أربع قطع حجرية مزينة بإطار مزدهر منقوش على الأحجار المجاورة على الطراز العربي الإسلامي.

ويظهر أن أحد الشعراء الجاهليين زار هذه المناطق أو سكن فيها مدة، وهو (عمرو بن كلثوم) وقال فيها أشعارًا جميلة عن حياتها وإنتاجها من ثمار الجنة.

والسبب في ذلك يعود إلى ماشتهرت به المناطق البعيدة



بعض آثار مدينة أفاميا التي دمرها الزلزال (٥٥٢هـ / ١١٥٧م)



عمليات الصيانة في آثار أفاميا تظهر مدى أهمية المدينة

والقريبة من مدينة أفاميا التاريخية ومدينة حماة من الفواكه والعنب، والجمال المدهش الذي تَغَنَّى به بعض الشعراء.

إن الآثار التاريخية لآفاميا تثير التساؤلات، والاكتشافات الجديدة تثير الاهتمام، وخاصة اللوحة الفسيفسائية المسماة (الجنة) التي تثير الدهشة لروعتها وجمالها، وهي محط اهتمام ودراسة من قبل البعثات الأثارية، باعتبارها تشرح للإنسان المعاصر الحالة المعيشية لسكان هذه المدينة والحياة الجمالية التي كانوا يعيشونها.

قلعة المضيق

كان التل المخروطي الذي أقيمت عليه القلعة الأكربول (معبدا) لمدينة أفاميا، ثم تحول في عهد الملك غازي بن صلاح الدين إلى قلعة عام ٦٠٤هـ/١٢٠٥م. ومع ذلك تهدمت القلعة ولم يبق منها سوى البرج الشمالي والبرجان الجنوبيان لحراسة المدخل.

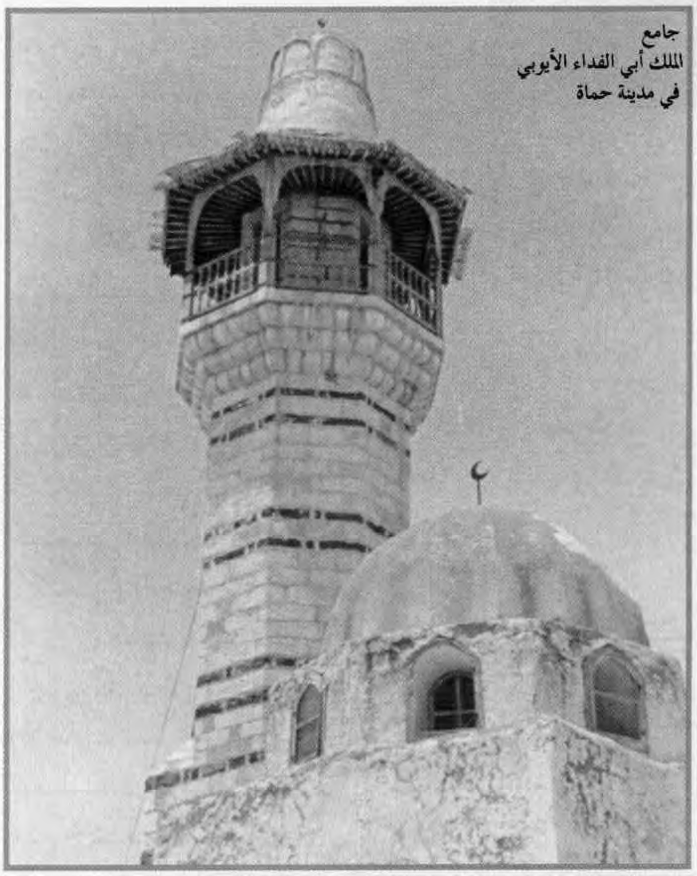
الخان العثماني

بُنِيَ الخان العثماني في عهد الوزير سنان باشا عام ٩٣١هـ ليكون محطة استراحة للحجاج الأتراك على شكل مربع أقيمت قاعاته بنموذج هندسي منفرد في الأجنحة الأربعة، ويقع الباب في وسط الجناح الشمالي. أما المجالس (القاعات) فترى فيها مصطبتين بين كل قنطرتين. المصطبةُ الواحدة تكفي لإيواء قرابة عشرين حاجًا.

كما أنَّ المصطبة مزودةٌ بموقد من الحجارة على شكل المدفأة في قصور العصور الوسطى الأوربية، وتقوم فوق الموقد مدخنة. لقد أبدع المعماري العثماني سنان هذا النموذج من خانات المرور ليكون فريداً في عصره، ثم جرى تحويل الخان العثماني إلى متحف لمدينة أفاميا بعد استقلال سورية عن الانتداب الفرنسي. إنه متحف فريد له خصوصية بلوحات الفسيفساء (الموزاييك) التي نقلت من دور أفاميا وقصورها وكنائسها لتوضع على أرضيات أجنحة الخان بأسلوب فني رائع حافظ إلى حد كبير على التشكيل الصوري وطبيعة الألوان كما هي.

وتلك اللوحات تريك حيوانات البيئة وأشجارها وثمارها، و تريك ألوان البيئة في الصيد، والسهر والأفراح، وحكايات البيئة وأساطيرها. ولم ينفرد المتحف بلوحات الفسيفساء فحسب، إنما تخصص بأنواع من تيجان الأعمدة من أيونيه ودورية وكورنثيه، كما





جامع
الملك أبي الفداء الأيوبي
في مدينة حماة

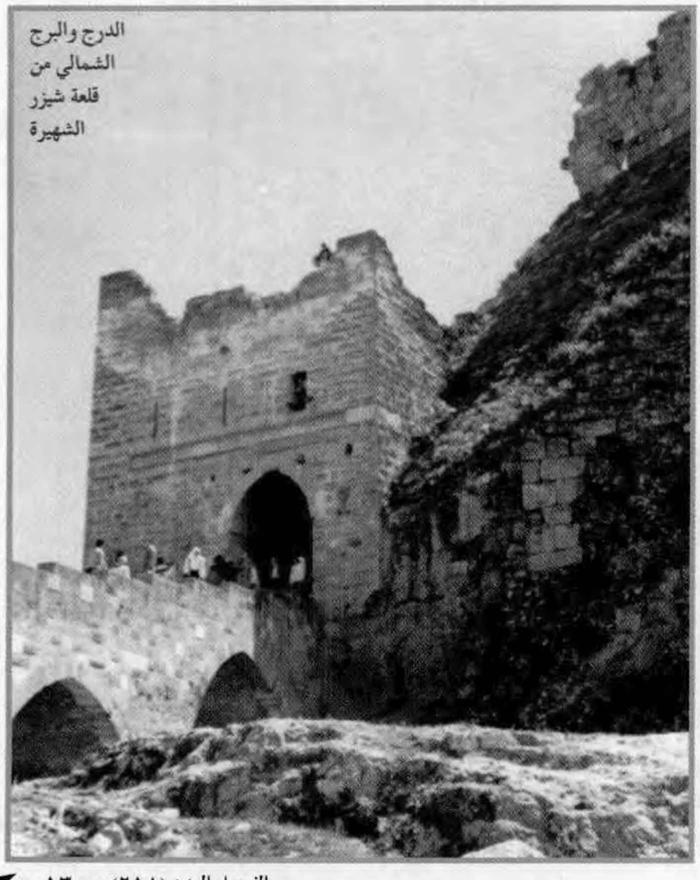
تخصص بنماذج من الأضرحة.

قلعة شيزر

تقع قلعة شيزر غربي حماة على بعد ٢٥ كيلو مترا فوق أكمة منعزلة طبيعيًا عما جاورها إلا من الجنوب، حيث تم عزلها بحفر خندق في الصخر، وهي بطول ٣٠٠متر، وعرض ٤٠ مترا، وارتفاع ٢٨٠ مترا عن سطح البحر.

إن أقدم نص تاريخي يشير إليها يعود إلى عام ١٤٤٧ ق.م، فقد ذكرت في المنحوتات المصرية والرقم الآشورية والكتابات البيزنطية بأسماء قريبة من لفظ شيزر. فتحها أبو عبيدة صلحًا بعد فتح حماة عام ١٧هـ/٦٣٨م، ولما كانت تقع على الطريق التاريخي إلى دولة بيزنطة فقد زادت أهميتها في العصور الإسلامية وخاصة أيام الحروب الصليبية. لذلك أعاد السلطان نور الدين محمود بن زنكي بناءها بعد الزلازل التي دمرتها عام ٥٦٦هـ/١١٧٠م لتتابع تصديها للغزاة الصليبيين، وكان قد سبق غزوهم لها مرات، فلم يفلحوا في الاستيلاء عليها لمنعتها ولمتانة حصونها ولصلابة الأبطال المدافعين عنها.

ولو عدنا إلى التاريخ



الدرج والبرج
الشمالي من
قلعة شيزر
الشهيرة



الساحة العامة في
مدينة حماة، ونرى
بها ساعتها الشهيرة



لنستوضح أهمية قلعة شيزر لوجدنا أنها كانت الركيزة أو البرج الأمامي المدافع عن بر بلاد الشام من الغزاة الصليبيين، وهذا ما جعل السلطان نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين والملك الظاهر بيبرس يهتمون بها، ويتدخلون في تحديد الحامية وطبيعتها وصلاحيتها، ويعملون على تجديد بنائها وتدعيمه وترميمه. وهذا ما جعل السلاطين والملوك من السلاجقة والأيوبيين والمماليك يتابعون أحداثها، ويتدارسون شؤون حكامها، ويتدخلون في تغييرهم أو تبديلهم وفقا للظروف الخاصة بهذه القلعة. ولن ينسى التاريخ دور أسرة بني منقذ التي حكمت (٤٣٣ هـ - ٥٢٢هـ)، وأسرة بني الداية التي حكمت (٥٢٢هـ - ٦٦٠هـ) في الدفاع فيها عن العالم الإسلامي صمودا وفداء.

والقلعةُ، ذاتُ مدخل حجري من جهة الشمال ينتصب على قناطر. ينتهي المدخل عند باب القلعة حيث يقوم البرج الشمالي ذو الطوابق الثلاثة. والصعود لأعلى البرج يتم من المدخل، وقد رصفت الأكمة التي تقوم عليها القلعة بحجارة كبيرة مثيل الرصف الذي يُرى على الأكمة التي تقوم عليها قلعة حلب. أما داخل القلعة فهناك آثار لبيوت متهدمة، بينما في جنوبها ينتصب البرج الهائل الجنوبي الذي يكفل مع الخندق والجسر الخشبي المتحرك فوق الوادي الضيق العميق دفاعا آمنا من الجنوب.

إن الزائر اليوم لقلعة شيزر يتوقف عند بعض ملامح البناء العربي للقلاع، فالطابع العربي بارز في القناطر الثنائية التي يقوم عليها الجسر الحجري إلى المدخل، كما هو بارز في الهرم المتدرج الذي بُنْيَ كجدار لأكمة القلعة من الحجارة الكبيرة والأعمدة الأفقية التي تدعِّم البناء الجداري.

كما أن النصين المكتوبين اللذين يزينان البرجين الشمالي والجنوبي يُعبِّران عن الإصلاحات والإضافات العمرانية. فالأول من عهد السلطان قلاوون، يشير إلى بعض الإضافات العمرانية في التدعيم، وذلك بعد حملته الثانية على ما تبقى من الصليبيين في طرابلس وبيروت. والثاني يعود إلى عهد السلطان الملك العزيز محمد بعد ما عزل شهاب الدين يوسف بن الداية، ويشير إلى إصلاحات وتدعيمات تمت في القلعة، ويعود تاريخ الكتابة إلى عام ٦٣١هـ.

جامع النوري

بناه السلطان نور الدين زنكي عام ١١٦٢م. أهم ما فيه الكتابات الأثرية في جداره الشمالي، أولها باليونانية تتحدث عن إباء أهل حماة ضد الرومان، وثانيها بالعربية، وتشير إلى الباني، وثالثها أيضا بالعربية وتتحدث عن إقامة مركز في الجامع للطلاب المنقطعين لدراسة العلم على نفقة الأوقاف الإسلامية.

قصر العظم

بناه والي حماه أسعد العظم ١٧٤٠م. ثم جرت توسعته من قبل نصوح العظم بين ١٧٤٠ - ١٨٣٠م. إنه شبيه بقصر دمشق، ففيه السلاملك والحرملك والحَمّام، وأجمل ما فيه قاعته الكبيرة المزدانة بالنفيس من الخشبيات والرائع من الزخارف الكتابية، ففيها آية الكرسي بخط كوفي مبتكر تزين الجدار القبلي من الداخل.

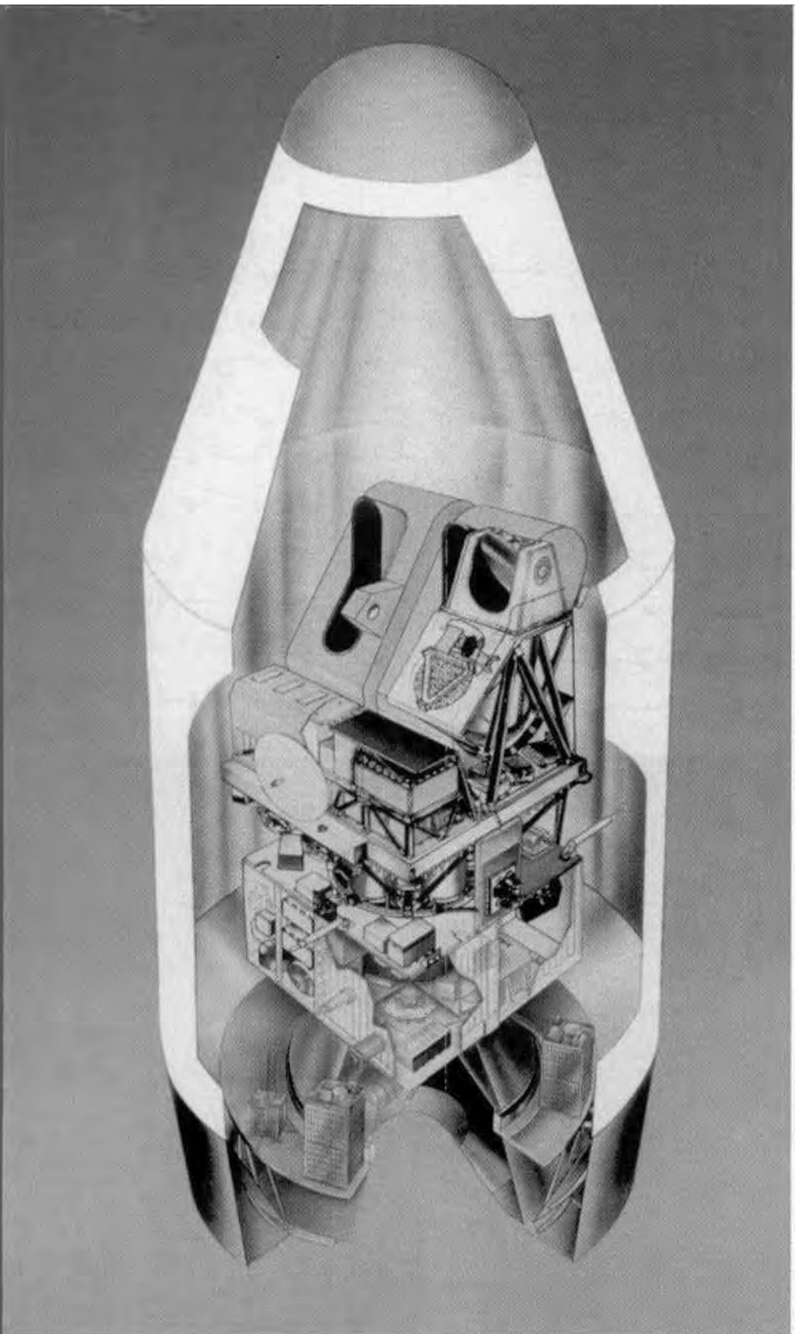


زاوية الكيلاني الأثرية في مدينة حماة وأمامها ناعورة الباز

الأقمار الفرنسية للاستشعار من بعد

تستقبل قمرها الجديد

م. سليمان القرطاس



رسم تخطيطي للقمر الصناعي (سبوت ـ ٣) داخل قمة صاروخ آريان وقد ظهرت الأنظمة وهوائي الإرسال (المصدر CNES)

يعود استخدام الفضاء لرصد الأرض إلى بداية هذا العصر، وقد تم التقاط صور للأرض في الرحلات المأهولة، إلا أن الأقمار الصناعية للأحوال الجوية كانت أولى الأقمار الصناعية المكرسة لالتقاط صور الأرض. وبعد تطور الأقمار الصناعية وأجهزة التصوير أصبح بالإمكان الحصول على صور أكثر دقة تستخدم في الاستطلاع. ومع تطور هذه التقنية أمكن استخدامها للأغراض المدنية، وعرفت هذه الأقمار الصناعية بأقمار الاستشعار من بعد.

وتقنية الاستشعار من بعد (Remote Sensing) تغطي عائلة التقنيات المستخدمة في تحقيق الاستشعار من بعد وما يليها من معالجة لمحتوى المعلومات الناتجة من الإشعاع المنبعث أو المنعكس او المتشتت من سطح الأرض بواسطة أي جسم، وإشعاع كهذا يعطي خواص الجسم أو طبيعة الأرض أو الغطاء النباتي الذي يمكن تحسسه من قياس شدة أطوال موجات الإشعاع المختلفة الملتقطة من هذا النوع من الأقمار الصناعية.

يستخدم القمر الصناعي للاستشعار من بعد مدى من الأطوال الموجبة تشمل الطيف المرئي والأشعة تحت الحمراء القصيرة، والأشعة تحت الحمراء الحرارية، والقريبة من تحت الحمراء، إضافةً إلى الأقمار الصناعية الرادارية للاستشعار من بعد (مدى SHF وEHF الترددي).

سباق دولي

كانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق الدولتين الرائدتين في هذا المجال. غير أن هذا المجال لم يبق حكرًا على هاتين الدولتين فقد تبعتهما فرنسا ثم اليابان ثم مجموعة الدول الأوربية، وأخيراً الهند. ومن المؤمل أن يشهد العام المقبل ولوج كندا أيضًا. وفرنسا الثالثة في هذا المجال من خلال قمرها SPOT-1 الذي أُطلق في فبراير ١٩٨٦م. وكان هذا القمر هو الأول في سلسلة من الأقمار الصناعية للاستشعار من بعد من المؤمل أن تستمر حتى عام ٢٠٠٠م.

وتبع SPOT-1 بعد أربعة أعوام SPOT-2، وكان آخر السلسلة SPOT-3 الذي تم

إطلاقه بنجاح في الرحلة رقم ٥٩ للصاروخ الأوربي آريان، وكلمة SPOT هي مختصر «قمر الرصد الأرضي». وتحمل هذه الأقمار الثلاثة مواصفات متشابهة كثيرًا فيما عدا أن سبوت ٢ و٣ يحملان جهازًا علميًا لقياس مجال الجاذبية الأرضية باسم DORIS، ويتوقع أن يشهد تصميم القمرين القادمين 4و5 SPOT تحولاً جديدًا، ويظهر جيل جديد من أقمار سبوت بأشكال مختلفة للمركبة وأجهزة استشعار أكثر دقة.

خدمات سبوت

تؤدي أقمار سبوت بإمكاناتها التقنية - عن طريق التقاط الصور- مجموعة خدمات تشمل التحسس للظواهر الطبيعية كالفيضانات، والجفاف، أو تلك التي من عمل الإنسان كالتلوث، وإزالة الغابات، كما أن باستطاعة هذه الأقمار تحديد مناطق الغطاء النباتي الطبيعي، والتخطيط والقيام بالمهمات المرتبطة بالاقتصاد، كإنشاء الطرق والسدود ومشاريع الري، واستثمار الأراضي الزراعية والغابات والموارد المعدنية والمياه الجوفية، وتخطيط المدن والتوسع العمراني. وترجع بدايات مشروع سبوت إلى عام ١٩٧٨م، عندما أُعلنت الحكومة الفرنسية المضي في المشروع بعد إنهاء البحوث. وتولت وكالة الفضاء الفرنسية CNES إدارة البرنامج وتشغيله والإشراف على التصنيع.

ويتألف نظام سبوت من قمر صناعي واحد أو أكثر في مدار حول الأرض وعدد كبير من المحطات الأرضية حول العالم لاستلام صور القمر الصناعي من خلال أجهزة حاسوب وبرامج خاصة. وهذه المحطات أهمها محطتان للتحكم في القمر الصناعي، بالإضافة إلى شركة SPOT IMAGE المسؤولة عن الاستثمار وبيع صور هذا القمر الصناعي.

وقد أمكن لكثير من الدول استلام صور SPOT باتفاقات خاصة، ومن هذه الدول المملكة العربية السعودية التي تقوم باستلام هذا النظام مباشرةً من القمر الصناعي من خلال محطة تابعة لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في الرياض.

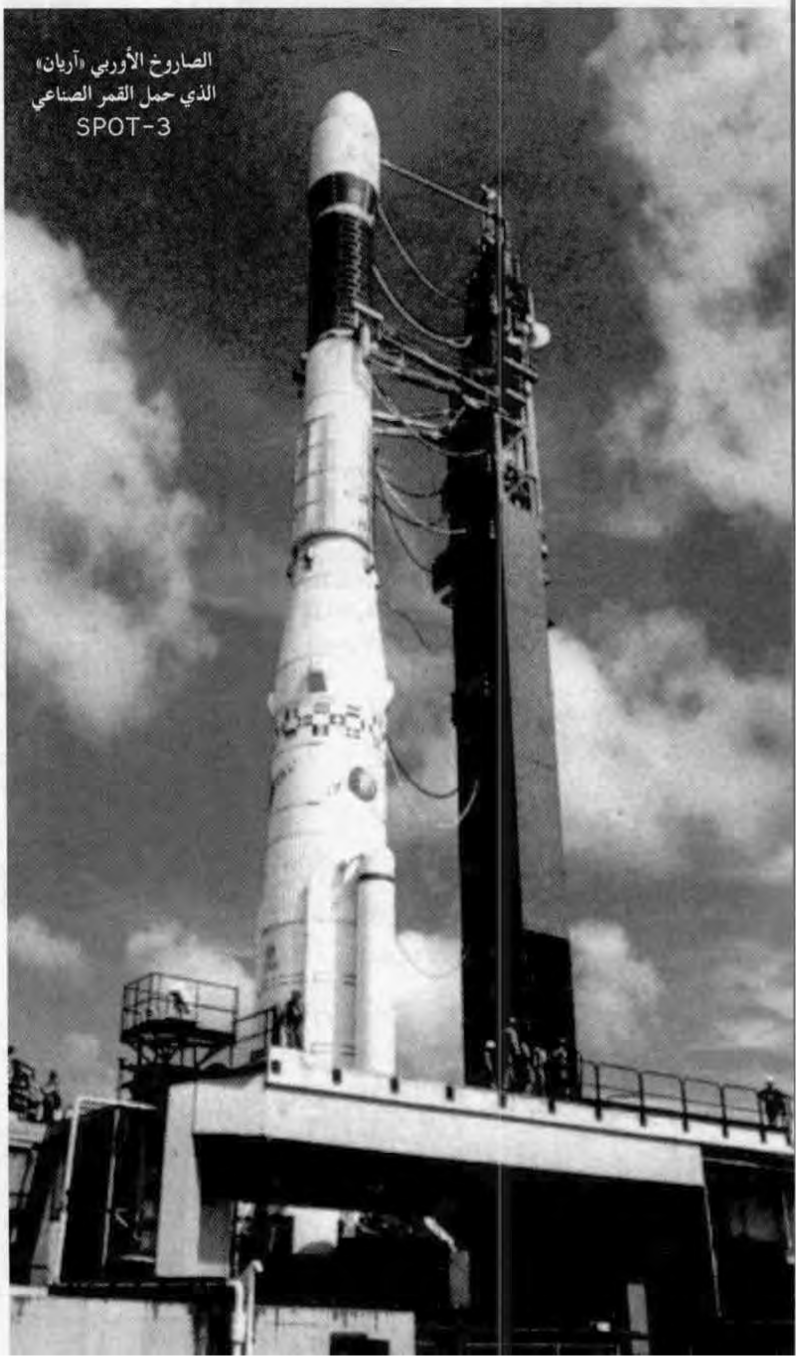
خواص أقمار سبوت

صنع هيكل المركبة من ألياف كربونية، لما لهذه المادة من خواص المرونة وخفة الوزن وَتَحَمُّلِ درجات الحرارة، وإمكانية العزل الحراري الجيد. وتتكون المركبة من جسم مركزي يرتبط به صف من الألواح المرصوفة بالخلايا الشمسية قابلة للطي. ويحتوي الجسم المركزي على جميع الأجهزة الرئيسة للاستشعار، والمعدات الإلكترونية والميكانيكية المساعدة.

المدار

على النقيض من الأقمار الصناعية للاتصالات التي تتخذ المدار المتزامن - وهو مدار متعامد على خط الاستواء بارتفاع ٣٥٨٥٠ كيلومترًا - فإن جميع الأقمار الصناعية للاستشعار من بعد تتخذ مدارًا قطبيًا يوفر إمكانية التقاط صور لجميع أطراف الأرض. وتتخذ الأقمار من هذا النوع مدارًا قطبيًا بزاوية انحراف مختلفة، وبارتفاع يتراوح بين ٦٥٥ - ١١٥٥ كيلومترًا.

أما أقمار سبوت ١ و٢ و٣ فتتخذ مدارًا بارتفاع ٨٢٢



الصاروخ الأوربي «آريان» الذي حمل القمر الصناعي SPOT-3

كيلومترًا عند خط الاستواء، وهناك متطلبات وضعت لهذا المدار، وهي:

* نظرًا للحاجة الدائمة إلى موازنة صور منطقة معينة في أوقات مختلفة، يجب التقاط الصور من الارتفاع نفسه، وهذا يحتم أن يكون المدار المطلوب دائريًا، أو أن يكون له ارتفاع ثابت عن سطح الأرض (قطر الأرض عند خط الاستواء أطول بـ ٢٠ كيلومتراً منه بين القطبين).

* من الضروري تكرار تصوير نقطة ما على الأرض خلال فترة محددة، وهذا لا يتم إلا من المدار القطبي.

وبما أن هذا المدار لا يعتمد على دوران الأرض حول محورها، فإن الظل العمودي للقمر الصناعي الذي يتخذ مدارًا كهذا يسلك سلسلة من المسارات الأرضية ليشكل نمطًا منتظمًا يرسمه على سطح الأرض. وبعد مدة معينة يكمل القمر الصناعي للاستشعار من بعد عدد الدورات في مداره، بينما تدور الأرض حول محورها عددًا آخر من الدورات، ليعود القمر الصناعي والأرض إلى نقطة البداية المعتمدة. وعندئذ يقال إن هذا القمر الصناعي ذو مدار مطاور Phased مع الأرض. فأقمار SPOT ومنها SPOT-3 يكمل ١٤١٩٢٣ دورة كل يوم، ويكمل خلال ٢٦ يومًا عددًا كاملاً من الدورات متبعًا دورة رصد أرضية كاملة وبالأسلوب نفسه يعيد ذلك مرةً بعد أخرى.

نظام التصوير

يحمل كل قمر من أقمار سبوت الحالية جهازي تصوير يطلق عليهما اسم (High Resolution Visible) أو (HRV) اختصارًا، ومُسَجِّلَيْ معلومات صورية، ووحدة لإرسال المعلومات الصوتية إلى المحطة الأرضية.

وجهاز HRV له قابلية التقاط صور يمكن تمييز أبعاد الأجسام عليها بما يتراوح بين ١٠ أمتار و٢٠ مترًا حسب النمط المستخدم. وهذه المواصفات ملائمة لرسم الخرائط التضاريسية بمقياس رسم ١/١٠٠٠٠٠، والخرائط التفصيلية بمقياس رسم ١/٢٥٠٠٠.

أما النمطان المستخدمان والمتوافران من هذا الجهاز فهما:

١ ـ النمط متعدد الأطياف: وفيه يتم تحسس ثلاث حزم طيفية بتمييز ٢٠ مترًا، والحزم هي:

ا ـ 0.5 - 0.59 Um (اللون الأخضر).

ب ـ 0.61 - 0.68 Um (اللون الأحمر).

جـ ـ 0.79 - 0.89 Um (القريب في الأشعة تحت الحمراء).

٢ ـ النمط اللوني: وفيه يتم تحسس حزم طيفية واسعة بين 0.51 - 0.73 Um وبتمييز قدره ١٠ أمتار، وهو مخصص للاستخدامات الهندسية الدقيقة.

ونتيجة لدوران القمر الصناعي فإن جهازي التصوير يمسحان شريطين ملتصقين من الأرض، وقد صُمم الجهازان ليكون مجال تصوير كل منهما بعرض ٦٠ كيلومترًا، ويكون المجالان مشتركين بـ ٣ كيلومترات، وبذلك يكون مجال التصوير المشترك للجهازين بعرض (١١٧) كيلومترًا، وهذه المواصفات وعلاقتها بالمدار تحقق الهدف الخاص بجعل المسافة بين



صورة لجزيرتي سردينيا وكورسيكا التقطت بواسطة القمر الصناعي SPOT-3 في ١٩٩٣/٩/٢٧م (المصدر: CNES)



المسحين المتجاورين عند خط الاستواء أصغر من مجال التصوير المشترك للجهازين، وبذلك تضمن التغطية الشاملة للأرض بعد دوران لمدة ٢٦ يومًا.

وهناك ابتكار رئيس في أقمار سبوت موازنة بالأقمار الأخرى للاستشعار من بعد، وهو إمكانية انحراف مجال تصوير الجهاز بزاوية بين + ٢٧° عن الخط العمودي الذي يرسمه القمر الصناعي (Nadir). وتوفر هذه الميزة فائدتين اثنتين، الأولى: إمكانية العودة لمسح الرقعة الأرضية نفسها بعد وقت أقصر، وذلك لقياس التغيرات السريعة، فمثلاً الدول التي تقع على خط عرض ٤٥° شمالاً أو جنوبًا يمكنها إعادة تصوير هذه البقعة أو تلك كل يومين ونصف. أما الفائدة الثانية فإمكانية الحصول على صور مجسمة من خلال صورتين بزاويتين مختلفتين.

وهذا الابتكار قد أمكن إنجازه من خلال فكرة بسيطة، هي أن مدخل الضوء لجهاز HRV قد زود بمرآة يتم التحكم في زاوية ميلانها من محطة التحكم الأرضية ضمن الزاوية المتاحة.



صورة لمدينة باريس التقطت بواسطة القمر الصناعي الفرنسي. (المصدر: CNES)

تقنية التقاط الصور

جهاز HRV عبارة عن مقراب (Telescope) طوله الكلي ٢,٥ متر بكتلة ٢٥٠ كغم. وعند دخول الضوء إلى النظام البصري للتلسكوب (وهو يتكون من مجموعة من المرايا المقعرة والعدسات) يتم التقاط الصورة خلال أربعة مجاميع خطية من المتحسسات من نوع CCD (Charge Coupled Device) التي تقوم بتحويل الضوء إلى إشارة كهربائية. وكل مجموعة من هذه المجاميع الخطية مكونة من ٦٠٠٠ متحسسة، وضعت جميعها في المستوى البؤري للمقراب. وتتم معالجة الإشارات الكهربائية التي تولدها المتحسسات لتغيير الصيغة التناظرية إلى الصيغة الرقمية بواسطة (وحدة مغيّر) من التناظري إلى الرقمي (Analouge to digital Converter)، ثم يتم تضمين المعلومات في تردد أعلى ليتم إرسالها إلى الأرض بتردد 8.2 GHZ بواسطة هوائي القمر الصناعي

أجهزة تخزين المعلومات في سبوت - ٣

عند التقاط الصور هناك احتمالان يجب بحثهما:

الأول: أن يكون القمر الصناعي ضمن مدى إحدى المحطات الأرضية العاملة ضمن نظام سبوت. والثاني: أن يكون القمر خارج المدى. ففي الحالة الأولى تُضمّن المعلومات الصورية في تردد الإرسال لكي تُرسل مباشرة إلى الأرض بواسطة هوائي الإرسال. أما في الحالة الثانية فإن المعلومات المصورة تُسجل أولاً بواسطة جهاز تسجيل بشريط ممغنط ضمن أجهزة سبوت، ويعاد عرضها خلال مرورها ضمن مدى إحدى المحطتين الرئيسيتين لاستلام الصور، وهما في تولوز (فرنسا) وفي كيرونا (السويد) باستخدام المرسلة نفسها، والهوائي المحمول أسفل سبوت ٣.

وبالإضافة لـ Doris فإن لسبوت ٣ أجهزة علمية أمريكية تسمى Poam II لقياس تركيزات الأوزون والغازات المسببة لتفككه فوق القطبين.

ومن المؤمل أن يعمر هذا القمر الصناعي أكثر من ثلاث سنوات.

المراجع

١ - نشرة متخصصة بعنوان SPOT صادرة عن CNES ١٩٨٥م.
٢ - نشرة متخصصة بعنوان SPOT-2 صادرة عن CNES ١٩٨٩م.
٣ - نشرة متخصصة بعنوان SPOT-3 صادرة عن CNES ١٩٩٢م.
٤ - نشرة بعنوان Observing the Earth صادرة عن ماترامار كوني غير مؤرخة.

اللغة العربية.. سياج هويتنا

لغات الشعوب هي مرآة حياتها، وترجمان مشاعرها وخصائصها وإبداعها، ووعاء ثقافتها وحضارتها، وهي وسيلة التعايش والسبيل إلى التقدم.

ولقد كرّم الله الإنسان فاختاره من دون مخلوقاته جميعًا ليستخلفه في الأرض، قال تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقال سبحانه: ﴿وإذْ قال ربُّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠)، ثم زوده باللغة ليضطلع بمسؤوليات الخلافة: ﴿وعلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها﴾ (البقرة: ٣١).

ولغتنا العربية التي شرّفها الله بأن جعلها لغة كتابه المنزَل، ونبيّه المرسَل، تشكو إلى بارئها استهتار أبنائها بها، وإعراضهم عن فرائدها وفوائدها، وبعدهم عن كتابهم الكريم بجهلهم بها. وإذا كنا نؤمن بأن هويتنا الأصيلة هي الإسلام، كما قال الشاعر:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

فإننا نؤمن كذلك بأن اللغة العربية هي التي تجسّد هذا الانتماء، وتصل بين الإسلام وأهله، فإهمالُها إهمال للقرآن ورسالته، ومحاربتها محاربة للإسلام وللمؤمنين به، وإطفاء جذوتها في النفوس قضاء على معاني الإباء والعزة، ورفض الضيم والهوان.

لقد عرف أعداء هذه الأمة لهذا القرآن بلغته المعجزة سحره، وأن الأمة ستبقى عزيزة الجانب، سامية المكانة مادام الإسلام هو الشعار والدّثار، وهو الدليل والمنار، فاصطنعوا في محاربته وسائل وفنونا، ورأوا في تشويه صورته، وزعزعة إيمان أصحابه به ضمانةً لتحكمّهم بمقدرات أهله؛ فكان الغزوُ العسكري لبلاد المسلمين ، وفرضُ لغة المحتلين، ومحاولةُ طمس جمال اللغة الفصحى، والقضاء على صورة الماضي المجيد.

لقد أدرك أعداء هذه الأمة أن اللغة العربية والقرآن الكريم متلازمان، فهو الذي يمدها بأسباب القوة والبقاء، ويرقى بها، ويرسّخ في النفوس أسسها، وهي الوعاء المبارك الذي يحمل ماجاء به من الهداية والغذاء الروحيّ؛ ولذلك أيقنوا أنهم لايستطيعون القضاء على هذه الأمة إلا بالقضاء على لغتها: لغة القرآن... فلما أخفقت الحلول العسكرية، لجؤوا إلى الغزو الثقافي والفكري، فشجعوا اللهجات العامية، وأفسدوا مناهج التعليم، وأضعفوا الحسّ الديني بحملات التبشير والتنصير، ودعوات التقدمية والعلمانية، بمساعدة المغرّر بهم وأصحاب الغفلة من أبناء الأمة الذين بهرت أبصارهم وسَبَتْ عقولهم زخارف الحياة العصرية في ديار الغرب، وادّعوا أن العربية غدت جامدة قاصرة عن استيعاب الحياة العصرية بوجوهها المختلفة؛ وانتهى بنا ذلك إلى انعدام السليقة التي لايمكن للغة أن تصحّ على الألسنة والأقلام من دونها، وإلى قصور أبنائنا المروّع في لغتهم تفكيرًا وتعبيرًا، بعد أن كانت اللغة تجري على الألسنة جريانا عذبا، لاعثرة فيه، دون حاجة إلى جهد لتعلمها، وإنما كان ذلك بالفطرة والسليقة.

ولقد عالج فريق من العلماء الغيورين على لغتهم ودينهم أسباب هذا التقهقر، فتحدثوا عن خطر العاميّة، وعن تلوث اللسان العربي، ومظاهر الضعف لدى الطلاب بسبب اضطرابات المناهج وطرائق التعليم، وتدنّي المستوى العلمي للمعلمين وللكتب على السواء... كما تحدثوا عن طرائق الإصلاح، فعرضوا لدور المجامع العلمية والجامعات والمؤسسات الثقافية في نهضة اللغة من كبوتها، ومحاولات بعث روح التجديد فيها، وسبل التيسير في تعلم القواعد، والاستفادة من مرونة اللغة وقدرتها على النماء لاستيعاب النهضة الحديثة، ووضع المصطلحات الدقيقة للمستجدات في شتى ميادين المعرفة.

و مجلة «الفيصل» من منطلق إيمانها بدورها الثقافي هيّأتْ هذا الملف في محاولة منها للمشاركة في تشخيص الداء، وإيجاد الدواء.

وهذا الملف بداية لجهد كبير تتطلع مجلة «الفيصل» إلى القيام به ـ إن شاء الله ـ من أجل خدمة اللغة العربية، وتعميق البحث في أسباب تراجعها كلغة للحياة والثقافة، ومن ثم تعتزم عقد ندوة « ندوة الفيصل» للاضطلاع بمسؤولية الإسهام في بحث هذه الأسباب، ووصف سبل النهوض والارتقاء، وَيَسُرُّهَا ـ في الوقت نفسه ـ أن تضع بين يدي القارئ الكريم كتيبا شاملا يضم قائمة من حوالي (١٥٠٠) مرجع بين كتاب ومقالة من أجل إثراء البحث في هذا المجال، آملة أن يكون هذا الكتيب الشامل خير عون في مساهمة أعمق من القراء الأعزاء.

اللغة العربية هويتنا

د. صالح الخرفي

اللغة العربية حاملة الرسالة السماوية، ومبلغة الوحي الإلهي، معجزته الخالدة، وإعجازه الأزلي: ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾ (فصلت:٣)، ناشرة الدين الحنيف، وسفيرته إلى العالمين، فاتحة دعوته، ولسان شعائره، جامعة الأمة، وآصرة الملة، واحدة موحدة، خالدة خلود الكتاب المنزل بها، محفوظة حفظ الوحي الناطق بها: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر:٩).

مبدعة الحضارة العربية الإسلامية، وحافظتها، وراويتها بين الأجيال وذاكرتها على مر العصور، لغة الإبداع العربي قبل الإسلام، ولغة الإعجاز الإلهي بعده، فهي المبدعة المعجزة، حمَّلها الإسلام رسالة العالمية، وأكسبتها العروبة قُدرة التبليغ.

وفي ظل الإسلام، وركْب الفتوحات، ومع طلائع المدّ الإسلامي وروّاد الرسالة الجديدة، استطاعت اللغة العربية أن توسع رقعتها الجغرافية وتعمق رصيدها البشري. وتستميل الأتباع والأصقاع، فأثرت في الحضارات التي التقت بها، واستوعبتها في المنظور الإسلامي، صفاء في العقيدة، وبعداً في الإنسانية، ونفساً جديداً في الإبداع والإغناء.

وبفضل الإسلام وفي ظله، دانت اللغات التي التقت به لـلغة التي تحمل رسالته، فكان المد، وكان الجزر، جاءت اللغة الفاتحة، المبشرة بالدين الجديد، فاستمالت لغات شائعة دان أهلها بالإسلام، فارتضوا لغة كتابه المقدس بديلاً من لغاتهم، وأبدعوا في اللغة الجديدة، بقدر إيمانهم بالدين الوافد، فجعلوا منها اللغة العالمية، انعكاساً للرسالة التي جاءت رحمة للعالمين.

قبل الإسلام، كانت البشرية لغاتٍ متعددة، وألسنة متباينة، وفي ظله، وبليغ دعوته، وواسع سماحته، برزت اللغة الواحدة الموحدة، تسمو فوق العرق والجنس، وتجمع بآصرة العقيدة، وجاذبية اللسان.

ويوم اعتزت اللغة العربية بعزة الإسلام، وعاشت أزهى نمائها، وأوفى عطائها، عرفت كيف تكون الجسر الأمين لعطاء الحضارات الأخرى للحضارة العربية الإسلامية. دون عقدة نقص، أو قابلية استلاب، فوطنت الوافد الذي يفرضه التفتح، من غير تفريط في الذاتي الذي تحتمه الأصالة. وعندما يكون العطاء الخارجي على حساب الأصالة الذاتية، تفقد اللغة وظيفتها في بناء الذات لتتحول إلى معول في هدمها، ولن يكون ذلك إلا بانقطاع الصلة بين اللغة منطوقة على طرف اللسان، وبين اللغة مغروسة في العمق العقائدي، والبعد الحضاري، وهو انفصام رفضته اللغة العربية في أوج سيادتها. فاستعصمت بذلك على المتربصين بها، وعانت منه في عهود الانحطاط والتبعية، فهان أمرها على الناطقين بها، والكائدين لها.

وكما اعتزت اللغة العربية بعزة الإسلام في الصدور، هانت بهوانه في النفوس، وعرفت الحضارة العربية الإسلامية عهودها المظلمة وركودها الفكري، وخمودها الإبداعي، فانكفأ العطاء إلى انزواء، وأعقب التفتح انغلاق كثيف الحجب، واليد العليا ارتدت إلى مقابلتها السفلى، فكان ما كان من هوان العروبة والإسلام.

أفاقت البلاد العربية والإسلامية من غفوتها وكبوتها على أقدام الغزاة، وطبول الاحتلال، ليستعيض الغاصب الانحطاط الحضاري بتبعية التخلف، ويستهدف في الصدارة قوام الشخصية، وضامن بقائها ووجودها، والقادر على استعادتها بعد الضياع، ولمها بعد الشتات، فكانت اللغة العربية، ضحية العهدين، عهد الانحطاط وعهد التبعية، عانت من أهلها في الأول، ومن الدخلاء عليها في الثاني.

ومن المفارقات العجيبة أن الفترات الاستعمارية المتعاقبة على البلاد العربية، بما

حماية اللغة لا تعني التقوقع الذي يكتم أنفاسها

عرفت من فرض لغة المحتل الغاصب، إن تكن أفرزت في فترة المقاومة، ومدافعة الدخيل موقفًا موحدًا يشد من أزر اللغة الوطنية، فإنها جعلت الموقف موقفين في بدايات الاستقلال، وذيول الاحتلال؛ مَوْقفًا على اللغة العربية، وآخر لها. فكأن بذور الاحتلال لم تزهر إلا في تربة الاستقلال. وكان مكتوبًا على اللغة العربية أن تعاني من أبنائها انحطاطًا وتبعية، فهي رمز المقاومة في أيام المحنة، وعنوان التخلف في وقت الرخاء. ضحية اللغات الدخيلة في عهد المدافعة، وربيبتها في عهد البناء. فدعاة التغريب في عهد السيادة، هم ورثة الغاصب في عهد الاحتلال يبررون بالمسخ مادحضه الآباء بالروح، فكأن الدماء سالت لتتوطن لغة الدخيل وثقافته، وأية ازدواجية أنكى من معركة تخوضها ضد العدو، لتنقلب إلى نيابة عنه، وما من شك في أن بعض أوجه الاحتلال قد ولت، ولكن بعض أوجه السيادة لم تصل بعد. وذلك هو الجهاد الأكبر.

إن معركة التعريب التي لايعي معاناتها إلا الخائض غمارها، تعتبر أقدس وجه من الوفاء للغة القومية، في غمرة التنكر لها والتفريط فيها، وتزداد هذه المعركة قداسة عندما يتصل التعريب بوجود الحرف العربي ذاته، واستعادة المقوم الأساسي للشخصية، فضلا عن التماس سبل التقدم لهذه الشخصية بالتعريب الثقافي والعلمي.

اللغة العربية هي جامعة الشعوب التي ارتضت الإسلام دينًا، والكتاب المنزل شريعة، وإذا كانت معجزة القرآن في بيانه فإن أداة هذا البيان هي لغة (الضاد)، والبيان وجه من أوجه إبداع الخالق في المخلوق، ومظهر من مظاهر عبقرية الإنسان: ﴿الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان﴾ (الرحمن: ١-٤).

وفي ظل الكتاب المعجز، وركب الدين الحنيف استطاعت اللغة العربية أن تفرض خلودها، وتستقرب أبعادها، وتتحدى الزمن في إدباره، وتتسامى به في إقباله وتتآخى مع لغات عديدة، وتعانق حضارات، وترفد ثقافات. ولم تزل كذلك حتى غدت اليوم إحدى اللغات العالمية، مشهود لها بالعمق الحضاري، والبعد الإنساني، تتصدر المنابر الدولية، والمنظمات العالمية.

إن الاعتراف الدولي باللغة العربية، لغة رسمية في منظماته ومحافله محل عبرة واعتبار عندما تضعف العصبية القومية عند بعض أبناء هذه اللغة فيطلبون بديلا لها في لغات أجنبية. وإن هذا الفتور إزاء أحد المقومات الأساسية للذاتية، ناتج من استلاب ثقافي، وفراغ حضاري، مردهما ضعف التكوين الشخصي في التربية العربية الحديثة، الأمر الذي ينتج منه سرعة الانبهار بالحضارة الغربية الحديثة التي غالبا ما تحتضن طلاب الدراسات العليا من أبناء العروبة والإسلام.

ولو قدر للغة العربية، بفضل التربية العربية الإسلامية السليمة، أن تحتل في النفوس مكانة من الاعتزاز لاتقبل التشكيك، وإيمانًا بقدرة العطاء، وطاقة الإبداع، لكان يومها أفضل من أمسها، وغدها خير الاثنين معًا؛ بناءً ذاتيًا، وعطاءً حضاريًا، وإبداعًا علميًا. وهي كذلك عندما تتوافر لها هذه العصبية القومية، كما هي متوافرة لكل لغات العالم. إن الإنجاز الحضاري الذي تحققه اللغة العربية في بعض مواقعها في الوطن العربي، والإبداع العلمي الذي تبرهن عنه بين الفينة والأخرى، إنما هو بمقدار الإيمان بهذه اللغة، والثقة في قدرتها، فهي وحاملها سلبًا وإيجابًا، مدًا وجزرًا، إنْ تسامي بها عِزَّةً فهي اللغة العالمية بالاعتراف الدولي، وإن تخاذل فهي المغلوبة على أمرها في عقر دارها.

إن إعادة الاعتبار للمقوم الأساسي للشخصية العربية الإسلامية، مرجعًا، ومنهجًا، وتربية، هو الكفيل بإعادة الاعتبار للشخصية ذاتها: «إن امتلاك السيادة الثقافية داخليًا وخارجيًا يتوقف في الأساس على سيادة اللغة العربية في وطنها، وبين أبنائها أولا».

وامتلاك السيادة اللغوية داخل الوطن العربي هو المساعد الأول على دعم لغة القرآن

اللغةُ العربيةُ هُويّتُنا

في الشعوب الإسلامية الأخرى. فلايمكن التبشير بلغة، أهلها بها متخاذلون، وإنَّ تَطَلُّعَ الشعوب الإسلامية إلى شدّ أزرها في الحفاظ على لغة كتاب الله العزيز، لَيَضع على كاهل الوطن العربي مسؤولية مزدوجة داخليًا وخارجيًا، عقائديًا وقوميًا، فاللغة العربية قوام الشخصية في الوطن العربي عموديًا، وبعدها أفقيًا في الشعوب الإسلامية، التي تربطنا بها رابطة الدين، فإذا تعزز الشعور الديني بالأداة المعبرة عنه، تعانقت العروبة والإسلام في أروع مظاهرهما وأكمل صورهما وأوسع آفاقهما لما فيه خير البشرية جمعاء.

العربية ومكانتها في الثقافة العربية الإسلامية

عرفت الأقطار العربية مشرقًا ومغربًا عهدًا من الاحتلال والتبعية، ولئن اختلفت أسماؤه بين استعمار وحماية ووصاية وانتداب، فإن المسمى الذي يكاد أن يكون واحدًا فردًا، ومحل إجماع مقنع أو مكشوف، هو قهر الشعب العربي في أعز مقوم له، المتمثل في اللغة العربية.

وإن المستقرئ سيرة المحتل الغاصب من بدايتها إلى نهايتها عبر السنوات والقرون، ليجدها سلسلة محكمة الحلقات، دائبة الإصرار للكيد للغة العربية، والنيل منها، دفعًا باللغة الدخيلة على وحدة الأمة، أو مزاحمة بالعامية المشتتة لهذه الوحدة، إن لم يكن التجهيل القاضي على وجود الأمة.

وقد كانت اللغة العربية ولم تزل ذروة التصادم بين المواطن والدخيل بالأمس، وجبهة الكفاح الوطني والسياسي، ومعقل الاستماتة في سبيل الشخصية الوطنية عندما ترتد إلى آخر خطوطها الدفاعية.

وهي اليوم محك الأصالة والوطنية في تصفية ذيول الاستعمار القديم، وطلائع الاستعمار الجديد، والموقع المتقدم في معركة السيادة الحضارية بإحلال اللغة العربية مكانتها المشروعة في أجهزة الدولة ومدارج الجامعات ومخابرها.

إن استعادة عصور الازدهار للغة العربية رهن باستعادة الدور الحضاري للمواطن العربي، واستعادة الثقة به، مصدرًا للعطاء ولكن من خلال لغته، ومقدرة في الإسهام ولكن بفضل شخصيته المتميزة. وعندما تتفتح أبواب المعارف على مصاريعها لأبناء الوطن العربي على امتداد المعمورة، وبمختلف اللغات، أو يتحول العالم إلى شاشة صغيرة في عقر كل دار، فإن اللغة الوطنية يجب ألا تكون الضحية الأولى لهذا الانفتاح المعرفي أو المداهمة الإعلامية.

ولن تكون اللغة في حصن حصين مما يحيط بها من استلاب قاهر وقادر، إلا أن تكون ذات مقدرة على التحدي، وصاحبة ثقة في التصدي له، بفضل ما يهيّئ لها أبناؤها من هذه الثقة في نفوسهم، ومن تلك القدرة فيها على الحوار مع الثقافات الأخرى.

إن الإصلاح اللغوي، القادر والمقتدر على المدافعة الحضارية، يكمن أساسًا في الإصلاح النفسي إزاء أدوات الصراع أو الحوار في مواجهة الحضارات الأخرى، وإن الانبهار بهذه الحضارات لايعدو أن يكون استلابًا وتبعية وعدمًا في الشخصية، وإعدامًا لها.

قال (بينو) الوزير السابق في الحكومة الفرنسية: «لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية».

فالمدخل الحقيقي إلى الاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية. إن الهوية الثقافية العربية وقوامها لغة (الضاد) مازالت معرضة إلى الاستلاب الثقافي المقنع، المسلط عليها من الغرب الذي مازال يعرض ثقافته كأفضل

الفتور إزاء أحد المقومات الأساسية للذاتية

نموذج يحتذى لمواجهة تحديات العصر.

إن فوز الأمة العربية في معركة الهوية الثقافية متوقف على الاعتماد على المنطلقات القومية في السعي لإثبات الهوية وتأكيدها، وفي طليعة تلك المنطلقات، اللغة العربية فهي الطليعة المتقدمة، والصف الأمامي، ورأس الرمح في معركة الهوية.

فحركة التعريب بمختلف مستوياته، بدءًا بالتعريب التربوي ومرورًا بالتعريب

الحضاري، ووصولاً إلى التعريب العلمي والتقني. حركة التعريب هذه هي الوجه الأمثل والنصر الأسمى في مجابهة الاستعمار الجديد.

العربية في مواكبة الفكر العلمي

إن المواجهة التي يفرضها التطور العلمي على اللغة العربية، ليست جديدة عليها، ولاهي في الصراع الحضاري، فقد عرفت اللغة العربية عبر تاريخها الحافل صوراً من هذه المواجهة، استطاعت أن تقلبها في عصر السيادة إلى حوار في سبيل خير الحضارة الإنسانية.

فاللغة العربية وليدة مسيرة رائدة في العطاء الحضاري، لاتخشاه، وإنما ترحب به، بل تتطلع إليه من منطلق القدرة على العطاء

ناتج من استلاب ثقافي وفراغ حضاري

من غير استعلاء، ورحابة في التلقي من غير استخذاء.

وماتتعرض له الأمة العربية اليوم من مدافعة حضارية في أعقاب عهود الانحطاط والاحتلال والتبعية، قد مر بالأمس بأمم أخرى، لم تجد غضاضة في أن تستمد صحوتها ويقظتها من ازدهار الحضارة العربية الإسلامية. ومانسميه اليوم بالأمم المتقدمة، إنما نجد بذرة تقدمها في الماضي السحيق يوم استلهمت هذه الأمم الحضارة العربية، وأخذت منها، دون أن تجعل الثمن تفريطًا في هويتها، فكان العطاء الخارجي نهوضًا بالكبوة الداخلية، والرفد الأجنبي نماء في الشخصية القومية، وانطلاقًا في مسيرة التقدم.

ومكتوب على الأمة العربية اليوم وهي تتطلع جاهدة إلى يقظتها المعاصرة أن تعيد سيرتها الأولى، وسيرة الآخذين منها، في التلقي من غير تفريط، والاستلهام من غير انفصام، فالتطور لايقاس بسطحيته الزمنية، ولكن بعمقه الحضاري، والتقدم لبٌّ في الأصالة، وليس قشرة استلاب، والتخلف لايستدرك بتخطي الذات، والقفز فوقها، ولكن بتأصيلها والذود عنها.

النظريات المعجمية العربية وسبلها في الإحاطة بالفكر العربي

يشكل (المعجم العربي) في مسيرته التاريخية الخزانة التي تستوعب رصيد اللغة، والذخيرة التي ترفد نموها وتطورها، والمعجم، في فترة الازدهار اللغوي، استقراء وتقعيد، وهو، في فترة الانحسار اللغوي حماية وتحصين.

وانطلاقًا من السنة الثانية للهجرة، فترة النضج اللغوي، واغتناء اللغة العربية بالنص القرآني. والنص النبوي، وبدءًا من معجم (العين) للخليل بن أحمد، تعزز جانب اللغة بالتأليف المعجمي.

ومن يومها لم يتخلَّ المعجم عن ركب اللغة، يرعى رصيدها في فترة العطاء، ويحمي ذاتيتها في فترة الأخذ، فهو الحكم في الحوار بين العربية وجاراتها، وهو المرجع تعريبًا وتعجيمًا، وهو المصدر إبداعًا، والمدد إغناء. والمعجم في ساعة العسر اللغوي، ذخيرة كامنة إلى حين، وطاقة رابضة في انتظار التثوير، وإذا كانت اللغة مادة المعجم، فإن المعجم وعاؤها وخزانتها، منها يستمد، وإليها يعود.

ومعجم (العين) وماتلاه من أمهات المعاجم على مفارق المسيرة اللغوية العربية، وعلى مدى ثلاثة عشر قرنًا، شاهد إثبات على وفاء العرب للغتهم، وتميزهم في حماية هذه اللغة وتحصينها، وهذا التميز لايقتصر على التخزين اللغوي، والتوثيق المعرفي، ولا على صياغة نظريات لغوية ولسانية هي في خدمة (الضاد) فحسب، إنما هو تميز في صياغة نظريات معرفية يمكن تطبيقها على الأجناس اللغوية على اختلافٍ في الأعراق، وتقلبٍ في الأزمان.

ومن المؤسف حقًا أن أبناء العروبة اليوم يبدون أقل إدراكًا لعبقرية آبائهم في التأليف المعجمي، وأقل وفاء لإنصاف هذه العبقرية واستيعابها، في الوقت الذي هم مطالبون فيه، بمواصلة المسيرة الأولى لآبائهم في هذا المضمار، وإضافة الجديد والمستحدث عليها، وشد أزر لغتهم القومية بالمعجمية المعاصرة في مواجهة اللغات الأجنبية المزاحمة.

إن اللغة العربية اليوم تواجه الوضع الذي واجهته بالأمس، يوم ألف (ابن منظور

الأفريقي ت ١٣١١م) معجمه الموسوعي الخالد، (لسان العرب)، يوم كانت اللغة العربية ضحية الانحطاط الفكري، والتخلف الحضاري، فأراد ابن منظور أن تأوي بها إلى حصن حصين من معجمه التاريخي، وأسرى العجمة الدخيلة عليهم، يتباهون برطانتها ويزدرون بها لسانهم القومي.

وفي ظلمة هذا الاغتراب اللغوي، يصبح الوفاء لـ (الضاد) غربة مضاعفة، ومحل ازدراء وسخرية. ويصبح المقوم الأساسي للشخصية في منظور الاستلاب، مقومًا أساسيًا للتخلف، والمكون الأساسي للعبقرية الحضارية، يغدو في ميزان الاغتراب عنوانًا للعقم الحضاري، والشلل الفكري.

إن التاريخ يعيد نفسه في الأمة العربية، فقولة (ابن منظور) بالأمس هي أصدق شاهد على معاناة اللغة القومية اليوم: «لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية، وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية... وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنًا مردودًا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهلُهُ بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون، وسميته لسان العرب...».

اللغة العربية والإعلام الجماهيري

إن الإعلام بما يشهد من تطور مذهل في وسائله، وإن الاتصال بما يستقطب من تقنيات حديثة في قنواته، كان من الممكن أن يكونا من أنجع وسائل الازدهار اللغوي، وتقريب الشقة بين المواطن ولغته القومية، ولكن لم يزل حظ هذه اللغة في وسائل الإعلام المحسوبة عليها، موزعًا بين عاميات دارجة، أو لغات أجنبية، حتى إن المواد الأكثر حيوية وتجاوباً مع الجماهير العريضة غالبًا ماتكون بعيدة عن استثمار اللغة العربية في تبليغها، في الوقت الذي ينحصر فيه دور اللغة العربية إعلامياً في الموضوعات ذات الطابع الجاد، والخطاب المباشر.

ومن المؤكد أن هذا الوضع غير ناتج من عجز عضوي في اللغة، وإنما من عجز عضوي في الثقة بها، واستمراء الهبوط باللغة إلى المستويات الدنيا في المخاطبين عوض الارتقاء بهذه المستويات إلى صعيدٍ من اللغة المبدعة والموحدة.

إن أجهزة الإعلام قادرة، في المجال اللغوي، أن تكون صورة من أروع صور التكامل مع جهود المدرسة والجامعة في النهوض باللغة العربية، كما هي مؤهلة أن تكون صورة من صور التخاذل مع هذه الجهود عندما يفتر الوزاع القومي بالنسبة للغة الوطنية.

قدرة اللغة العربية بأبنائها

إن اللغة العربية قادرة مقتدرة إذا أراد لها ذلك أهلها، قادرة بعطائها التاريخي، وقابليتها للتطور والنماء، وأهليتها للجوار الكريم مع اللغات العالمية الأخرى، فتلك سيرتها منذ كانت، وقدرها يوم نزل بها القرآن رحمة للعالمين.

مقتدرة بأبنائها المعتزين بها وبالانتساب إليها، فهي مرجع حضارتهم وتاريخهم، وعنوان هويتهم ومجال إبداعهم، وقدر مصيرهم. واستمراء الهوان في اللغة القومية، هوان في الشخصية نفسها، والاغتراب في اللغة اغتراب عن الذات، ومهما بلغت قابلية الاغتراب في الفرد، فإن هويته الأصلية لاصقة به، ملازمة له، حتى في نظر الآخرين.

والتماس التطور مبدؤه في الاحتماء باللغة القومية، وليس في الهروب منها، والحماية مسؤولية متبادلة بين المواطن ولغته، والحماية لاتعني التقوقع الذي يكتم أنفاس اللغة، ولكنه التفتح الأصيل الذي يجدد دورتها الدموية.

مقولات في اللغة العربية

١ـ من بحث بعنوان «لغة القرآن ورسالة الإسلام» لعلي الشابي:

«لقد استطاعت اللغة العربية، أن تستوعب الحضارات المختلفة، العربية والفارسية والهندية واليونانية وأن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع، إنسانية الرؤى، وذلك لأول مرة في التاريخ. في ظل القرآن

أصبحت اللغة العربية لغة عالمية، واللغة الأم لبلاد كثيرة، فقد عمت المنطقة التي عرفت في ماضيها التأثير السامي، فعوضت بيسر، اللغات السامية التي كانت شائعة فيها، عوضت الآرامية والآشورية في العراق والشام وبقايا الفينيقية في الشام ووجدت في سامية البربر جسراً واصلاً ومهاداً مكّن لها في بلاد المغرب».

٢- من بحث بعنوان «اللغة العربية والشعوب الإسلامية» لتمام حسان:

«كان يمكن لحاضر اللغة العربية أن يكون أكثر ازدهاراً من ماضيها لو أن الأجيال العربية الحاضرة، أظهرت قدراً من الاعتزاز بلغتها، والعناية بحسن استعمالها، ولكن الأجيال الحاضرة حين فقدت فاعليتها الثقافية، وأصبحت عالة على الغرب لم تعد تغار على تراثها الذي هو أول مقومات هويتها، وبخاصة فيما يتصل من هذا التراث بالجانب التطبيقي من الدين واللغة، لقد كان من اليسير أن ينزلق المثقفون بثقافة الغرب إلى السقوط في أحابيل المستعمر الذي خطط للقضاء على هيبة الدين واللغة العربية بالقضاء على هيبة سدنتها والقائمين على أمرها في المجتمع العربي».

٣- من بحث لجميل عيسى الملائكة:

«لقد كان انقضاء زمن الاستعمار والتبعية مؤذنا بتغير شامل في حال هذه الأمة، فارتفعت مكانة اللغة العربية بعد أن اندحرت محاولات الحد من شأنها، وصارت تزيح شيئًا فشيئًا اللغات الأجنبية التي كانت تستعمل في المدارس والدواوين والمؤتمرات والاجتماعات والصحافة والنشر لتحل محلها، وازداد تمسك الناس بها، وثقتهم بكفايتها، لمجاراة العلوم الحديثة ومتطلباتها، واستمروا في العمل على استعادتها المنزلة التي كانت تَتبوَّؤُها في عصور الازدهار».

٤- من بحث بعنوان «اللغة العربية في مواكبة الفكر العلمي» لمحمد سويسي:

«أضحى من المتأكد الحتمي الحيوي أن يتدارك الوضع لمسايرة قافلة العلم العالمي، وأن يفكر العرب تفكيراً جديًا جماعيًا في التزود من العلم المعاصر المتطور، وإيجاد وسائل التوحيد العلمي الثقافي، والتخطيط الدقيق للعمل المشترك والالتزام الحازم بتطبيق مقتضياته، ولعلّ من أولى الخطوات التي يكون في الإمكان إقرارها، أن يفكر في وضع مناهج علمية موحدة أو متقاربة على الأقل في شتى الاختصاصات، وضبط أهدافها ومحتواها، وتقييد المحتوى بالموضوعية والشمول بحيث تواكب حسب الطاقة آخر ماوصل إليه التقدم العلمي والتربوي».

٥- من بحث لمحمد رشاد الحمزاوي:

«المعجم العربي، هو ذاكرة الفكر العربي الإسلامي، وخزانته الكبرى التي سعت إلى أن تستوعب عبر التاريخ آثاره ومآثره، على مافيها من سلبيات وإيجابيات، والمعجم العربي أداة ميدانية توفر لنا معايير ومقاييس، فيها نصيب من الحجج والمعطيات التربوية والعلمية والثقافية والحضارية التي تشهد بصلة اللغة بالفكر».

٦- من بحث بعنوان «اللغة العربية والإعلام الجماهيري» لزكي الجابر:

«إن العجز الإعلامي العربي، يتجلى في بعض جوانبه في العجز عن توظيف اللغة العربية توظيفًا سليمًا. والعربية بطاقاتها، إذا ما استثمرت في الإعلام الجماهيري وفقًا لما هو متعارف عليه في مبادئ الإعلام، تستطيع، خلافاً للعامية، أن ترفع مستوى الإنجاز الذاتي للأمة وتدفعها إلى الأمام.

إن العربية الواضحة السليمة التي ينبغي أن توظفها أجهزة الإعلام الجماهيري، تستطيع أن تنقل نماذج من المعرفة، تتداخل مع التعليم المدرسي في بلورة الثقافة القومية».

٧- من بحث لإبراهيم بن مراد:

«من أهم ميزات اللغة العربية اليوم، قدمها، فهي تكاد تكون أقدم لغة حيّة مستعملة اليوم، لأن نصوصها المكتوبة تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرنًا خلت، بينما لايزيد عمر الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية على سبعة أو ثمانية قرون، فإن أنظمة هذه اللغات الصوتية والصرفية والنحوية لم تكوّن إلا بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

ثم إن العربية بقيت على امتداد تاريخها الطويل محافظة على وحدتها فلم تتصدّع لتنقسم إلى لهجات على غرار ماحدث للاتينية، ولم يطرأ على أصواتها وأبنيتها وتراكيبها تبدّل يذكر، ولم تنقسم ـ لذلك ـ إلى عربية قديمة وعربية حديثة، قد يستعصي القديم منها على فهم المحدثين».

اللغة العربية بين العامية والفصحى



د. مرزوق بن تنباك

اللغة العربية الفصحى كما هو واقعها لغة نموذج، متميز بين اللغات القديمة ذات الرسالات الدينية والحضارية، ولغة نموذج متميز أيضًا بين اللغات الحديثة التي تعيش على أمل الانتشار الواسع في المستقبل، وهي لغة الوحدة والانتماء الواضح الذي تنشده كل أمة تعتز بلغتها وذاتها وتمد حاضرها على مساحة الأرض التي تعيش عليها شعوبها وسكانها.

إلا أن طبيعة اللغة وطبيعة الحياة توجب استمرار الرعاية الدائمة والمتابعة المستمرة حتى لاتتجاوز الأشياء طبيعتها ولاتترك الأحداث على سجيتها. واللغة كائن حي متطور يحتاج إلى توجيه نموه وتطوره إلى السياق الذي ينسجم مع أصله ويعتمد على قاعدته، فاللغة كالشجرة الوارفة التي تنتشر أغصانها وتتهدل حولها وتتسع بجانبها، وإذا لم تُقطع هذه الأغصان وتُشذَّب شجرة اللغة تحولت أغصانها إلى أحراش ونباتات ضعيفة تعيش في كنف الشجرة الوارفة وتمص الماء الذي ينساق في أصلها وتحرمها الظل والشمس، فيضعف قوامها كلما قويت أغصان الأعشاب المحيطة بها وامتدت فروعها بعيدًا عن أصلها وتشعبت اتجاهاتها وانحرفت عن نسق الشجرة الأصل وسموها.

وتلك أقرب صفة تمثل حال الفصحى والعامية أصدق تمثيل. لأن اللهجات العامية تبدأ بجانب اللغة الأم وتعيش معها وفي كنفها ثم تأخذ بالانحراف عنها والإحاطة بها والانتشار حولها حتى تحول دون سهولة الوصول إليها، فيصعب على الأقدام الضعيفة التجاوز، فتقف في مطامن الأحراش ويظن العاجزون والمتعللون بالأسباب أن هذا يغني عن برد الدوحة الباسقة والشجرة الظليلة. وقد تقوم تلك الأحراش مكانها إلا إذا وجدت من يتنبه لها ويميز بين الأصل والفرع، فيقوّم اعوجاج الأغصان المتهدلة والمنحرفة.

واللغة العربية الفصحى تعيش اليوم في محيط متلاطم من أحراش العامية، وتخوض حرب البقاء المشروع على الرغم مما تواجه من صور التحدي، ولاسيما عندما يتشبع الناس بالثقافة العامية ويعيشونها ويعجبون بها، ويجد الكثير من أبناء العربية أن العامية مُيسَّرة سهلة لديه، فيميل إليها ويستعملها ويتفاعل معها ويظن أنه يستطيع أن يستغني بها عن الفصحى، فيعيش حالة من الانفصام الثقافي ويعيش حالة من الازدواج اللغوي. ويخدع نفسه أحيانًا بشيء من التبرير لاستعمال العامية بدل الفصحى، وقد يكون لمبرراته أسباب كثيرة بعضها خارج عن مدى تصوره وإدراكه لوظيفة اللغة الفصحى التي يجب أن تقوم بها وضرورة العامية التي يستعملها. كما أن بيان وظيفة كل منهما يخفى في بعض الأحيان على الخاصة من الناس فما بالك بأمر العامة الذين لايعرفون في حياتهم أقرب من العامية وأسهل منها.

إن الحاضر يشهد خللاً بينًا في فهمنا لوظيفة اللغة الفصحى وفي فهمنا لاستعمال ضرورات العامية، ولا نميز الخطر الذي يواجه الأمة العربية عندما تستنيم إلى سهولة العامية وتتجافى عن الفصحى. وقد انتقل الحال في الوقت الحاضر من استعمال العامية الصامت إلى الطرح لها على ساحة الواقع الاجتماعي، وبدأت أقلام وآراء تطالب بإعطاء العامية مساحة للحضور والظهور ومشاركة الفصحى حقها، واستعمل في هذا الطرح وسائل التثقيف العامة ومصادر المعرفة المشتركة، ونزلت العامية بقوة إلى ميدان الفصحى حتى بلغ الأمر حد الخطر الذي

نخشاه على مكتسباتنا الدينية والقومية والاقتصادية والتربوية، وعلى لغتنا بعد ذلك وعلى وحدتنا وذاتنا وكياننا.

وبنظرة سريعة واستعراض موجز للآراء التي تسوغ استعمال العامية وتدعو إليها نجد أننا أمام توجه عارم إلى العامية وإلى أدبها وشعرها ولغتها، وأن أصحاب هذا التوجه يتوزعون على كل الأقطار العربية من الخليج إلى المحيط ويقومون بعمل منظم تؤيده بعض وسائل الإعلام وتنشره للناس. وقد اختلفت آراء أصحاب التوجه العامي، فأشدُّها تطرفًا من يدعو إلى إطلاق رصاص الرحمة على جسد اللغة العربية الفصحى - كما يقول - كي تستريح وتريح، ويدعو لأن تحل اللغات العامية محلها، ويصفها بأنها أصل معطوب وأنها قد انقطعت عن الحياة وانقطعت الحياة عنها(١).

ومنهم من يرى أن تُطَعَّم الفصحى بالعامية وتُخلط معها، ويصف الفصحى بأنها عُزلت عن معظم مجالات الحياة قرونًا طويلة حتى قلت طواعيتها للتعبير الحي الدقيق. وخير وسيلة لمدها بروح الحياة - كما يقول - تطعيمها بإيقاعات اللهجات العامية (انظر نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى)(٢). وثالث يرى أن علينا أن نخاطب الشعب بلغته - كما يقول أيضًا - لأن الفصحى - في رأيه - عاجزة عن هذا الدور، ويرى أن تكون الفصحى لغة المنظومة التربوية للتعليم الأكاديمي وهي صالحة لذلك، أما أن تكون لغة الفنون والتعبير عن مشاعر الشعب وقضاياه فيعتقد أنها غير قادرة على ذلك، وسيكون للأدب العامي - في رأيه - مستقبل زاهر بكل تأكيد(٣).

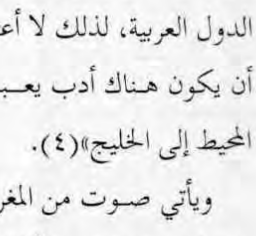
وفي وسط البلاد العربية نجد صوتًا آخر يلح على إقليمية حادة، ويقول عندما سُئل عن العامية والفصحى: «أرى أن المصريين اكتسبوا مساحات كبيرة بفضل صلاح جاهين وعبدالرحمن الأبنودي، وفؤاد حداد وغيرهم وأصبح هناك تجاوب بين الفصحى والعامية. ولم تعد الأخيرة مدعاة للزراية فقد أثبت هؤلاء أن من الممكن معالجة كافة الموضوعات بها».

ثم يتناول قضية الأدب فيقول: «لاأعرف كيف نلفق نوعًا من الأدب ليعبر عن جميع الدول العربية، لذلك لا أعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك أدب يعبر عن الوطن من المحيط إلى الخليج»(٤).

ويأتي صوت من المغرب العربي يقول: «إن العربية باتت مشكلة كل العرب، حتى عرب مائة بالمائة مازالت العربية تتعثر عندهم ومازالت لاتتعدى لغة القراءة والكتابة. العربية لم تصل بعد إلى لغة العمل مما جعلها أشبه شيء بلغة ميتة. لقد أصابها أهلها بالقصور لأنهم - وأقول بمرارة - أهل قصر وعجز، ألا نستحي ونحن نطوي الصفحات الأخيرة من القرن العشرين ولامعجم لنا يساير العصر، لذلك لا غرابة أن يتجه البعض إلى الدارجة أو العامية للتعبير لأنها «لغة» حيَّة بحكم سعة التعامل بها ولتغلغلها في عامة الناس تخاطبًا وعملاً، أما اللغة البربرية التي هي فصيلة العربية فأنا معها كوسيلة للتعبير بشرط أن تكتب بالحرف العربي حتى تبقى مربوطة إلى لغة الإسلام»(٥). هذا المتحدث بهذا الأسلوب الركيك، فضلاً عن الفكرة والمضمون، هو محمد العروسي المطوي الأمين العام لاتحاد الكتاب والشعراء العرب على ذمة "ثقافة اليوم" في جريدة "الرياض".

هذه أقوال لكبار الكتاب الداعين إلى العامية المبغضين للفصحى أتيت بها واخترتها لأنها تمثل رأياً يتوزع توزيعاً جغرافيًا مناسبًا، فأخذنا من أقصى الشرق العربي كاتبًا من الكويت ومن أقصى المغرب العربي الجزائر آخر، ومابين هذين الطرفين من البلاد العربية أخذنا رأي كُتّاب آخرين من المشهورين والمعروفين في كل البلاد العربية، يقرؤهم

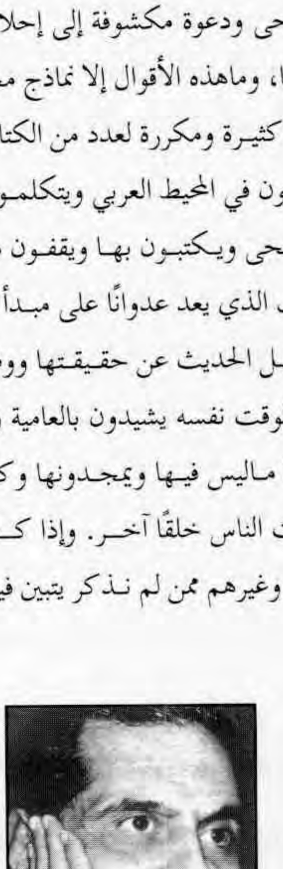
إن من يمجدون العامية لايمجدونها إلا لتحييد الموروث الثقافي الإسلامي



عبد الرحمن الأبنودي

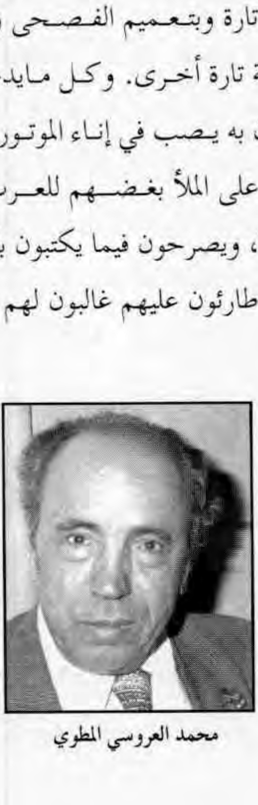
اللغة العربية بين العامية والفصحى

العرب كافة وآراؤهم منشورة في وسائل الإعلام العامة المتاحة لكل القراء العرب، وهم كما يتضح من أقوالهم يدعون دعوة صريحة إلى تقويض أركان اللغة العربية الفصحى ودعوة مكشوفة إلى إحلال العامية محلها، وماهذه الأقوال إلا نماذج مختارة من أقوال كثيرة ومكررة لعدد من الكتاب الذين يعيشون في المحيط العربي ويتكلمون العربية الفصحى ويكتبون بها ويقفون منها هذا الموقف الذي يعد عدوانًا على مبدأ استعمال اللغة بل الحديث عن حقيقتها ووظيفتها، وفي الوقت نفسه يشيدون بالعامية ويخلعون عليها ماليس فيها ويمجدونها وكأنها قد خلقت الناس خلقًا آخر. وإذا كانت آراء هؤلاء وغيرهم ممن لم نذكر يتبين فيها البعد



فؤاد حداد

عن الحقيقة ويتبين فيها الموقف الجلي من اللغة وموروثها الحضاري قبل الموقف من وظيفة اللغة كعامل اتصال بشري، فإن مايخفف هذه القسوة التي يوجهونها إلى صميم اللغة ويخفف هذه السهام الحادة التي يطلقونها على جسدها هو معرفتنا بصلة هؤلاء باللغة وصلتهم بأهلها وصلتهم بموروثها الديني والحضاري. فالعربية الفصحى يحافظ عليها من يحترمها، إمَّا لأنها لغة الإسلام، وإمَّا لأنها لغة العرب ولغة الوحدة الشاملة. وبعض من ذكرنا آراءهم لايؤمنون بالإسلام ولا يريدون بقاءه والمحافظة عليه. وهي لغة انتماء عربي أصيل، وليس لبعض من نقلنا آراءهم ضد العربية الفصحى صلة نسب بالعرب أو انتماء لهم وإنما انتماؤهم ونسبهم في غير ذلك. وهي لغة وحدة شاملة للعرب والمسلمين، وماقاتل أكثر من وردت آراؤهم منذ نعومة أظفارهم حتى بلغوا سن الشيخوخة إلا من أجل فصم عرى الوحدة وتشتيت الأمة العربية إلى قوميات وإقليميات وتشرذم واختلاف حتى لاتقوى به على أحد ولاتعتز به في أي موطن. وإذا تجردنا من كل عاطفة فيجب أن نقدِّر جهودهم لأنها تصب في مصالحهم وتدافع عن ذاتهم وتعمل من أجل فئاتهم التي ينتمون إليها، ولاغرابة. ومن مصلحتهم أن تموت الفصحى وتعيش العاميات. وإذا أرادوا أن يهدموا السور العظيم الذي خلطهم وجمعهم مع قوم يفوقونهم عدةً ويكثرونهم عدداً فهم يسعون لمصلحتهم. إنما الغرابة في الأمر أن يتجرأ كُتَّابٌ في محيط عربي فيوجهوا إلى العربية هذا النقد اللاذع ويخاطبوا العرب والمسلمين بأهوائهم وآرائهم فيجدون من يستمع إليهم ويتلذذ بشتائمهم ويصفق لصفعاتهم التي توجه إلى العرب قبل أن توجه إلى اللغة، مما شجع هؤلاء على نشر مايتمنون ومايسعون إليه على قراء العربية وأهلها، وينفثون أفكارهم بهدوء ويطرحونها على هذه الأمة التي احتضنتهم ورعتهم وأحسنت إليهم فيردون الإحسان بالإساءة. والأسوأ من ذلك أن يتعلق بعض أبناء اللغة العربية الصرحاء وأبناء الحضارة الإسلامية المخلصين بتلك الأفكار ويتلقونها ببراءة الأطفال ويرددون مايمطرهم به أصحاب الأغراض من الداخل، فيساعدونهم بشن حرب العامية على الفصحى متعللين بالإقليمية مرة وبالشعبية أخرى، وبمخاطبة العامة تارة وبتعميم الفصحى وتفصيح العامية تارة أخرى. وكل مايدعون إليه وينادون به يصب في إناء الموتورين الذين يعلنون على الملأ بغضهم للعرب وللدين وللعروبة، ويصرحون فيما يكتبون بأن العرب والعربية طارئون عليهم غالبون لهم وهم أهل



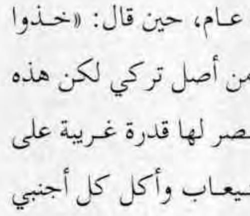
محمد العروسي المطوي

البلاد الأصليين وأهل الحق في التخلص من هذا الطارئ الدخيل. ولمن لايصدق ما أقول أسوق النص الآتي حرفيًا، الذي نشره كاتبه مفتتحًا به مجلة «ابن عروس» الصادرة من القاهرة، إذ يقول: «إن اللغة العربية الفصحى لغة وافدة إلى بلاد كانت تتكلم لغة أخرى على امتداد زمن يقاس بآلاف السنين... والذين تعلموا الفصحى مهما بلغت تجلياتهم الإبداعية من ذروات فإن القيمة الجدلية لإبداعهم تظل محدودة جدًا حسب ضيق رقعة القراء، إن الإبداع الذي حملته الفصحى إنما هو إبداع فئة أو طائفة من المثقفين، أما الإبداع في العامية فإنه إبداع شعب كامل... إن المواطن يمارس حياته بالعامية: بها يأكل ويشرب ويحلم ويتوجع ويتأوه أي إنها حاملة لكل همومه وطموحاته وأحلامه وهي العامية الأقدر والأبلغ في التعبير عنها وعنه»(٦).

هذه المجلة التي تفتتح عددها الأول بهذا النص الذي يصف الفصحى بمصر بأنها وافدة، وأن أهل العربية في مصر قلة من القراء، وأن الإبداع بالفصحى إبداع فئة وطائفة والإبداع بالعامية إبداع شعب كامل، هذه المجلة حتى وإن كانت تمارس الهراء فيما تقول فإنها لم تصدر عن مؤسسة خاصة ولم يتول إصدارها ممول أجنبي أو مال شخصي، وإلا لقلنا إنها تعبر عن رأي الممول والناشر والكاتب، لكنها تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع المركز المصري العربي للنشر، وتمول من المال العام للعرب المسلمين في مصر. ولكن ليت الهيئة المصرية للكتاب والمركز العربي للنشر قرآ، قبل أن يصدقا أن اللغة العربية وافدة منذ ألف وخمسمائة عام إلى مصر، جملة كتبها المرحوم يحيى حقي الذي وفد أبوه إلى مصر من تركيا قبل مائة عام، حين قال: «خذوا بالكم أنا صحيح من أصل تركي لكن هذه البلدة التي تسمى مصر لها قدرة غريبة على الامتصاص والاستيعاب وأكل كل أجنبي عنها بحيث لايستطيع الفكاك منها، ففيها سرٌّ من الله لانعرفه. لذلك لو عصروني في معصرة قصب لن تخرج مني نقطة تركية فأنا مصري مائة في المائة بل أكثر من المصريين مصرية لأنني شديد الإحساس بكل مايتعلق بمصر سواء من تاريخ أو عادات»(٧). وليتهم نظروا في تاريخ اللغات فلن يجدوا في مصر ولا في العالم كله لغة حية أطول تاريخًا من اللغة العربية في مصر، فعمرها فيه ألف وأربعمائة عام بالضبط، وعمر أطول لغات أوربا الحديثة تاريخًا في أوربا لايزيد على خمسمائة عام. ولم نسمع أحدًا زعم أن اللغة الفرنسية وافدة إلى جزء من أوربا فأصبحت فرنسا، ولا أن اللغة الانجليزية وافدة إلى الجزيرة البريطانية، ولا الإيطالية ولا الإسبانية والألمانية والبرتغالية وافدة إلى مناطق من أوربا لم تكن لها قبل خمسمائة عام. بل لم نسمع أن الأمريكان الذين حاربوا الإنجليز وأخرجوهم من أمريكا استغنوا عن اللغة الإنجليزية وأخرجوها مع أهلها، ولم نسمع أحدًا في أمريكا الجنوبية يزعم أن لغات أمريكا الجنوبية وافدة من شبه القارة الأوربية وعمر هذه اللغات في أمريكا الجنوبية لايزيد على مائتي عام. ولم يبحث علماء اللغات ومؤرخوها جذورها البعيدة كما يبحث ناشرو مجلة «ابن عروس» متى وفدت العربية إلى مصر. ومَنْ هم لا أمَّ لهم حتى يصنفوا الوافد والمقيم في أرض الكنانة؟ فمصر صهرت اللغة وأهل اللغة وامتصتها بتربتها الطيبة وتشربت بها ولو عصرت كل ذرة من تراب مصر ما وجدت إلا العربية والعرب.

إن هؤلاء القوم عندما يمجدون العامية لايمجدونها حبًا لها أو قناعة بأهميتها ووظيفتها التي يزعمون أنها تقوم بها، لكنهم

بعض دعاة العامية يتخذون من معركتهم ضد الفصحى وسيلة لهدم الإسلام


يحيى حقي

اللغة العربية بين العامية والفصحى

يتوسلون بهذا التمجيد لما يريدون الوصول إليه وهو زحزحة الفصحى عن طريق أهدافهم التي يأتي في مقدماتها خلخلة وحدة الأمة العربية والإسلامية، وتحييد الموروث الإسلامي، وبلبلة الانتماء الثقافي وخلط الأوراق وطرح خيارات بديلة، منها العاميات العربية ومنها لغات الأقليات الموجودة ولهجاتها. وليس مانقول تخمينًا أو استقراءً ولكنه رأيهم المعلن في الصحافة والإذاعة، فأحد هؤلاء الكتاب الذين ذكرناهم آنفاً يصرح في فرنسا: «إن العدو الأول للبربرية في الجزائر هو الإسلام ومن ثم يجب القضاء عليه، وإذا كان أجدادنا البربر قد انهزموا أمام الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي فمن واجبنا اليوم أن نثأر لأجدادنا ونحن أقوى وأفضل حالاً منهم قبل أربعة عشر قرنًا»(٨).

ودفعًا لهذا الرأي نقول:

أولاً: إن هذا الرأي لايقره ولايوافق عليه أغلب المسلمين البربر الذين يشهد لهم التاريخ الحديث والقديم بمواقفهم المشرفة من الإسلام والوحدة العربية، وهم الذين رفضوا الظهير الفرنسي أثناء الاحتلال والاستعمار وردوا عليه الرد المعروف، وهم الذين يتمسكون حتى هذه اللحظة بالإسلام ولغته ووحدتهم مع إخوانهم العرب. ولايجوز لفرد، حدث أن أصله بربري، التحدث باسم الشعب العربي والبربري المسلم، والأولى به أن يعبر عن رأيه الشخصي في اللغة ورأيه في الإسلام، وهو رأي لا يمثل غيره ولا ينسحب على سواه من الشعب المغربي كله.

ثانياً: إن هذا الثأر الذي صرح به واحد من دعاة العامية هو الهدف الذي يسعى إليه كل دعاة العامية في الوطن العربي شرقه وغربه، من كان منهم من العرب ومن ليس منهم، وهو الدافع الذي حبب إليهم العاميات واللهجات، وجعل العقلاء منهم يلتمسونها - أي العاميات - وسيلة لأخذ الثأر والانتقام. ولن نخاطب الموتور الثائر الذي مضى على ثأره ألف وخمسمائة عام - كما يقول - ولكننا نوجه الخطاب للذين يطلب الثأر من دمائهم، وهم يقفون في صفوف الثائرين ويرفعون سلاح الثورة ليفتك في أجسادهم ويسفك دماءهم قبل غيرهم. ونقول لهم: هذه أمامكم أقوال من تتبعونهم وتدعون بدعوتهم أوضحناها لكم ونصصنا عليها بين أيديكم وأعطيناكم خلاصة فكرهم وسبب دعوتهم للعامية وتفضيلهم إياها، وبألسنتهم ندينهم، ولم نتجنّ على أحد منهم ولم نقل ظنًا أو تخمينًا.



صلاح جاهين

أما أن يكون لدينا عامية وفصحى فلا خلاف في ذلك، وفي كل لغة من اللغات توجد ثنائية الفصحى والعامية، توجد الفصحى وتمتد امتداد الدولة أو الشعب الذي يتكلم اللغة، وتوجد العاميات خطوطًا متقاطعة في مناطق محدودة وفي مساحات ممتدة، لكن العاميات لاتشكل لونًا خاصًا بها وإنما الشكل الظاهر للفصحى. أما العاميات فلحمة خفية وتلك مسلمة لاأظن أحدًا ينكرها، وإنما المنكر أن يجعل وضع اللغة العربية الفصحى وصلتها بعامياتها وضعًا مختلفًا عن كل لغة فصحى وعامية في العالم، وكأنه لاتوجد لغة فصحى وعامية إلا في الوطن العربي وفي العربية.

الهوامش:

(١) السياسة الكويتية، العدد ٦٦٦٩ في ١٤٠٧/٧/٢هـ الموافق ١٩٨٧/٣/٢م.
(٢) البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي.
(٣) كاتب ياسين، من الجزائر.
(٤) لويس عوض، جريدة السياسة الكويتية، العدد ٦٧٥٧ في ١٤٠٧/١٠/٤هـ الموافق ١٩٨٧/٥/٣١م.
(٥) جريدة الرياض، العدد ٨٦٢٠ في ١٤١٢/٧/٢٦هـ الموافق ١٩٩٢/١/٣٠م.
(٦) جريدة المدينة، الأربعاء الأسبوعي في ١٤١٣/٩/٢٤هـ الموافق ١٩٩٣/٣/١٧م.
(٧) جريدة الرياض، العدد ٨٩٣٥ في ١٤١٣/٦/١٦هـ الموافق ١٩٩٢/١٢/١٠م.
(٨) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٤٢٧٣ في ١٩٩٠/٨/١٠م الموافق ١٤١١/١/١٩هـ.

أصالة العربية
وجدارتها بالتفوق في الدلالة اللغوية

د. عبدالغفار حامد هلال



إن اللفظ والمعنى في العربية صنوان، يرتبط أحدهما بالآخر، وإن العربي لم يفصل أحدهما عن صاحبه، بل اهتم بهما معًا، كما يرى ذلك أبو هلال العسكري.

والعربية - كما وصلتنا في آثار أهلها الناطقين بها شعراً ونثراً - تصل بين اللفظ والمعنى بوشائج القربى، وتهتم بهما، بل ربما كان المعنى هو الأشرف فيهما، واللفظ موضوع على سمته، وشاهد بصحته، وخادم له، كما يرى ابنُ جني ذلك.

ويبدو أن العرب اهتمت بموسيقى الألفاظ لتؤثر في نفس السامع، وللدلالة على المعنى.

ليست لغة ألفاظ فحسب

ويؤكد ابن جني - أيضًا - أن المعنى السامي يحتاج إلى لفظ جيد للتعبير عنه: "فقد تجد من المعاني الفاخرة السامية مايهجِّنه ويغض منه كدرة لفظه، وسوء العبارة عنه". وهو بذلك يؤكد أن العربيّ الذي اعتاد الفصاحة والبلاغة رسم للغته طريق قوة آدابها من الناحيتين اللفظية والمعنوية فهذب لفظها لتهذيب معناها.

ويعقد الإمام عبدالقاهر الجرجاني في كتابه «دلائل الإعجاز» فصلاً يؤكد فيه بالشواهد بطلان كون الفصاحة في اللفظ وينسبها إلى المعنى.

ويقول الجاحظ: "لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح للإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال، وقد قال: لكل مقام مقال".

وبهذا يندفع الاعتراض على الأبيات:

ولما قضينا من منى كلَّ حاجة
ومسَّح بالأركان من هو ماسحُ
وشُدّت على دُهْم المهاري رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطيّ الأباطحُ

بأن الشاعر قد دبج اللفظ في حين أن المعنى ضئيل هو: لما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا لاينظر الغادي الرائح ابتدأنا الحديث، وسارت الإبل في الأبطح.

وقد أوضح الإمام عبدالقاهر الناحية البلاغية في الأبيات فقال: "إن استحسانها يرجع إلى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها، أو حسن تركيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع؛ فقوله «كل حاجة» تعبير عن قضاء المناسك بأجمعها بطريق العموم، وكلمة «أطراف الأحاديث» تشير إلى التصرف الذي يكون بين الرفاق في فنون القول وشجون الحديث وفنه؛ من الإشارة، والتلويح، والرمز، والإيحاء، وأنبأ ذلك عن طيب النفوس، وقوة النشاط، وفضل الاغتباط بين الأصحاب والأحباب". وكذلك أشار إلى الاستعارة في أعناق المطي ودلالتها التعبيرية، بل قال: «إنها في غاية الحسن واللطف وعلو الطبقة».

أصالة العربية
وجدارتها بالتفوق في الدلالة اللغوية

وقد أفاض عبدالقاهر في رجوع بلاغة الأبيات إلى المعاني لا الألفاظ، فَحُسْنُ الكلام يرجع إلى الأولى لا إلى الثانية.

وأكد الأستاذ عباس محمود العقاد أن تلك القطعة حافلة بتلك الصور التي تتوارد على الخيال كما تتوارد المناظر للعين في الصور المتحركة.

وقد أردت بما سقته من هذا الشاهد وغيره أن أبطل زعم الزاعمين الذين يشككون في جدارة العربية بالتفوق ويتهمونها بأنها لغة الألفاظ.

وينتقص بعض النقاد المستشرقين والعرب من عناية العرب بالمعاني ويدّعون أنهم يهتمون بالصناعة اللفظية. فمن المستشرقين جارسيا جوميز الذي قال: "إن الصناعة اللفظية هي موضع العناية الكبرى في الأدب العربي".

وبعض اللغويين العرب يرى أن العرب عنيت باللفظ أكثر من المعنى، أو بعبارة أخرى عنيت بموسيقى الكلام أكثر من عنايتها بمضمونه، ويعلل لتلك العناية اللفظية بقوله: "إنا في ندائنا بهذا الرأى نعزوه إلى الظروف الاجتماعية التي نشأت فيها تلك الآداب من شيوع الأمية بين العرب، واعتمادهم على السمع، والمشافهة في تلقّي النصوص، وتداولها".

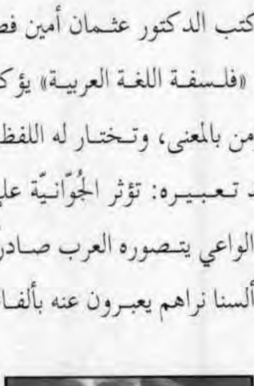
ودعوى أن اللغة العربية تهتم باللفظ ولا تنظر إلى المعنى إلا قليلا دعوى زائفة قام الدليل على نقضها، وقد ذكرنا من كلام القدامى مايؤكد اهتمام العرب بموسيقى اللفظ من أجل خدمة المعنى.

وقد أنحى الأستاذ عباس العقاد باللائمة على المستشرقين الذين قالوا إن اللغة العربية تؤمن باللفظ أكثر من المعنى، أمثال جارسيا جوميز، وعدّ حكمهم هذا خطأً ذريعًا، وفند مزاعمهم.

فاللغة العربية لغة معنى، والصور المحسوسة فيها ترتفع إلى حدود المعاني المجردة، فيستمع العربي إلى التشبيه فلايشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلا ريثما ينتقل منها إلى المقصود من معناه، فالقمر - عنده - بَهَاء، والزهرة نضارة، والغصن اعتدال ورشاقة، والطَّود وقار وسكينة.

مزايا المترادفات

وقد كتب الدكتور عثمان أمين فصلاً كاملاً من كتابه «فلسفة اللغة العربية» يؤكد فيه أن العربية تؤمن بالمعنى، وتختار له اللفظ المناسب، وعلى حد تعبيره: تؤثر الجُوّانيّة على البَرّانيّة، والتفكير الواعي يتصوره العرب صادرًا عن هذه الجوانيّة، ألسنا نراهم يعبرون عنه بألفاظ القلب، واللب، والحجا، والنُّهى، أكثر مما يعبرون عنه بألفاظ المخ، والدماغ، والرأس. ويفرقون بين القرابة والقربى، وإحداهما لحمة الدم والأخرى رابطة الروح.


العقاد

ومن المترادفات ألفاظ تبدو فيها خاصة لغوية رائعة هي إظهار ألوان المعاني وظلالها، وهذه ميزة تكاد تنفرد بها اللغة العربية وتعد من خصائصها التي تتجلى في ألفاظ مترادفة أحيانًا، ويسميها الدكتور عثمان أمين "خاصية التلوين الداخلي" الذي كأنما يرسم للماهية الواحدة بالأطياف والظلال صوراً ذهنية متعددة تغنينا باللفظ الواحد عن عبارات مطولة نحدد بها المعنى المقصود.

وتظهر تلك الميزة في كثير من الألفاظ الدالة على الشيء منظوراً إليه في مختلف درجاته، وأحواله، ومتفاوت صوره وألوانه، فالظمأ، والصَّدَى، والأُوَام، والهُيَام، كلمات تدل على العطش، إلا أن كلاً منها يصور درجة من درجاته، فأنت تعطش إذا أحسست بحاجة إلى الماء، ثم يشتد بك العطش فتظمأ، ويشتد بك الظمأ فتصدى، ويشتد بك الصدى فتؤوم، ويشتد بك الأوام فتَهيم، وإذا قلت: إن فلاناً عطشان فقد أردت أنه بحاجة إلى جرعات من الماء، لايضيره أن تبطئ عليه، أما إذا قلت: إنه هائم فقد علم السامع أن الظمأ برَّح به حتى كاد يقتله. وهذا على حين أن الفرنسي لايستطيع أن يؤدي هذا المعنى إلا في ثلاث كلمات إذا يقول: "مائت من الظمأ" Mourant de soif، أو في سبع كلمات ليكون المعنى أوضح فيقول: "على وشك أن يموت من الظمأ" Sur IE point dE mourir de soif.

ففي كلمات العربية إيجاز يجعل من الكلمة

الواحدة جملة كاملة.

وتلك خصيصة للعربية تفضل بها اللغات الأخرى، يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون: "إنه في حين أن اللغات الهندوأوروبية جُعلَتْ للتعبير عن نظام العالم الخارجي نجد اللغة العربية وكأنها هي لغة التأمل الداخلي، ففيها - بفضل تركيبها الداخلي وطراز الخلوة الذي توحي به - قدرة خاصة على التجريد والنزوع إلى الكلية والشمول، ومن هنا كان للعرب الفضل في اكتشاف رموز الجبر، وصيغ الكيمياء، والمسلسلات الحسابية".

ومما ذكره المستشرق الفرنسي كارادوفو: تفرقة العربية بين الكبر الداخلي والكبر الخارجي، فالداخلي هو استعداد في النفس، والخارجي ناتج من أفعال الجوارح، واللفظ الفرنسي الذي يدل على معنى الكبر هو: Orgueil (أورجي)، أما التكبر فأولى أن يكون مرادفه الفرنسي -Superbe (سوبيرب)، ولاحظ كارادوفو أن هذه الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها ألفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها في لفظ واحد إلى اللغات الأخرى.

وخلص من هذه الملاحظة إلى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق "مادام أن إحداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية والعادة البدنية التي تطابقها".

لغة تصويرية للمجتمع

واللغة العربية في مقدمة اللغات جميعًا تعبيرًا ودلالة وتصويرًا للمجتمع الذي لهج - ويلهج - بها، ففي ألفاظها - التي قطعت الأزمان التاريخية المتطاولة - مايدل على أصل أصحابها وتاريخهم وعقليتهم، فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة العرب الأولى، فالكتابة والشكل بمعنى القيد والرسم: أثر خطو الإبل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم، والبلاغة: من الوصول إلى غاية المسير، والفصاحة: من اللبن الفصيح الذي زال رغوه، والدلالة للقافلة كالدلالة في الكلام.

ولفظ «الصديق» في العربية من الصدق، و «العدو» من العدوان، في حين أن كلمة Ami = صديق في الفرنسية مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة، و ennemi = عدو لفظ مركب يفيد نفي المحبة أي بمعنى البغض، فالمفهوم العربي للصداقة مبني على الصدق والعداوة على العدوان، على حين أنه عند الفرنسيين مبني على أساس الحب والبغض.

ولفظ «عقل» - في العربية - مأخوذ من العقل بمعنى الربط والتقييد، ويدل ذلك على أن في معنى العقل عند العرب مفهوماً خلقياً بالإضافة إلى العنصر الفكري، فهو يعقل عن المنكر والشر، ولايدل لفظ yaison الفرنسي على مثل ذلك فإن أصل معناه العد والإحصاء.

ومن معرفة هذا التنوع والتغير الدلالي يمكن معرفة أصالة الكلمات العربية، فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات فلم نعلم في ظاهر الأمر أهي من ألفاظ العرب الأصيلة أم من الدخيل عليها فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة، فلا يطول بنا العناء في الرجوع إلى أصل معقول نطمئن إليه. وقد رد الأستاذ العقاد - بناءً على ذلك - كلمة القانون إلى اللغة العربية، فالقانون canon تصغير للقناة cane، ونحن نجزم بأن القناة كلمة لم يأخذها العرب عن اليونان، لأن الأقنية من النخل ومن عيدان الشجر ومن مسايل المياه، ومن أسنّة الرماح أصول عريقة في حياة العرب لاتستعار.

ولغة العرب بها أصول وفروع تولدت من طرق عديدة تبعًا للحاجات الاجتماعية النامية كالاشتقاق والقياس والقلب والإبدال وغيرها، وهذا على طبيعة العرب في السخاء اللغوي كما هي عادتهم في سخائهم الطبيعي والمادي، ولذلك ترى ماتعجب له، فقد وضعوا لبعض المعاني أسماء تفوق التصور، فللسيف ألف اسم، وللأسد خمسمائة، إلى غير ذلك مما يدل على

تنطوي اللغة العربية على قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق، ففي كلماتها إيجاز يجعل من الكلمة الواحدة جملة كاملة

أصالة العربية وجدارتها بالتفوق في الدلالة اللغوية

قدرة العرب الفائقة وطواعية لغتهم لهم. علمًا بأن تلك الأسماء هي أوصاف لذات المسمى.. فكل اسم فيه صفة لانجدها في المسمى الآخر، وهذا دليل على دقة أوصافهم في أداء المعنى.

وتؤدي الصيغ في هذه اللغة دورًا مهمًا في المعاني، فأنت تقول: قطع وكسر - بفتح الطاء والسين - فيكون لهما معنى، ثم تُضَعِّف العين - الطاء والسين - للدلالة على قوة الفعل فتقول: قطّع وكسّر، وفرق كبير بين قدَر واقتدر وكسب واكتسب.

وقد حاولت طائفة من العلماء العرب والغربيين الكشف عن دلالة الألفاظ والقوانين التي تحكمها، ونشأ عن ذلك علم الدلالة الذي ظهر اسمه Semantique في مقال نشره ميشيل بريال سنة ١٨٨٣م وعني بالبحث فيه من الغرب كثير، منهم الأساتذة بريال الفرنسي ووتني الإنجليزي وكروس الإيطالي وفونت الألماني. وقد بذل هؤلاء وغيرهم من علماء الغرب مجهودًا كبيرًا وصلوا بعده إلى دراسات مجدية في هذا العلم على أساس من دراسة الأصوات واللهجات وعلم النفس اللغوي. بيد أن علماءنا العرب قد أدركوا - قبل الغربيين - مفهوم هذا العلم لما تمتعت به لغتهم من ثراء واسع وتصرف معنوي لم تحظ به أية لغة في العالم، فهي تقف على رأس اللغات التي تمتاز بالدلالة وأثرها فيها، فليس من المبالغة أن يقال "إن هذا البحث يجمع بين أغراض التاريخ وأغراض البيان وأغراض الدراسة النفسية والاجتماعية"، والدلالة هي قوام اللغة، ووظيفتها ومقياس كفايتها وارتقائها عند المقارنة بين اللغات.

وتاريخ الدراسة اللغوية يثبت أن علماء العرب تناولوا موضوع الدلالة التي "بلغوا من بحث مشكلاتها وقضاياها مالم يبلغه علماء اللغات الأخرى في العصور الحديثة". وروادهم الأوائل - الذين جمعوا اللغة في رسائل خاصة استمرت في التدرج حتى وصلت إلى صورتها المثلى في المعجمات - هم الذين أرسوا دعائم هذا الفن في اللغة العربية، فالمعجمات تبحث الكلمات وتذكر معانيها، غير أنه يؤخذ على جامعيها أنهم لم يبينوا تاريخ التغيرات اللغوية المعنوية وسابقها ولاحقها، اللهم إلا كتاب «مقاييس اللغة» لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) فهو "مثل رائع للمعجمات التي تعنى بمعاني الألفاظ، ومحاولة الربط بينها، وإعادتها إلى أصول قليلة تفرعت عنها، وقد وُفِّقَ في ذلك إلى حد بعيد".

ومع هذا فالتسلسل التاريخي لانحتاج إليه كثيرًا في وضع معجماتنا الحديثة، لأن هذا التسلسل ضروري في اللغات التي يكثر فيها إهمال استعمال الكلمة في معنى وسيرورتها في معنى آخر، ولكنه لايبلغ هذا المبلغ من الضرورة حين توجد الكلمة مستعملة في جميع معانيها على السواء أو على درجات متفاوتة.

وقد ألّف أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي كتابه المسمى «الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية»، وهو مُؤَلَّف بارع في هذه الناحية، فقد عالج فيه مؤلفه عددًا من الألفاظ الإسلامية ودرسها دراسة تطورية تاريخية، وتتبع معانيها من العصر الجاهلي حتى العصر الإسلامي، وعقد أحمد بن فارس - في كتابه «الصاحبي» - فصلاً بعنوان: «باب القول في حاجة أهل العلم إلى معرفة اللغة العربية» أوجب فيه العلم بالعربية على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا حتى لايخطئ في الأحكام، فلقد غلّط أبو بكر بن داود أبا عبدالله محمد بن إدريس الشافعي في كلمات ذكر أنه أخطأ فيها طريق اللغة، وعقد أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) - في كتابه «الخصائص» - فصلاً بعنوان: «باب فيما يُؤَمِّنه علم العربية من الاعتقادات الدينية» طلب فيه من علماء الشريعة أن يفهموا الألفاظ العربية واستعمالاتها، وأن يعرفوا مجازاتها، لأن الجهل بها يؤدي إلى ضلال بعيد، وضرب أمثلة للجهل باللغة الذي أوقع بعض المفسرين في الخطأ في تأويل بعض الآيات والأحاديث الشريفة.

وإن روعة اللغة العربية ودقة الدراسة التي حظيت بها عند علمائنا كانت الأسس التي اعتمد عليها دارسو اللغات الإنسانية قديمًا وحديثًا، بما يؤكد أن مايحاوله المستشرقون - وغيرهم - الآن من نسبة النظريات اللغوية إليهم أمر يحتاج إلى مراجعة وتريث؛ فإن معظم هذه النظريات مستمدة من أصول عربية سبقت ماقالوه بقرون عديدة.

هذا - وغيره كثير - يدل على قوة اللغة العربية، وصلاحيتها للتعبير عن المعاني والمصطلحات العلمية الجديدة في العلوم والفنون ويكشف أسرار نموها وسعتها.

بواكير التجديد اللغوي المعاصر

د. حامد صادق قنيبي

لقد كان لزامًا على العربية الملاءمة مع المصطلحات الجديدة، ذلك أنَّ التغيير الحضاري ومايرافقه من استحداث مفاهيم ومخترعات جديدة يستدعي ذلك. ولعلَّ مواكبة التقدم الحضاري ووضع المصطلحات في حينها يسهِّل مهمة مَنْ يتصدى لمعالجة هذه القضية الشائكة.

ولقد كان هذا الدافع نفسه ماأجبر اللغات الأوربية على أن تكون على درجة من المرونة الدائمة، فلقد واجهت اللغة الفرنسية موقفًا شبيهًا: "لقد ازدادا عدد المفردات في المعجم الفرنسي من عشرين ألف مفردة في القرن السابع عشر ليصل إلى خمس وثلاثين ألف مفردة في القرن العشرين"(١).

لقد كان من الطبيعي أن يقتبس العرب بعض الأفكار المتعلقة بتطور اللغة من الغرب، ذلك أنهم بدؤوا الاتصال والاختلاط بالغربيين والنهل من العلوم التي طوّروها؛ وبالتالي وجدت كثير من المعاني طريقها إلى اللغة العربية. ودخل بعضها على صورته الأصلية دون تغيير Borrowing مثل: أكسجين - برنز - نايلون - ليزر.. ونحوها. وبعضها الآخر أخذ اسمًا عربيًا إما بالتوليد أو الاشتقاق مثل: المروحة Fan، طيَّار = Pilot، يصوِّت، يقترع = to vote.. ونحوها(٢).

ولاخلاف في هذين المسلكين لدى جمهور العلماء والكُتّاب، ولكن قام خلافهم - ومازال - حول (التعريب) من حيث مفهومه وتعريفه، وأنواعه، وحكم إلحاقه بأوزان العربية، وطريقة صوغه، وحول قياسية التعريب. والبحث في الضرورة الموجبة لاستعمال التعريب، بل تعدى ذلك إلى تقويم المعربات التراثية.. وغيرها على نحو ما ستوضحه الفقرات التالية(٣):

ففي بداية التصدي لمواجهة هذه القضية قام العمل على أكتاف الجهود الفردية من الرواد. واستمر كذلك حتى قيام مجامع اللغة العربية التي تولَّتْ بعدئذ إصدار القرارات المناسبة باعتبارها سلطة يحقُّ لها أن تُشرِّع في قضايا اللغة والثقافة. ورغم أنَّ المجمع السوري (المجمع العلمي العربي) أُنشِيء في عام ١٩١٩م، إلا أنَّ قرار التعريب لم يصدر إلا تحت قبة المجمع المصري (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) الذي صدر قرار إنشائه عام ١٩٣٢م.

ولما كان من تمام الدراسة هنا أن نعرض لبعض الجهود الممهدة لقرار التعريب وتطبيقه؛ فإنه يحسُن أن نتوقف عند محاولتين - رغم وجود محاولات فردية أخرى - كان لهما الأثر الفاعل في إعطاء أبعاد شمولية لمعالجة قضية التعريب، التي انضوت تحت لوائها قضايا التجديد في العربية المعاصرة بكاملها.

ومن أبرز هذه المحاولات، محاولة الشيخ عبدالقادر المغربي (١٨٦٧-١٩٥٦م) الذي كرّس حياته(٤) كلها للغة العربية يدرس ويبحث في كيفية إيجاد مقابل عربي للمصطلح الأجنبي، إما بالاشتقاق أو التعريب متنقلاً بين بلاد الشام ومصر مشاركًا في الحياة الفكرية إبّانَ حياة الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده. يقول عدنان الخطيب في كتابه "المجمعيون في خمسين عاماً": «وكان مما حدث خلال الفترة التي قضاها الشيخ عبدالقادر المغربي في مصر، أن وجّه إليه بعض علماء اللغة نقدًا شديدًا لتساهله في استعمال المفردات المعرّبة والدخيلة وبعض الكلمات المولدة، في المقالات التي كان ينشرها في (المؤيد) بين سنتي ١٩٠٦-١٩٠٩م، فما كان من الشيخ إلا أن أخذ ينشر ردودًا على منتقديه يحتج بها لنفسه، فألَّفَتْ ردوده كتابًا طبعه في مصر سنة ١٩٠٨م باسم (الاشتقاق والتعريب) وأعادت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعه سنة ١٩٤٧م، بعد أن أضاف الشيخ إليه مباحث وفوائد جمة»(٥). أي إن الشيخ عبدالقادر كان في أوج نشاطه وتألقه الفكري إذ

بو اكير التجديد اللغوي المعاصر

كان يبلغ من العمر نحو الأربعين عندما ألّفَ كتابه "الاشتقاق والتعريب".

وفي كتابه حاول أن ينظر إلى قضية المعرّب نظرة تاريخية تمتد من الجاهلية إلى العصر الحديث. وعالج فيه قضايا التجديد من جميع جوانبها. لقد حاول أنْ يثبت أنَّ الطرائق التي استخدمها علماء اللغة في القرون الوسطى - بما فيها التعريب - صالحة للاستخدام الآن، وفي هذا يقول: «ليس التعريب في اللغة العربية عملاً بِدْعاً، وليس وجود اللفظ المعرّب في متن اللغة العربية كوجود جسم غريب في جسد الإنسان من حيث يضرُّ بقاؤه وتجب إزالته. والمعرّب - ويسمى أيضاً دخيلاً - هو مااستعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها.. والتعريب تحويل طبيعي أو تغيير تدريجي يطرأ على اللغة ويجري بها في ناموس مطرد. وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها، ومن أول نشأتها كما تخضع له الآن، وبعد الآن»(٦).

والدليل على ذلك أن علماء اللغة في العصور السابقة استعملوه بكثرة فزادوا من قوة اللغة جاعلين منها أداة تعبير بليغة، لذلك راح يُعدِّدُ طائفة من المعربات (كتابه ص ٢٩-٤١)، يقول: "ولايمكن استقصاء تلك الكلمات المقتبسة التي دخلت في اللغة العربية في الجاهلية والإسلام، وذلك لكثرتها، ووفرة حصاها، وإنما نحن هنا نأتي على ذكر طائفة منها: مما لايخلو كلامٌ بليغٌ منه، ويكون كافيًا في الدلالة على أن منزلة المُعرّب في نظر أسلافنا - وبالنسبة لفصيح اللغة - فوق ما نحن ظانّون. ثم نظمها تحت العناوين التالية:

١- الحيوانات: ومما ذكره؛ جاموس (مع(٧): گاوموش). السلحفاة (مع: سولاخ باي).. وغيرها.

٢- النباتات والرياحين: ومما ذكره؛ باذنجان (مع: بادنگان)، وتجدر الإشارة أن للباذنجان عشرة أسماء بالعربية، هي: المغد، الوغد، الكهكهب، الكهكم، الأنَب، الحيصل، الحدق، اللُفّاح، الشرجبان، الإنْفَحة. ولكن هذه كلّها لم تستطع أن تزاحم الكلمة المعرّبة. ومثلها نرجس (مع: نرگس) عربيتها: القَهَةُ، والقهد والعَبْهر.. وغيرها.



جمال الدين الأفغاني

٣- العقاقير: ومما ذكره؛ بنج (مع: بنك) واسمه في العربية الشيكران، اللُبان (مع: لبانو).. وغيرها.

٤- المأكول: ومما ذكره؛ كعك (مع: كاك). فالوذَج (مع: پالودة وعاميته بالوظة).. وغيرها.

٥- المشروب: ومما ذكره؛ جُلاّب (مع: گُل: زهر+آب:ماء). باذَق (مع: باده).. وغيرها.

٦- الطيوب: ومما ذكره؛ مِسْك (مع: مشك). صندل (مع: سُنْدل).. وغيرها.

٧- اللبوس: ومما ذكره؛ سراويل (مع: شَلوار). طيلسان (مع: تالِشان).. وغيرها.

٨- المعادن: ومما ذكره؛ الطَلَق (مع: تلك). زئبق (مع: زِيوه).. وغيرها.

٩- الأحجار الكريمة: ومما ذكره؛ جوْهر (مع: گوْهَر). ألماس (مع: أذماس اليونانية).. وغيرها.

١٠- الآلات: الاسطرلاب (مع: استرلابون). فرجار (مع: برگار).. وغيرها.

١١- آلات الطرب: ناي (مع: ني). جَنْك (مع: چَنْك).. وغيرها.

١٢- الأدوات والماعون: هاوَن (مع: هاوون). طست (مع: طشت).. وغيرها.

١٣- الكلمات العلمية والفنية: ومما ذكره؛ أُستاذ (مع: أستاد أو أوستاد وعاميتها أُسطى). برنامج (مع: برنامه).. وغيرها.

١٤- الكلمات الدينية: ومما ذكره؛ زِنديق (مع: زنده). مهرجان (مع: مِهرگان).. وغيرها.



الشيخ محمد عبده

١٥- كلمات في معانٍ شتى: ومما ذكره؛ طراز (مع: تِراز). عربون (مع: أرْبون وأرمون).. وغيرها.

وربما كان حشده للأمثلة الكثيرة التي ساقها للتأكيد على أن التعريب لم يشوِّه اللغة ويحط من قدرها، ولذلك عقد فصلاً آخر بعنوان (نمو اللغة بالدخيل، ص ٢٢).

ويرى الشيخ عبدالقادر أنَّ الألفاظ المعرَّبة تعادل في مكانتها الألفاظ العربية الأصل مادامت تلتزم قواعد العربية (المُعرَّب عربي أو بمنزلته).

الألفاظ الأعجمية: نستعملها أم لا نستعملها؟! قضية لاتزال تثير الخلاف

كتب: ".. الكلمة الأعجمية تصبح بعد تعريبها بمنزلة الكلمات العربية. وقد قال الجواليقي إنّ المعرّبات أعجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال"(٨). يجري عليها من الأحكام مايجري على تلك، أي يلحقها الإعراب، وتعرّف بأل، وتثنى وتجمع وتذكّر وتؤنث، وقد قال العرب في زنديق: زندقة وتزندق. واشتقوا من فيلسوف تفلسف، ومن طرز طرّز تطريزاً وهو مطرُز ومطرِّز، ومن ديوان دوّن تدويناً(٩).

والشيخ عبدالقادر يدرك أنّ التعريب يمكن أن يؤدي إلى فوضى وتشويش إذا لم تحكمه قواعد تعمل على الحفاظ على الأوزان العربية. فغيابها يمكن أن يعجِّم اللغة العربية فتصبح لا هي بالعربية الفصحى، ولا هي بالأعجمية، زد على ذلك أن فتح باب التعريب على مصراعيه يمكن أن يؤدي إلى ضياع روح اللغة وهويتها، وبالتالي فإن العرب سوف ينعزلون عن لغة آبائهم وأجدادهم. يقول:

"على أننا مهما استحسنا رأي سيبويه في عدم اشتراطه ردّ الكلمة المعرّبة إلى مناهج العربية وأوزانها؛ ينبغي أنْ نقف من تسامحه عند حدٍّ محدود، وإلا تكاثرت الكلمات الأعجمية ذات الأوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى، وخرجت على تمادي الأيام بذلك عن صورتها وشكلها، وعادت لغة خلاسية(١٠)، لا عربية ولا أعجمية، كاللغة المالطية، أو كسائر اللغات العربية العامية، في مختلف الأقطار الإسلامية، فكم نحن إذن في حاجة إلى مجمع لغوي يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها وينتشلها من هذه الهوّة التي نخشى أن تواقعها".

ويبدو أن الآراء التي أثارتها كتابات الشيخ عبدالقادر المغربي قد أحدثت ردود فعل في بيئة كانت تصبو إلى الاهتداء إلى طريق واضح في عصر التنوير، يقول في مقدمة كتابه: "أما السبب المباشر الذي حملني على تأليف الكتاب فهو ماكان يسمعنيه إخواني من العتب في استعمال كلمات من المعرب والدخيل في مقالاتي، وكان يحتدم الجدال بيني وبينهم حتى تخطّى الجدل القول إلى الكتابة في الصحف.. ثم رأى أساتذة اللغة في مصر يومئذ أنه لاينبغي أن يُكتفى في حلّ هذه المشكلة بما يكتبه الكتّاب في الصحف، ويتحدث المتحدثون في المحافل. فإن الأمر أعظم من ذلك، وأنّ الواجب أن يُلجأ في الفصل بهذه القضية إلى تنظيم الجدل، وتوجيه العمل. وعُقدت مناظرات في (نادي دار العلوم) تحت رئاسة كبير أدباء عصره حفني بك ناصف. فقامت المناظرات المنظمة على قدم وساق بين أساطين الأدب وأساتذة اللغة: حفني ناصف والشيخ شاويش والخضري والإسكندري وأحمد زكي، وأخيراً أحمد فتحي زغلول، وكان ختام هذه المناظرات مناظرة عُقدت مساء ٢٠ شباط/فبراير عام ١٩٠٨م"(١١).

وقد أظهرت المناظرات، أنّ فريقًا يرى التوسّع في التعريب والاشتقاق من المعرّب لأنّ ذلك هو الطريق المعقول الذي اتبعه العرب في العصر العباسي مع الأمم الأخري. وأنّ الألفاظ الأجنبية موجٌ زاخرٌ هيهات أن تردّ اندفاعه مهما تبذل من جهد. وأنّ بعض هذه الألفاظ عالمية، وخاصة ألفاظ العلوم والفنون، ولاينبغي لنا أن نزايلها بوضع ألفاظ عربية جديدة تقصينا عن جو العلم وتخرجنا على المتواضع عليه في جميع اللغات، وأن تعريبها أدْعَى إلى حفظ المعنى الأصلي. وأن اللفظ الذي وضعه واضعه للدلالة على شيءٍ اخترعه أسهل وأتمّ من اللفظ الذي نضعه بإزائه.

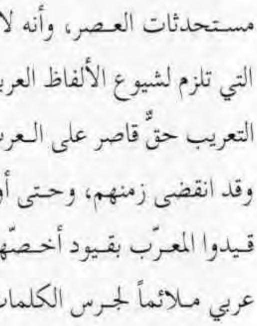
أما الفريق الآخر، وعلى رأسهم حفني ناصف، فقد رفض اتجاه إثراء اللغة العربية بألفاظ معرّبة على مذهب أصحاب (سياسة الباب المفتوح) السابق ذكرهم.

وفضّل أصحاب هذا الاتجاه اعتماد الاشتقاق (أولاً)، فنقول: سيارة (للاوتومبيل)، ودراجّة (للبسكليت). ثم إحياء الألفاظ العربية القديمة وإعادة استعمالها مثل: المعطف (للبالطو)، والشطيرة (للسندوتش). وأخيراً الترجمة بوضع المرادف المناسب مثل: الصور المتحركة (للسينما).

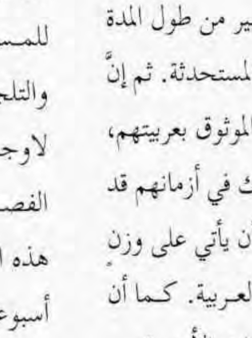
وحجة أصحاب هذا المذهب أنّ اللغة العربية تملك من القدرات الذاتية في القياس والاشتقاق

بواكير التجديد اللغوي المعاصر

والنحت مايجعلها قادرة على التعبير عن مستحدثات العصر، وأنه لاضير من طول المدة التي تلزم لشيوع الألفاظ العربية المستحدثة. ثم إنَّ التعريب حقٌّ قاصر على العرب الموثوق بعربيتهم، وقد انقضى زمنهم، وحتى أولئك في أزمانهم قد قيدوا المعرّب بقيود أخصّها أن يأتي على وزن عربي ملائماً لجرس الكلمات العربية. كما أن طبيعة العربية غيرها من طبائع اللغات الأجنبية.



حفني ناصف



أحمد لطفي السيد

ودار نقاش طويل بين أعضاء الجمعية (نادي دار العلوم) واشترك معهم فيه الأدباء والعلماء وفاضت به أنهار الصحف. وربما كانت هذه الظاهرةُ المرَّةَ الأولى التي تُطرح فيها قضية (التعريب) على الرأي العام بهذا الشكل، حيث يدعى فيها الناس للتعبير عن رأيهم في مسألة تمسُّ حياتهم اللغوية اليومية ابتداء من المخاطبة على شتى المستويات في البيت والمدرسة والمجتمع والأعلام والدواوين الإدارية، وانتهاء بالتعليم العالي والبحوث والمؤتمرات العلمية تأليفًا وكتابة. يقول ابن الأستاذ حفني ناصف: ".. أما عن هذه المحاضرة (المُسميات الحديثة)، فيرجع تاريخها إلى أن صحيفة (الجريدة) التي كانت لسان حال حزب الأمة والتي كان يرأس تحريرها الأستاذ أحمد لطفي السيد كانت تشجع المجددين على المناداة بجواز استعمال الأسماء الأجنبية للمستحدثات (كالفونوجراف والتليفون والتلجراف) في اللغة العربية، بحجة أنه لاوجود لما يقابل هذه المخترعات الجديدة في الفصحى القديمة. فلما خشي (حفني) تفشي هذه الفكرة جمع أعضاء النادي وفتح الباب أسبوعين متواليين لإلقاء محاضرات ليلية احتدم فيها الجدل.. وقد أوشك هذا النادي في تلك الفترة أن ينهض بالعربية نهضة واسعة بعيدة المدى إذ وضع الأساس لتأليف معاجم عربية صغيرة ومتوسطة وكبيرة، لولا أن قامت في وجهه عقبات شداد، منها ما كان يُستطاع تذليلُه آخر الأمر كتشكيك الإنجليز وأعوانهم من الرجعيين في أهداف النادي، ومنها ماكان يستعصي تذليله كقيام الحرب العالمية الأولى (من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨م) ووفاة الأستاذ حفني ناصف ١٩١٨م"(١٢).

واستطرادًا لتتابع الأحداث فإن لقاءات (النادي) انتهت إلى قرار جامع تلاه أحمد فتحي زغلول، وقد حظي برضا جمهور الحاضرين في ٢٠ شباط/فبراير ١٩٠٨م، وكانت صيغته: "إذا عرض لنا لفظ أعجمي ترجمناه إلى اللغة العربية بالحرف، وإذا تعذر اشتققنا له اسمًا من لغتنا، وإذا لم يتيسر جئنا بكلمة عربية وأطلقناها عليه بضرب من التجوز، وإذا تعذر هذا أيضًا عربناه وأدمجناه في تراكيب كلامنا. وكان أسوة للمعرَّبات الكثيرة التي انطوت عليها جوانح لغتنا"(١٣).

والجدير بالذكر أنَّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد استوحى في قراره التاريخي للتعريب - بعد ربع قرن - ما تمخض عنه هذا المنتدى، وكان نصُّ القرار: "يُجيز المجمع أن يُستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم"(١٤).

الهوامش والتعليقات:

(١) مجلة اللسان العربي، المجلد الرابع عشر، ١٩٧٦م، ص ٥. عبدالعزيز بن عبدالله: Problems of Abrabization.

(٢) انظر لمزيد من الأمثلة: حامد صادق قنيبي، الاشتقاق وتنمية الألفاظ، مجلة اللسان العربي، عدد (٣٤)، ١٩٩٠م، ص ٧٩ - ٩٦.

(٣) انظر استطرادًا: كتابنا "دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح" الفصل الثالث.

(٤) شامي المولد والنشأة، كان والده قاضيًا لمدينة طرابلس الشام، ولد فيها لأسرة كان جدها، ذو الأرومة التركية، قد هاجر إليها من بلاد تونس الخضراء في المغرب العربي، فنسب إليها هو وأحفاده من بعده.

(٥) عدنان الخطيب، المجمع العلمي العربي، دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٦٩م، ص ٧٤.

(٦) عبدالقادر بن مصطفى المغربي، الاشتقاق والتعريب، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٤٧م، ص ١٦.

(٧) مع: رمزنا بها للمُعرَّب.

(٨) الاشتقاق والتعريب، ص ٤٨.

(٩) المصدر نفسه، المكان نفسه، وانظر استطرادًا: كتابنا "تأصيل المعربات" ص ١٣٤-١٨٣.

(١٠) الخِلاسيّ (بكسر الخاء والسين): صفة مَنْ وُلد من أبوين أبيض وأسود.

(١١) الاشتقاق والتعريب، ص ٤٤.

(١٢) مجد الدين حفني ناصف، الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٤-٥.

(١٣) الاشتقاق والتعريب، ص ١٥٠.

(١٤) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، القاهرة: ١٩٣٥م، الجزء الأول، ص ٣٣.

تلوث اللسان العربي:
الأسباب والنماذج

قطب الريسوني

عني العلماء منذ القديم بالتنبيه على ما تلبّس باللغة العربية من شوائب اللحن والخطأ، وهي عناية يدل عليها، على نحو غاية في الجلاء والوضوح، دأبهم الحثيث على التحذير من مغبة شيوع الألفاظ الدخيلة والتعابير الركيكة التي تذهب برونق الإنشاء العربي وتعصف بروائه، فضلاً عما يترتب عليها من استشراء الوهم وفشوّ الخطأ، لاسيما إذا وقع في حديث من يُوثق في كفايته اللغوية، فيمنحه الكُتّاب حينئذ حظًا غير يسير من بذل الأقلام وسعة الأنفس من غير مكابدة البحث والتحري والاستقصاء.

ولاتزال الأخطاء اللغوية، إلى يومنا هذا، تفعل الأفاعيل في بنيان اللغة العربية وكيانها، حتى أضحت شائعة في أقلام الكُتّاب، مستفيضة على ألسنة المتكلمين، لايتورع عن اقترافها أقطاب اللغةِ، ناهيك عن العوام من الناس.. ولعل سعة الشيوع التي ظفرت بها هذه الأخطاء هي التي حملت نفرًا غير يسيرٍ من الكتاب إلى التشبث بالمقولة الشائعة (خطأ مشهور خير من صواب مهجور)، وهي مقولة حظيت بضروب من الترحيب وألوان من الحفاوة، سيما ممن أعوزهم التضلع من اللغة، والتبحر في فنونها، وهم من الوفرة والكثرة بالدرجة التي يتأبون معها على العد والإحصاء.

والحق إن المهجور من الكلام يعود له رواؤه ونضارته بالمواظبة على استعماله وإذاعته، فيطمئن إليه الذوق والفهم والشعور جميعًا، إلا إذا كانت الكلمة حوشية في بنيتها، تمجها الأسماع وتستثقلها الألسنة، مما يشفع لنا بالقول إن هذه المقولة إن هي إلا دعوة يلهج بها أناس يبيتون للغة العربية كرها دفينًا وحقدًا آكلاً، وهي تشبه إلى حد بعيد ما يتشدق به بعض الفقهاء المقلدين من أن العرف المشهور يقدم على النص الشرعي الصحيح، مع أن هناك من الأعراف والعوائد ماهو فاسد يجافي روح الشرع ويتنكب جادته، لكن التقليد يعمي الأبصار والقلوب على نحوٍ يفوت عليها ضربًا من التمييز يسعفها في التفريق بين الصالح والطالح والغث والسمين.

أقول: لازالت الأخطاء اللغوية تشين جمال اللغة العربية وتذهب برونقها، مما بات يستدعي إنشاء مجمع لغوي في كل بلد عربي، على نحو يتأتى معه تنظيف الإنشاء العربي من الألفاظ الدخيلة والتعابير الثقيلة، على أن تراعى في اصطفاء أعضاء المجامع الأهلية الجدارة، بحيث يكون كل عضو ضليعًا من علوم اللغة، متمكنًا من ناصية قواعدها، إلى جانب الإلمام بطرف من العلوم والمعارف العصرية على نحو يسعفه - أي عضو المجمع - في وضع الكلمات والمصطلحات المختصة بهذا العلم أو ذاك.

بيد أن ما يؤسف له اليوم أننا نرى من وُكل إليهم أمر إصلاح اللغة قد صاروا معاولَ لهدمها وتخريبها، ونقصد هنا أعضاء بعض المجامع اللغوية الذين لاينفكون عن اقتراف أغلاط

تلوث اللسان العربي: الأسباب والنماذج

فاحشة، قد يسلم من الوقوع في مغبتها جلاس المقاهي وأحلاس الرصيف.. وهي أغلاط قد يتسع شيوعها بين ناطقي لغة الضاد، لا لشيء إلا لأنها صدرت عن أفواه من يُوثَق في كفايتهم العلمية، ويُطْمَأنّ إلى علو كعبهم في مضمار اللغة والإنشاء.

ولئن كان لكل ظاهرة أسباب، فليس من شك أن لذيوع الأخطاء على ألسنة الكُتّاب والمتكلمين أسبابا ودواعي، وهي، وإن اختلفت من دارس لآخر تبعا لاختلاف مستويات التحصيل المعرفي، يمكن استقطابها فيما يلي:

أ- تمكن اللغة العامية من ألسنة الناطقين بالضاد وأذهانهم، على نحو كانت معه أو كادت أن تكون الوسيلة الوحيدة للتفاهم والتخاطب، التي ينطلق منها المتكلم وإليها يؤول، حتى إننا نرى أن أبلغ الكتّاب والخطباء لا يأمنون العِثار بألفاظها، على حين غفلة عن سوية اللغة الفصحى، مدفوعين إلى هذا الازورار بقوة الأوبة إلى اللغة الأم.

ولعل رسوخ العامية في الأذهان والألسنة رسوخًا بالغًا، مما يُعَسِّر تحصيل الفصحى ويصدف بالطلبة وخريجي المدارس عن التبريز في علومها، والتفنن في معارفها، حتى يخيل إليهم أنهم يتلقون لغة أجنبية تجافي روحهم وسليقتهم، بل قد يلفونها - أي الفصحى - أعسر تحصيلاً وأصعب مراسًا من إحدى اللغات الأجنبية.

وليس لدينا من الحلول التي نخفف بها من وطأة طغيان اللهجة العامية على حياتنا اليومية، إلا أن نعوّد الطفل منذ بدايات عمره على التحدث باللغة العربية، والتمرس بأساليبها وقواعدها، فلو أننا «حاولنا الاقتراب من لغتنا شيئًا فشيئًا، وذلك باستعمالها في البيت والشارع والمعمل، وفي كل مجال من مجالات حياتنا لاستطعنا أن نخالط روحها، وتخالط هي روحنا، ولأمست اللهجات المحلية حينذاك تعيش في هامش الحياة»(١).

ب - الرغبة عن التصدي لخوارج اللغة والأدب، ونقصد بهم طائفة من العاصين المردة الذين ما فتئوا يشنون على اللغة الفصحى ضروبًا من الثورة وألوانًا من التمرد، بغية إثارة الريبة والبلبلة حول قواعدها وأحكامها، وتزهيد الناس في التزام أشراط الفصاحة والبيان، وقد بلغ بهم الإغراق في الطعن والتحامل أن راحوا يزينون للكتاب والأدباء التنصل من القواعد والأحكام فيما يكتبون وينشرون، دون أن يُعَنّوا أنفسهم بالتقيد بأحكام النحو والصرف والبلاغة والبيان، وليس لديهم من الأسباب والدواعي التي يعللون بها هذا الطعن أو ذاك التحامل، إلا أن كل القواعد والأحكام قد شرعت لاعتبارات عَفَّى عليها الزمن وغشّاها النسيان.

وقد يبدو من الغريب أنك إذا أطلعت هؤلاء المردة على سفاسفهم وأغلاطهم تصدوا لك بالتنقص والزراية، ورموك بالتنطع والجمود والتعلق برُفات القديم وعوائده، وكأنهم بذلك يملكون جماع الحق، أما ما عداهم فيحطب في متاهة الوهم والخطأ.

وليس يخفى على أحد ما ظفرت به دعاوى هؤلاء من آذان صاغية من لدن كتاب وأدباء انسلخوا من مقوماتهم وقيمهم في غيبة الوعي بالذات والهوية، مما زاد من اتساع دوائر استعمال العامية، مع أن اللغة الفصحى لايعوزها شيء مما قد يرفد اللغات الأخرى بخواص النمو والتطور، بل لعلها مضرب الأمثال في جودة البيان وثراء المفردات، وهو ما أسعفها على الوفاء بأغراض المتكلمين، والإفصاح عما يستجد من الأفكار والمعاني.

ولعل ما أثير حول اللغة الفصحى من ترهات وأباطيل بين الطلبة وخريجي المدارس كان له اليد الطولى في إشاعة اللحن والخطأ، وكان في الآن عينه في طليعة الأسباب والدواعي التي حدت بالناس إلى العزوف عن اللغة، والضرب صفحًا عن قواعدها وأحكامها.

جـ - شيوع السماعي(٢) في اللغة العربية، خاصة في علمي الصرف والاشتقاق، وهو - أي السماعي - عقبة كؤود في طريق الكتاب، ويندر منهم من يأمن معها العثار في اللغة. ويكثر ورود السماعي في الأبواب التالية:

١- لزوم الفعل وتعديه.
٢- مزيدات الأفعال.
٣- أوزان المصدر أو الصفة المشبهة.
٤- أوزان جمع التكسير.
٥- باب الإلحاق(٣).

فهذه الأبواب وما عداها من السماعيات

قد تعرض لنا فيما نكتب أو نذيع في الناس، فيعزب عن بالنا أنها مما يُحفظ ولا يقاس عليها «ونجريها مجرى المقيسات المطردة بلا تروّ ولا تثبت، ونضل محجة الصواب»(٤).

د ـ توهم العصمة في كبار الكتاب والأدباء واللغويين، وهو من أكبر الأسباب استدراجًا للكُتّاب لمتاهة الوهم والخطأ، فكثيرًا ما يقدم كاتب على استعمال كلمة، وليس لديه من الأدلة والشواهد التي تعضد صحة استعماله اللغوي غير أن فلانًا أو علانًا ممن يوثق في كفايته العلمية، أو يُطمأن إلى رسوخ قدمه في اللغة، قد ضمّن هذه الكلمة كتابه أو حديثه.

وليس من شك عندي أن أغلب الكتّاب الذين ينتحلون (النقل) عن سواهم من كبار الكتاب واللغويين دليلاً شاهداً على صحة استعمالاتهم اللغوية، هم من أصناف الكسالى والعاجزين الذي يتوركون على مجهود الغير على نحو يغنيهم عن تجشم مشاق البحث والاستقصاء.

هـ ـ إهمال اللغة وذلك بالرغبة عنها، والاكتفاء بالاطلاع الضحل على قواعدها وعلومها، ويتجلى هذا على نحو من الوضوح في ضعف الطلبة وخريجي المدارس في لغتهم، وهم في الغالب لايصيبون من فنون العلم وألوان المعرفة إلا ما يسعفهم في تخطي عقبة الامتحان وإحراز النجاح، وبعد خروجهم من دور العلم ومجالس التحصيل تراهم لايبدون أدنى اهتمام بإغناء ذخيرتهم اللغوية وإثراء محصولهم الثقافي على نحو يسعفهم في صون أقلامهم وألسنتهم من اقتراف اللحن والخطأ.

ونحب أن نبادر هنا إلى القول: إن ما ننبه عليه من الأخطاء والهفوات اللغوية لايسع كل ماتضل في دروبه الأقلام، وتزل في مسالكه الألسنة، ذلك أن كبوات اليراع وعثرات اللسان هي من الوفرة والكثرة بالدرجة التي تتأبى معها على العدّ والإحصاء، لا سيما حين نلفي نفرًا غير يسير من علماء اللغة ممن شُهد لهم بالتبريز في علوم اللغة والحذق بمعارفها، لم ينجوا من الوقوع في مغبة اللحن والخطأ «وليس أدل على ذلك من وجود ملاحظات كثيرة ومتابعات ليست بقليلة لعلماء ـ على مر العصور ـ يصححون بها أوهام أندادهم من العلماء»(٥).

على أنني آمل أن أكون قد وفقت إلى حشد أشهر الأخطاء والهفوات التي استفاضت على ألسنة الكتاب والمتكلمين على نحو يكشف القناع عن عُوَارها، ولا يتوانى في الصواب الذي يرد على أصح الأوجه وأرجح الآراء.

ولايفوتنا الإيماء هنا أننا اعتمدنا في تصويب هذه العثرات على:

أ ـ القرآن الكريم بوصفه الحجة الدامغة في اللغة.

ب ـ الحديث الشريف الصحيح.

جـ ـ الشعر العربي من جاهليته وصدر الإسلام إلى عصور الاحتجاج التي حددت بمنتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة لفصحاء الحضر، إلى أواسط الثالث بالنسبة لفصحاء البادية، على أن لايكون الشعر المستشهد به منحولا أو شاذا عن قواعد النحو والصرف.

د ـ أمهات المعاجم اللغوية مثل: لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزابادي، وأساس البلاغة للزمخشري(*).

١ـ أثر عليه:

يقولون: (أثر عليه الحادث تأثيرا كبيرا)، وهذا خطأ والصواب (أثر فيه أو به الحادث تأثيرا كبيرا)، لأن الفعل أثّر يتعدّى بحرف الجر (في) أو (الباء)، فتقول (أثر فيه أو به)، أي ترك فيه علامة وأثراً، ومن ذلك ما جاء في قول علي ـ كرم الله وجهه ـ (... فَجَرَّتْ بالرَّحى حتى أثَّرَتْ بيدها، واستقت بالقربة حتى أثّرتْ في نحرها).

٢ـ أسف له:

يقولون: (أسف للأمر)، وهذا خطأ والصواب (أسف على الأمر)، لأن (أسف على الأمر) تعني (ندم على الأمر)، والندم دائما يستصحب حرف الجر (على) لا (اللام) وهناك شواهد لغوية كثيرة تفيد أن الندم وفعله يستصحبان حرف الجر (على)، مثل قوله عز وجل في الآية (٨٤) من سورة يوسف: ﴿وقال يَا أَسَفَا عَلى يُوسُفَ﴾.

٣ـ أذن له بالحديث:

يقولون: (أذن له بالحديث) وهذا خطأ والصواب (أذن له في الحديث)، أي أباحه له ورخصه، لأن معنى (أذن بالشيء) (علم به)، غير أن الأقلام تخلط بين هذا الاستعمال وذاك، على نحو يفضي إلى التنكب عن جادة اللغة.

أما (أذن) بمعنى (علم) فقد ورد في قوله تعالى في الآية (٢٧٩) من سورة البقرة: ﴿فأْذَنُوا بحربٍ من الله ورسوله﴾، وقد يفيد (أذن) معنى (استمع)، كما ورد في الآية (٢) من سورة الانشقاق: ﴿وأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ﴾.

تلوث اللسان العربي: الأسباب والنماذج

٤ـ آخَذَ على:

يقـولون: (آخـذه عـلى إثمـه) وهـذا خطأ والصـواب (آخـذه بإثمـه)، إذ لم يثـبت في الاستعمال الصحيح أن عُدّي الفعل (آخذ) بحرف الجر (على)، بل الصواب أن يقرن بـ (الباء) كما ورد في أكثر من آية في القرآن الكريم.

يقول عز وجل في الآية (٢٢٥) من سورة البقرة: ﴿لا يُؤَاخِذُكُم اللهُ بـاللّغو في أيْمـانِكم ولـكنْ يُؤَاخِذُكـمْ بمَا كَسَبَتْ قـلوبُكم والـله غفورٌ حليمٌ﴾.

ويقول عز وجل في الآية (٦١) من سورة النحل: ﴿ولو يؤاخِذُ الله النَّاس بظلمـهم ما ترك عليها من دابة﴾.

كـما يقـول عـز وجل في الآية (٧٣) من سورة الكهف: ﴿قال لا تؤاخـذني بما نسيتُ ولا ترهقني من أمري عُسرا﴾.

وقد كان لـ (المنجد) ضلع أي ضلع في إشاعة هذا الخطأ بين الناطقين بلغة الضاد، وذلك حين أورد في مادة (أخذ) قوله (آخذ، آخذه مؤاخذة، وعاتبه على ذنبه وبذنبه، عاقبه عليه).

٥ـ تأكد من الأمر:

يقـولون: (تأكـد من الأمـر) وهـذا خطأ والصواب (تأكد الأمرُ)، لأن الفعل (تأكد) بمعنى (توكّد) لم يرد في كلام العرب إلا لازماً، فنقول (تأكد الأمرُ) إذا وثق من تحققه وثوقًا قطعيًا. ولئن ذهبنا في اللغة مذهب التغاضي عن القياس، لم يسغ لنا استعمال تأكـد متعديا، لأن معنى (تأكد) توثق واشتد وهو لازم وغير متعدّ، ولذلك يقول أسعد داغر في كتابه (تذكرة الكتاب) ص ٥٣: (يقول جرب الدواء وتأكد فائدته، فيستعملون الفعل تأكد متعديا، وهو خطأ لأن معنى تأكد وتَوَكَّد: اشتدّ وتوثق، وهو لازم غير متعد، فالصواب أن يقال تحقق أو تبين).

٦ـ بَرَّر:

يقـولون: (برر تصـرفاته)، وهـذا خطأ والصواب (سَوَّغ تصرفاته)، ذلك أننا نستعمل (برر) بمعنى عضّد الأمر. وذكر له من الأسباب والدواعي ما جعله مباحًا ومستساغًا ومن ذلك المقولة الميكافيلية المشهورة (الغَاية تُبَرِّر الوسيلة)، بيد أننا إذا عدنا إلى معجم لسان العرب لأنلفي فعل (برر) على وزن (فَعَّلَ)، بل نلفي فعل (أَبَرَّ) بمعنى أمضى اليمين، ويُقال في الثلاثي (بَرّت يَمينُه) إذا صدقت.

٧ـ بؤساء:

يقـولون:: (هؤلاء المساكين بؤساء) وهذا خطأ والصـواب (هؤلاء المسـاكين بُؤّسٌ أو بائسون) فإما أن يجمع (بائس) جمع المذكر السالم فنقول (بائسون) أو يجمع جمع التكسير فنقول (بُؤّس)، فالبُؤساء جمع (بئيس) لا جمع (بائس)، و(البئيس) هو الشجاع المغوار كما تفيد ذلك معاجم اللغة.

أما في القرآن الكريم فلم ترد لفظة (بئيس) إلا مرة واحدة في الآية (١٦٥) من سورة الأعراف: ﴿وأَخَذْنَا الذين ظَلَمُوا بعَذابٍ بئيسٍ بما كَانُوا يَفْسُقُون﴾ أي بعذاب شديد.

والذي يبدو على نحو من الجلاء والوضوح أن الذين يجمعون (بائس) على (بؤساء) يقيسون (بؤساء) على عقلاء وفضلاء وجهلاء، بيد أن ورود فعلاء جمعًا لفاعل مما يُسمع ولا يقاس عليه. ومن ثم فقد أخطأ الشاعر حافظ إبراهيم حين ترجم كتاب (فيكتور هوجو) ووسمه بعنوان (البؤساء).

٨ـ بتّ في الأمر:

يقـولون: (بتّ فلان في الأمر) وهذا خطأ والصواب (بت فلان الأمْرَ)، ذلك أنهم يعدون الفعل (بتّ) بحرف الجر (في)، مع أنه يتعدى بنفسه.

وقد يأتي الفعل (بتّ) رباعيًا كما ورد ذلك في لسان العرب، فيقال (أبتَّ فلان طلاق امرأته)، إذا طلقها طلاقًا باتًا، ومنه قولهم (لايجوز ألبتة) أي على وجه القطع، لأن البتّ هو القطع المستأصل.

٩ـ بدائل:

يقـولون: (يطمح إلى خلق بدائل جديدة)، وهذا خطأ والصواب (يطمح إلى خلق أبدال جديدة)، ذلك أن (بديل) يجمع على (أبدال)، لأن فعَائل مقيس في كل رُباعيّ اسم أو صفة مؤنثة تأنيثًا لفظيًا أو معنويًا ثالثه حرف مد ألفا كان أو وَاوًا أو ياء.

فلايسوغ لنا ألبتة أن نجمع (بديل) على (بدائل)، ولذلك يقول ابن منظور في اللسان: (بدل الشيء وبدله وبديله الخلف منه والجمع أبدال).

١٠- ينبغي عليك:

يقولون: (ينبغي عليك أن لا تكسل)، ويُعدّون الفعل (ينبغي) بحرف الجر (على) وهذا خطأ والصواب (ينبغي لك أن لا تكسل)، لأن الفعل (ينبغي) يأتي بمعنى يُراد ويُطلَب ويُستحَب، وما دار في فلكهن من الأفعال.

١١- بَرَزَ في الثقافة:

يقولون: (بَرَزَ في الثقافة بُرُوزًا كبيرًا) وهذا خطأ والصواب (بَرَّزَ فلان في الثقافة تَبْرِيزًا كبيرًا) لأن معنى (بَرَّزَ في الثقافة) : بَزَّ أقرانه فيها، وفاقهم تمكّنًا وتضلّعًا، أما معنى (بَرَزَ في الثقافة) فهو ظهر بعد خفاء وخمول.

١٢- تعاسة:

يقولون: (يعيش فلان في تعاسة) وهذا خطأ والصواب (يعيش فلان في تَعْسٍ)، فهو تَاعِسٌ وتَعِسٌ، لا تَعيسٌ، وفعله (تَعَسَ يَتْعَسُ تَعْسًا) و(التَّعْسُ) هو العثار والهلاك والبوار.

١٣- أجاب على:

يقولون: (أجاب على سؤاله)، وهذا خطأ والصواب (أجاب عن سؤاله) بتعديه الفعل (أجاب) بـ (عن)، لأن معنى هذا الفعل يقتضي استعمال (عن) لإفادة الإيضاح والإبانة والكشف والقطع والخرق، ومن ثم فإن معنى (أجاب عنه) هو: شَقَّ عنه الغموض والإبهام، أما (على) فيفيد الظرفية والاستعلاء، قال ابن منظور في لسان العرب: (الإجابة رَجْعُ الكلام، تقول منها: أجاب عن سؤاله).

١٤- حَذِر من الشيء:

يقولون: (حَذِر من الشيء)، فيعدون الفعل (حذر) بحرف الجر (من)، وهذا خطأ والصواب (حَذِر الشيءَ)، اعتمادًا على ما أوردته الصحاح، وقوله تعالى في الآية (٤٩) من سورة المائدة: ﴿واحذَرْهُم أنْ يَفتِنُوكَ عَنْ بَعض مَا أنزَلَ اللهُ إليك﴾.

وقد ورد الفعل (حذر) مضارعًا وأمرًا تسع مرات أخرى في القرآن الكريم، دون أن يُعَدّى بحرف الجر (من).

١٥- حاز على:

يقولون: (حاز فلان على الجائزة)، فَيُعَدّون الفعل (حاز) بحرف الجر (على) وهذا خطأ والصواب (حاز فلان الجائزة) لأن الفعل (حاز) يتعدى بنفسه إلى مفعول به تقع عليه الحيازة أو الحوز.

١٦- حَرَمَهُ من الشيء:

يقولون: (حَرَمَهُ من الإرث)، فيعدون الفعل (حَرَمَ) إلى المفعول الثاني بحرف الجر (من) وهذا خطأ والصواب (حَرَمَهُ الإرثَ) بنصب مفعولين، أي إن الفعل (حَرَمَ) يتعدى إلى مفعولين تعديا مباشرا.

١٧- تَحَرَّى عن الأمر:

يقولون: (تحرى فلان عن الأمر)، فيعدون الفعل (تحرّى) بحرف الجر (عن) وهذا خطأ والصواب (تحرّى فلان الأمرَ) أي توخّاه وطلبه.

المؤسف أن من وكل إليهم أمر إصلاح اللغة قد صاروا معاول لهدمها

١٨- احْتَضَر فلان:

يقولون: (فلان يَحْتَضِرُ في المستشفى) وهذا خطأ والصواب (فلان يُحْتَضَرُ في المستشفى) لأننا نقول (احْتُضِرَ فلان) إذا حضره الموت، وقد جاء في قوله تعالى في الآية (١٨) من سورة النساء: ﴿حتّى إذا حَضَرَ أحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إنّي تُبْتُ الآنَ﴾، وقال الشاعر الشماخ:

فأوردها مَعًا ماءً رَوَاءً

عليه الموت يُحْتَضَرُ احْتِضارا

١٩- أحنى رأسه:

يقولون: (أحنى رأسه خجلا) أي عَطَفَهُ، وهذا خطأ والصواب (حَنَى رأسَه خَجَلا). فنقول (حنى رأسه يَحْنيه) أو (حَنَا رأسه يَحْنُوه) أو (حَنَّى رأسَه تَحنيَةً)، لأن معنى (أحنى الأب على ابنه) أي غمره بعطفه وحدبه وإشفاقه، ومن قبيل المجاز نقول: (حَنَّتِ المرأة على أولادها حُنُوًّا) إذا عطفت عليهم فلم تتزوج بعد وفاة أبيهم.

٢٠- التحوير:

يقولون: (حَوَّرَ فلان الحديث) ويقصدون غيَّره وبدَّله، وهذا خطأ والصواب (غَيَّرَ فلان الحديث)، لأن من معاني الفعل (حوّر):

١- حوّر القرص: أداره وهيّأه.

٢- حوّر الخف: جعل له بطانة من الحور (وهو الجلد المصبوغ بحمرة).

٣- حوّر الشيء: بيّضه.

٤- حوّر فلان فلانا: خيّبه ورجعه إلى النقص.

تلوث اللسان العربي: الأسباب والنماذج

٥- حوّر العجين: مسح وجهه بالماء حتى صفا.

٢١- احتار في أمره:

يقولون: (احتار في أمره) أي لم يدر وجه الحق والصواب، وهذا خطأ والصواب (حار في أمره) لأن الفعل (احتار) لم تنطق به العرب، والمسموع منهم الفعل (حار) و(استحار)، وقد أخطأ أحد الشعراء حين قال:

فالنفس بين تهيُّبٍ مما ترى
وتَلَهّبٍ فاحتَرت مِن أمريها

٢٢- تَخَرَّجَ من:

يقولون: (تخرّج من كلية كذا) وهذا خطأ والصواب (تخرّج في كلية كذا)، لأن الفعل (تخـرّج) معناه (تعلّم) و(تأدب) و(تدرّب)، وهو (خِرِيج) و(خَريجٌ) و(متخرّج)، ومن ثم نقول (تعلم في كلية كذا) و(تأدب في كلية كذا) و(تدرب في كلية كذا)، ولسنا نلفي هنا أي أثر لحرف الجر (من)، وآية ذلك أنه ليس المراد هو الخروج من الكلية حين نقول (تخرّج في الكلية).

ولئن فرضنا - جدلا - أن المراد هو الخروج، لجنح التعبير إلى مدلول لانعنيه ألبتة، إذ يصبح المعنى أن من يدرس في الكلية ستكون له في كل يوم خَرْجَةٌ أو خَرَجَات.

٢٣- خَشِي من:

يقولون: (خشي من الله) وهذا خطأ والصواب (خشي الله) دون أن نعدي الفعل (خشي) بحرف الجر (من)، يقول عز وجل في الآية (٣٧) من سورة الأحزاب: ﴿وتَخْشَى الناسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾. وقد ورد الفعل (خشي) متعديًا تعديًا مباشرًا (٣٤) مرة أخرى في القرآن الكريم.

٢٤- أمر خطير:

يقولون: (هذا أمر خطير)، وهذا خطأ والصواب (هذا أمر ينذر بالخطر) أو (شديد الخطر)، لأن من المعاني اللغوية لكلمة (خطير): (الرفعة) و(الشرف) و(السمو) فنقول (رجل خطير) أي عليّ المقام رفيع الشأن، ومثلها (خطورة) - بضم الخاء - فنقول (خطر الرجل خطورة): أي كان ذا منزلة رفيعة ومقام جليل.

٢٥- يخفى عن:

يقولون: (لا يخفى عن الناس)، وهذا خطأ والصواب (لا يخفى على الناس)، اعتمادًا على كثير من الآيات القرآنية.

٢٦- خوّل إليه:

يقولون: (خوّل إليه القانون حق التملك) فيعدون الفعل (خول) إلى مفعوله الأول بحرف الجر (إلى)، وهذا خطأ والصواب أن يُعدَّى بنفسه كذلك إلى مفعوله الثاني، فنقول (خوله القانون حقَّ التملك).

٢٧- ليل داكن:

يقولون: (كان الليل داكنًا) وهذا خطأ والصواب (كان الليل أدكن)، لأن النعت إذا كان لوناً يرد على وزن (أفعل) للمذكر، وعلى وزن (فعلاء) للمؤنث. فنقول: دَكِنَ يَدْكَنُ دَكْنًا ودُكْنَة، فهو (أدكن)، وصفر يصفر صُفرَةً، فهو (أصفر). قال لبيد بن ربيعة في معلقته يصف زِقَّ الخمر وقد مال إلى السواد:

أُغلِي السِّبَاءَ بكلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ
أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتَامُهَا

٢٨- أدمن على:

يقولون: (أدمن على المطالعة)، فيعدّون الفعل (أدمن) بحرف الجر (على)، وكأنهم يقيسونه على الفعل (واظب)، وهذا خطأ والصواب (أدمن المطالعة)، لأن (أدمن) يتعدى بنفسه، فنقول (أدمن الشيءَ)، إذا أدامه ولم يقلع عنه، وقد أنشد أحد الشعراء:

فقلنا أمن قبرٍ خَرَجْتَ سكنتَهُ
لك الويل أم أدْمَنت جُحرَ الثَّعَالِبِ

٢٩- اندهش:

يقولون: (اندهش من الأمر)، وهذا خطأ والصواب (دَهِشَ من الأمر)، إذ لم يُسمع عن العرب قط أنها استعملت الفعل المطاوع (اندهش)، وما أوردته المعاجم هو الفعل (دَهِش يَدْهَش دَهَشاً، ودُهش بمعنى: تحيّر، أو ذهب عقله من ولَه أو فَزَع أو حياء)، و(دَهَّشه وأدْهَشَه) أي جعله مدهوشا.

٣٠- اندحار:

يقولون: (اندحر العدو)، ويبنون (اندحر) قياسا على قول العرب (كسره فانكسر) وهذا خطأ والصواب (هُزِم العدو)، لأن أفعال المطاوعة مما يُسمَع ويُحفظ ولا يقاس عليه، فلم يسمع من العرب قط (اندحر) من (دحر)

و(انجذب) من (جذب).

٣١- تربّص لفلان:

يقولون: (تربص لفلان)، وهذا خطأ والصواب (تربّص بفلان)، أي انتظر به خيرًا أو سوءًا يصيبه، قال تعالى في الآية (٥٢) من سورة التوبة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بنَا إلا إحدَى الحُسْنَيَيْنِ ونحنُ نتربص بكم أنْ يصيبكم الله بعذابٍ مِنْ عنده﴾ أي هل تنتظرون إلا أن ننال إحدى العاقبتين: حسنى النصر أو حسنى الشهادة.

وقد ورد الفعل (تربّص) في القرآن الكريم في سبعة مواضع مقرونًا بحرف (الباء). وفي الحديث الشريف «إنما يريد أن يتربص بكم الدوائر»، وقال الشاعر:

تَرَبَّصْ بِها رَيْبَ المَنُونِ لَعَلَّهَا
تُطَلَّقُ يومًا أو يموت حَلِيلُهَا

٣٢- رددت على حديث فلان:

يقولون: (رددت على حديث فلان)، وهذا خطأ والصواب (رددت على فلان حديثه) لأن المتكلم لا يرد على الحديث، فالحديث ليس من الذوات العاقلة حتى يُرد عليه، بل يُرد على القائل المتحدث ما فاه به. ذكر (نهج البلاغة) كتابًا للإمام علي إلى الحارث الأعور الهمداني، ورد فيه (ولا تردَّ على النَّاسِ كُلَّ مـــا حَدَّثُوكَ، فَكَفَى بذلكَ جَهْلاً).

٣٣- ردَّهُ لمكانه:

يقولون: (رَدَّهُ لمكانه) فيعدون الفعل (رَدّ) بحرف الجر (اللام)، وهذا خطأ والصواب (رَدّه إلى مكانه)، جاء في الآية (٧٠) من سورة النحل: ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذَلِ العُمُرِ﴾، وفي الآية (٥٩) من سورة النساء: ﴿فإنْ تنازعتُم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ﴾.

٣٤- أرسل له:

يقولون: (أرسل له خطابًا)، وهذا خطأ والصواب (أرسل إليه خطابًا)، فقد ورد في الآية (٧٠) من سورة المائدة: ﴿وأرسلنا إليهم رُسُلاً﴾.

٣٥- رزقه الله بالعلم:

يقولون: (رزقه الله بالعلم) فيعدون الفعل (رزق) بحرف الجر (الباء)، وهذا خطأ والصواب (رزقه العلم)، فقد ورد في الآية (٤٧) من سورة يس: ﴿أنفقوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ دون أن يُعدى الفعل (رزق) بحرف الجر (الباء)، أي إنه يتعدى بنفسه تعديًا مباشرًا.

لازالت الأخطاء اللغوية تشين جمال اللغة العربية وتذهب برونقها

٣٦- أركن إليه:

يقولون: (أركن إلى حياة اللهو) وكأنهم يقيسون الفعل (أركن) على الفعل (أخلد)، وهذا خطأ والصواب (ركن إلى حياة اللهو)، فنقول ركن إليه ركونًا، أي مال إليه ميولاً، وقد ورد في الآية (١١٣) من سورة هود: ﴿ولاَ تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

هذه طائفة من الأخطاء والهفوات اللغوية، منها ما لا يبرز عوارُه للعيان عند الكلام، ومنها ما لا يبرز عواره إلا في النطق، ذلك أن من عثرات اللسان وكبوات اليراع ما يظهر في الكتابة جليًا، ما دمنا لا نعنّي أنفسنا بضبط الكلمات بالحركات إلا في النزر اليسير مما يجعل الكاتب في مأمن من التردي في المزالق اللغوية كهاته، على حين لا يسلم المتكلم من مغبة التردي فيها، ذلك أن مثل هذه الكلمات لايُكشَف القناع عن عُوارها إلا في النطق، أما شكلها الكتابي فقد يحتمل أكثر من وجه أو معنى، مما يجعل الكاتب في مأمن من سهام الانتقاد والمتابعة.

ولعل ما أوجه إليه نظر القارئ في ختام هذه الدراسة أن مانبهت عليه من الأخطاء والمزالق اللغوية، مأخوذ مما لاكته ألسنة بعض الكتاب والأدباء، وإن كنت في طليعة من يسهو ويزل، لأن العصمة لله وأنبيائه، (وليس الفاضل من لايغلط بل الفاضل من يُعَدُّ غَلَطُه) كما يقول ابن الأثير.

الهوامش:

١- انظر مقال (عثرات الأقلام والألسنة) للأستاذ محمد المنتصر الريسوني، مجلة (دعوة الحق) المغربية، العدد (٢٦٢)، السنة ١٩٨٧م، ص ١٠٧.

٢- السماع في اللغة خلاف القياس، وهو ما نسمعه عن العرب ونستعمله دون أن نقيس عليه.

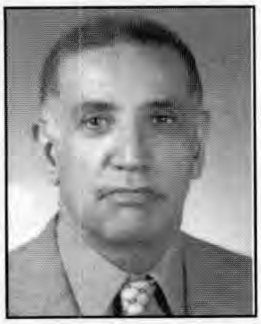
٣- باب الإلحاق مبحث من المباحث الصرفية، يدرس بعض الأفعال الثلاثية التي أُلحقت بالرباعي المجرد، وهذا الباب كله يجري مجرى السماع، ولا قياس فيه على وجه الإطلاق.

٤- انظر (تذكرة الكتاب) لمؤلفه أسعد داغر، ص ١٦.

٥- محمد المنتصر الريسوني، مرجع سابق، ص١٠٨.

(*) نظراً لطول المقال اضطررنا إلى الاستغناء عن الكثير من تلك الشواهد، وبخاصة الشعرية، رغم قيمتها ودلالاتها اللغوية في مواضع الاستشهاد.

مجامع اللغة العربية ودورها المنشود (*)



د. إبراهيم السامرائي

إنها «مجامع» عدّة للعربية ، وقد كان أجدى لنا وللعربية أن نقتصر على «مجمع» واحد يشارك فيه أولو العلم في هذه الديار. وقد يكون هذا بعض «ميثاقنا» الذي أريد لنا أن نجتمع عليه في «جامعة الدول العربية». لم يكن لنا هذا، ولأراني أُلمح إلى قول شاعر قديم:

عُرْبٌ رأيتُ أصَحَّ ميثاقٍ لهم ... ألاّ يصحَّ لديهِمُ ميثاقُ

ولكني أقول: أفما كان لنا أن نتلو قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولاتفرَّقوا﴾ (آل عمران:١٠٣).

وأعود إلى ماأنا فيه من أمر «المجامع» لأثبت أن أقدم هذه المحافل هو «مجمع اللغة العربية» في دمشق الذي أُسس في بداية الحكم العربي بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية. وقد كان في أول نشأته «المجمع العلمي العربي» الذي اضطلع بأمره نخبة من أولي الفضل من علماء بلاد الشام، وكان هدفهم بعث العربية وإشاعة صوتها الذي أوشك أن يضيع في رطانة «التتريك» في عصور الهيمنة العثمانية. لقد عمد هؤلاء إلى إحياء تراث العربية في تحقيق المخطوطات التي رأوا فيها مايعينهم في مسعاهم. كما التفتوا إلى العلوم الحديثة فصمموا على أن تكون في العربية بين أيدي الدارسين. ومن هنا كان لهم مشاركة أساسية في توفير المصطلح العلمي، فصنّفوا الكتب العلمية، فكانت العربية لغة العلم في المدارس والمعاهد والجامعات.

ثم جاء المصريون بعد سنين فأسسوا «مجمع اللغة العربية» ليكون أول «أكاديمية» لهذه اللغة، استهدفوا فيها أن تشمل العلوم كافة بعيدًا عما كان يحزب الشاميين من الإحساس بـ «عروبية» مخلصة غير متأثرة بالنزعات السياسية القوميّة.

لقد كان لهذا المجمع مجلته المعروفة، ينشر فيها أعضاء المجمع مباحثهم، فكان أول اهتمامهم بالمصطلح العلمي، فأنجزوا فيه ما أنجزوا، ومازالوا ينشرون المعجمات اللغوية القديمة، والمعجمات الحديثة التي صرفوها لعلومنا في هذا العصر. وقد رأوا أن أفضل الطرق أن يعمدوا إلى أسلوب يجمع بين «التعريب» و «التوليد».

إن «التعريب» كان مسعى القدماء في توليد الجديد، وهو أن يعمدوا إلى الكلمة الأعجمية فيأخذوها إن وافقت بناءً من الأبنية العربية، وإن لم يتيسّر هذا عمدوا إلى تغييرها قليلاً لتأتي موافقة لأبنية العربية. ونظروا في أصوات الكلمة الأعجمية فإن وجدوها موافقة لأصوات العربية أخذوها، وإن لم يكن ذاك ذهبوا إلى أقرب مافي العربية من أصوات ليستبدلوها بالأصوات الأعجمية. كان هذا دأب الأقدمين كما أفادت مصادرنا اللغوية(١).

وإن «التوليد» ماكان من اختيار المصطلح في كلم العربية مما يؤدي المعنى المراد في المصطلح الأعجمي.

وقد توزّع أعضاء المجمع لجانًا مختصة لمواصلة الدرس في المصطلح، إلى جانب لجنة الأبنية والأصول التي كان من مهمتها النظر في «الأساليب الجديدة» وطرائق القول ليثبتوا ماتتسع له العربية. إنهم كانوا مشغولين بالجديد ليروا إن كانت لهم فسحة في سعة العربية لقبول هذه الروافد الجديدة.

قلت: إن «المجمع» نحو مما هو «أكاديمية علمية»، وهم من أجل ذلك وجدوا أن الحاجة تدعوهم إلى منح «العضوية المجمعية» للأعلام من غير المصريين عربًا وأعاجم.

ثم آتي إلى «المجمع العلمي العراقي» فأقول: إنه خلف «لجنة الترجمة والنشر» التي كانت قبل سنة ١٩٤٠م . وقد ضمّت هذه اللجنة كما ضمّ «المجمع» بعدها طائفة من أهل العربية وأهل العلوم الأخرى. لقد كان أمر اختيار الأعضاء خاضعًا للمعايير العلمية إبان العهد الملكي. ثم بدا لأهل الرأي أن يتعدوا عن هذا، فيتم اختيار الأعضاء ممن يرون فيهم غير هذا

إلى نحو من التعيين.

شُغِلَ أعضاء هذا المجمع بمسألة المصطلحات العلمية، وكان من بينهم نفر من أهل الجدِّ أنجزوا صنعة معجمية في علوم الهندسة والطب.

وجاء بعد هذا «المجمع» إخواننا في المملكة الأردنية فأسسوا «مجمع اللغة العربية الأردني» وشغل أكثر ماشغل بمسألة المصطلح العلمي. وقد ذهبوا إلى تأليف لجان مختصة اضطلعت بتعريب الكتب العلمية الجامعية. وكان لهم في هذا مجموعة من الكتب الحسنة المتقنة ترتيباً وطباعة. غير أن أساتيذ الجامعات في الأردن تولوّا عنها ولم يأخذوا بها، وكأنهم صاروا مؤمنين بأن ليس في طاقة العربية أن تكون لغة للعلم الحديث.

ولاأدري لمَ لم يأخذ هؤلاء الأساتيذ أسوة بالذي صنعه اليهود بعد أن أقاموا دولة لهم في أرضنا المحتلة. لقد اتخذوا العبرانية لغة العلم على ضعفها وقلة موادِّها. فاستعانوا بما استعاروه من اللغات الغربية والشرقية، وصاروا خلال سنوات يحرِّرون العلم الجديد بهذه العبرانية التي أضافوا إليها القدر الكبير من الكلم الجديد.

وليت أساتيذنا في الجامعات العربية من أهل العلوم قد أفادوا من تجارب الآخرين فعرفوا أن اللغة العلمية في «الكوريّتين» الجنوبية والشمالية هي اللغة الكورية.

وآخر هذه «المجامع العلمية» هي «الأكاديمية الملكية المغربية» التي لم يُفق كثير من أصحابها مما ابتلوا به من عقدة «الفرنسية» أو مايسمُّونه «الفرانكوفونية»(٢).

إن ماشُغل به أصحاب هذه المجامع يوشك أن يكون واحداً وهو توفير المصطلح العلمي الحديث، ثم نشر المعجمات الموجزة. ومما يدعو إلى الأسف ضياع جهود صادقة في إنجاز شيء واحد لم يكن قد انتهى إلى النتائج المرجوّة. لقد تفرَّق القوم فكثرت مصطلحاتهم واختلفوا فيها، وربما كان كل نفر متعصباً لما أنجزه. لم يفيدوا مما أنجزه الغربيون الذين اقتربوا في هذه الحقول، فأنت تجد المصطلح العلمي لدى الأمريكي والإنجليزي واحداً، وأعظم من هذا أنك تجد هذا المصطلح هو نفسه لدى الألمان والفرنسيين وسواهم من الأوربيين.

وأعود إلى مشكلتنا، نحن العرب، الذين مازلنا نتصور أننا نملك عربيتنا ولانشعر أننا نجهل من أمرها الكثير، وأن الذي نعرب به من لغتنا ليس إلا نحواً من عربية جديدة معاصرة ضيقة بالقياس إلى ماعندنا من ثروة عربية قديمة، وإن حفلت هذه الجديدة المعاصرة بأمشاج من كلم أعجمي لم نستطع تعريبه. ولعلنا نميل إلى أن نأخذه بعجمته لنَزهى بأننا نعرف الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.

ولي أن أذهب إلى أن «الدور المنشود» للمجامع اللغوية لم يؤت ثماره، ذلك أن أعضاء المجامع لم يدركوا حجم هذه المشكلة. لقد فات أهل التربية المعنيين بمسألة التعلّم أن التخلّف في المستوى العلمي لدى المتعلّمين العرب عائد إلى أنهم لم يستوعبوا العلم في لغتهم العربية، ذلك أن الأساتيذ العرب قد حكموا على نقصها، وأنهم يأخذون العلم الحديث بالإنجليزية. وفاتهم أن المتعلّم العربي مهما كان مستواه في الإنجليزية لابد أن يفوته شيء من العلم وهو يتناوله بهذه اللغة. ولاأريد أن أفضح سراً فأقول: إن جلّ هؤلاء الأساتيذ العرب المتعصبين للإنجليزية يدرجون في «رطانة» ليست إنجليزية، ولكنهم ماضون في غيِّهم.

وقد أدمتُ النظر في عربيتنا التي نعرب بها في عصرنا، وأطلت نظري ودرسي فبدا لي أن لهذه العربية هيكلاً جديداً أقيم من موادّ جديدة طرحت عنها ماكان لها في تاريخ عربيتنا. وأننا لو أقمنا نحواً من موازنة بين مالنا الآن، وبين ماكان لنا من لغتنا لرجحت كفة ماكان لنا وشالت الكفة الأخرى. هذا من حيث الكم، وأعود إلى الذي بقي لنا فأجده أمشاجاً من لفظ جديد استعار من الألسن الدارجة طريقة الأداء، وجديد آخر أخذ غير معناه وشاع حتى هجر الأصل.

صار «الخطأ» من خصائص عربيتنا، وهو كثير وضبطه لايحل المشكلة

ثم إننا فيما لنا من عربية معاصرة لانحفل بالموروث من العربية نحواً وصرفاً ودلالات. ولابد أن أشرح ماقلت فأقول: إن الجملة العربية الفصيحة كما هي في لغة التنزيل والحديث الشريف ومثلها لغة الترسل في الخطابة وغيرها، جملة فعلية تبدأ في الأغلب الأعم بالفعل، ولكننا اليوم نأتي بالاسم يتبعه الفعل، وهذا هو الذي يسود الجمل التي نرسلها دون ضرورة أسلوبية ملزمة لتقديم الاسم. لم يكن لنا هذا إلا من تأثرنا باللغات الأعجمية التي تجد الطريق لسيرورتها إلى لغتنا، ولجهلنا نحن بأسرار لغتنا. وليس شيئاً عندنا أن نبدأ الكلام بالاسم أو أن نبدأه بفعل، فحديث «التجدد والحدوث» حين نبدأ بالفعل أمر لانعرفه، كما أن حديث «الثبوت» أمر لاندري عنه شيئاً.

لم يتوقف العربي المسلم وهو يتلو سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿إيّاك نعبد وإياك نستعين﴾ وهو يحسب أن قوله تعالى هذا مثل القول: «نعبدك ونستعينك». وهو لايدرك أن التقديم لما حقّه أن يؤخَّر مراد به الحصر، والحصر هنا مطلوب مقصود. وهذا هو«باب النظم» الذي أفاض القول فيه الإمام عبدالقاهر الجرجاني في كتابه «دلائل الإعجاز»، وأفاد أن من أسرار لغة التنزيل العزيز هذا الذي دعاه «النظم»، وهو إحسان وضع الكلمة في موضعها، وهي غيرها وغير ماتنصرف إليه في موضع آخر.

وقد تعجب من جهل معاصرينا الذين

مجامع اللغة العربية ودورها المنشود

أخذوا بكل مـايذهب إليه الغربيـون، وكان من هذا أنهم ربطوا بين باب النظم لدى الجرجاني، وماذهب إليـه ن. تشومسكي العـالم الأمريكي الذي قال في درسه النحوي بقدرة المتكلم على الإتيان بالقـدر الكبير من الجـمل فيما يكتبه أو يقوله وكله يؤدّي غـرضًا واحدًا. ولتصـديقهم لكلّ مـايقـوله الغـربيـون وإيمانهم به تحـوّل الجـرجـاني لقـوله في «باب النـظم» إلى عَلَم شهـير، وصاروا يكيلون لـه المدح ويكثرون في إطرائه لحسـبـانهـم أن مـاورد من كـلامـه في «النظم» يشبه قول الخواجا تشومسكي.

إني مؤمـن كل الإيمان أن قول تشومـسكي لايتـصل من قـريب أو بعـيد بما ورد في «باب النظم» لدى الجرجاني، ولو أن العالم الأمريكي قد وصل إليه اجتهاد أصـحابنا الذين أعجبوا بما قاله هو ومـاقاله من سبـقه وعلى رأسـهم العالم السـويسري ف. دوسويـسر في كتـابه «دروس في علم اللـغـة العـام» لكان لـه أن ينكر ذهاب أصـحابنا العـرب الذين نقلوا إلينا كل صـيحـة جـديدة لّما يستقـرّ أثرها في الغـرب في أروقـة الدرس، بل يسـتنكر تبعيَّـتـهم التي لاتعضـدها عقلانية علمية.

وأعود إلى عربيتنا التي شـاهت فيها الصيغ والدلالات فأسمع كثيرًا من يتحدث أو يكتب فيقدم الضمير، وهو كناية لدى الأقدمين، يتبعه الفعل، ثم يظهر الاسم الظاهر فيقال مثلاً: «في حديثه إلى النوّاب أعلن جلالة الملك...»

أقـول: كان يقـال في مطلع هذا القـرن إن هذه «لغة صحف وجرائد»، أو هم يريدون أنها موطن للخـطأ والتجاوز. غـير أن مـاكنّا ندعوه خطأ قد كـثر وشاع حـتى صار من خـصائص هذه العربيـة. وقد بدأت حركة التصـحيح منذ القرن الرابع الهـجري فكان لنا مثلاً «تصـحيح الفصيح» و «الفصيـح» هو كتاب أبي العبـاس أحمد بن يحيى المعروف بـ «ثعلب».

وبقي أهل العلم يصنفون في «التـصحيح»، فكان لنا مثلاً «درّة الغـوّاص» للحريري الكتاب الذي علّق عليـه كـثـيـرون، آخـرهم الإمـام الآلوسي في «كـشف الـطرّة»، ثـم جـاء المعاصـرون وحسبوا أن مـسألة ضبط الصـحيح والإعـلان عن الخـطأ أمـر سـهل، وهـو على «طَرَف الثُّمام» كـما يقال، فـأكثـروا من كتب التـصحـيح، وربما أسرعوا إلـى الذهاب بخطأ طرائق في التـعبـير ليسـت من الخطأ، فكان لنا معجمات مـن مثل معجـم الأخطاء الشائعة ومعجم الخطأ والصواب وغيرها.

ولم يكـن أهل هذا العلـم الجـديـد من أهل التحقيق ولم يكونوا من الحفّاظ، ولكنهم مضوا في سبيلهم الذي ظنوه ممهّدًا.

ولي أن أذكر نكتة تحضرني في هذا، وذلك أن وزارة المعـارف في العـراق قبـل ثلاثين سنة طلبت إلى نفـر من أهل الدرس تصنيف كـتاب في البلاغـة يكون بين أيدي المتـعـلمين. وقـد صنّف الكتـاب وأحيل إلى عالم جليل فوجـد المؤلفين قـد ذكـروا في «مقـدمـتهـم»: «ليتـدبَّر الطالب موضوعات الكتاب...»، ولم يكن من «العـالـم الجليل» إلا أن خطّ خطًا تحت الـفعل «ليتَدَبَّر» وزعم أن قول المصنفين هذا من الخطأ، وحجـته أن «التـدبّر» يفيـد «النظر في الأدبار»، ولما فـوجيء العالم الجليل بما ورد من كـلام الله سبـحـانه وتعـالـى: ﴿أفـلا يتـدَبرون القـرآن﴾ (النسـاء ٨٢، مـحـمـد ٢٤) بُهت وأُرْتجَ عليـه وقال لهم: احفظوها عليّ.

أقـول: إذا كان هذا قـد عرض لعـالم جليل فكيف نقول في الذين هُرعوا إلى التصحيح في عصرنا وهم كثيرون؟

أعود فأقول: إن «الخطأ» صار من خصائص عـربيتنـا، وهو كثـيـر، وضبطه والتـثـريب على قائليه لايحل المشكلة. وأخلص من هذا إلى أن لنا عـربية معـاصرة دخل إليـها الخطأ عـن جهل بالثـوابت من الأصـول، كـمـا دخل إليـهـا من العـاميات، وأصبح المجمـوع مع مايستعـار من اللغات الغربية من ملاك عربية جديدة.

إن أولي العلم من «مجـمعيين» وغـيرهم لم يدركـــوا هذا الواقع الذي نـحـيــاه، بـل إنهم ماضون في شيء من حـماسة عارمة ذهبوا فـيها إلى أن العربية بدع بين اللغـات، فهي اللغة الحيّة الوحيـدة البـاقـية على حين صارت جـمـهـرة اللغات في الغـرب والشرق غـير ماكـانت عليه بالأمس. ولم يدركوا أن شيئًا نظير ماعرض لغير العربية قد حصل في عربيتنا.

لو أنهم وَعَوْا من أمر هـذه العربية المعـاصرة وماطرأ عليها لكان لهم أن يقـوموا مع أصحاب التـربية بعـمل تربوي من شأنه أن يقـدّم العربية ومـاآلت إليه إلى المـتعلمين بأسلوب يفيـد مما تم إنجازه في العـلم، فيكون بذلك زاد جـديد يقدّم إلى المتعلمين ليـدفعوا عـنهم ماوقر في نفـوسهم من عسر العربية.

مازال المتعلم يُعطى مادة قديمة ذهب الكثير منهـا، وقـد يكون من هذا الـكثـيـر مما لم يكن عربيـة أهل اللسن والفصاحـة، بل كان مما ولّده النحويون سعيًا وراء أن يأتوا بما هو غريب لانجد له مكانًا في لغة التنزيل أو لغـة الحديث الشريف أو في ترسّل أهل اللـسن والفـصـاحـة. ألا ترى مثـلاً أنهم أتوا بشواهدهم اليـتيمـة وتأوّلوا فـيـها بحـسب مادفعـتـهم إليه حـاجـتـهم، ومن ذلك ماقالوه في قول العباس بن مرداس:

أبا خراشةَ أما أنت ذا نَفَر
فإن قوميَ لم تأكلْهُمُ الضَّبُعُ



تشومسكي

لقد أتوا بالعجيب فزعموا أن «أمّا» هي «أنْ» والفعل «كان» وقد حُذفَ الفعل «كان» وبقي الضمير المتصل وهو التاء فحوِّل إلى «أنت» ضميرًا منفصلاً واستبدل بـ «كان» «ما» وأدغمت هذه بالنون من «أن» فكان من ذلك كله «أمّا».

ولم يذهب أهل اللغة إلى ماذهب إليه النحاة، وهو أن «أمّا» عندهم بعيدة عن هذه الألاعيب النحوية.

أقول: مازال أهل النحو في عصرنا لايحيدون قيد شعرة عن هذا السبيل المضني، فويل للمتعلّم الذي لايطيق السير في هذا النهج، وليس له أن يدركه.

ومثل هذا كثير مما ليس له وجود في عربيتنا المعاصرة، ألا ترى مثلاً أن أدوات النفي في عربية عصرنا لاتذهب بعيدًا عن «ما» و «لا» و «لم» و «لن» وليس فيها «لمّا» ولا «لام الأمر» ولا «إنْ» النافية. إن هذا كله كان ينبغي أن يفيد منه «المجمعيون» وأهل العربية من النحاة المعاصرين فيقدموا نحوًا جديدًا مستوفىً من العربية المعاصرة.

ثم إن النحو القديم بعيد عن النحو في لغة التنزيل ولغة الحديث الشريف لما فيه من الشوارد والنوادر التي لم تصحّ لها رواية وسند. غير أن النحويّ القديم عزف عن سماحة العربية في لغة التنزيل العزيز وذهب إلى رجز وغيره قيل إنه مصنوع(٣).

ثم آتي إلى مافي العربية من جديد في الدلالة الذي لايمكن أن يُعالَجَ بأنه تجاوُز وخطأ، وسآتي على شيء من هذا على سبيل المثال في «موجزي» هذا فأقول: إن الجديد في دلالة الكلم يفرض علينا أن نبدأ تصنيف ماندعوه بـ «معجم العربية المعاصرة» دون أن نبقى ملتزمين بما هو خطأ وصواب، ذلك أن مادرجنا على عدّه خطأ منذ أكثر من نصف قرن صار من مواد هذه «العربية المعاصرة». وليست هذه العربية مقصورة على الصحف وماكنا ننبزها بـ «لغة الجرائد»، فقد تجاوزت هذا الحدّ، ذلك أنك تجد هذا الجديد الذي ابتعد قليلاً أو كثيرًا في دلالته أو أبنيته أو في اتّساع المعربين مجازًا واستعارة، قد دخل أساليب المعربين في درجهم وفي أدبهم. وليس غريبًا أن تسمع شيئًا من هذا الجديد في الخطبة الدينية، وفي لغة الوعظ والإرشاد والدعوة.

كنا نقول في قول المعربين: «أكدَّ على الشيء» من الخطأ، وقد كان هذا في مطلع هذا القرن، والآن وقد أوشك هذا القرن أن يختم نهايته، وقولنا هذا المشار إليه مازال مسموعًا معروفًا. إن هذا يعني أن شيئًا من ملاك العربية قد تغيّر، وأن الفعل «أكّد» صار قاصرًا بعد أن كان مجاوزًا متعدّيًا. إن ماعرض لهذا الفعل من التحول في هذه العربية المعاصرة قد تأتى من أن المعربين قد تأثروا بنظائر هذا الفعل في اللغات الغربية مما يصل إلى مدخوله بالحرف «على».

ولنا الكثير من الأفعال التي تحوّلت في العربية المعاصرة بهذا التأثير الأجنبي من التعدّي إلى اللزوم. على أننا قد نجد العكس أيضًا بسبب هذا التأثير المشار إليه، فرحنا نعدّي الفعل «عاش» وهو قاصر ونقول: «عشنا التجارب القاسية»، كما عدّينا الفعل «لعب» وقلنا: «لعب الرجل دورًا بارزًا»(٤).

إن هذا وكثير غيره قد وجد السبيل إلى عربيتنا بسبب التأثُّر باللغات الغربية. وقد تجاوزنا هذا الحد فجدّ في لغتنا مجازات لانعرفها في بلاغتنا المعروفة، فأنت قد تدهش إذا قيل لك إن من يقول: «ذرّ الرماد في العيون» قد استعار قوله هذا من غير العربية ودسَّه في ملاك العربية. ومثل هذا قول من يقول: «إنه يذرف دموع التماسيح».

الأساتيذ العرب المتعصبون للإنجليزية يدرجون في «رطانة» ليست إنجليزية

ولو أني قصدت السعة لأثبتُّ هنا معجمًا صغيرًا يشتمل على هذه الأساليب الدخيلة في عربيتنا. أقول: وقد ولّدنا أفعالاً جديدة اقتضتنا إليها الحاجة فقلنا: «بَرْمَج» من «البرنامَج»، والبرنامَج دخيل معرّب وأصله في الفارسية «برنامه»، مثله مثل: نموذج وساذَج ومالَج ولَوْزينَجْ وفالَج وغير هذا. وقلنا: أكْسَدَ من أوكسيد، وهو معروف لدى أهل العلم. وقلنا: أسْتَذَ وتأسْتَذَ، كما قلنا أقلَمَ وتأقلَم وغير هذا كثير، والأصول أسماء عُرِّبت، وهي أستاذ من «أوسته» و «إقليم» من «Climat».

إن جملة هذا وغيره الكثير الكثير يدفعنا إلى أن نبدأ تصنيف «معجم العربية المعاصرة» الذي أشرتُ إليه.

الهوامش:

(*) من المفيد، وأنا أتحدث عن «العربية» أن أقف وقفة قصيرة على هذا العنوان فأقول: إن كلمة «مجمع» بناء من أبنية العربية ينصرف إلى ماهو مجموع من الناس ومثله من الأشياء. لقد استعمل المتقدمون «المجمع» في أسماء مصنفاتهم فكان من ذلك «مجمع الآداب في معجم الألقاب» و «مجمع البيان» وغير هذا كثير، كما قالوا: «مجمع الرجال» أو «مجمع الأعلام». وأما «المجمع» وهو أحد «المجامع اللغوية» فكأن الذين اهتدوا إليه أرادوا به مايقابل Academie لدى الغربيين، إن هذا المسعى نتبيّنه في كثير من الكلم والمصطلح الجديد الذي نرصده في اللغات الغربية، ذلك أن كلمة «دَور» في استعمالنا هذا لم نَرَها في أساليب المعربين المتقدمين، ولكننا عرفناها في اللغات الأجنبية في لغة المسرح ومايلحق به فرأينا غيرنا يقول: لعب دوراً، ونحو هذا، فوقفنا على هذا القول وانتقلنا بهذا المصدر للفعل «دارَ» إلى شيء آخر من الدلالة الجديدة لم تكن لنا.

(١) انظر أول كتاب «المعرّب» لابن الجواليقي.

(٢) ولن أنسى «المجمع العلمي الهندي» الذي انبرى أصحابه إلى الدفاع عن العربية لغة التراث العربي الإسلامي فكانت لهم مجلة مفيدة ومنشورات ذات قيمة عالية. وكذلك ما ورد من أنباء عن إنشاء «مجمع اللغة العربية» في السودان، و«مجمع اللغة العربية» في الجماهيرية الليبية. وإن كنا لا نعرف شيئًا عن جهودهما بعد.

(٣) وقد يكون من العجب أن لم يفطن مصنفّو الكتب المدرسية في مادة النحو للأصوات العربية ليقوّموا من نطق التلامذة والطلاب الذين تقدّموا إلى الدرس بعاداتهم في إخراج الأصوات على مادرجوا عليه في الألسن الدارجة. ولم يفطنوا إلى أن أوائل أهل اللغة والنحو كالخليل وسيبويه قد عنوا بالأصوات عناية فائقة ودوّنوه فيما أثر عنهم.

(٤) وقد يكون التحوّل من صيغة ماهو مبني للمجهول إلى ماهو مبني للمعلوم، ومن هذا الفعل «استهتر» الذي عرفناه مبنيا للمجهول أو مما جاء على هذه الصيغة، وهو فعل مبني للمعلوم في عربيتنا المعاصرة، فهل نقول: إننا مخطئون؟!.

مظاهر ضعف الطلاب في اللغة العربية

د. محمود عمار

يولد الطفل وهو مزود بنعم كثيرة ـ كالسمع، والبصر، والحس، والعقل ـ ماتلبث أن تنمو لتشكل له رأس مال يكون به قادرًا على العيش، ومواصلة النماء، وتلبية حاجات الحياة. ولانستطيع أن نقدر هذه النعم حق قدرها إلا عند خللها أو فقدها.

ومضت سُنَّة الله في خلقه استكمالاً لهذه النعم الفطرية بما أودع في الإنسان من طاقات هائلة، تؤهله للرقي والارتقاء، وتعده للإنتاج والإبداع، وتساعده على التكيف والعطاء، وتشكل له رأس مال مكتسب، لايستغني عنه في حياته الفردية والاجتماعية، وأبرز مايتمثل ذلك في اكتساب اللغة.

من هنا وجب الاهتمام بتعليم اللغة، على مستوى الفرد، والمجتمع أيضًا. وتنهض عناصر التربية، ومؤسسات التعليم بهذا المطلب الحيوي الجوهري بحيث يتحقق الإتقان للغة في صورتيها:

١ـ الرمزية الصوتية وتشمل: الكلام، والاستماع.

٢ـ الرمزية الخطية وتشمل: القراءة، والكتابة.

والضعف أو القصور في أحد هذين الجانبين أو في المهارات المساعدة المتصلة بهما قصور في الاتصال الاجتماعي، وتعطيل لوظيفة اللغة، ونقص يعتري الأفراد، وخطر يهدد الأمة، وحيف يلحق تاريخها، ويشوه شخصيتها، ويساومها على ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

وأصبح الضعف اللغوي ظاهرة العصر، وقصّر الأداء اللفظي والكتابي عن استكمال مظاهر الصحة بين كثير من أبناء المدارس والجامعات. وامتد الضعف إلى وجوه الأداء اللغوي الأولية، والمهارات المساعدة، وأخلت بالمعنى في بعض الأحيان، وبمظهر الكتابة، بوصفها وسيلة للاتصال والتعبير. ونقل الطلاب ضعفهم من التعليم العام إلى الجامعات، التي خرّجت فئات من المعلمين غير المؤهلين لسد العجز وتلافي النقص، في دائرة مغلقة لايُعرف مبتدؤها ولامنتهاها لتحديد نقطة الضعف.

ومايغص به إنشاء الطلاب وكتاباتهم في المرحلة المتوسطة والثانوية من أخطاء، تلطخ ثوب العربية يندّ عن الحصر، ويجلّ عن التعداد.

وقد أصبح الخطأ في اللغة همًّا يؤرق جفون المهتمين والمعلمين وأولياء الأمور، وأساتذة الجامعات، والغُيُر من أبناء الأمة، وضجت الشكوى من هذا الضعف في كثير من البلدان العربية، وتنادت الصحف، والندوات، والمؤتمرات، والمجامع بأن هذا الضعف أصبح بدرجة يهدد اللغة العربية واقعًا ومستقبلاً، يُخشى منه على الأمة، وشخصيتها، وعقيدتها، وكيانها، وصلتها بتراثها وجذورها.

وإذا كان البناء المعرفي لهذه اللغة من المرونة والاتساع بحيث يعطي مزيداً من التفسير والاحتمال لكل ظاهرة لغوية ـ تقريبًا ـ حتى قيل: "النحوي لا يُغلب"، وكان الأساس النظري للغة قد احتمل فيما احتمل تعدد اللهجات واختلاف القبائل، ونقل القاصي والداني من الألفاظ والروايات التي تتعدد فيها الوجوه؛ فليس الغرض من قضية الصواب والخطأ في اللغة أن نقع على الاختيار الثاني أو الثالث من العربية أو أن نجد وجها فرعيًا للمسألة، أو أن نلتمس تعليلاً ـ ولو واهيًا ـ لجواز هذا أو ذاك. فكل ذلك أمر ممكن، ولكن الغرض أن نحتكم إلى الأفصح والأقوى والأشيع والأصح الذي استقرت عليه النصوص، وجرت به الألسنة، وأثبته الاستعمال اللغوي الممتد، وجاء في النصوص الشرعية فذلك

مخالفته مخالفة، وموافقته هي الصواب الذي لاينبغي أن نحيد عنه. وسيضمن لنا هذا الاتجاه وحدة اللغة، ووحدة التعبير، ووحدة الأمة، ويجنبنا أن نخوض في فوضى لاحدود لها.

وإذا استخرجنا (نظرية) الخطأ، وأصبحنا قادرين على أن نقدم لجمهور الطلبة والكتبة تفسيرًا يهيىء لهم (وعيًا نظريًا مقنعًا) على حالهم مع اللغة، فإننا نستطيع أن نأخذ بأيديهم إلى تدارك أخطائهم في اللغة عن بينة. ويساعدنا على ذلك حقيقتان مهمتان:

ـ أن كلَّ تَعَلُّم محدودٌ بزمان وغاية إلا تعلم اللغة، فإنه يبدأ قبل المدرسة، ولاينتهي أبدًا، ويستخدم في تحصيل كل العلوم.

ـ أن مفاهيم المدرسة وعلومها كثيرًا مايصيبها النسيان ـ كما حدث لكثير من العلوم والنظريات التي تعلمناها في مراحل التعليم ـ إلا اللغة فإنها تزداد بالزمن والاستعمال تطورًا وغنى وثراء.

أخطاء الطلاب

وسأعرض فيما يأتي بعض الأخطاء التي يقع فيها الطلاب مشيرًا إلى الظاهرة مقتصرًا في الشواهد أحيانًا على التوضيح تجنبًا للإطالة.

١ـ الأخطاء النحوية:

ـ ترجيح الياء في إعراب جمع المذكر السالم المرفوع.

ـ الاضطراب بين الألف والياء في إعراب المثنى على خلاف مقتضى الإعراب.

ـ عدم الدقة في تطبيق أحكام الأفعال الناسخة والحروف المشبهة بالفعل (الناسخة) ولاسيما إذا تأخر المبتدأ، كقولهم: كان في الامتحان سؤالًا ليس من المقرر.

ـ اللبس في إعراب الأفعال الخمسة بين حالات الإعراب، فيثبتون النون في حالتي النصب والجزم.

ـ التردد في الأسماء الخمسة بين الألف والياء في حالتي النصب والجر.

ـ استعمال لغة "أكلوني البراغيث" في الكتابة والحديث كثيرًا.

ـ عدم حذف العلة من المضارع المجزوم معتل الآخر.

ـ نصب المضاف إليه الذي يأتي بعد المصدر إذا كان من إضافة المصدر لمفعوله، مثل: إعطاء قدرًا كبيرًا من الأمثلة.

ـ عدم إعمال حروف الجر في بعض الأحيان، ونصب كل وبعض إذا جاءت بعدها، مثل: على كلاً، وأشرت إلى بعضًا من هذه الحالات.

ـ جر النعت إذا كان المنعوت منصوبًا بالكسرة، مثل: شاهدت سيارات كثيرةٍ في الشوارع.

هذه الحالات وغيرها من الأخطاء النحوية تدل على أنها تحتاج منا فرط عناية وتركيز، بحيث توليها المناهج ويمنحها المعلمون اهتمامًا خاصًا من الممارسة والوعي يتجاوز حفظ القاعدة واستظهار الأمثلة، حتى يضفي تجديدًا على طرائق تدريس النحو وهي في أَمَسِّ الحاجة إلى بعث هذه الروح فيها.

٢ـ الأخطاء اللغوية:

ـ إدخال همزة التعدية على الأفعال الثلاثية المتعدية بنفسها، ثم بناء الصيغ من الرباعي. ومن ذلك: هذا أمر مهول مشين ملفت للنظر، والصواب: هائل شائن لافت للنظر.

ـ إدخال (أل) على مايلازم الإضافة، وحيث لاتفيد التعريف، مثل: الكل يتمتع بالإجازة، والبعض يريد السفر، وسألت عن المسألة الغير مفهومة.

ـ مجيء الجمع على غير القاعدة لشُبهة تعتري الاسم المفرد، مثل: مدراء، فضلاء، بلهاء، تعساء، أحفاد، محلات، تهاني، تعازي، مساوئ. وصوابها: مديرون، أفاضل، بُله، تعسون، حفدة، محالّ، تهنئات، تعزيات، مساوي.

ـ استعمال حروف الجر في غير موضعها.

ـ عدم الدقة في توظيف الدلالة اللغوية.

ـ مخالفة قواعد النسب في النسب إلى الجمع في مثل دُوَلي ومَهَني، وتجاهل الأصل في: اختبار شفوي، وشكل بيضاوي، وزيادة واو في آخر الاسم الصحيح بعد حذف تاء التأنيث في مثل: وحدوي وهجروي، والتأثر بالعامية في زيادة الجيم والياء في مثل مصلحجي، ومشكلجي، أو بزيادة النون والجيم والياء في مثل: فهمنجي، وكلمنجي، وفي كل ذلك خروج عن قواعد النسب. ويلحق بذلك تصغير بيضة على بويضة.

والصحيح فيما سبق على التوالي: دَوْلي ومِهْني (بتسكين العين)، وشفهي (من الشفه)، وبيضي (من بيضة)، ووَحْديّ وهجريّ، ومصلحي، ومشكلي، وفهمي، وكلمي، وبييضة.

ـ إثبات ياء المنقوص مع الرفع أو الجر وهو ليس مقترنًا بأل أو بالإضافة، فيشيع على ألسنتهم وفي إجاباتهم: ذهب: فعل ماضي، وحصلت على تقدير عالي، وله مساعي في الخير، وأعجبتني معاني كثيرة من القصيدة.

ـ تصحيح اسم المفعول من الأجوف اليائي مثل: مبيوع، مخيوط، مزيون، مديون، مهيوب. وصوابها: مبيع، مخيط، مزين، مدين، مهيب.

وقد لاترجع هذه الأخطاء وأمثالها ابتداءً إلى التلاميذ، ولكنهم يرثون الغلط فيها من الصحف، والكتب، ولغة الحديث، وشرح المعلمين. ولكن ذلك لايعفينا من تقويمها على ألسنتهم وأقلامهم حتى لانتيح لها الثبات والاستقرار.

مَظاهِرُ ضَعفِ الطُّلابِ فِي اللُّغةِ العَربيّةِ

٣ـ الأخطاء الإملائية:

الإملاء العرفي أشيع مايقع فيه التلاميذ من الأخطاء الإملائية وهو ـ على حد تعبير روبير دوترانس ـ الكلمات التي تخضع كتابتها للعرف وليس لقواعد عامة. ونجد ذلك في مثل: لاكن، ذالك، الّذين (للمثنى) اللذين (للجمع) اللذي، اللتي، بسم الله، عَمْر (في عمرو). وصوابها: لكن، ذلك، اللّذين، الذين، الذي، التي، باسم الله، عمرو.

ـ الاكتفاء بلام واحدة بعد دخول (أل) على ماكانت فاؤه لاما في مثل: اللون، اللسان.

ـ عدم التفريق في الأفعال الناقصة بين ماأصل ألفه الياء وأصلها الواو، وعدم معرفة الوسائل والطرائق التي يمكن بها معرفة التمييز بينهما. وبسبب هذا اللبس يقع الخطأ في مثل: رمى، وغزا، ودعا، وسعى، وهكذا.

ـ كتابة التاء المربوطة مبسوطة.

ـ وضع الألف الفارقة في آخر كل فعل مختوم بالواو، وفي آخر جمع المذكر السالم المضاف.

ـ الارتباك في كتابة الهمزات المتطرفة، وفي تنوينها، وفي الهمزات المتوسطة أصلاً، أو التي يطرأ عليها التوسط.

ـ عدم التفريق بين همزتي الوصل والقطع. والمواضع التي تتطلب كلا منهما. فنجد الهمزات تنثر على مايستحق ومالايستحق من المواضع. أو تحجب عن مواضع كان ينبغي أن تظهر فيها. وهي ظاهرة من الشيوع تجل عن الحصر، أبرزها مايأتي مثل: انظرْ، استخرجْ، انكسر، اسم، ابن، الاثنين.. حيث تأتي بهمزة القطع وإنما هي وصل. وفي مثل: أمهدُ، الإسلام، أحسنَ، حيث تأتي بلاهمز وإنما هي مقطوعة.

ـ بقاء ألف (ما) الاستفهامية بعد دخول حروف الجر عليها، فتلتبس بما الموصولة ويصبح الكلام خبرا، مثل: بما تكتب؟ وعما تتحدث؟ ولما تستعجل؟ وصوابها: بِمَ، عَمَّ، لِمَ.

وقبل أن أغادر الأخطاء الإملائية أودّ أن أوضح:

١ـ لاتقتصر الأخطاء الإملائية على ماذكرت، ولكن هناك أخطاء أخرى أقل منها خطورة، وأيسر شناعة رأيت أن أضمها إلى رداءة الخط، وإن كانت مع الدقة والتحقيق لاتخرج عن كونها أخطاء إملائية.

٢ـ أن القواعد اللازمة لتلافي هذه الأخطاء كلها مما يدرس في المرحلة الابتدائية وبعض المرحلة المتوسطة. وهذا يدعونا إلى التفكير والتساؤل: علام هذه الأخطاء الفاشية الفادحة؟ ولماذا لاتقف عند حد، عند تعلمها، أو في نهاية التعليم العام، أو في مرحلة التعليم الجامعي؟ لابد أن نعاود النظر في توزيع المقرر وطريقته، وطرائق التدريس، والتدريبات، وقدرات المعلمين ومستوياتهم.

رداءة الخط والكتابة

على الرغم من التقدم الحضاري الذي يكتنف الحياة المعاصرة، والذي ظهر أثره في رقي الذوق وتحسس الجمال؛ إلا أن الخط ـ لسوء الحظ ـ يتقهقر ويتخلف، مع أن الجانب الجمالي الفني هو الغالب عليه، ويأسف المرء على ماوصلت إليه خطوط طلاب الثانوية العامة مما يضيِّع عليهم كثيراً من الدرجات.

وقد دلت بعض الدراسات على أن شكل الكتابة وجمال الخط عامل مؤثر في تقويم المدرس وتقدير الدرجة في الأعمال التي تضم حقائق عادية، ومعارف عامة، كبحث أو ورقة اختبار، ويقل تأثير هذا العامل إذا كانت الأعمال ابتكارية. فإذا كان لدى المدرس عملان كتابيان في مستوى واحد، فإن الخط يكون هو العامل الأخير المميز بينهما في تقويم المدرس لهما.

وأهم مظاهر رداءة الخط مايلي:

ـ إهمال نقطتي التاء المربوطة، وهو شائع وكثير. ويرجع ذلك إلى الوقوف عليها بالهاء، حتى عندما تقع في وسط الجملة.

ـ نقط الهاء المتطرفة، سواء كانت أصلية، أو كانت ضميراً.

ـ عدم الدقة في وضع النقط في أثناء الكتابة.

ـ العجلة في الكتابة والتسرع في الرسم، مما لايساعد على حفظ التوزان والمسافات بين الكلمات.

ـ الخلل في التسنين.

وترجع أكثر هذه المظاهر في الكتابة إلى اكتساب العادات غير الصالحة منذ التدريبات الأولى، ثم تستقر مع الممارسة وتقدم الزمن. وتقاوم بما تقاوم به العادات في ضوء ماذكرته كتب علم النفس.

الصيغ والروابط الأسلوبية

اللغة العربية غنية بصيغها المتعددة، وبجوانبها الصرفية، وأنواع الجموع، وقدرتها على تمثل المادة اللغوية ونقلها إلى معان عديدة بالاشتقاق أو تغير الحركة أو إشباعها. والطالب العربي في أكثر المناهج يدرس أنواع التصريفات والجموع والمشتقات والأبنية، ومع ذلك فقدرته على استعمال هذه الصيغ وتوظيفها والتفريق بينها تعد قليلة، وتكاد لغته تكون محصورة بين الصيغ المشهورة المتداولة كاسم الفاعل والمفعول، ولاتلقي المادة الدراسية ظلها على هذه اللغة فيقل فيها المصدر الميمي، والصفة المشبهة، وأسماء

الزمان والمكان والآلة وبعض صيغ المبالغة، أو حالات أفعل التفضيل، وأوزان جموع الكثرة، وصيغة التعجب، وغيرها.

ويرمي تعليم اللغة العربية إلى تزويد الطالب بالقدرة على معالجة الفكرة وخصبها وعمقها بنوع من الاستيعاب والوفاء بالعناصر والأجزاء، والإحاطة والشمول، وتوليد المعاني الجزئية المتصلة بالفكرة الأساسية من خلال نمو داخلي مترابط تصب فيه الأفكار في قالب محكم متجانس، وترتيب منطقي يسلم بعضها إلى بعض. ويتأتى ذلك بذكر الأسباب وتقديم العلل، ورصد النتائج التي تترتب عليها مع ضرب الأمثلة والشواهد، وعرض الموازنات وتوظيف المعلومات المختلفة.

غير أن المتأمل في أسلوب الطلاب ومدى إحكامه، يجده في ظل هذه المعايير مفككًا وضعيفًا، تقل فيه الروابط، وتكثر فيه الانتقالات المفاجئة دون تمهيد مع تباين في المستوى والفكرة، وتباعد في الزمان كعطف مضارع على ماض أو بالعكس، أو عطف خبر على إنشاء أو العكس، وخلل في استعمال الضمائر كالانتقال من الحضور إلى الغيبة أو العكس، ومن المفرد إلى الجمع والعكس، ومن المذكر إلى المؤنث من غير مسوغ. وليس في الفكرة عمق يعطي الأسلوب قوة دفع وامتداد، ولاعاطفة تؤدي إلى الربط والإحكام، وربما حفظ الطالب مقدمة من هنا وخاتمة من هناك وألصقها في كل موضوع يتناوله.

ويمكن حصر مظاهر ضعف الأسلوب وتفككه فيما يأتي:

- قضية التذكير والتأنيث على غير القاعدة تحتل حيزًا في أساليب الطلاب، وتظهر في:

- العدد، مثل: استلمت خمس كتب، واشتريت خمسة جرائد. ويلحق بذلك:

- تمييز العدد، حيث يفرد في مثل: سبعة كتاب، وتسعة قلم.

- تأنيث المفرد المذكر إذا كان مضافًا إلى جمع مؤنث أو مكسر، مثل: زرت إحدى المستشفيات، وأعجبت بإحدى أقسامها، وأجبت على إحدى الأسئلة.

- تذكير المؤنث المضاف - عكس الحالة السابقة - مثل: بدأ أحد العيادات في استقبال المرضى، وكانت الصيدلية في أحد الزوايا.

- تأنيث بعض الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث، مثل: امرأة سافرة، وأخرى مصونة، وأم مرضعة، وحائضة.

- إلحاق تاء التأنيث ببعض الأوصاف التي تصلح للمذكر والمؤنث، مثل: زوجة، إنسانة، خادمة، عاشقة، عانسة، عاقرة، وهي للمذكر والمؤنث: زوج، إنسان، خادم، عاشق، عانس، عاقر.

- تذكير أفعل التفضيل الجاري على المؤنث في حالة المطابقة، مثل: اخترت الجائزة الأفضل له، واخترت الشقة الأكبر، وأثنيت على البنت الأصغر. ويلحق بهذا مجيء (من) بعد هذه الصيغ كالقول: الشقة الأكبر منهما، والبنت الأصغر منهن. والصواب في كل ذلك: الجائزة الفضلى، والشقة الكبرى، والبنت الصغرى.

- تبعيض المؤنث من المذكر، مثل: كانت أختي من الفائزين، وتفوقت وكانت من الأوائل. والصواب: من الفائزات، ومن الأوليات أو الأُوَل.

- إدخال الباء مع استبدل، وبدل، وتبدل على المطلوب لا المتروك، كقولهم: استبدلت أو بدلت قلم الحبر الجاف بقلم الحبر السائل يريدون إيثار الثاني، والصواب: استبدلت قلم الحبر السائل بقلم الحبر الجاف، لأن الباء تدخل على المتروك.

- تكرار "كلما" مع الجواب، كقولهم: كلما قرأت كلما وجدت فائدة. والصواب: كلما قرأت وجدت فائدة.

- دخول (لا) أو (لن) على الفعل بعد سوف في قولهم: سوف لانكذب، وسوف لن نهمل الواجبات لإرادة النفي في المستقبل. وإنما يُنفى المستقبل في العربية باستعمال (لن). كما أن سوف لايفصل بينها وبين الفعل فاصل. والصواب في ذلك أن يقال: لن نكذب، ولن نهمل الواجبات.

- تشبيه الشيء بنفسه باستعمال الكاف، كقولهم: أنا كطالب علم لاأقصد ذلك، وهو كشخصية متميزة يستحق الجائزة. ولعل ذلك من أثر الأساليب المترجمة. والأصل أن تنصب هذه الأسماء على الحالية، أو ترفع على الخبرية أو يحل محل الكاف (بكونه) أو (بصفته).

- الركاكة في صيغ الاستفهام بتأخير حرف الجر وإدخاله على الضمير، ومن هذا القبيل: ماذا يدل عليه الحكم؟ وماذا يتحدث عنه الشاعر؟ ماذا يستخدم له المشرط؟ وماذا يكتب به التلميذ؟ والأصح في ذلك: علام، وعم، ولِمَ أو لماذا، وبِمَ أو بماذا. كما يقال: إلام، وحتّامَ، وفيم، ومُقْتضامَ؟ وغيرها.

- استعمال الفعل المبني للمجهول مع وجود الفاعل كقولهم: شُرِحَ ذلك من قِبَلِ المدرس، وطُلِبَ الحضور من قبل رئيس الفريق، وأعلن الموعد من قبل المدير، وقريب من ذلك قولهم:

كل تعلم محدود بزمان وغاية إلا تعلم اللغة، فإنه يبدأ قبل المدرسة، ولاينتهي أبدًا

مظاهر ضعف الطلاب في اللغة العربية

تأكد الطالب من نجاحه، وتأكد المسافر من حجزه. والصواب أن يقال: تأكد نجاح الطالب، وتأكد حجز المسافر.

وهذه الأساليب تعالج بالتركيز والمتابعة والتدريب.

- الإفراط في استعمال حروف العطف والاستدراك.

- عدم الاهتمام بالتشكيل على قاعدة (سَكِّنْ تسلم)، ويظهر ذلك في المستوى الكتابي بوضوح في حالات النصب، فهي التي تحتاج في الكتابة إلى علامة خطية - غالبًا - بخلاف الرفع والجر إذ لم تجر العادة بضبط الإعراب بالعلامات الأصلية.

أما التسكين في النطق والتعبير الشفهي والقراءة فهو أكثر وأشيع.

وهذه الظاهرة ترجع إلى :

١- طغيان العامية على ألسنة الطلاب. فالعامية تؤثر التسكين، وتعمل على التخلص من حركات الإعراب والتحلل من ضوابطه، والمتكلمون بها يلتزمون (الإسكان) في جميع صورها.

٢- عدم التمكن من إدراك علاقات المفردات على البديهة ومايتبع ذلك من معرفة أحكام الإعراب، وإقامة الشكل المناسب.

المشكلات القرائية

وفيما يلي أبرز هذه المشكلات:

- الميل إلى تسكين أواخر الكلمات كما أوضحت.

- قطع همزة الوصل.

- قطع الهمزة وإبراز اللام الشمسية.

- عدم تحكيم قواعد الدمج.

- إشباع الحركات في وسط الكلمة - وغالبًا في آخرها - حتى يكاد يتولد منها حرف مد.

- القراءة كلمة كلمة، دون مراعاة التسلسل والترابط، وتقسيم الكلمة إلى مقاطع أحيانا.

- نطق التاء المربوطة في الوصل (وسط الجملة مثلاً) هاء.

- ضم هاء الضمير المسبوقة بكسر أو ياء، مثل: عليهُم، في أعناقهُم. وحقها الكسر.

- نقل مخرج الحرف إلى مخرج حرف آخر، فالذال زاي، والثاء سين، والضاد ظاء، والقاف كاف أو غين أو همزة. أو نقله إلى مخرج لانظير له في العربية. فالظاء زاي مفخمة، والقاف جيم قاهرية، والجيم قريبة من القاف العامية.

أمية المتعلمين

على الرغم من الانفجار المعرفي الذي يتسم به العصر، والنمو المستمر، والتقدم المطّرد، حتى قدَّر العلماء أن المعرفة تتضاعف كل عشر سنوات تقريبًا؛ وعلى الرغم من القفزة الهائلة في وسائل الاتصال والتقنية (التكنولوجيا) التي تمدنا بالمعرفة في حلنا وسفرنا، وتقتحم علينا أوقات الراحة، وأماكن النوم، ومع ماتجهت إليه الجامعات من الاهتمام بمواد الإعداد العام، ومتطلبات الدراسة، حتى غلبت في كثير من الأحيان ساعات التخصص؛ فإن كثيراً من المتعلمين يظل أسير تخصصه، عليه يحيا وله يعيش. وهذا أمر طيب إذا هضم معه ثقافة كافية ومادة تساعد صاحبها على التكيف. أما الانغلاق على التخصص والاقتصار على جانب معين والانعزال عن الثقافة الضرورية فليس من طبيعة العصر ولا من روح التربية.

ونحن في حياتنا العربية والإسلامية أحوج مانكون إلى التمكن من الأسس والثوابت العامة في حياتنا وتاريخنا، وهو مايمكن أن يطلق عليه مصطلح (ما عُلِمَ من الثوابت بالضرورة) على غرار (ما عُلِمَ من الدين بالضرورة).

توظيف الألفاظ

تعنى اللغة العربية من خلال فروعها المختلفة، في جميع مراحل التعليم، بتزويد الطالب بالألفاظ الجديدة، وتنمية حصيلته اللغوية، وثروته من المفردات، وبعض الفروع - كالخط والإملاء والنحو والنقد والبلاغة والأدب - يقوم بهذه المهمة عَرَضًا من خلال أساليبه المتميزة المنتقاة، وبعضها - كالمطالعة والمحفوظات والنصوص - يقوم بذلك عن قصد وعناية حتى غدا كالمتخصص في هذا الغرض. وشغل المعجم اللغوي جزءًا من هذه المقررات في صلب المادة أو هامشها، وأصبح هذا المعجم لدى المدرسين غاية في ذاته، وهدفًا يسهرون عليه، يتناولونه بالشرح، ويسألون عنه، ويدخلونه في الاختبار. فنسمع دائمًا: مامعنى كذا؟ ومامعنى كذا؟ ويطغى ذلك على أفكار الدرس. ولذلك قام الطلاب بحفظ معاني المفردات واستظهارها كما يحفظون مفردات اللغة الأجنبية، ولكن من غير أن تدخل قاموسهم اللغوي، ومن دون التفاعل معها، والتمثل لها، والاهتمام بها، والسيطرة عليها، وتظل بعيدة من تفكيرهم وألسنتهم. يدل على ذلك أننا لانجد أثرًا لهذه المفردات في لغة الطلاب وكتاباتهم، لأنها دخلت جافة محنطة، فتظل معزولة غريبة، وموضوعات التعبير ودفاتر الإنشاء خير شاهد على هذه الحقيقة، إذ "يكاد يكون أول موضوع يبتدئ به الطالب (في) أول السنة، كآخر موضوع ينتهي إليه، وأن مادة الطالب لاتزيد على بضع مئات من الألفاظ والعبارات العادية، تتكرر في كل مقال، وتبدو في كل موضوع من غير تجديد". ولهذا يجب أن تُعتمد الطرائق الصحيحة التي تُدخل هذه الألفاظ في لغة الطلاب وتفتح أمامهم المجال لاستعمالها.

لغتنا ومناهج التعليم

د.أحمد محمد المعتوق

لاتعتبر المدرسة بمفهومها العام - في نظر علماء التربية المعاصرين - مكاناً لتلقين المعارف ونقل المعلومات، بقدر ماتعتبر صورة مصغرة مكثفة للحياة الاجتماعية التي يكتسب الناشئ من خلال معايشته لها المعارف والخبرات والعادات السلوكية عبر اتصاله وتفاعله مع عناصر وفئات اجتماعية ذات خبرات متنوعة ومتفاوتة. إن المدرسة على اختلاف مراحلها ومستوياتها هي كما يقول جون ديوي Dewey: «مؤسسة اجتماعية... وهي صورة للحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع تلك الوسائل التي تهيئ الطفل للمشاركة في ميراث الجنس البشري، ولاستخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية»(١). وواضح أن اللغة هي من أهم الوسائط التي تعتمد عليها المؤسسة في أداء مهمتها ومن أهم القوى التي تنميها وتهيئ الطفل لاستخدامها لتحقيق الغايات الاجتماعية. ولذلك كان إثراء لغة الناشئة من أهم الأهداف التي يفترض أن تسعى المدرسة جاهدة لتحقيقها، وبناء على ذلك يفترض - أيضاً - أن تكون المدرسة من أهم الموارد التي يكتسب الناشئ منها لغته وينميها ويثري حصيلته من مفرداتها وتراكيبها وأساليبها.

إن الناشئ بوصفه عضواً في المدرسة، هذا المجتمع الصغير، لايلقنه اللغة مدرس واحد ولايتعلمها من خلال دراسته للمقررات الدراسية فحسب، وإنما يكتسبها ويتعلم مفرداتها وصيغها وكثيراً مما يرتبط بها من أعراف وأصول وقواعد وأساليب من مصادر عديدة متنوعة، وإن اختلفت هذه المصادر في نوعيتها وأهميتها ومدى تأثيرها واختلف مدى تعامل الناشئ معها.

فالطفل، كما يبين هربارت في نظريته التربوية: «عندما يدخل المدرسة يحمل معه ثروة فكرية ناتجة من احتكاكه بالبيئة»(٢)، وهو يحمل معه أيضًا ثروة لغوية مكتسبة من هذه البيئة، مستمدة من أسرته ومن محيطه. هذا كله بالإضافة إلى مايتعلمه الناشئ من المواد المتنوعة التي يدرسها، وماتتضمنه هذه المواد من أساليب لغوية متعددة منوعة، ومن تراكيب وصيغ لفظية منتقاة تمثل اللغة في عصورها وتطوراتها المختلفة، ومن شروح لأصول اللغة وقواعدها وتطبيقات عليها. وهكذا فإن الناشئ يتلقن اللغة من هذه الموارد بمختلف مستوياتها وأشكالها، الفصحى المنتقاة والعامية الدارجة، القديمة والحديثة، العلمية والأدبية.

ورغم أهمية دور المدرسة في إثراء لغة الناشئ وتطوير مهاراته اللغوية عامة، فإن هذا الدور يعتمد في نشاطه وحيويته على مدى مايمتلكه الناشئ نفسه من استعدادات فطرية لتلقي اللغة أو تعلمها، ومالديه من بواعث نفسية وطموحات شخصية حافزة على التعلم وعلى المشاركة والاختلاط بالآخرين، يمارس اللغة معهم ويتأثر بهم وبلغتهم داخل إطار المدرسة: طبقاتهم الاجتماعية، مستوياتهم العقلية والثقافية، ومقدار مايمتلكونه من وعي ومن مرونة في التعامل والتعايش والمشاركة.

إضافة إلى ماسبق، فإن دور المدرسة في تنمية اللغة وتطوير المهارات فيها يعتمد بشكل أساسي على طبيعة النظام المتبع في التدريس وعلى نوعية المناهج المقررة وملاءمتها لمستويات الناشئين العقلية وتلبيتها لحاجاتهم العملية وارتباطها بواقعهم المعيش، ويعتمد أيضًا على كفاءة وإخلاص من يتولى تنسيق المناهج المقررة وتطبيقها، وهذا يرتبط بطبيعة الحال بمدى مايمتلكه المدرسون والأساتذة من مؤهلات علمية ومن براعة في أداء عملهم، ولاشك أن لتوافر الإمكانات والظروف والأسباب المشجعة في المدرسة وتوافر التقنيات اللازمة لعملية التدريس أثرًا كبيرًا في تحديد نسبة الاكتساب المعرفي من المدرسة عامة.

ورغم أن معظم الإمكانات متوافرة لدى المدرسة في حياتنا الحاضرة، والعوائق المادية التي تواجهها قليلة والحوافز والأسباب المشجعة كثيرة. إلا أننا مع ذلك كله لانشهد للمدرسة دورًا في تنمية اللغة القومية وتطويرها ونشرها ماثلاً على النحو المطلوب في محيطنا الاجتماعي، بل إننا قد نلمس الضعف الشديد في اللغة سائدًا بين الدارسين ومدرسيهم عامة، ونرى بعضهم وكأنهم غرباء على لغتهم أو أنها غريبة عليهم، لاسيما اللغة الفصحى.

لغتنا ومناهج التعليم

إن ظاهرة الضعف في التعبير باللغة الفصحى ظاهرة ملموسة بين المتعلمين عامة في البلاد العربية، وربما كان من مظاهر هذا الضعف قلة الإنتاج الفكري والإبداعي الرصين الأمر الذي نلمس آثاره واضحة، ثم تداخل العامية في الفصحى والعربية في الأجنبية، وهذا مانشهده في أحاديث ومناقشات ومحاضرات كثير من المدرسين وأساتذة الجامعات وطائفة كبيرة من المثقفين، وكذلك الخلط اللغوي الفج والكلام المهجن الذي يظهر بصورة بارزة على ألسنة نفر من الأساتذة والطلبة في الكليات والمعاهد العلمية وفي ميادين كثيرة من حياتنا بشكل عام.

إن من الأسباب الرئيسة الظاهرة لهذا الضعف ضآلة المحصول اللفظي والجهل بمصادر مفردات اللغة وطرق استغلال هذه المصادر أو استخدامها، كما أن منها عدم إتقان أصول اللغة وقواعدها أو عدم إدراك الوظائف الأساسية لهذه الأصول في الحياة العملية، ومنها أيضًا الهبوط الثقافي العام وعدم وجود ارتباط وثيق بمصادر التثقيف الرئيسة أو الغنية وخاصة المواد المقروءة، هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى مختلفة المحاور تتعلق بالحياة المادية القائمة، وبالصراع الفكري والتذبذب الثقافي الذي يعيشه المجتمع العربي، والنقلات والتغيرات الحضارية التي يشهدها وأمور أخرى لايتسع المجال لذكرها والتفصيل فيها.

قد يتباين مدى وجود هذه الظاهرة وتختلف نسبة انتشارها بين قطر عربي وآخر، تبعًا للاتجاه الثقافي ونسبة الوعي الفكري والقومي والمستوى التعليمي، وتبعًا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والتغيرات الحضارية التي تخضع لها البلاد أو يتفاعل معها المجتمع، إلا أن لوجودها ولانتشارها بشكل عام سلبيات خطيرة تعود آثارها على المجتمع العربي وعلى مستقبله وهويته الحضارية.

المدرسة ليست المسؤولة الوحيدة عن ضعف الناشئة في لغتهم أو غربة اللغة في بيئتها ومجتمعها، ولا عن كل الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف أو هذه الغربة، ولكن وجود هذا الضعف وتفشيه بين الناشئين وفي البيئات الدراسية بالخصوص يدل فعلاً على تقصير المدرسة لدينا أو على قصورها وفشلها في القيام بدورها تجاه اللغة على النحو المطلوب. إن معرفة نواحي التقصير أو أوجه القصور يعتبر بمثابة التشخيص اللازم للداء الذي يسبق تحديد نوعية العلاج.

القصور في المناهج الدراسية

إن لقصور المدرسة أو تقصيرها في أداء مهمتها في تنمية حصيلة الناشئة من مفردات اللغة وتراكيبها وأساليبها وفي تطوير مهاراتهم على نحو عام أسبابًا متعددة متشعبة، بعضها يعود - كما سبقت الإشارة - إلى طبيعة البيئة التي تنشأ فيها المدرسة والظروف والأوضاع العامة التي تحيط بها أو بالمؤسسات التعليمية بشكل عام، كما أن بعضًا آخر منها يعود إلى ما قد تلاقيه المدرسة من عوائق مادية أو معنوية. ثمة أسباب رئيسة أخرى تعود بصورة مباشرة إلى أساليب التعليم ونظمه المتبعة وإلى الكتب والمناهج الدراسية التي تُفرض على الطلاب. وسنقصر الحديث هنا على جوانب القصور المتعلقة بمناهج التعليم التي تتجسد في المقررات والكتب الدراسية بشكل خاص، ومايتعلق منها بتعليم اللغة على نحو أخص(٣) ونبدي بعض الملاحظات عليها بحيث لانخرج كثيرًا عن الإطار المحدد لهذا المقال، على أن تتم معالجة الجوانب الأخرى في مجال آخر بمشيئة الله.

١- من الملاحظ أن عددًا من المقررات والكتب الدراسية المرتبطة بتعليم اللغة ومايرتبط بها في مراحل التعليم الإعدادي (ماقبل التعليم الجامعي) تفتقر إلى مزيد من التمحيص والدراسة المنهجية في انتقاء الموضوعات وشرحها وعرضها وتقديمها؛ فموضوعات كثيرة من هذه الكتب أو المقررات ينقصها عنصر التشويق، لعدم ارتباطها بواقع الطالب وحياته العملية وحاجاته ومتطلباته وظروف عصره، أو لعدم وجود مايشجعه فيها على التحدي ويبعثه على المنافسة ويوسع من آفاق خياله ويشعره بفائدتها ويحفزه على الانجذاب إليها والحرص على قراءتها. وربما كانت هذه الموضوعات متشابهة، لاتتناول جوانب الحياة المختلفة، أو متكررة في أكثر من مرحلة دراسية مع تغييرات طفيفة في نصوصها، أو أنها متسمة بطابع تقريري سردي يبعث على السأم والخمول، أو أنها مخرجة في صور لاتبعث على الارتياح والإقبال النفسي.

٢- إن بعض النصوص المختارة في هذه الكتب والمقررات لاتتلاءم مع المستوى العقلي والمستوى اللغوي لناشئة هذا العصر، إما لكونها قديمة في موضوعاتها، أو لأن هذه الموضوعات متشعبة مسهبة أو معقدة صعبة في لغتها يتعسر على الطالب استيعابها وهضم أفكارها أو تصور مضامينها على النحو المطلوب، وربما قدمت لبعض النصوص فيها شروح تقليدية مقتبسة صعبة لاتساعد الطالب على فهم النصوص ولا على الانجذاب إليها بالقدر الكافي فيقدم عليها مجبراً ويقرؤها متثاقلا، وقد يجتاز الامتحان فيها ولكنه لايخرج منها إلا بالقليل من المحصول الفكري واللغوي.

إن المقررات الدراسية لم توضع على أساس دراسات ميدانية دقيقة متفحصة تستقرئ أذواق التلاميذ وتتحسس ميولهم واتجاهاتهم ومستوياتهم الثقافية واللغوية، وإنما وضعت على أسس نظرية مثالية متأثرة بتقاليد وطرق تعليمية وتربوية قديمة تفترض "أن ماصلح للسلف لابد أن يصلح للخلف، أو أن ماصلح لنا يصلح لأبنائنا"، لذلك فهي لاتراعي التغيرات والتطورات التي طرأت على حياة هذا الجيل، وقد يبدو أحيانًا كأن واضعي هذه المناهج في معزل عن أجواء الدراسة والتدريس غير مدركين ماتوصلت إليه النظريات التربوية الحديثة، وكل ذلك قد يحدث على حساب إضعاف

الكتب والمقررات ينقصها عنصر التشويق، والارتباط بواقع الطالب وحياته ومتطلباته

الناشئة في لغتهم بدلاً من تقويتهم فيها، وتنفيرهم منها بدلاً من تحبيبها إليهم.

٣- تحتوي بعض الكتب الدراسية - وخاصة كتب الأدب والنقد والبلاغة في مختلف مراحل التعليم - على عدد من النصوص التي تزدحم فيها الكلمات والتراكيب والعبارات اللغوية غير المألوفة أو النادرة الاستعمال أو المهجورة، التي يتعسر على كثير من الطلبة استيعاب معانيها وفهم مدلولات مفرداتها وتصورها حتى مع تفسيرها لهم، مما يلجؤهم إلى حفظ النصوص المقررة مع المفردات الغريبة الغامضة التي تشتمل عليها ومرادفاتها المفسِّرة لها على علاَّتها حفظًا آليًا دون فهم لمعانيها واستيعاب لمضامينها على الوجه الصحيح. وواضح أنه ليس للفظ أية قيمة مالم يُدرك مدلوله ويُعرف معناه. وواضح أيضًا أن عدم فهم هذه النصوص يمنع الطالب من تذوقها والاستئناس بها وإدراك النواحي الجمالية فيها. وقد يحدث تكرار ذلك في نفسه شعورًا بالإحباط أو الكراهية لموضوعات اللغة عامة.

٤- يجري في الكتب والمقررات الدراسية السابقة الذكر أحيانًا تفسير بعض الكلمات بكلمات وعبارات لفظية أكثر غموضًا أو أشد غرابة منها أو مشابهة لها في غموض المدلول، مما يجعلها مشوشة في أذهان الطلبة، أو يزيد من إبهامها ويدفعهم لحفظها على الرغم من عدم فهمهم إياها وتصورهم لمدلولاتها تلبية لرغبة مدرسيهم وطمعًا في اجتياز الاختبار فيها بنجاح، وإذا ماتعذر وجود سياقات مكتوبة أو منطوقة تفسر مدلولات هذه الكلمات وتوضحها لهم فيما بعد بقيت عالقة في أذهانهم جوفاء خالية من المعاني، لايتمكنون من استخدامها ولااستغلالها في تنمية محصولهم الفكري واللغوي.

٥- ربما ترد في الكتب والمقررات الدراسية كلمات تفسر بألفاظ وعبارات متعددة، وقد تكون هناك فوارق دقيقة بين معاني هذه الألفاظ والعبارات، ولايتمكن الطلبة من تمييز هذه الفوارق ولا من تحديد المعنى المراد أو تعيين اللفظ الذي يفسر الكلمة المشروحة على نحو واضح ومحدد، فتبقى معاني الكلمات قلقة مضطربة في أذهانهم، وتظل الكلمات الشارحة المتعددة مختلطة متراكبة في تفكيرهم، مما قد يضطرهم إلى حفظها كلها دون فهم تام لمدلولاتها، طمعًا في الإجابة الصحيحة التي ترضي المدرس وتكسبهم الدرجة المقدرة في الامتحان. وبطبيعة الحال فإن هذه الكلمات التي يحفظونها لاتشكل أي رصيد لغوي نافع لديهم، لأن الكلمات بمعانيها المفهومة كما سبقت الإشارة، ومن دون هذه المعاني المفهومة يبقى رصيد الكلمات معطلاً، بل إنه يقود إلى مزيد من الضعف ومزيد من الكراهية للغة أو مزيد من الشعور بالانفصال عنها والإحساس بغرابتها.

٦- بعض من الكتب الدراسية لايولى فيها الاهتمام الكافي بطباعة الكلمات المفسَّرة والمفسِّرة طباعة سليمة بارزة الحروف ولابوضع الحركات المناسبة عليها، وهذا يفضي أحيانًا إلى اضطراب الناشئة في نطقها وإلى نفورهم منها أو حفظها على صورة محرفة أو مصحفة أو خاطئة، وأخيرًا تثبيتها في الذاكرة مضطربة الشكل والمعنى لاتصلح للاستخدام، وإذا استخدمت أساءت إلى التعبير.

إن الصفات الأربع الماضية في المقررات الدراسية كلها تقود الناشئ - في الغالب - إلى الحفظ الآلي واختزان طوائف من المفردات اللغوية مضطربة المعاني أو مجردة من المعاني تمامًا، ولذلك آثار سلبية متعددة أهمها وأخطرها أثران هما:

أ- البطء في استيعاب المادة المقررة واحتياج التلميذ لجهد أكثر من المعدل الاعتيادي، لأنه يسعى إلى حفظ كلمات وعبارات لايفهمها، وقد ثبت أن حفظ المقاطع الكلامية الصَّمَّاء الغامضة الدلالة يستغرق جهدًا أكثر من ذلك الذي يستغرقه حفظ المقاطع الكلامية الواضحة الدلالة(٤). و«إن تعلم الكلمات ذات المعنى أسهل من تعلم الكلمات عديمة المعنى، أي أن التعلم اللفظي يتأثر بدرجة معنوية الكلمة موضوع التعلم»(٥)، وأن سرعة الحفظ تتوقف على كل ماورد لها من معان ومترادفات.

ب - اختزان طائفة من الألفاظ والتعبيرات مجردة من المعاني العديمة المفعول، لأن مالم يفهم معناه من المفردات لايمكن استخدامه في مجال التعبير. واختزان هذه المفردات الجوفاء وحفظها حفظًا آليًا يشغل حيزًا من الذاكرة يمكن أن يستثمر في تخزين معلومات أكثر فائدة وأكثر فاعلية. وقد يزيد الأمر سوءًا كون المواد التي ترد إلى الذاكرة من هذا الطريق كأي معلومات جديدة أخرى تعمل على إزاحة معلومات سابقة قد تكون أكثر فائدة وأهمية منها، هذا إذا تصورنا أن لهذه المواد فائدة أو أهمية تذكر. لقد ظهر لدى علماء النفس أن كل عنصر جديد يرد إلى الذاكرة يعمل على إضعاف تذكر عنصر قديم، وقد يعمل على إزاحته بصورة تامة(٦).

٧- إن كثيرًا من المقررات الدراسية يتصف بالتقريرية التي يُكتفى فيها بسرد الموضوعات وشرح بعض النصوص وتفسير طائفة من الكلمات ثم وضع بعض الأسئلة على نحو رتيب أو شكلي في الغالب، لايولي اهتمامًا كافيًا بتنمية مهارات الطالب اللغوية وتعويده على ممارسة اللغة واستخدام مفرداتها وصيغها المكتسبة منها بشكل فعلي مباشر، ينمي فيه القدرات الخطابية، ويثير فيه الحماسة للتعلم، ويبعثه على المنافسة، ويشعره

لغتنا ومناهج التعليم

بفاعلية لغته، ويدفعه لاكتساب المهارة وإظهار البراعة فيها.

٨ـ تعتمد كثير من المناهج العربية نظام التحفيظ والتسميع في التعليم، فتولي اهتماماً كبيراً بتحفيظ المتون دون إعطاء شروح شاملة مفصلة وتحليلات كافية لهذه المتون، ودون إعطاء التلاميذ أنفسهم الفرص الكافية للتصرف في هذه المتون والتعبير الحر عن مضامينها.

ومما يزيد الوضع سوءاً في هذه الناحية أن هناك طائفة ممن يتولون التعليم في مجتمعنا العربي لاتميز بين مايجب أن يُحفظ نصاً، كآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأبيات الشعر، وبين مايمكن التعبير عن مضمونه، كالنوادر والحكايات والسِّيَر وبعض الأقوال الحكمية والرسائل وماشابهها، أو لاتميز بين النقل الحرفي والنقل الضمني للنص المدروس، وبذلك فإن أفراد هذه الطائفة يلزمون من يتولون تعليمهم بحفظ ماتم اختياره من النصوص ـ نثرية كانت أم شعرية ـ دون تصرف أو تغيير، مما يزيد الاعتياد على الحفظ الببغائي أو الآلي الذي سبقت الإشارة إلى سلبياته، ويضاعف من تعطيل الطاقات العقلية للطالب أو يحد من نشاطه وقدرته على التفكير، ويقلص محصوله الفكري واللغوي.

٩ـ ومما قد يرتبط بالفقرة السابقة الاكتفاء أحياناً كثيرة بالاستخدامات النظرية المجردة للألفاظ والتراكيب اللغوية التي ترد في النصوص المقررة دون ربطها بالخبرات الحسية التي يكتسبها الطفل في المدرسة أو في حياته العامة، فلاتجري في الكتاب المقرر ولا من قبل المدرس الذي يتولى تدريس الكتاب التطبيقات العملية الحسية على هذه الألفاظ والتركيبات، ولاتُربط مفاهيمها ومدلولاتها بواقع الطلبة وأجوائهم وظروفهم المحيطة بهم؛ ليتمكنوا من إدراك هذه المفاهيم والمدلولات وتصورها على نحو تام وصحيح ويتوثق ارتباط اللغة بشؤون حياتهم.

١٠ـ لاتحتوي المقررات الدراسية على مايكفي من المواد لبث الشعور في نفوس الناشئة بشكل مباشر وفعال بقوة لغتهم وبحيويتها وقدرتها على استيعاب التطورات العلمية والتقنية الحديثة ووفائها بمتطلبات الحياة الجديدة، وتوجيههم للاهتمام بها وتهيئتهم نفسياً وفكرياً لاستيعابها، والاتجاه الطوعي الذاتي لإثرائها وتقوية المهارات فيها. إن الشعور الذي يكاد يكون سائداً بين الناشئة على عكس ذلك، وهو أن لغتهم التي يتعلمونها ليست سوى وسيلة للتخاطب وأداة لاجتياز الامتحان ومن ثم الحصول على الوظيفة التي تُؤَمِّن العيش، ولربما غلب عليهم الشعور، وهم يقرؤون ويسمعون حافظ إبراهيم في أكثر من مرحلة دراسية ينعي اللغة العربية ويحمل جثتها محنطة على قوافيه، أو يسمعون بعض أساتذتهم يتشدقون بالأجنبية ويفخرون بمعرفتهم لها، أو يرون هذه الأجنبية تغزو لغتهم في عقر دارها وتنفذ إلى معظم مجالات حياتهم، ربما غلب عليهم الشعور بأن

المدرسة ليست المسؤولة الوحيدة عن ضعف الناشئة في لغتهم أو غربتهم عنها

لغتهم آفلة أو ضعيفة، ليست جديرة بذلك الاهتمام والتقدير، أو أنها مجال اهتمام أهل الأدب والمتخصصين فيه فقط.

لاشك أن للمناهج الدراسية عامة دوراً مشاركاً في بث هذا الشعور وتعزيز هذا الموقف السلبي. إن الحديث الإنشائي عن مكانة العربية والخطب الحماسية التي قد تشتمل عليها بعض المقررات الدراسية لاتكفي لنفي هذا الشعور إلا إذا اقترنت بالصورة المشهودة المجسِّدة لمضامينها والمحققة لنداءاتها، أما أن تتردد هذه الخطب والجمود في المنهج باق، والرتابة في الموضوعات المقررة مستمرة، وغزو اللغة الأجنبية متواصل، واللغة تتراجع وتهزل وتتداخل مع اللغة الأجنبية على ألسنة الكبار، فإن الموقف لن يتغير.

١١ـ اتصاف كثير من مقررات النحو والصرف بشيء من الجفاف والتعقيد والرتابة وعدم التركيز على الوظيفة الأساسية لكل من النحو والصرف، وهي ضبط الكلمات وإحكام نظام تأليف الجمل وصيانة اللسان من الخطأ في النطق وتصريف الألفاظ على نحو سليم وسلامة الكتابة من كل مايشينها أو يخل بها؛ فكثير من القواعد التي تشتمل عليها هذه المقررات متشابكة معقدة أحياناً ذات طابع حفظي يرهق أذهان الطلبة، وذات طابع نظري تخصصي أحياناً من حيث شرحها وتبويبها والتفصيل والتشعيب فيها ووضع التمرينات عليها، مما يلجئ بعض المدرسين إلى وضع ملخصات للموضوعات المقررة وإملائها على طلبتهم ليحفظوها حفظاً آلياً ويجتازوا الامتحان المحتوم فيها.

قليلاً ما تُجَسَّد قواعد النحو وأصول الصرف التي تتضمنها هذه المقررات وتُطَبَّق في حياة الطالب الدراسية الفعلية، وتُسَخَّر بشكل مباشر ودائم لتنمية سليقته عن طريق ربطه بالممارسة الحيوية المباشرة للنشاطات اللغوية بجميع أشكالها.

هذا بالإضافة إلى ماتتصف به بعض المقررات المذكورة من رتابة في جدولة الموضوعات وترتيب أجزائها ومتعلقاتها؛ بحيث لايختلف مقرر المرحلة الدراسية اللاحقة عن المقرر في المرحلة السابقة أحياناً إلا في التفصيل والتشعيب في القاعدة الموضوعة للدراسة وفي عدد الأسئلة، دون أن يكون هناك أي اختلاف في نمط الإخراج أو

الشرح أو تلخيص القاعدة أو طريقة وضع الأسئلة. إن الصفات السابقة كلها قد تشارك مشاركة فاعلة في تنفير الطلبة من المقررات المذكورة وتزهدهم فيها أو تشعرهم بغموض لغتهم وتعقيدها وقلة فاعليتها وحيويتها.

١٢- بالإضافة إلى غلبة الجانب النظري على المواد المفروضة في أغلب المراحل الدراسية لدينا، فإن هذه المواد كثيرة ومتشعبة أحيانًا، ومقرراتها متعددة يُركَّز فيها الاهتمام على كمية المعلومات وكثافتها، وبذلك فإن الطالب يلهث وهو يتابع ازدراد المعلومات المكثفة المتزاحمة ويجهد نفسه في إقحامها في ذهنه والاستعداد للامتحانات المتواصلة فيها، فلاتبقى له فرص كافية لممارسة النشاطات اللغوية الحرة، ولا لهضم واستيعاب ماعسى أن يكتسبه من عناصر لغوية جديدة وترسيخ هذه العناصر في ذاكرته أو ذهنه على نحو تدريجي متأن.

١٣- إن الترابط بين المواد يكاد يكون مفقودًا، بحيث يسير تدريس كل مادة أحيانًا بشكل مستقل عن المواد الأخرى، وهذا يحصل حتى بين شُعَب المادة الواحدة، فمادة البلاغة التي تعتبر فرعًا من فروع مادة اللغة تسير في معزل عن مادة النقد أو الأدب، ومادة الأدب هي الأخرى تسير مستقلة عن مادتي المطالعة والنحو، بينما المفترض أن تكون هذه المواد متداخلة يكمل بعضها بعضا على نحو متصل، فتجري تطبيقات في مادة المطالعة مثلاً على قواعد النحو وقواعد البلاغة أو الصرف التي يدرسها الطالب في موادها الخاصة، وأن تُتخذ من نصوص الأدب التي يحفظها الطالب أو يدرسها في مقررات الأدب نماذج تطبيقية تُجَسِّد فيها المعلومات التي يتلقاها في مواد اللغة الأخرى وهكذا. إن هذا الانفصال يبدد جهد الطالب ويشتت ذهنه ويفقده الإحساس بترابط جوانب اللغة وبحيوية موضوعاتها.

١٤- لعدم ارتباط المواد بعضها ببعض عامة فإن السير في تدريس مادة قد يكون مضاداً للسير في تدريس مادة أخرى على نحو يقلل من آثارها ويحدّ مما يستفيده الطالب منها، فمدرسو مواد العلوم والجغرافيا والتاريخ على سبيل المثال لاتعنيهم صحة اللغة وجودة الأسلوب وبلاغة التعبير. وكثافة المعلومات التي تقتضي منهم التكريس تعزز هذا الموقف منهم، وبذلك يعتاد التلاميذ على عدم الاكتراث بجودة الأسلوب وسلامة اللغة وحسن التعبير في عدد من المواد فلايكون لدراستهم مواد اللغة أثر كبير.

١٥- في الوقت الذي نرى فيه المؤسسات الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية تولي اهتمامًا كبيرًا بالحوافز النفسية التي تساعد على اجتذاب الطالب للُغة وتحثه على تعلمها والاهتمام أو التعلق بها، فتقدم إليه اللغة في أطر فنية مغرية تشترك في تشكيلها الموضوعات الشائقة المحكمة، والطباعة الحديثة السليمة الأنيقة، والحروف البارزة الجميلة، والورق الصقيل أو المتين المحبب إلى النفس، نجد اللغة لدينا تُقَدَّم لطلابها في بعض المعاهد والكليات أو المدارس عامة في كتب ومذكرات منفرة لاتحبب الطلاب إلى مايدرسون أو يقرؤون فيها: موضوعاتها مشوشة كُتبت على عجل أو دون عناية، وتعبيراتها خطابية إنشائية تنقصها الدقة ويعوزها التركيز، وأفكارها متضاربة أو ينقصها الإحكام والترابط، أو أنّ أوراقها صفراء أو سمراء شفافة يختلط ظاهرها المكتوب بباطنها، وطباعتها قديمة سيئة تكثر فيها الأخطاء وتتراكب فيها الحروف وتتزاحم الكلمات وتتقارب الأسطر وتضطرب في قراءتها الأبصار وتتشتت الأذهان.

إن هذه الملاحظات تحتاج إلى مزيد من التأمل والتبسيط والتفصيل والدراسة القائمة على التحليل والتمثيل والمقارنة والتتبع الدقيق لمناهج تعليم اللغة العربية على المستوى المحلي والعربي، وهو عمل ربما يحتاج إلى لجان متخصصة تشرف عليها إحدى الجامعات أو المؤسسات اللغوية العربية المعتبرة، لاتقتصر مهمتها على تشخيص السلبيات وتحليلها وبيان مدى خطورتها على مستقبل اللغة، وإنما تتضمن أيضًا السعي لاستئصال هذه السلبيات ووضع الحلول الجذرية لكل المشكلات التي تعاني منها المقررات المذكورة، ثم وضع خطة عربية موحدة لتطوير مناهج التعليم عامة ليتم تدريس اللغة العربية على أسس علمية منهجية سليمة في جميع أقطار العالم العربي، ويتم بالتالي توثيق الارتباط بين ناشئتنا ولغتهم وتعزيز مكانتها في نفوسهم ومن ثم ضمان مستقبل حضاري زاهر.

إن البر بهذه اللغة مطلوب من كل أبنائها وليس من طائفة منهم بعينها، ومسؤولية تنميتها وحمايتها لاتقع على المدرسة وحدها - وإن كانت تتحمل جانبًا كبيرًا من هذه المسؤولية - وإنما تقع على كل جهة وكل مؤسسة بل كل فرد في المجتمع. وإذا كان أفراد المجتمع يختلفون في مدى إحساسهم بهذه المسؤولية فإن أجهزة التثقيف والإعلام يجب أن تتكفل بتوعية هؤلاء الأفراد في كل ميادينهم وحقولهم ومجالات عملهم، وتشعرهم بمسؤوليتهم تجاه لغتهم، تدعمهم وتساندهم في أداء هذه المهمة وفي تحقيقها بجد وإخلاص كل الجهات التي تمتلك القوة وتملك القرار، أي كل من تُوَجَّه إليهم الأنظار على أنهم القدوة الحسنة قولاً وعملاً.

الهوامش:

١- أنطوان م الخوري: أعلام التربية، حياتهم، آثارهم. بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤م، ص ٢٠٥.

٢- صالح عبدالعزيز: التربية الحديثة، مادتها، مبادئها، تطبيقاتها العملية، ط ٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م، ج٣، ص ٢٠٤.

٣- يمكن أن يعرف المنهج بأنه «جميع مظاهر النشاط والخبرات التي يندمج فيها التلاميذ تحت إشراف وتوجيه المدرسة بقصد الوصول إلى الأهداف المرسومة»، انظر: صالح عبدالعزيز، التربية الحديثة، ج٣، ص ٢٣٤. ومن أهم مظاهر النشاط المدرسي أو بتعبير آخر مجالات المنهج المدرسي المقررات الدراسية التي نخصها بالحديث هنا.

٤- انظر: سارنوف أ. مدنيك، وهواردر. يوليو، واليزابث.ف. لوفتس: التعلم، ترجمة الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل، بيروت، دار الشروق، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، ص ٢٤-٢٥.

٥- عبدالمجيد نشواتي، علم النفس التربوي، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٤٠٩.

٦- أنور الشرقاوي، العمليات المعرفية وتناول المعلومات، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٤م، ص ٦٩.

النحو بين التيسير

عاصم محمد بهجة البيطار

ليس هذا الموضوع جديداً، ولا أدّعي أنني سآتي فيه بشيء يُسكت صوت الشكوى. ويهدهد من ضجر المعلمين والطلاب في مادة اللغة العربية، فقد طال الحديث في هذا، وكثرت المؤلفات والمحاضرات فيه، ومحاولات تبسيطه وتيسيره؛ غير أنا ـ على ذلك كله ـ مانزال نرى أن مستوى ناشئتنا في لغتهم يزداد تواضعًا يومًا بعد يوم، وأن الوحشة بينهم وبين تراثهم وأدب لغتهم تشتد وتوشك أن تكون قطيعة تعصف بما نرجوه من آثار بنّاءة في تكوين أبنائنا الفكري والنفسي والحضاري.

لقد عُقدت مؤتمرات تربوية، وندوات علمية وأُلفت كتب منهجية، وخضعت عملية تعلّم اللغة وتعليمها إلى تجارب كثيرة، ونحن مانزال نشكو فنشتد في الشكوى، ونشفق من يوم قريب أو بعيد ينظر فيه أبناء العرب إلى ما قاله السلف على أنه لغة أخرى لايسيغها العصر ولاتفي بحاجات الأمة، ولاتتّسع للجديد في الحياة، فهي بذلك تقعد بأبنائها فلايشاركون في السبق العالمي في ميادين المعرفة والتقدم والرقي؛ بل ذهب بعضهم إلى أننا لو حطمنا هذا الهيكل الضخم الذي كبّلنا به اللغويون والنحاة لنفضنا عن أنفسنا ركامًا هائلاً من الجمود والتخلّف، وغلا بعضهم فادّعى أن الأمة العربية قادرة على أن تكون في مقدمة بناة الحضارة إذا هي أطلقت نفسها من أسر الفصحى، وصبغت لغتها بالصبغة العالمية باستعمالها الحرف اللاتيني.

ليست المشكلة بالشيء الهيِّن اليسير، فإن لهذه اللغة محبِّيها الذين يدافعون عنها ويحمون حوزتها، وإنّ لها من المبغضين والشانئين من يودّ أن يطمس جمالها، ويمسح بيد الحقد رُواءها وعبقريتها، وبين هؤلاء وأولئك تقف جماهير الناس تحار في الطريق الذي تسلكه فيزرع في نفسها الطمأنينة، ويجعلها تعي ذاتها، وينمّي قدرتها على التفكير والتعبير، ويجسِّد آمالها ومطامحها، ويأخذ بيدها إلى الغاية في دنيا الحضارة البنّاءة الخيِّرة.

مشكلة النحو والصرف

الشكوى من صعوبة النحو والصرف قديمة ممعنة في القدم، فقصة أبي الأسود الدؤلي مع ابنته إنْ صحّتْ، وخصومة الحضرمي والفرزدق، وخشية عبدالملك بن مروان وقولته المشهورة: شيّبتني المنابر وخشية اللحن، وما كان يؤخذ على أفصح الفصحاء من خطأ يسرع إلى ألسنتهم ، كل ذلك قديم، وكل ذلك كان يحصل والسليقة العربية سليمة لم تستعجم، والحواضر العربية ماتزال تستنشق عبير الصحراء النقي؛ فماذا نقول الآن وقد غلبت علينا العجمة، وتقطّعت أوصال الجسد الواحد، وغُزينا في عُقر دارنا بمختلف الثقافات واللهجات، وأُشرعت معاول هدّامة تحمل أسماء متباينة نراها ونحسّ آثارها في كل يوم.

لن ألتفت إلى هؤلاء الهدّامين فقد ابتُليت اللغة في تاريخها الطويل الخصب بكثير من أمثالهم، وخرجت من معركتها ظافرة ظاهرةً على خصومها. يقول محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في مقدمة كتابه «المفصَّل»: «اللهَ أحمد أنْ جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى أن أنفرد عن صميمهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يُجْدِ عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين...»

وكأن الزمخشري كان يدرك بعين بصيرته أن التاريخ يعيد نفسه، ولكن بأثواب جديدة. ومذاهب مستحدثة فيقول في المقدمة نفسها: «ولعل الذين يغضّون من العربية، ويضعون من مقدارها، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها... لايبعدون عن الشعوبية منابذةً للحق الأبلج، وزَيْغًا عن سواء المنهج...» إلى أن يقول: «وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم، وتدريسهم ومناظرتهم.... فهم ملتبسون بالعربية أيَّةً سلكوا، غير منفكين منها أينما وَجَّهُوا. كَلٌّ عليها حيث سَيَّرُوا.... ثم إنّهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها، ويدفعون خَصْلها، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها، وينهون عن تعلّمها وتعليمها، ويمزّقون أديمها، ويمضغون لحمها، فهم في ذلك على المثل السائر: الشعير يؤكل ويُذم...»

لن ألتفت إلى هؤلاء الهدامين وأشباههم من أدعياء الحداثة، وإنما سأعرض بإيجاز لبعض ماقدّمه مُحبُّو هذه اللغة للحفاظ عليها، ودفع الدم الجديد إلى عروقها، وإحيائها كما يحلو لبعضهم أن يقول.

إنّ محبّي هذه اللغة فريقان:

الفريق الأول: محافظ شديد المحافظة، متزمّت وَعْر التزمّت، ربط اللغة بالقرآن الكريم، وأضفى عليها قدسيّة لاتجيز لأحد من البشر أن يمسَّها بتغيير أو تبديل، ورأى أن الله أنزل هذا القرآن بلسان عربيٍّ مبين، وأنه سبحانه ما فرّط فيه من شيء، ولذا صرفوا

والتعسير

جهودهم إلى فهم اللغة وإظهار مزاياها في هذه الحدود، وقد حرصوا على أن يجدوا لكلّ مسألة تعليلاً، ولكل قضية تفسيرًا، ووضعوا المتون والحواشي والتقريرات، واختلفوا كثيرًا على وحدة الغاية ونبل المقصد.

ولقد كان لهذا الفريق فضل كبير جدًا لكثرة ماكتبوا وألّفوا وقرروا، غير أنهم حجّروا واسعا، ولو نظروا إلى الأمور نظرة أكثر يسرًا وأوفر مرونة لوجدوا أن القرآن الكريم الذي اتخذوه حجةً لهم هو حجة عليهم، وما أعلم كتابا يحمل معنى الثورة والتغيير والتجديد كما يحمل القرآن الكريم.

كان كتاب الله المنزّل بلغة العرب ثورة روحية ولغوية وأدبية واجتماعية وخلقية... صاغ الناس صياغة جديدة، وبنى لهم بفضل الله عقولاً ونفوسًا وأخلاقًا جمعت بين الحفاظ على خير ماكان، وخير مايجب أن يكون، وهذه أ فضل سبيل للتقدم الحق الذي لاتزيغ فيه الأبصار ولاتضلّ العقول.

الفريق الثاني: المؤمنون بلغتهم، المحبون لها، الحريصون على خدمتها خدمة كريمة تجعلها كما يود الودود ويسوء الحسود، الراغبون في أن تكون هذه اللغة التي حفظت تراثنا، واستوعبت تاريخنا، ووفت بحاجات الحضارة فيما سلف من الزمان ونقلتها بعد أن أغنتها إلى العالم كله، أن تكون سهلة ميسرة قريبة من الأفهام، قادرة على الإحاطة بما تتفجر به الدنيا من المعرفة.

هذا الفريق رفع صوته ينادي بحبه للعربية، وبالشكوى من صعوبات فيها، وبالضرورة الملحة إلى تسهيل تعلمها وتعليمها... وقد كانت لهم محاولات كثيرة رأوا أنها طريق نجاتها، فألفوا في ذلك كتبا، ونشروا مقالات، وبسطوا مذاهب جديدة في فهم الظاهرات اللغوية بشكل عام، والنحوية بشكل خاص، وكانوا في نظرتهم إلى القديم على تفاوت بيّن واضح، من فريق مهاجم عنيف الهجوم يرى أن كثيرًا مما ذهب إليه القدماء تعسّف في الفهم، وجور في التعليل، وقصور في الاستنباط، وتمسك بمنطق عقيم لايمتّ إلى هذه اللغة ونفوس أصحابها وطبيعة عقولهم بأية صلة. وفريق آخر عالج الأمر بنظرة أكثر هدوءًا وأناة، وعرف للقدماء كريم فضلهم ، واقترح اقتراحات وَجَدَ لها في بعض ما أثر عن القدماء سندًا ومؤيّدا... وسأعرض بسرعة لبعض الآراء التي نشرت، والنظريات التي وضعت، وأشير إلى ما أُخذ به منها في التعليم. وألفت في ضوئه كتب كانت زاد الطلاب والطالبات في مدارس أمتنا منذ فترة ليست بالقصيرة.

إن المصلحين الغيورين الذين أجمعوا على صعوبة اللغة، وعلى أن فيها جمودًا يشدها فلاتتطور، ولاتستجيب للحياة المتجددة كل يوم، إن هؤلاء قد نظروا في طرق تعلم اللغة، وقصور هذه الطرق عن الوفاء بالغرض الذي وضعت من أجله، وحاولوا أن يضعوا أيديهم على أسباب هذا القصور فأشاروا إلى ضعف الرغبة في المطالعة بل موت هذه الرغبة في نفوس الناشئة وذلك لقلة الكتب المشوقة، وعدم التبصّر بنفسية الأطفال ووضع ما يجذبهم ويغذّي وجدانهم وعقلهم في مرحلة التكوين... كما أ شاروا إلى صعوبة الإملاء، والتعقيد والاختلاف في رسم الهمزة في مواضعها المختلفة، والألف المقصورة والممدودة...، وأشاروا إلى البلاغة وشكوا من النظر إليها كعلم يدرّس ويؤتى عليه بشواهد ماتزال تتردد منذ أكثر من ألف عام... غير أن الشكوى المرة والثورة العارمة والنظريات الجديدة انصرف أكثرها إلى قواعد هذه اللغة، فقد ارتفعت الشكوى من التعقيد والفوضى والبلبلة في النحو، واشتدت الثورة على كثير من آراء النحاة الموروثة، ووضعت النظريات التي ترد اللغة العربية إلى ينابيعها الصافية، وترد أبناءها إليها مشوقين تواقين بعد نفور ووحشة أوشكا أن يكونا جحودًا وقطيعة. والحديث عن إصلاح النحو وتيسير تعلمه وتعليمه هو الأساس الذي يبنى عليه إصلاح اللغة بشكل عام.

يكاد كل الذين اهتموا بهذا الموضوع يجمعون الصعوبات بما يلي:

أ ـ كثرة القواعد النحوية وتشعبها، والتفريع عليها، ومايستجيب لها، وما يشذ عنها.

ب ـ كثرة الآراء في القضية الواحدة، فلكلّ مدرسة رأيها في بعض الأمور. بل لبعض العلماء وجهات نظر يخالفون بها مبادئ المدرسة النحوية أو المذهب النحوي الذي يفسر آراءهم، وقد يتفق بعضهم في ذلك مع فريق آخر، وقد يختلف مع الجميع.

جـ ـ تمسك النحاة بمبدأ العلة النحوية والعوامل في النحو تمسكا جعل هاتين القضيتين العمود الفقري لكل ما كتب وألف من كتب التراث، وهم يرون أن علماءنا قد تأثروا في هذا بالفلسفة اليونانية، وقيدوا أنفسهم بمنطق أرسطو، وأغرق كثير منهم في ذلك حتى غدا النحو جدلاً وعر المسالك، بعيدًا عن بساطة الفطرة العربية التي طبعت على اللغة السليمة قبل أن يعرف أصحابها النحو والفلسفة جميعا.

والشكوى من العلة قديم جدًا، قال خلف الأحمر (ت: ١٨٠هـ): «لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو من المختصر، والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه ويحيط به فهمه، فأمعنت النظر والفكر في وضع كتاب أجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين...» وتعددت الصرخات، ونشر الدكتور شوقي ضيف كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي (ت:٥٩٢هـ) الذي أعلن ثورة على النحاة، واتهمهم بضعف الحجة، واستشهد بقول الشاعر:

ترنو بلحظ ساحر فاتر
أضعفَ من حجة نحويّ

النحو بين التيسير والتعسير

ودعا إلى إلغاء التعليل النحوي والرجوع به إلى بساطته الأولى..

وما أكثر ماروت أمهات الكتب عن النحاة وخصومهم من مناظرات ومحاورات، وجدل وخصومات، وهجاء وسخرية، وقذف وسباب....

د ـ صعوبة الحركات التي عدها كثير من محبي هذه اللغة سر جمالها ومكمن عبقريتها، وعدّها خصومها طلاسم وقيوداً لايتاح إصلاح إلا إذا قضي عليها، وهؤلاء لايعدمون حجةً في بعض مانقل عن قطرب أو ابن خلدون وغيرهما من إشارات واضحة إلى أن الأصل في الكلام العربي التسكين، وأن الحركات ولدت حينما أراد العربي أن يصل الكلام بعضه ببعض، فحرّكه اعتباطا دفعًا للبطء الذي يقتضيه السكون، وهو مذهب مرفوض وحجة لاتقوم..

ولنتساءل الآن: ماذا فعل المصلحون لتذليل هذه الصعوبات وتقريب اللغة من أبنائها.... لقد وضعوا كثيرًا من الكتب، ونشروا العديد من المقترحات، وسأعرض بعض المحاولات التي بنيت عليها خطوات عملية، وتركت ملامحها على الكتب المدرسية في الوطن العربي كله.

المحاولة الأولى

أشهر هذه المحاولات ماجاء في كتاب «إحياء النحو» لمؤلفه الأستاذ إبراهيم مصطفى، وقد قدّم له الدكتور طه حسين بمقدمة تفصح عن إعجاب عميق، وقناعة بسلامة مارآه المؤلف، يدل على ذلك قوله:

«وأنا أتصور النحو على وجهين:

الأول: أن يقربه النحويون من العقل الحديث ليفهمه ويستسيغه ويتمثله، ويجري على تفكيره إذا فكرّ، وعلى لسانه إذا تكلم ، وعلى قلمه إذا كتب.

والثاني: أن تشيع فيه القوة التي تحبب إلى النفوس درسه ومناقشة مسائله والجدل في أصوله وفروعه بعد أن أعرضوا عنه.

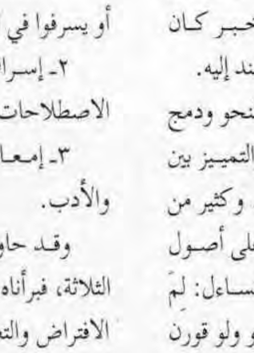
وأشهد لقد وفق إبراهيم إلى إحياء النحو على هذين الوجهين...».

ثار إبراهيم مصطفى على العوامل النحوية ورد الحركات إلى المتكلم نفسه لا إلى العوامل، وقرر أن الضمة علامة الإسناد والكسرة علامة الإضافة والفتحة ماعدا ذلك (بحثه في هذا الكتاب اقتصر على الأفعال) ولعمري هذا كلام لايحل مشكلة، فالمتكلم نفسه لايحرك بالضمة أو بالكسرة اعتباطًا. بل يدفعه إلى ذلك سليقة متمكنة لايستطيع أن يحيد عنها، أو عقل متفتح يستطيع أن يربط الكلمات بعضها ببعض، ويعرف وظيفة كل كلمة منها فيحرك حركة تناسب المعنى، فالأول حرك بالضمة للإسناد الذي أدركه بسليقته، والثاني حرك للإسناد الذي أدركه بعلمه، والإسناد علة الرفع في الطريقين كليهما... ولو تابعنا كلام العرب لوجدنا أشياء تعجز نظرية الأستاذ عن تعليلها كاسم إنّ وخبر كان المنصوبين وهما في نظر النحاة جميعًا مما أسند إليه.

كما دعا المؤلف إلى اختصار أبواب النحو ودمج بعضها ببعض وإلغاء بعض التسميات، والتمييز بين الأجزاء الأساسية في الجملة والمكملات... وكثير من هذه الآراء لا ضير فيه، ولا يخشى منه على أصول هذه اللغة ولا على سلامتها ولكنني أتساءل: لِمَ أثيرت هذه الضجة من كثرة أبواب النحو ولو قورن عدد أبوابه وما ورد فيها من مصطلحات بما ألزم الطلاب حفظه في أي علم من العلوم الحديثة لكانت أبواب النحو ومصطلحاته أقلّ عددًا، ولاأعني بذلك أن يبقى ماورثناه دون تهذيب أو تنسيق جديد، بل أعني ألا تشتد الشكوى بحيث تتيح للمفسدين أن يعيثوا فسادًا في لغتنا وتراثنا، لايدفعهم إلى ذلك إلا عدو يدفعهم، أو هوى يسوقهم، أو شعوبية جديدة تملأ قلوبهم...

المحاولة الثانية

ما وضعته لجنة كونتها وزارة التربية والتعليم في مصر من كبار الأدباء والمشتغلين بقضايا اللغة كالدكتور طه حسين وأحمد أمين وعلي الجارم وإبراهيم مصطفى وغيرهم، وجعلت مهمتهم تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة، تبسيطًا لايمسّ أصلاً من أصول اللغة العربية، ولا شكلاً من أشكال الإعراب والتصريف.



طه حسين

وقد قامت اللجنة بوضع تقرير شامل قدمت له بمقدمة جليلة، فيها إشارات إلى بعض ما ينبغي أن يوجه النظر إليه من أمور تتصل بتعلم اللغة وليس من تيسير النحو والبلاغة في شيء، فالنحو والبلاغة قد يثقّفان العقل ويرقّيان الذوق ويصفّيان الطبع ويقوّمان الألسنة، ولكن الأهم والأجدى تعلّم اللغة نفسها، أي أن تصبح أداة الفهم والإفهام، والتفكير والتعبير، ووسيلة يهون على أبنائها أن يؤدوا بها من الأغراض مايؤدى في غيرها من اللغات الحية، وسنعود إلى هذه النقطة بعد قليل.

واللجنة تجمل عملها بما يلي:

«لاحظنا أن أهم ما يعسر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء:

١ـ فلسفة جملة القدماء على أن يفترضوا ويعللوا أو يسرفوا في الافتراض والتعليل.

٢ـ إسراف في القواعد نشأ عنه إسراف في الاصطلاحات.

٣ـ إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

وقد حاولنا أن نخلّص النحو من هذه العيوب الثلاثة، فبرأناه من الفلسفة ماوسعنا ذلك، ومحونا منه الافتراض والتعليل اللذين لاحاجة إليهما، وقاربنا بين أصوله وقواعده، فضممنا بعضه إلى بعض كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا، واكتفينا بالأمثلة في كثير من الأحيان، وأعرضنا عن تفسير العلل والإمعان في التأويل».

وقد كانت اللجنة منصفة حينما اقترحت أن تؤلف كتب في ضوء اقتراحاتها توزع على المعلمين وتناقش فإن ثبتت جُعلت قاعدة لكتب مدرسية جديدة تعمم في الوطن العربي كله.

والحق أن اقتراحات اللجنة تتناول الظواهر اللغوية كما وردت دون تعليل، ولكنها تذهب في بعض ذلك مذاهب غريبة، فالقدماء من النحاة سموا ركني الجملة الفاعل والفعل والمبتدأ والخبر، والبلاغيون سموا المسند والمسند إليه، وأصحاب المنطق سموا الموضوع والمحمول،

فاختارت اللجنة التسمية الأخيرة مخالفةً في ذلك ما اشترطته على نفسها من البعد عن المناطقة وحدودهم.

ومما رأته اللجنة إلغاء الضمير المستتر جوازًا أو وجوبًا ومثلت لذلك بقولنا: أقوم وتقوم فتقول: الفعل محمول. والهمزة أو التاء إشارة إلى الموضوع أغنت عنه، والإعراب خادم للمعنى ووسيلة لفهمه فإن قلت: التاء في (تقوم) أغنت عن الموضوع فهل استبان وجه المعنى؟ وهل عُرف أن الموضوع هو مخاطب أو غائبة مؤنثة. ولو قدرنا الفاعل: أنت أو هي لزال الالتباس وكان الإعراب فعلاً دليلاً لإيضاح المعنى...

ومما ذهبوا إليه أيضا أن جمعوا المنصوبات كلها من المفاعيل والحال والتمييز تحت اسم التكملة وجعلوها - كما قالوا - بابًا واحدًا، ولكنهم رأوا أن يشار إلى الغرض الذي أتى بالتكملة من أجله فتكملة لبيان الزمان أو المكان، ولبيان العلة، ولتأكيد الفعل أو بيان نوعه، ولبيان المفعول أو لبيان الحالة والنوع، وهو تفصيل متعب، خير منه ما كان عند نحاتنا القدامى من الاصطلاح الذي يفصح عن حركة الكلمة ووظيفتها في الكلام ودلالتها المعنوية كالمفعول به والمفعول لأجله وغيرهما من المنصوبات.

كانت هذه المقترحات نواة لقرارات اتخذها مجمع اللغة العربية في مصر وحولها إلى مجمعي دمشق وبغداد، فدرساها ووضعا ملاحظات عليها، ثم عقدت ندوة في الجزائر عام ١٩٧٦م برعاية اتحاد المجامع العلمية في الوطن العربي، واتخذتا فيه توصيات سأعرض لها بعد قليل، على أنني أحب أن أعرض نموذجًا واحدًا لبعض ماجاء في قرارات مجمع اللغة العربية في مصر:

«يُستغنى عن الصيغ المألوفة في الدلالة على العلامات التي تنوب عن الحركة الأصيلة ففي نحو:

جاء الزيدان: يقال: الزيدان مسند إليه مرفوع بالألف

وفي جاء أبوك. أبوك مسند إليه مرفوع بالواو

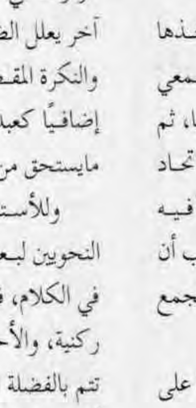
وفي مررت بأحمد: أحمد مجرور بالفتحة... وهكذا...»

ولعلي أشفق على هذه اللغة من أن توصم بالفوضى حينما يتعلم أبناؤها أن الفتحة علامة النصب، والكسرة علامة الجر، والضمة علامة الرفع، وأن ذلك هو المطرد في كلام العرب ثم نقول: هذا مرفوع بالواو، وهذا مرفوع بالألف، وهذا منصوب بالألف، وذاك منصوب بالياء، وغيرهما منصوب بالكسرة، فأين ضوابط الحركات وأين القانون الذي ينظمها فلاتشذ عنه؟...

المحاولة الثالثة

هي ماجاء في كتاب «المفتاح لتعريب النحو» الذي نشره الأستاذ محمد الكسار عام ستة وسبعين وتسعمئة وألف ووضع فيه نواة نظرية جديدة تحاول أن تربط أبواب النحو جميعًا بالحياة العربية الفطرية، وهو يرى أن ما أصاب النحو من تعقيد وعقم يُردّ إلى العقول الأعجمية التي رتبت أبوابه، وأوضحت علله، وفلسفت قوانينه، وشعبت فروعه في ضوء المنطق اليوناني، وأن تعريب النحو يحتاج إلى فهم جديد له وتفسير واضح لظاهره المختلفة، وقد جاء بنظريته التي تربط الحركات بطبيعة الحياة العربية، فالضمة للدلالة على الحركة والفاعلية في الاسم وعلى الاستمرار في (الفعل المضارع)، وقطع الاستمرار وتوقفه يقتضي الوقوف في الحركة أي الجزم والتسكين، وهو في باب آخر يعلل الضمة بفكرة المجاملة كالمنادى المفرد العلم والنكرة المقصودة والمحلى بال، فإن كان العَلَم مُركّبًا إضافيًا كعبدالله فقد نقص بإضافته إلى غيره فحرم مايستحق من الضم...

وللأستاذ الكسار آراء كثيرة في تسميات النحويين لبعض الأبواب ، وفي فهم العمدة والفضلة في الكلام، فهو يسمي ضمائر الرفع المتصلة: ضمائر ركنية، والأحرف المشبهة بالفعل: أركانًا فعلية ناقصة تتم بالفضلة الاسمية، والأفعال الناقصة التي رأى أنها أفعال ركنية لاتتميز منها الأفعال التامة كلها...


أحمد أمين

ولا أرى ضيرًا في أن أوجز نظرية الأستاذ الكسار في الحركات وقد قضى في التفكير فيها والسعي بها إلى الكمال أربعين سنة....

يشير الأستاذ الكسار إلى تماثل بين بناء الخيمة العربية والجملة العربية، فالفعل أو ما في معناه كالنسيج أو الجلد أو الشعر، كل منها مادة أساسية للغرض منه، وهذا النسيج يفتقر إلى عماد يستند إليه ويقوم به، وكذلك تفتقر الجملة إلى العماد الذي لاتنهض إلا به وهو المرفوع...

وتحتاج الخيمة بعد ذلك إلى عناصر ثانوية لتثبيتها وتجميلها هي الأوتاد والأطناب كما تحتاج الجملة إلى (المكملات) من الحروف والمجرورات والمنصوبات ...

يقول المؤلف (المفتاح ص: ١٨١):

«لقد صنف أئمة النحو القدامى - وهم على حق - الحركات إلى ثلاثة أصناف:

١- حركة قوية (الضمة).

٢- حركة متوسطة (الكسرة).

٣- حركة خفيفة (الفتحة).

وأطلقوا على انعدام الحركة الوقف أو السكون.

والعرب المعربون لم يوزعوا هذه الحركات وهذا السكون بصورة اعتباطية عشوائية، وبصورة خاصة على أواخر الأسماء المعربة والأفعال، بل هم وزعوها على نحو يتفق ورغبتهم في التعبير عن الفعاليات المختلفة وانقطاعها في الصيغ الفعلية، وعن مدى المشاركة في أداء هذه الفعاليات في الأسماء المعربة.

فجعلوا الفتحة رمزًا لضعف الفعالية في الماضي والمستمر المشكوك فيه، ولضعف المشاركة في الفعالية في الفضلات كافة من الأسماء المعربة.

وخصوا الضمة بصيغة المستمر الأكيد الحصول حالاً أو استقبالاً وبالعمدة وحده من الأسماء.

وجعلوا السكون رمزًا لانقطاع الفعالية وانعدامها كما في صيغة الأمر وبعض حالات المستمر. وخصوا بعض الأسماء المعربة بالكسرة حينما تسبق بحرف جر ظاهر أو مقدر مما يجعل دلالتها على المشاركة بالفعالية التي تتحدث عنها الجملة وسطًا بين الشدة والضعف، وقد أطلقت على الاسم في هذه الحالة «الوسيط». وجعلوا من السكون العارض - وهو غير السكون الأصلي الدال على انقطاع الفعالية أو انعدامها - وسيلة يفرقون بها بين ركني الجملة حينما يكون أحد ركنيها: ضمير عمدة...».

لن أدخل في مناقشة للنظرية وتطبيقاتها تبعد هذا الحديث عن إطاره الذي أردته له، وتجعله أكثر من عرض خطوط سريعة وإشارات تُبين بإيجاز عما

النحو بين التيسير والتعسير

اصطنع بعض المؤلفين والباحثين من نظريات، غير أنني أكتفي بإشارات سريعة إلى أشياء تثور في الذهن ماأدري تعليل النظرية لها، فإن كانت الضمة علماً على الفعالية في المستمر (المضارع) وفي الاسم، فما دلالة الضمة في مثل قولنا: يموت المريض؟ وهل الموت استمرار للفعالية أو عدم استمرار لها، ثم كيف ينقلب عديم المشاركة في الفعالية أو ضعيفها إلى عمدة فيها حينما يبنى الفعل للمجهول ويغدو المفعول به نائب فاعل مرفوعا؟.

وإذا كانت الضمة علم الاستمرار والفعالية فيه فكيف نعلل الفتح في قولنا: مازال زيد نشيطًا، وما برحَ سعد مريضاً، وهذه الأفعال علَم على الاستمرار...

وكيف ندرك الفرق بين المرفوع والمنصوب في قولهم: «شارك زيد سعداً» وكل منهما مشارك للآخر، ليس لواحد منها مزيد فاعلية على الآخر. ولو عكسنا فقلنا شارك سعد زيداً لما اختل المعنى ولما أغضبنا الشريكين في قلب ميزان الشراكة بينهما.. وخلاصة القول: إن الأستاذ الكسار عرض لمجمل أبواب النحو ووُفّق في بعض ماذهب إليه غير أنه لم يسلم من التعليل النحوي الذي طالت شكوى الناس منه، على اختلاف طريقه فيه، ولم يَرَ التخلص النهائي من العوامل النحوية فقد رأى بعضها ضرورة لامحيد عنها.

المحاولة الرابعة

دعا اتحاد المجامع العلمية إلى ندوة علمية عقدت في الجزائر في الثامن والعشرين من حزيران (يونية) لعام ستة وسبعين وتسعمئة وألف، وبُحثَ فيها أمر تيسير تعليم اللغة العربية، واتخذت الندوة توصيات مثمرة إذا أحسن تطبيقها، وقد انطلقت في توصياتها من قناعة تامة بأن أمر تعلم اللغة ليس واجبًا تربويًا فحسب، وبأن المدارس لاتقوى على أن تقوم وحدها بهذا العبء الثقيل، بل الأمر واجب قومي ينبغي أن تتضافر الجهود كلها لتنهض به، وتتعاون لتجعل اللغة العربية من جديد لغة الحضارة والتقدم، يقبل عليها أبناؤها مؤمنين بها، محبين لها، معتزين بماضيها وحاضرها. ويسعدني أن أقدم خطوطًا عامة لتوصيات الندوة:

١- استعمال الكلمات والاصطلاحات التي تقرها المجامع العلمية في الكتب المدرسية والمؤلفات العلمية، وأن تكون هذه المقررات شيئًا مما تدرسه الكليات والمعاهد التي تخرّج مدرسي اللغة العربية.

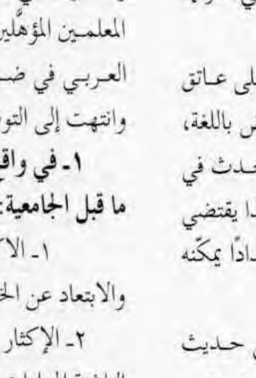
٢- الاهتمام بمكتبة الطفل وضرورة أن ترعى جانب التشويق والإفادة وتزويد الطفل بقدر صالح من الثروة اللغوية، والإهابة بالكتّاب والأدباء أن يقوموا بدورهم الوطني في هذا الميدان. والاهتمام كذلك بمكتبة الفصل، واتخاذ الوسائل لتحبيب الطلاب بلغتهم القومية.

٣- التزام الحكومات والمؤسسات والشركات اتخاذ اللغة العربية والألفاظ والأساليب التي أقرتها المجامع وسيلة التحدث إلى الجماهير.

٤- مع الإيمان بالمهام الثقيلة الملقاة على عاتق المدرسة، فقد دعيت إلى الإسهام في النهوض باللغة، وذلك بأن تكون اللغة العربية لغة كل متحدث في المدرسة، وألا يكون للعامية مكان فيها، وهذا يقتضي الاهتمام بإعداد المعلم في مختلف المواد إعداداً يمكّنه من أداء رسالته العلمية واللغوية أداءً جيداً.

٥- العمل على وضع معجم مدرسي حديث يتسع للمعاني الجديدة المجازية التي ذاعت وانتشرت .

وقد وجهت الندوة عناية كبرى إلى وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لأنها تعيش مع الناس في بيوتهم وأسواقهم، وفي ليلهم ونهارهم، وتفرض نفسها على الأفراد جميعًا شاؤوا أم أبوا، ولذا أوصت الندوة أن تكون اللغة السهلة الفصحى هي اللغة المستعملة، وأن تمنع العامية منعًا حازمًا في كل البرامج ولمختلف الفئات وبخاصة الأطفال. وأن تُتّخذ وسائل الإعلام هذه أداة لتعليم اللغة ونشرها والترغيب فيها، وأن يدعى من أجل ذلك الموهوبون من الأدباء إلى كتابة تمثيليات ومسرحيات بلغة عربية سليمة يسمعها العامة فيقبلون عليها، ويسمعها الخاصة فلا ينكرونها، وتكون من وسائل توحيد منابع الفكر وتكوين الرأي العام المشترك في الوطن العربي كله، وفكرة التوحيد هذه هي التي حملت الندوة على دعوة الحكومات العربية والمنظمة العربية واتحاد الإذاعات إلى الاهتمام بالإذاعة واتخاذها وسيلة للتوحيد بين الشعوب العربية لغة وفكرا، والعناية الكبرى بالمذيعين والمذيعات ورجال الإعلام عامة لما لهم من أثر بعيد فيما يذيعونه ويبثونه من آراء وأفكار، ومن هنا جاءت ضرورة إعدادهم إعداداً لغويًا أدبيًا خاصًا يمكنهم من الاتصال بالجماهير والتأثير فيهم والرقي بأذواقهم، وتوطيد صلتهم بلغتهم.


علي الجارم

المحاولة الخامسة

عُقدت في رحاب جامعة دمشق باسم: ندوة النحو والصرف (٢١ - ٢٤ من ربيع الأول١٤١٥هـ/٢٧- ٣٠ آب/ أغسطس ١٩٩٤م) وألقيت فيها بحوث تناولت مشكلات تعليم النحو والصرف في المراحل كلها، والامتحانات، وإعداد المعلمين المؤهَّلين، والرؤية الجديدة لتدريس النحو العربي في ضوء النظريات الحديثة وعلم النفس. وانتهت إلى التوصيات التالية:

١- في واقع تدريس النحو والصرف في المرحلة ما قبل الجامعية:

١- الاكتفاء بتدريس القواعد الأساسية والابتعاد عن الخلافات والتعديلات.

٢- الإكثار من التدريبات وتنويعها بغية إ كساب الناشئة المهارات اللغوية.

٣- العناية بتدريب الطلاب على المباحث التي يكثر الخطأ فيها.

٤- وجوب ضبط الكتب بالشكل.

٥- الجمع بين الأصالة والمعاصرة في إيراد الشواهد والأمثلة والتدريبات.

٦- الاستمرار في تطوير المناهج من قبل لجان تضم متخصصين من مختلف المؤسسات العلمية المعنية.

٧- الارتقاء بمستوى المعلم اختياراً وإعداداً وتدريبًا.

٨- العناية بتعليم النطق السليم.

٩- الإفادة من وسائل التقنيات الحديثة.

١٠- الإفادة من معطيات علم اللغة الحديث (اللسانيات).

١١- ربط تعليم النحو والصرف بفروع اللغة العربية الأخرى.

١٢- الحرص على استخدام اللغة العربية السليمة في المؤسسات التعليمية.

٢- واقع تدريس النحو والصرف في أقسام اللغة العربية:

١- تأكيد الهدف من تدريس النحو والصرف في إعداد الطلاب ليكونوا مدرّسين أو باحثين.

٢- تنويع أساليب التقويم والاختبار.

٣- الإكثار من الجانب التطبيقي وربط النحو والصرف بالواقع اللغويّ المعاصر.

٤- الحرص على استخدام اللغة العربية السليمة في البحث والتخاطب والمحاضرة.

٥- ربط النحو والصرف بالأدب والبلاغة والنقد من خلال النصوص القديمة والحديثة، الشعرية والنثرية.

٦- الاستمرار في رفع مستوى القبول في أقسام اللغة العربية.

٧- إحداث مقرر دراسات نحوية تطبيقية في السنة الرابعة.

٨- إعادة النظر في توزيع مفردات مقرر النحو والصرف على السنوات الجامعية والاهتمام بالأساليب النحوية.

٩- العمل على إيفاد الطلاب المتفوقين إلى أقسام اللغة العربية إيفادًا داخليًا.

١٠- التأهيل التربوي للمدرسين في الجامعة.

٣- توصيات عامة

١- تأمل الندوة أن تُعنَى وسائل الإعلام كافة بمراعاة أساليب اللغة العربية السليمة.

٢- تأمل الندوة أن يجري تبادلٌ لأساتذة النحو والصرف بين جامعات الدول العربية.

٣- إجراء تجربة بتدريس كتب تراثية نحوية موجزة للسنتين الأولى والثانية، ووضع تقرير عن هذه التجربة في جامعات القطر والأقطار العربية الأخرى بعد عام من إجراء التجربة.

وهناك محاولات واقتراحات أخرى كثيرة قام بها أساتذة كبار، منهم الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في كتابه: النحو الجديد، والدكتور شوقي ضيف في كتابه: تجديد النحو، ومنهم الدكتور مهدي المخزومي والأستاذ عبد العليم إبراهيم في: النحو الوظيفي؛ ولاتخرج اقتراحاتهم عمن سبقهم أو لحق بهم إلابالغلوّ في حذف أبواب كثيرة أو قليلة من أبواب النحو والصرف، أو في إلغاء القواعد النظرية كلها وتعليم اللغة بكثرة التدريب التي تُجنّد فيها الكلمات لأداء وظيفة ما في التركيب اللغوي.

وقد رأيت أن كتب النحو المدرسية قد أخذت بكثير من مبادئ التسهيل، واصطنعت طرقًا جديدة في تعليم العربية وقواعدها، فبنت استنباط القاعدة على النصوص، وأكثرت من التدريبات الشفوية والتحريرية، والتزمت ضم أبواب متفرقة بعضها إلى بعض، فماذا كانت نتيجة ذلك كله؟ هل ارتفعت الشكوى؟ هل يُسِّر النحو حتى غدا مشوّقًا مقبولاً؟ هل أصبح طلابنا أفضل ممن سبقهم ممن لم يسعفهم الحظ بالتعلم على الأسس الجديدة؟ لا وألف لا !!

وإليكم نماذج قليلة من الإعراب جمعتها من أوراق طلاب السنة الأولى في قسم اللغة العربية وفي مادة النحو والصرف. في قصيدة أبي تمام الشهيرة في رثاء محمد الطوسي جاء قوله:

كذا فليجلَّ الخطبُ ولْيفدح الأمر

فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أعرب بعضهم فليجل: الفاء حرف جر، ليجل مجرور بالفاء.

وآخر: فَلْ تضمنت معنى الشرط. يجل فعل الشرط

كذا: فعل ماض جامد مبني على السكون في محل رفع مبتدأ

وآخر: حرف جر زائد في محل نصب حال وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة. وفي قوله:

فقدت ناشئتنا حسها اللغوي، ومات في نفسها تذوق الروائع الأدبية

وما كانَ إلا مالَ من قلَّ مالُهُ

وذخرًا لمن أمسى وليس له ذخرُ

لمَن: اللام عطف. من: مبتدأ. وآخر: اللام حرف جر ومن اسم مجرور وهما في محلّ جرّ بالإضافة.

وآخر: اسم موصول مجرور بحرف الجر في محل نصب مفعول به مقدم للفعل أمسى.

له: الهاء اسم مجرور وهو اسم ليس مرفوع متعلق بفعل أمسى.

اسم ليس مرفوع بالضمة المقدرة على الواو المحذوفة للتخفيف.

ضمير منفصل اسم ليس مرفوع بالضمة الظاهرة.

وأمثال هذا كثير، وأرجو أن نشترك جميعًا في تعليل هذا الضعف المروّع، هل يعود إلى طبيعة نحونا العربي؟ أو إلى عقم طرق تعليمه؟ ما معنى أن يرد بيت للشاعر يقول فيه:

خليلي إن أصعدتما أو هبطتما

بلادًا هوى نفسي بها فاذكرانيا

فيعرب عشرات الطلاب: فعل أصعدتما فعلاً مضارعًا لتوهم أن الهمزة في أوله دليل ذلك، ويعرب الكثيرون هوى فعل ماض ونفسي فاعل، وليس لهم من ذائقة عربية تهديهم، ولافهم سليم يعصمهم....

إن القضية ليست ضعفًا في النحو مرده إلى صعوبته، وليست قصورًا في الإدراك مردّه إلى تعسف الطرق التربوية المتبعة في تعليمه، وإنما مردّ ذلك - في رأيي - إلى التواء في أصل التفكير، وتهافت في الفهم نفسه، وأرجو ألاّ يضيق القارئ ذرعًا بمثال آخر أسوقه دليلاً على هذا الالتواء الفكري الذي أضاع الناشئة فغدوا لايحسنون تلمس الطريق إلى غاياتهم ويستبهمون الواضحات.

أعطي الطلاب - والحديث يتعلق بالجامعة - مبحث النائب عن الفاعل، وبسطت لهم قواعده وشرحت لهم شواهده ونُص على أن المفعول به هو الأصل في النيابة عن الفاعل، وقد ينوب عنه المصدر أو

النحو بين التيسير والتعسير

الظرف أو المجرور بالحرف بشروط استنبطها النحاة من أقوال فصحاء العرب، ثم أعطي الطلاب قول ابن مالك في النائب عن الفاعل:

وقابلٌ من ظرف أو من مصدر
أو حرف جرٍ بنيابة حَري
ولاينوب بعضُ هذي إن وُجِد
في اللفظ مفعول به وقد يَرِدْ

وطُلب إليهم استخلاص القواعد الموجودة في البيتين ، ووضعها في قاعدة نحوية مقبولة... فجاءتني عجائب وغرائب اقتصر منها على إجابتين اثنتين:

١ـ أيها الإنسان إذا طلب منك أن تشرح شيء أو أن تعرب شيء فلا تقل من عندك أبدًا، قل وتكلم من مصدر موثوق منه....

٢ـ قال ابن مالك في هذان البيتان مبينًا على أن كل فرد يريد أن يتعلم العربية فيجب أن يأخذها ويطبقها بحذافيرها، وأن يستعير الأقوى فالأقوى، فإن كان لديه ظرف إما أن يكون زمان أو مكان... أو كان لديه حرف جر يكون نيابة عن المضاف أو المضاف بالحركة فقط. وأما هذه الأشياء كلها إن وجدت في النصب فلاحرج على أن تنوب مكانه هذه الأوصاف لأنها لاتنوب ولاتدخل في الكلام إلا عند الضرورة والحاجة إليها، وخاصة عندما يوجد المفعول به في شتى حالاته فإنه يكون هو الصدر الأعظم في الكلام....

إن ناشئتنا فقدت حسَّها اللغوي، ومات في نفسها تذوق الروائع الأدبيَة، وقل نصيبها من إرادة الفهم، وغدت غرضًا لكل من رام لهذه اللغة كيدًا، ولهذه الأمة خطبًا، فقد شُنّت علينا حرب ثقافية ضارية استعملت أسلحة مسمومة ماضية من فن رخيص، وأدب رقيع ، وهدم وتخريب يحملان راية التجديد والتطور، لقد خاطبوا عواطف الشبان ونزواتهم فعطّلوا عقولهم، وزينوا لهم الانفلات من كل القيود، وتحطيم كلّ الأعراف حتى اعتقدوا أن التمرد هو المعنى الحقيقي للحرية، وأن تأكيد الذات يعني أن أفعل ما أريد، وأفكر كما أشاء، وكان الأمر يحلو لو كان الهوى مقيدًا بالعقل ، ولكنهم بشكل عام جعلوا عقولهم تبعًا لأهوائهم، ورسّخ هذا عندهم مايُلقى بين أيديهم من كتب ومجلات وصحف، وما يبث في الإذاعات، ومايعرض في الرائي مما يستورد من هنا ومن هناك.

خاتمة القول

عرضت بإيجاز لبعض ماقيل في أمر اللغة وتيسير تعلمها وتعليمها، وقد كانت ندوة الجزائر أوسع المحاولات أفقًا وأدقها نظرًا وأكثرها واقعية، إذ رأت أن المشكلة ليست مشكلة مدرسية أو تربوية فحسب، وإنما هي قضية قومية تتصل بكيان الأمة ووجودها، ودعت إلى تعاون مثمر يرتفع بمستوى التفكير في الأمة كلها، ويوطد من صلة الأفراد جميعًا باللغة الأم، فتغدو البيوت والأسواق ومراكز العمل أكثر تقبلاً للفصحى، وأوثق تعاونًا في إنشاء الجيل الجديد ومن سيليه.

على أنني رأيت بالتجربة العملية أن كل محاولة قد حكم عليها بالإخفاق بفعل عوامل مختلفة أضعفت تكوين الطالب الفكري والخلقي، وشوهت معنى التبعة في نفسه، منها النجاح الآلي ـ في المرحلتين الابتدائية والإعدادية على الأقل ـ ومنها كثرة العدد في الفصل الواحد مما يجور على حُسْن قيام المعلم بواجبه، وتكوين فكرة دقيقة عن كل طالب، والنظر في واجباتهم ووظائفهم، ومنها فقر المعلمين ـ وبخاصة في الابتدائي ـ الذين يحسّون بالمرارة الشديدة لواقعهم المرهق، وحاجتهم إلى التماس عمل إضافي يستكملون به نفقتهم الملحة التي لاترحم ، فلايستبين في عمله التربوي إيمان واضح برسالته وإقبال عليها وحماسة لها، ويترجَمُ هذا في نفوس الطلاب إلى قلة مبالاة وعدم اكتراث.

فالموضوع إذن يحتاج إلى بحث القضية نفسها، والنظر في الإطار الذي يحيط بها، فإعداد الكتاب المشوّق الصحيح، والمعلم القادر على عرضه وغرس المحبة في نفوس طلابه هما أساس كل انطلاقة... لقد درستُ اللغة العربية لأن معلمًا في السنة الخامسة الابتدائية قد ربط مابين قلوبنا ولغتنا رباطًا لاينفصم، ولذا لم نعد نضيق بصعوباتها ، ولم نعد نجدُ مشقة في التحدث بها، وصرنا نشعر بسعادة حينما نصيب شيئًا من روائعها فنحفظه. ولقد سمعت معلمًا قضى في تعليم القواعد العربية في المرحلة الابتدائية خمس عشرة سنة يقول: رأيت طلابكم في الجامعة ينعتون «ليس» بأنه فعل ماض جامد.. وأنا لم أسمع بفعل جامد قبل الآن، ولا أدري المقصود منه. فأي خير نرجوه من معلم يكوّن الناشئة في مرحلة زرع البذور وهو يجهل أبسط ماينبغي أن يعرفه مدرس العربية.

لماذا أتى السلف بروائع الكلام ولم يتعلموا النحو والصرف، وتعلمنا نحن ونظّمنا وطوّرنا واستورْدنا ثم وجدنا أنفسنا بعد ذلك نسير إلى الوراء ؟

إن الذي نفتقر إليه في رأيي هو الإيمان بأنفسنا وبلغتنا، والإقبال عليها بروح العبادة. كان السلف يقولون: كانت تأتينا الآية أو الآيات فنتصوّرها رسائل من ربنا إلينا، فلا نغادرها حتى نتعلم مافيها من لغة وفقه وأحكام، فتعلمنا العلم والعمل جميعا.

اتخذوا فهم اللغة واجبًا دينيا يتقربون به إلى الله، فأصلح الله معاشهم ومعادهم، ولم يحسّوا بحاجة إلى تعلّم النحو والصرف.

واتخذنا تعلّم اللغة وتعليمها حرفةً نصلح بها أمر دنيانا ومعاشنا ونزعنا بذلك مالها من حُرْمَة تعصم اللسان عن الخطأ إلى حد كبير...

سمّوا النحو والصرف والبلاغة وما إلى ذلك علوم الآلات، أي هي وسيلة وآلة لفهم القرآن الكريم والتمكن من لغته وإعجازه. وسميناها نحن علومًا أو موّاد للدرس والتحصيل. وعقّدنا قواعدها بعد أن غدت غاية لا وسيلة، وكرهنا هذا التعقيد وهاجمناه.

نحن ندور في حلقة مفرغة: تصدّر الجامعات مدرسين ضعفاء، ينعكس ضعفهم على طلاب المراحل التي قبل الجامعة.

الإصلاح الحقيقي، في رأيي المتواضع، أن تُنشأ دور للحضانة تدرس فيها العربية الفصحى كما تدرس اللغات الأجنبية، فلايسمع هؤلاء الصغار فيها إلا الفصحى فينشؤون على الالتصاق بها، والقدرة على استعمالها، وتحيا من جديد السليقة التي نرجو أن تكون غافية لاميتة ... وحين ذلك نتساءل: متى تقام ندوة تدور أبحاثها حول الطرائق والخطوات التالية التي نعنى فيها باللغة نفسها والرقيّ بأساليبها ونستغني بها عن تدريس قواعد النحو والصرف؟!! .

تجاربي في تدريس اللغة العربية



أحمد حسن الزيات

في كل مدرسة، وفي كل سنة، وفي كل فصل، يكاد هذا الحوار يتردد بمعناه بيني وبين التلاميذ الجدد:

ـ أخرجوا كتاب المطالعة.

ـ أوه! لقد قرأناه، ثم قرأناه حتى مللناه! ألا يوجد كتاب غيره؟

ـ هذا هو الكتاب المقرر. وسنقرأه مرة أخرى على نمط آخر.

فيفتحونه متثاقلين ويقرأون متكاسلين وكلما تكررت: وكيف كان ذلك؟ زعموا... جرت على شفاههم بسمة خبيثة!

* * *

ـ اليوم يوم القواعد!

ـ صداع الرأس وغثيان النفس وكَظَّةُ الحافظة بما لاخير فيه ولا عَوْد منه!

ـ هل في العالم لسان صحيح من غير نحو، وكتابة فنية من غير قواعد؟

ـ للُغات الأخرى نحو بسيط معقول، ليس فيه مافي نحو العربية من وجوه وشروط وأوزان وأبواب وإعراب وإعلال وإبدال، مما يجعله أقرب إلى الرياضة منه إلى الأدب!

ـ ستعلمون أن هذا النحو أيسر مما تظنون!

ثم أسير في الدرس، وهم مستسلمون مستيئسون كأنما يسمعون شرًا لابد منه.

* * *

ـ درس اليوم قطعة من المحفوظات!

ـ لنستعد أولاً للتحريري، فإذا جزناه استعددنا للشفهي!

ـ ليس الغرض من المحفوظات أن تكون مادة للامتحان الشفهي، وإنما الغرض منها تجويد الإلقاء، وتربية الملكة، والوقوف على معاني المفردات وخواص التراكيب.

ـ اكتبوا في هذا الموضوع.

ـ اللّه!! موضوع جميل «واسع»!

ـ إذن لماذا لم تبدأوا الكتابة؟

ـ ننتظر أن تتكلم لنا فيه، فتملي علينا مقدمته، وتنهج طريقه، وتبين غرضه، وتقسم أجزاءه.

ـ وماذا يبقى لكم أنتم إذن؟!

ـ حسبنا أن نكتب ما نسمع بعد أن نمطه بالمترادفات والمبالغات، ونحشوه بالأحاديث والآيات!

ـ ولكني أفهم هذا وأنتم صغار ناشئون، فما عذركم اليوم وأنتم شباب، لكم فكر ورأي، وعندكم علم ومحصول؟

ـ هكذا عودنا معلمونا.

ـ تعودوا من الآن غير هذا! ففكروا بعقولكم، وعبروا بألفاظكم، فالذهن يقوى بالمعالجة ويخصب بالمران.

فيحاولون أن يكتبوا، ولكنهم يقضون الساعة في عصر الذهن، وصك الجبين، وشد الشعر، وعض القلم، حتى يدق الجرس وما كتبوا غير سطر أو سطرين!

* * *

من هذا الحوار المتجدد فهمت شكاة التلاميذ، وعلمت أسباب انصرافهم عن اللغة واستصعابهم لها واستخفافهم بها وزهادتهم في أدبها. فأنا أعالج من أتولى تعليمه منهم بتصحيح فهمه وتبديد وهمه وتجديد عزمه، فلا يلبثون غير قليل حتى يشاركوني في الدرس، ويناقشوني في الرأي، ويسابقوني إلى الاستنتاج، ويشيع في جو الفصل النشاط والشوق والرغبة والأمل.

أسباب آلامهم وعلاجي

لو قصرنا الكلام على تحليل هذا الحوار لخرجنا منه بعلل هذا الشعور وأسباب ذلك

تجاربي في تدريس اللغة العربية

النفور وحصرنا ذلك فيما يأتي:

١ ـ الاقتصار على كتاب واحد للمطالعة

يقرر لكل فرقة، ويكرر في كل عام. وثقل ذلك على النفس ثقل الحديث المعاد والنغم المردد مهما كان فيهما من نفع ولذة، بله مايدل عليه ذلك من فقر الأدب العربي في الكتب، وضعف العقل المصري في الإنتاج. والنفس البشرية نزّاعة إلى التنوع طلاّعة إلى الجديد. فكنت أدفع السأم عن نفوس الطلاب بإثارة الاهتمام ومحاولة التجديد بدراسة لغوية للألفاظ، فلسفية للمعاني، نفسية للأشخاص، فأطالبهم باستعمال اللفظ ومرادفه وضده، وأناقشهم في مدلوله فيؤيدونه أو يفندونه، وأباحثهم في أخلاق الأشخاص والدور الذي يمثلونه. ثم اختار لهم الحين بعد الحين روائع الفصول من الكتب والصحف والمجلات فأقرئهم إياها أو أدلهم على كتاب حديث وأكلفهم أن يقرأوه ويلخصوه ويسمعوني إياه. على أن رجال المعارف قد فطنوا إلى هذا الخلل فحاولوا سده، فهم يخصصون لكل سنة من سني الدراسة كتابًا، ويطلبون إلى الأدباء أن يتسابقوا في وضع هذه الكتب. فعسى أن يوفقوا إلى الصواب في هذا العمل، وأن يدنيهم كفاة الكُتّاب من هذا الأمل.

٢ـ جفاف القواعد وعقمها بفصلها عن الأدب

من الحق أنك لاتجد أجف من القواعد العربية، فوجوهها عديدة، ومناحيها بعيدة، ومسائلها معقدة، ومسالكها ملتوية، لاتساعد على وحدة النطق ولاتعين على صحة الأسلوب، ولاتزال عليها مسحة من الخشونة والقدم، لأنها في الأصل وضعت للقرآن الكريم واعتمدت على لحون العرب، ووقفت عند ذلك، فلم تساير اللغة في تطورها وتقدمها، وبقيت تروع التلاميذ بما لارجع منه ولا طائل وراءه من أوزان مهجورة ولهجات مقبورة وتعليلات باردة وتقديرات فاسدة واختلافات عقيمة، وتوافر على هذه القواعد الواهنة جماعة من المعلمين ضعفت سلائقهم في الأدب فجعلوها بضاعتهم، وحذقوها على أنها علم قائم بنفسه، وغاية مقصودة لذاتها، وحشوا بها أذهان الطلبة على قدم أمثالها، وعدم التمرين على استعمالها. وجردوها تجريد العظام المبتورة، ووضعوها في أشكال الجداول الرياضية والأشجار الصناعية، وأكرهوا النفوس الشابة على استظهارها دون علم بحقيقتها ولا اقتناع بضرورتها، فلم يكن بد من جهلهم بها واستثقالهم لها. فكان سبيلي أن أهون هذا الأمر عليهم، وأقرِّبه إليهم بحذف الفضول، والاقتصار على المشهور، وتنبيههم إلى أن أوجه الإعراب المختلفة، وصور الإعلال المتعددة، إنما هي بقايا أثرية من لهجات القبائل ندرسها على أنها من تاريخ اللغة وفقهها، لا على أنها من نحوها وصرفها، ثم أمهد للقاعدة بالمثل، وأقرن العلم بالعمل، وأقفهم على معاني الأدوات وفروقها، وأوجه استعمالها في بدائع المأثور من النظم والنثر، وأدلهم على المهمل والمستعمل من الحروف والتراكيب، وألقي في روعهم أني أدرس لهم فن الكتابة وقواعد الكلام، وما حصة الإنشاء التحريري أو الشفهي إلا صلة لهذا الدرس وتطبيق عليه. وهكذا يشعر التلاميذ أنهم يدرسون شيئًا له قيمة وفيه لذة، لأني عالجت جفاف القواعد بمزيج الأدب، وداويت عقمها بتبيين الغرض.

٣ـ سوء تعليم اللغة ورداءة الكتب

فضلا عن جفاف القواعد بفصلها عن الأدب، فإن أكثر المعلمين يلقنون الطلبة مصطلحاتها كما يلقن طالب الطب مصطلحات الأقرباذين! فهم يحفظون: نون الوقاية، وميم العماد، ولام الجحود، ولو حرف امتناع لامتناع، ولولا حرف امتناع لوجود، وإنما كافة ومكفوفة، والواو بحسب ما قبلها، ومنع من ظهورها التعذر، ومنع من ظهورها الثقل، الخ... دون علم بمعناها ولافهم لأصلها! فهل يلام الطالب اذا تهانف بهذه الأسماء، وأنكر علاقتها بالأدب والإنشاء، واعتقد أن تحصيلها سعي باطل، وعبث لاغناء فيه؟

أما تعليم الإنشاء فموضوع يُقْتَرَح، ومعلم يخطب، وأيد تختزل، وكراسة تُقَدَّم، ودرجة تُوْضَع، وهي الغرض الأسمى لهذه العملية! ولكنى أُكلُ التلميذ إلى نفسه بعد أن أكون قد ناقشته في الموضوع المقترح في حصة المطالعة أو المحفوظات أو الإنشاء الشفهي، فيجد صعوبة في أول الأمر ثم لايلبث أن تتفتق قريحته فتستجيب له المعاني وتسلس لقلمه الألفاظ.

وكتاب «قواعد اللغة» (وما أدراك ماهو!) هو عذر الطلبة القائم وعناؤهم الدائم وشقاؤهم المكتوب! والحمد للّه قد قضت عليه وزارة المعارف هذا العام، فكفتنا إفاضة القول فيه، وعسى أن يكون الكتاب الذي يخلفه مضروبًا على قالب «النحو الواضح» الذي وضعه الأستاذ الجارم وصاحبه، فإنه المثل الذي نطلب والنمط الذي نود.

٤ـ جهل التلميذ بالغرض مما يدرس

كل عمل لايتضح غرضه ولاتحدد غايته عناء باطل وفشل محقق. والتلميذ لدراسته علوم الأدب مفككة من غير رابط، مبددة من غير ناظم، لايعرف علائقها ولا حقائقها ولا أغراضها. فهو يدرس النحو والبلاغة لأنهما مادة الامتحان التحريري، ويطالع الكتاب ويحفظ المحفوظات لأنهما مادة الامتحان الشفهي، حتى إذا جازهما تخلصت حافظته منهما تخلص المعدة من الطعام الوبيء.

فواجب المعلم إذن أن يبين للتلاميذ الصلة

الوثيقة بين هذه الدروس، ويقر في نفوسهم أنها تتساوق كلها إلى غرض واحد هو تقويم اللسان وترويض القلم.

٥- ندرة الكتب التي تحبب القراءة إلى التلميذ

بينما الأدب الغربي كالروضة الأريضة أُكُلُها دائم وظلهـا فينان وثمرها زهيُّ الألوان شهيُّ الطعوم يُمْتِع العقول والقلوب كل يوم بالجمال والخير والحق في القصص والروايات والتراجم والنقد والشعر، تجد الأدب العربي أشبه بغابة من الصفصاف: خضرة في العين، ولا ثمر في اليدين! ولشد ما يحار المعلم كلما سأله تلميذ عن أي الكتب يقرأ! فهي بين قديم سيء التأليف مضطرب النظام رديء الطبع، وبين حديث سقيم العبارة أو ضعيف الفكرة، اللهم إلا طائفة قليلة من الكتب الموضوعة والمنقولة لاتسد حاجة ولاتنقع غلة. فبماذا نبرز للطلاب قولنا إن كتَّابنا من خير الكتاب، وإن أدبنا من أغنى الآداب، ونحن لانجد لهم منذ ثلاثين عامًا أو تزيد إلا كتابي «كليلة ودمنة» المنقول و«أدب الدنيا والدين»الموضوع؟! ولماذا لانختصر لهم طائفة من الكتب القيمة والدواوين الممتعة كنهج البلاغة والعقد الفريد وزهر الآداب ومقدمة ابن خلدون ودواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء ومهيار الديلمي والشريف الرضي، فنختار منها نخبة صالحة تطبع طبعة مدرسية، ثم توزع على الطلبة كما توزع عليهم الشوقيات، ويطالبون بدراسة كتاب منها كل عام! ولو امتحنوا فيه لكان ذلك أجدى وأعود!

ذلك أو شبهه حري بأن يدني الأدب من متناول النشء فيتذوقون جناه، ويتنسمون شذاه، وتنطبع أذواقهم على مناهجه وأساليبه، فيدرسونه ويتمثلونه ويحبونه ويحيونه ويتوسلون إليه بوسائله، ويسيغون مرارة قواعده ومسائله.

٦- قرب الغاية الصغرى للنجاح في الامتحان

وذلك علاج لانقول به إلا مكرهين. فإن مبادئ التعليم الحديث لاتنظر بعين الرضا إلى تصعيب الامتحان، ولكن عملية البتر علاج، وعقوبة السجن علاج، وماذا نعمل والتلاميذ يعتقدون أن قليلاً من القواعد على كثير من الإنشاء يبلغ بهم الدرجة العشرين وهي باب النجاح؟

ألا ترونهم يزعمون أن الرسوب في اللغة العربية دون القليل، ويدللون على زعمهم بأن فلانًا نجح وهو لايميز الفعل من الاسم لكثرة ما قرأ من صحف، وطالع من روايات، وكتب من رسائل، وشاهد من تمثيل، فهو ضليع في الكتابة من دون إعراب، وعالم باللغة وإن لم يطلع من قواعدها على كتاب! لذلك يهمل الطالب القواعد عن عمد، وينتف جملاً من الكتب وفقرًا من الصحف، و (يصم) نماذج الإنشاء، ويؤلف من مجموعها يوم الامتحان موضوعًا مُشيًّأ الخلق مشوه الصورة غريب المزاج، ويضع إلى جانبه جزءًا من جواب وشيئًا من إعراب وقليلاً من أدب، ويساعده الله فيُجبَرُ له كسر أو يزاد له صحيح فينجح!

فإذا رُفِعَتْ درجة النجاح إلى ستين في المائة. وفُرِض لكلٍ من القواعد والإنشاء (درجة صغرى) متساوية؛ أقبل التلاميذ على دراسة اللغة جادين صادقين، فاستفرغوا الوسع في طلبها، واستسهلوا الصعب في التماس أدبها، ونظروا إليها نظرهم إلى الشيء الخطير لايُبتغى بمثل هذا الهذر.

ذلك جل ما أعمل وأقل ما أرجو. فأما عملي فقد جنيت ثمره وحمدت أثره، وأما أملي فَنُطْتُه بأولى الأمر في التعليم، وفي ظني أن سيحققونه، فإن النهضة التي انبعثت اليوم في وزارة المعارف فقلبت المناهج، وغيرت الكتب، وأصلحت النظم، وأتت بنيان «دنلوب» من أساسه، خليقة بأن تكونَ فاتحة عصر أدبي جديد طالما تشهَّت إليه النفوس ورصدت له بروق الأمل.

المصدر:

مجلة التربية الحديثة، ص (٢٣٣ - ٢٣٩)، ٣ شباط/ فبراير ١٩٢٩م.

إن «الفيصل» وقد أثارت مشكلة اللغة العربية، وماتعانيه، من خلال نشر هذه الدراسات التي استكتبت فيها كوكبة من المختصين في اللغة والتربية، تثق بأن القضية أكبر من هذا الطرح بكثير، وأن السبيل إلى إعادة اللغة السليمة إلى مكانتها اللائقة بوصفها لغة الحياة والثقافة بمعناها الواسع، وتنقية الألسنة والعقول من هجنة العجمة واعوجاج الأفكار وقبح التبعية، كل ذلك يحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص والدراسة الواعية ، وصولاً إلى وصف واضح للمشكلة، ومن ثم بلورة موقف موحد تجاهها، لتدعيم مكانة اللغة العربية في النفوس. لذا عزمت «الفيصل» على إقامة ندوة موسعة تستضيف فيها عدداً من كبار المشتغلين بميادين التربية والتعليم والمتخصصين في اللغة وآدابها لمناقشة هذه المحاورالتي سلفت، ولإضاءة جوانب أخرى لم يُتَحْ لها أن تُبحث، ولتدرس - بعناية واهتمام بالغين - آراء القراء والنقاد فيما نُشِر، وفيما يجب أن يُبحث، فإن قضية اللغة قضية هوية تمس وجودنا كأمة لها كيانها، ولها دينها، ولها حضارتها، ولها مكانتها بين بناة الحضارة الإنسانية. فمعالجة أدوائها همّ عام يجب على كل ذي علم أو رأي أن يدلو فيه بدلوه ؛ حتى نصل إلى إقالة العثرات، وتحقيق ما نصبو إليه من غايات.

وتسهيلاً للقارئ الكريم الحصول على المعلومات المهمة التي تثري حصيلته حول هذه القضية الحيوية، فقد أُرفق مع هذا العدد كتيب يضم قائمة بأهم المراجع - من كتب ومقالات - وفق المحاور التي يرتكز عليها هذا الملف. وهذه القائمة تم اختيارها بعناية وفق أسس موضوعية ومنهجية من قائمة طويلة تتجاوز (١١.٠٠٠) سجل. و«الفيصل» على استعداد لتزويد القراء الكرام - أينما كانوا - بما يحتاجون من مراجع قد لاتتوافر في المكتبات العامة والتجارية، علماً بأن هذه الخدمة التي تقدمها «الفيصل» تقتصر فقط على المعلومات غير المتاحة التي يصعب الحصول عليها. وندوة «الفيصل» المزمع عقدها قريبا تتطلع إلى آراء القراء الأفاضل، آملين أن تأتي متسقة مع محاور الملف وضوابطه، متسمة بالجدة والعمق والتميز، بقدر ماللغتنا العربية من مكانة كبيرة في النفوس، وأثر بالغ في تحديد موقع أمتنا بين غيرها من الأمم.

صداع العقول

الأيمان طمأنينة قلبٍ.. والتصديق نتيجة



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

تكلم أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي في تفسيره كلامًا طويلاً، يعتبر تلخيصًا لعلم كثير عن الإيمان، ويحتاج إلى تحقيقات ووقفات وإيضاحات لما فيه من غموض ورموز علمية ليست من ثقافة الخاصة(١).

قال رحمه الله تعالى: «والإيمان في اللغة التصديق أي الإذعان لحكم(٢) المخبر، وقبوله، وجعله صادقًا، وهو إفعال من الأمن كأن حقيقة آمن به آمنة التكذيب والمخالفة.

ويتعدى باللام كما في قوله تعالى: ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾. (الشعراء -١١١). وبالباء كما في قوله - صلى الله عليه وسلم -: الإيمان أن تؤمن بالله.. الحديث.

قالوا: والأول باعتبار تضمينه معنى الإذعان، والثاني باعتبار تضمينه معنى الاعتراف إشارة إلى أن التصديق لايعتبر ما لم يقترن به الاعتراف.

وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث أن الواثق صار ذا أمن. وهو فيه(٣) حقيقة عرفية أيضًا كما في الأساس، ويُفْهِم مجازيته ظاهر كلام الكشاف.

أما في الشرع فهو التصديق بما عُلِمَ مجيء النبي - صلى الله عليه وسلم - به ضرورة تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً، فيما علم إجمالاً، وهذا مذهب جمهور المحققين».

قال أبو عبدالرحمن: ليس في لغة العرب أن الإيمان بمعنى التصديق، وإنما التصديق نتيجة لغوية للأمن، أو العكس، وهو اعتبار شرعي، ودلالة سياقات نصوص، ولهذا جاء في موسوعات اللغة رأيًا مُخْتَلَفًا فيه بين علماء الشريعة، وليس نقلاً عن العرب الأقحاح.

وإنما الأمن سكون وطمأنينة للنفس، لأن الفعل الرباعي «آمن» مُحَوَّل عن الفعل الثلاثي «أمن» لزيادة معنى سأذكره إن شاء الله.

والإيمان مصدر آمن، وهو اسم لما حصل في القلب.

وأمن الثلاثية بمعنى آمن الرباعية إذا كان الفعلان لازمين من ناحية حصول الأمن في القلب.

والفارق أن أمن الثلاثية بمعنى حصل له أمن بسبب منه، أو بسبب من غيره.

وآمن الرباعية بمعنى جلب الأمن لنفسه باكتسابه.

وقد يقول قائل: قد يؤمن من منحه الله الإيمان ابتداء بهداية توفيق دون كسب منه.

قال أبو عبدالرحمن: في هذه الحالة يكون المجاز أدبيًا لا لغويًا، ومعنى ذلك أن آمن لغة على بابها بمعنى حصل لنفسه أمن.

وأسند جلب الأمن إليه وهو منحة من الله ابتداء، لأن الله جعل إيمانه اعتبارًا وحكمًا من فعله الذي يثاب عليه كرمًا من الله وفضلاً.

وإذا تعدَّى مباشرة كقولك: «آمن زيد ابنه» كان المعنى جلب لابنه الإيمان بمعنى الاطمئنان وهو ضد الخوف.. أي جعله آمنا، وليس المعنى جعله مؤمنًا.

وإذا تعدى باللام فقيل: آمن أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - للرسول - صلى الله عليه وسلم - كان المعنى حصل له الإيمان، ثم يلتمس التقدير المناسب لمعنى اللام في كلمة «للرسول» فإن أردت للتعليل قلت: حصل له الإيمان بسبب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - كظهور براهين صدقه.

وإن أردت الاختصاص قلت: حصل له الإيمان استجابة للرسول - صلى الله عليه وسلم -، أو حصل له الإيمان أي السكون والاطمئنان للرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به.

أي إن الاطمئنان الذي عند أبي بكر الصديق المعبر عنه بآمن للرسول اطمئنان في قلب أبي بكر مقيد بتقييد العبارة بأنه ليس عموم اطمئنان، ولكنه خصوص اطمئنان للرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به، فإسناد إيمان أبي بكر للرسول لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - سببه بإبلاغه وبلوغ حجته.

وإذا تعدى بالباء فقيل: آمن زيد بالله وكان معنى ذلك أنه حصل لزيد إيمان وطمأنينة ملتصق بما يقتضي الشرع والنظر تقديره قبل لفظ الجلالة، وهو الأمور المستقرأة شرعًا من تصديق الله والتصديق به والشوق لثوابه والخوف من عقابه.. إلخ، فالإيمان الذي هو السكون والطمأنينة ملتصق بكل ذلك.

وفي الكشاف والمصباح أن آمن يتعدى لاثنين، فتقول: آمنه التكذيب.

وقول الآلوسي: «كأن حقيقة آمن به آمنه التكذيب والمخالفة» هو نص كلام الزمخشري في الكشاف، وهو ظاهر مراده، وهو بعيد عن الحس اللغوي، لأنه إلغاء لدلالة باء الإلصاق، ولأن الله سبحانه لايخاف كفر عباده ومخالفتهم.

كما أن مدلول «آمن» مختلف في الصيغتين، فآمن حصل الإيمان في قلبه هو، وآمنه أوصل الإيمان إلى قلب غيره.

وقوله تعالى: ﴿أنؤمن لك..﴾ مضى توجيهه في الكلام عن إيمان أبي بكر - رضي الله عنه - للرسول - صلى الله عليه وسلم.

وتضمين أنؤمن معنى أنذعن صحيح في الاستعمال، ولايكون مرادًا للمتكلم في جملة مفيدة إلا بدليل ترجيح، ودليل الترجيح أخص من دليل التصحيح، لأن مراد المتكلم أخص من معاني الاستعمال.

وذكر الآلوسي أن تعدية آمن بالباء على تضمين معنى الاعتراف.

وهذا صحيح، ويحتاج إلى ترجيح في كل كلام، والأصل جعل الفعل على بابه وإلصاقه بالمؤمن به.

والذي ضَمَّنَ معنى الاعتراف أراد إثبات حكم الإقرار باللسان.

قال الزبيدي: «قال بعض المحققين: الإيمان يتعدى بنفسه كصدق، وباللام باعتبار معنى الإذعان، وبالباء باعتبار معنى الاعتراف إشارة إلى أن التصديق لايعتبر دون اعتراف»(٤).

وأما إطلاق الوثوق الذي ذكره الآلوسي فهو نص كلام البيضاوي، وهو غير صحيح تعبيراً وإن كان صحيحًا معنى، لأن الأصل في مادة أمن الطمأنينة والسكون.

والطمأنينة تكون عن أشياء منها الوثوق.

وقول الآلوسي: «وهو فيه حقيقة عرفية.. إلخ» اقتضاب من كلام السعد التفتازاني. قال الزبيدي رحمهما الله

تعالى: «الإيمان التصديق، وهو الذي جزم به الزمخشري في الأساس، واتفق عليه أهل العلم من اللغويين(٥) وغيرهم.

وقال السعد رحمه الله تعالى: إنه حقيقة (٦).

وظاهر كلامه(٧) في الكشاف أن حقيقة آمن به آمنه التكذيب، لأن أمن ثلاثيًا متعد لواحد بنفسه، فإذا نقل لباب الأفعال(٨) تعدى لاثنين.

فالتصديق عليه معنى مجازي للإيمان، وهو خلاف كلامه في الأساس».

قال أبو عبدالرحمن: إذا كان مافي القلب من إيمان شوقًا إلى الله ومحبة ورضى فالإيمان على بابه بمعنى الأمن وهو الطمأنينة والسكون.

وإذا كان ما في القلب خوفًا من الله باستحضار وعيده، وتقصير الإنسان في العمل، وظلمه نفسه كان الإيمان بمعنى اليقين والوثوق بقدرة الله، وعدله، واستحقاق العبد لجزاء ربه إن لم يصفح عنه تفضلاً.

وعلاقة هذا المعنى بالمعنى الحقيقي أن القلب سكن عن تصديق الوساوس والشُّبه واطمأن للحقيقة الربانية فصدق كل ما يصدر عنها.

قال أبو عبد الرحمن: أول ما ينبغي معرفته في هذا الباب تحقيق معنى الإيمان بحذق جيد لمفهومين:

أولهما: مفهوم لغة العرب، لأن دين الله جاء بها، ولا يمكن أن يُفهم إلا وفقها.

وثانيهما: مفهوم العقل البشري - مما لايتصور العقل غيره وهو اليقين، أو لا يكون غيره أولى منه بالتصور، وهو الرجحان -، لأن دين الله خطاب للمكلَّفين، والعقل شرط للتكليف.

وبالمفهوم الأول أحقق معنى الإيمان من لغة العرب.

أما المفهوم الثاني فمجاله تمييز مراد الله كما هو عليه دون زيادة أو نقص أو تبديل، لأن العقل البشري فاهم لشرع خالقه كما هو غير مقترح عليه.

ولهذا كان منهجي في بحوثي الشرعية إعمال هذا المفهوم في جميع نصوص الشرع التي صحت دلالةً وثبوتًا، وبهذا - في مسألتي هذه - أفهم من جميعها اصطلاح الشرع على معنى الإيمان، لأن نصوص الشرع واجبة الطاعة كلها ليس بعضها أولى بالطاعة من بعض، ولأنه صح لنا من نصوص شرعية كثيرة أن للشرع اصطلاحًا خاصًا في موضوعات لها عرف لغوي بمعنى أخص أو أعم.

وعلى هذا يكون اختلاف العلماء في تحديد مفهوم الايمان آخر ما يبحث فيه.

وإنما أناقش مفهوم العلماء وأهل المذاهب آخرًا لأفيد منه في استدراك نقل صحيح غاب عني، أو حجة نيرة عميت علي، أو لأستدرك خطأً في نقلهم أو تصورهم أو حكمهم ليكون ذلك منبها لكل من أراد أن يجتهد كما كلفه ربه.

ولدربتي على خلاف العلماء في هذه القضية تجلى لي أن تحقيق معنى الإيمان بالصفة التي ذكرتها يريح من معاناة خلاف كثير بين العلماء، حيث انبروا لهذه المسألة بمؤلفات ضخمة جدًا كأبي عبيد القاسم بن سلاّم، ومحمد بن نصر، وابن منده، وابن حزم، والحليمي، والبيهقي، وابن تيمية.

ويجب أن يحيط المجتهد بمعاني الكلمة في لغة العرب المنقولة، ويعرف المعنى الجامع بينها ليعرف حقيقة المعنى ومجازه.

فإذا وجد الكلمة في كلام مركب فلا يقطع على مراد قائلها إلا بعد معرفة هذه الوسائل:

أ - تحليل معاني الكلمة في العرف اللغوي العام ليعرف المعنى المناسب للسياق، وهذا هو صحة الاحتمال.

ب - تحليل معنى الرابطة أو العلاقة - وهي حروف المعاني - ليعرف معنى الرابطة المناسب للسياق، وهذا هو صحة الاحتمال أيضا.

جـ - تحليل معنى الصيغة - أي وزن الكلمة - ليعرف معنى الصيغة المناسب للسياق، وهذا هو صحة الاحتمال أيضا.

د - التفقه في دلالة السياق نحوًا وبلاغة ومعرفة القرائن الدالة على المراد، وأهمها التفقه في كلام آخر لقائل تلك الكلمة، والاطمئنان إلى ما عُرِفَ من مراداته بالضرورة، ليختار وفق ذلك مما صح احتماله من معنى الكلمة والرابطة والصيغة والسياق.

وهذا هو تعيُّن الاحتمال ورجحانه.

لهذا ينبغي أن نلم إلمامًا عامًا بالمعنى القائم على حروف أصيلة ثلاثة هي الهمزة والميم والنون.

ثم نعرف المعنى اللغوي لصيغة آمن وإيمان.

ثم نعرف المعنى اللغوي لصيغة فاعل وإفعال.

ثم نعرف دلالة هاتين الكلمتين في سياق الكلام.

قال ابن فارس عن (أمن): الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان:

أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب. والآخر: التصديق(٩).

قال أبو عبد الرحمن: استعرضت معاني هذه المادة في كتابَيْ اللسان والتاج - وهما من أكبر كتب اللغة في أيدي الباحثين اليوم - فوجدت اطراد الأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس، ثم رأيت الأصل الثاني (وهو التصديق) نتيجة للأصل الأول وهو السكون.

وبهذا صح أن أصل المادة واحد، وهو سكون القلب.

والمعنى الثاني وهو التصديق من نتائج سكون القلب كما قلت آنفًا، ولكنني لم أر الإيمان بمعنى التصديق مفهومًا لغويًا إلا بعد ورود الشرع المطهر.

أما الشواهد قبل التنزيل فلا تدل على هذا المعنى.

من هذه الشواهد قول النابغة الذبياني:

فلا لعمر الذي مَسَّحْتُ كعبته

وما هُريق على الأنصاب من جسد

والمؤمن العائذات الطير يمسحها

رُكبان مكة بين الغيل والسعد

فالإيمان هنا ليس بمعنى التصديق، بل هو المعنى المضاد للخوف، وهو سكون النفس دون أن يقلقها احتمال الأذى.

قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي:

المؤمن الله تبارك وتعالى أقسم به.

وفعله أأمن بهمزتين خففت الثانية منهما.

وكان أصله (أمن) وهو المتعدي إلى مفعول واحد.

مثل قولك: أمن زيد العذاب.

فتقديره في البيت: آمن الله الطير بمكة الصيد.

فالعائذات مفعول بالمؤمن، والطير بدل منها، والمعدى محذوف تقديره: أن تصاد أو أن تؤخذ(١٠).

قال أبو عبد الرحمن: هذا بيان نفيس لا يحتاج معه إلى غيره.

وحكم البطليوسي بأن (أمن) متعد بنفسه إلى مفعول واحد: لا مؤاخذة عليه إذا نظرنا إلى صورة الكلام: أي ورد المفعول إلى جانبه غير مرتبط بواسطة، لكثرة الشواهد على ذلك وقراره في استعمال العرب.

وإنما النزاع في البحث عن أصل (أمن) أهي متعدية في الأصل أم لازمة.

وبهذا السبب اختلف العلماء في (أمن) أهي متعدية مباشرة أم بواسطة.

فجمهرة اللغويين يوردونها على أنها متعدية مباشرة فحسب.

ومنهم من يتطوع فيذكر الوجهين، ولايتعنى بتفقه في الضابط بين الأمرين كالفاسي في إضاءة الراموس، والزبيدي في تاج العروس.

ومنهم من لا يصحح غير اللزوم كأيوب بن موسى الكفوي المتوفى سنة ١٠٩٤هـ فقد قال عن (أمن): ولا يتعدى إلا بمن.

وأما ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ (الأعراف - ٩٩) فإنما هو بتضمين معنى الفعل المتعدي(١١).

قال أبو عبد الرحمن: وقبل الترجيح في هذا أحب أن أذكر ثمرة الخلاف، وهي ملخصة في ثلاثة احتمالات:

أولها: إذا صح أن التعدية واللزوم جائزان جوازًا مستويًا فلابد أن يكون للفعل المتعدي معنى غير معنى الفعل اللازم، لأن مبنى اللغات على فوارق التعبير.

وثانيها: أن يكون معنى الفعل واحدًا ويكون الأصل اللزوم، وحينئذ تكون التعدية مجازية.

وثالثها: أن يكون معنى الفعل واحدًا ويكون الأصل التعدي، وحينئذ يكون اللزوم مجازيًا.

وثمرة الأمرين الأخيرين عند إحواج المشاحة إلى الرجوع إلى الأصل في اللغة.

أما الترجيح بين اللزوم والتعدية أهما أصلان معًا أم أن أحدهما هو الأصل فلا يتسنى إلا بمعرفة معنى أمن.

وكثير من ألفاظ اللغة نعرف معانيها باستحضار معاني أضدادها ورصد ما نتصوره أو نحسه من هذه المعاني التي وضعت ألفاظها رموزًا عليها، بحيث أصبحت رموزًا لتصورنا وإحساسنا.

الإيمان طمأنينة قلب.. والتصديق نتيجة

وقد رأينا أقوال اللغويين وشواهدهم دالة باتفاق على أن أمن بمعنى ضد معنى خاف.

والخوف إحساس نجده في قلوبنا، ونعرفه من غيرنا بآثاره كالقلق والاضطراب.

وعكس هذين الأثرين الاطمئنان والسكون، فعلمنا أن أمن بمعنى اطمأن وسكن.

ولا يكون الاطمئنان عادة إلا بزوال أسباب الخوف ودوافعه.

كما علمنا أن الأمن حالة شعورية تحصل للقلب، فهو فعل القلب، والذي أمن على الحقيقة هو القلب.

فأمن بمعنى اطمأن قلبه وسكن، فالفعل لازم في الأصل.

ثم رأينا هذا الفعل يرد في صورة الكلام متعديًا مباشرًا كقولهم:

أ ـ أمن السلطان خادمه.

ب ـ أمن الفاسق عذاب ربه.

فالذي أمن في الحقيقة قلب السلطان وقلب الفاسق.

وليس لقلب السلطان فعلٌ تعدى إلى الخادم كقولنا: ضرب عمرو زيدًا، وليس لقلب الفاسق فعل تعدى إلى عذاب الله، فلابد من البحث عن سر ورود الكلام بصورة التعدية بأي ضرب من أضرب المجاز العربي، لأن الأصل أن يقال: أمن السلطان من خادمه: بمعنى اطمأن قلب السلطان.

ثم نترك تفسير معنى رابطة (من) لشواهد السياق، فقد ترد في سياق كلام أو في شواهد قرائن بمعنى التعليل: أي اطمأن بسبب خادمه(١٢).

كما أن الأصل أن يقال: أمن الفاسق من عذاب ربه.

فتكون (من) بمعنى (عن) التي للمجاوزة مثل قوله تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾. (الزمر ـ ٢٢).

إلا أن هاهنا لابد من تقدير خوف العذاب أو تذكره.

أو تكون (من) بمعنى البدل، ثم يلزم تقديران:

أحدهما: أمن بالمعصية.

وثانيهما: خوف العذاب أو تذكره.

قال أبو عبد الرحمن: فلما رأينا هذين المثالين متعديين مباشرة وجب أن نعلم سر التعدية المخالفة للأصل وهو اللزوم.

فأعدنا النظر في جملة (أمن السلطان خادمه) فوجدناها آتية بالخادم على صورة المفعول مع أنه لم يحصل من السلطان فعل تعدى للخادم سوى أنه علم سيرته فأمنه، والخادم في الواقع لا في صورة الصيغة النحوية مشارك في جلب الأمن لقلب السلطان بما قدمه من سيرة وتجربة.

قال أبو عبد الرحمن: فلابد من تحقيق يجمع بين مدلولي فاعلية السلطان في الأمن، ومفعولية الخادم وفقًا لمدلول الجملة النحوية: أمن السلطان الخادم.

والجامع أن السلطان حَصَّلَ أمنًا في قلبه من جراء تجاربه مع الخادم.

ووقع على الخادم فعل السلطان المعنوي الحكمي الاعتباري، وهو أن أمن السلطان الخادم بمعنى جعله أمينًا في حكمه.

ومعنى كونه أمينا أنه محل لصدور أمن القلوب عن أمانته.

قال أبو عبد الرحمن: ومن صح له شاهد لغوي قبل التنزيل يصلح تفسيره بالتصديق فله أن يعدل في مسار البحث.

أما أنا فلم يصح عندي شاهد قبل التنزيل يصلح تفسيره بالتصديق، ولم يعارضني معارض بشاهد يجب أن أتحققه وأصغي له.

فإن قال قائل: إنما حصل لي (عدم العلم) وهو ليس علمًا بالعدم:

قلت: هذا صحيح ـ تنزلاً مني في الاستدلال ـ وعدم العلم بالوجود يحقق لي رجحان العلم بالعدم.

وإن طالبت بكامل حقي في الجدل قلت:

إن عدم علمي بالشاهد حصل من استقراء يقبل الحصر، وما يقبل الحصر ينتج العلم بالعدم.

وهذا الاستقراء ليس جهدي، وإنما هو جهد خبرات عديدة خلال خمسة عشر قرنًا تبلورت في أمهات مراجع اللغة التي ينقل بعضها من بعض ودواوين الشعر الجاهلي.

قال أبو عبدالرحمن: ومن هذا المعنى الوارد في شعر النابغة وردت صيغة آمن المتعدية مباشرة فقالوا: آمنني إيمانًا.

وهذا غير معنى آمن المتعدية بواسطة.

والفارق بينهما: أن آمنه بمعنى أعطاه الأمن، أما آمن به وله فمعناه أن الإيمان صادر منه لا له.

قال أبو عبدالرحمن: فافهم هذا الفرق النفيس فإنه عظيم المنفعة.

قال أبو عبدالرحمن: صح بكل هذا أن الإيمان بمعنى التصديق يصح أن يكون مفهومًا لغويًا بالمجاز، لأن التصديق نتيجة لسكون القلب، إلا أن هذا المفهوم لم يرد على كلام عربي وارد قبل التنزيل.

وهاهنا ربما وسوس موسوس فقال: كيف لم يرد في كلام العرب من مادة (أمن) ما يفهم منه معنى التصديق، ثم يرد من هذه المادة في كلام الشرع ما يفهم منه معنى التصديق؟.

أيرد في كلام الشرع ما لا يفهمه العرب؟.

أليس كلام الشرع بلغة العرب؟.

قال أبو عبد الرحمن: هذه تساؤلات بريئة، والجواب عنها يتم بالممايزة والمفارقة بين أمرين هما:

هل يرد الشرع بما لاتفهمه العرب؟.

وهل يرد الشرع بما لم تستعمله العرب؟

أما السؤال الأول فجوابه: أنه ليس في كلام الشرع ما لاتفهمه العرب من لغتها إلا ما استثناه الله من المتشابه كفواتح السور المقطعة.

وأما السؤال الثاني فجوابه: نعم يرد في كلام الشرع ما لم يستعمله العرب، إلا أن عدم الاستعمال غير مانع من الفهم لعدة أمور:

أولها: أن ما يرد بالحروف التي يستعملها العرب بمفهوم جديد لم يستعمله العرب يفهمونه بعقولهم إذا وجدوا علاقة بين المعنى المستعمل والمعنى الجديد.

فالعرب لم يستعملوا الفزاعة بمعنى الحبالة، ولكنهم يفهمون هذا المعنى ويقبلونه لما يجدونه من علاقة بين معنى فزع وبين حال الحبالة.

وإذا استعمل الشرع الإيمان بمعنى التصديق ـ والعرب لم يعهدوا هذا المعنى ـ فإنهم يفهمونه، لأنهم عرفوا الأمن بمعنى سكون القلب، وقد عرفوا بعقولهم أن التصديق نتيجة لسكون القلب.

وبهذا يكون الشرع ـ ومنزله هو معلم اللغات ـ وَسَّعَ مفهوم اللغة.

وثانيها: أن العرب يعرفون في لغتهم معاني لصيغ وروابط كفاعل به، وفاعل له.

فإذا ورد للعرب معنى جديد بحروف عربية من مادة آمن على صيغة فاعل به، وفاعل له: فهموا المعنى الجديد من خلال معرفتهم بمعنى الصيغة والرابطة والعلاقة بين معنى أمن وبين المعنى الجديد.

وثالثها: أن اللغة العربية لاتحجر على من يصطلح على مراده بعموم لغوي، أو خصوص لغوي، أو تضمن لغوي، أو لزوم لغوي، أو أي علاقة ذكرها البلاغيون.

على أن يُبيِّن مراده ومصطلحه بكلام آخر.

وشرع معلم اللغات أولى بهذا الاصطلاح.

ولهذا كان للشرع من مادة (أمن) مصطلحًا خاصًا يترتب عليه أحكام شرعية واعتبارات شرعية.

الهوامش:

(١) انظر: روح المعاني ١/١٠٣ ـ ١٠٨.

(٢) في الأصل: إذعان حكم.. وتصرفي يحتمه السياق.

(٣) أي في التصديق.

(٤) تاج العروس ١٨/٢٤، دار الفكر.

(٥) قال أبو عبدالرحمن: كلام علماء اللغة ـ وهم بعد فساد السليقة ـ وآراؤهم غير النقل عن الأقحاح.

(٦) يعني معنى التصديق.

(٧) أي كلام الزمخشري.

(٨) وأمن أيضًا من الأفعال.

(٩) مقاييس اللغة ١/١٣٣.

(١٠) شرح الأشعار الستة الجاهلية ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وانظر: شرح القصائد العشر للتبريزي ص٤٦١، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/١٩٥.

(١١) الكُلِّيات ١/٣١١.

(١٢) مما حُمِلَ على التعليل قول الله تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾ (البقرة/١٩).

الإسلام ونهضة الأدب العبري



د. حسن ظاظا

كان التراث الأدبي عند اليهود ـ حيثما كانوا ـ ينحصر في كتبهم الدينية: التوراة، وأسفار الأنبياء، وكتب الحكمة، مما جرى العلماء المسيحيون على تسميته (العهد القديم)، والعهد هنا معناه الميثاق، وأضافوا إلى هذا الميثاق العتيق، كتاباً مسيحياً بحتاً سموه (العهد الجديد). وكتاب اليهود القديم لغته عبرية، باستثناء نصوص قليلة جاءت باللغة الآرامية، أهمها سفر النبي دانيال. وكتاب النصارى الجديد لغته يونانية. وكان اليهود ـ ولايزالون ـ يؤمنون بأن كتابهم القديم هذا هو المرجع في شريعتهم، والمرشد في سلوكهم، وأنه المثل الأعلى في بلاغته، ونقاء لغته، على الرغم من أنه يغطي فترة من الزمن مقدارها ألف سنة على الأقل: من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى الثالث قبل الميلاد، تغيرت فيها مواطن اليهود، وعاشوا في حضارات مختلفة، ونظم سياسية واجتماعية لا يشبه بعضها بعضا. ولكنهم مقتنعون في قرارة أنفسهم بأنهم الشعب المعجزة الذي يتغير كل شيء حوله ولايتغير! ويضاف إلى كتابهم ذاك، مجموعة المرويّات الشفهية، وهي مكتوبة بلغة عبرية ترزح تحت أثقال التسرّب الآرامي، في النطق والمعجم والصرف وتركيب الجمل، وهي ترجع إلى جامعها «الربيّ يهُودا الكبير» في القرن الثاني بعدالميلاد، الذي أسماها مشنَا، أي (المُثَنَّى) بالعربية لأن كل راوية فيها (يعيد) مرة (ثانية) ما سمعه من شيخه. وهم يرفعون كل مرويّاتها إلى هارون وموسى دون أي سند متصل أو تمحيص أو توثيق. واللغة العبرية في المشنا تطلّبت مؤلفات متخصصة في نطقها ونحوها وصرفها لشدة اختلافها عن عبرية العهد القديم. ويضاف إلى هذه النصوص في العهد القديم والمشنا، مجلدات كثيرة في التفسير، والتقريب بين ما تقوله المشنا وما يقوله موسى والأنبياء والحكماء، يسمونها (المدراش). بعضها مكتوب بعبرية تتأرجح بين الفصاحة والركاكة، وبعضها ولّى ظهره إلى العبرية، ولزم الآرامية. ثم جاء التلمود يفسّر المشنا باللغة الآرامية، ويتوسع في تفسيره وتهويماته واستطراداته، حتى كان من الضروري لقراءته وفهمه واستبطان مراميه ومغازيه أن يترك الدارس له أية دراسة أخرى لكي (يتخصص) فيه، ويصبح تلموديا، إن مدّ الله في أجله. وأسلوب التلمود في الآرامية مختلف تماماً عن أسلوب سفر دانيال، وعن الترجمة الآرامية للعهد القديم (الترجوم).

وإذا كنا نعرف لكل أمة في العالم (جاهلية) عاشتها قبل أن تظهر فيها شريعة منظمة أو عقيدة متماسكة، فإن اليهود ـ من خلال كتبهم ـ يظهرون على العالم في ما يَرْوونه عن إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وكأنهم خُلقوا هكذا منذ الأزل، مؤمنين وموحدّين!، لأنهم أبناء الله وأحباؤه. قد ينحرفون عن الجادة أحيانا، فيؤدبهم تأديب الآباء للأبناء، ولايصل بهم إلى الإبادة والاستئصال!

والسؤال الذي يفرض نفسه على الباحث هو: هل كانت لليهود جاهلية؟ والجواب: نعم كانت لهم جاهلية كغيرهم من أمم الأرض، فيها أصنام، وأساطير، وخيالات بدائية، بقي بعضها حتى في أسماء معبودهم الواحد. فمن هذه الأسماء إطلاقهم إسم «يَهْوَه» عَلَمًا على هذا المعبود. وأصل اشتقاقه من فعل ساميّ عامّ يقابل (هَوَى) في العربية، الذي يعني (سقطَ) أو (انهارَ) كما يعني (رَغِبَ) أو (أراد). فهذا المعبود يُشعرنا بأنه في جاهلية اليهود: الذي يجعل كل شيء يسقط أو ينهار بإرادته، هكذا يسقط المطر على الأرض، وهكذا تسقط الصواعق من السماء، وهكذا تنهار الصخور من قمم الجبال، فهو معبود مخيف، كان ـ كما تقول التوراة ـ يرشدهم في الصحراء، بعد أن عبروا البحر فراراً من وجه فرعون: «فكان الربّ (بالعبرية يَهْوَه) يسير أمامهم نهاراً في عمود من الدخان ليهديهم الطريق، وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم، حتى يسيروا نهاراً وليلاً، لم يبرح عمود الدخان نهاراً، وعمود النار ليلاً من أمام الشعب!» (التوراة، سفر الخروج ١٣: ٢١، ٢٢). والعجيب أنهم ـ على الرغم من ذلك كلّه ـ ضلّوا الطريق، وبقوا في التيه أربعين سنة!! وهذا الربّ قد أحيط اسمه بإجلال ومهابة ورعب، حتى حرّم اليهود على أنفسهم النطق به، بحروفه الأربعة تلك، وينطقون مكانها لفظة أَدُوناي (أي سيدي) أو هَشّيمْ، أي (الاسم). ويقولون إن أنبياءهم

الإسلام ونهضة الأدب العبري

حرّموا عليهم التفوّه باسمه الأعظم هذا، منذ هزيمتهم أمام بختنصرَّ إذ غضب عليهم الربّ، ولم ينصرهم على بختنصر، كما نصرهم على فرعون، بسبب فسوقهم وكفرهم.

ولمعبودهم اسم قديم آخر هو (شدّايْ) يترجمه اليهود والنصارى إلى العربية بلفظة (الشديد) مراعاة للتشابه في النطق، لكن يرجح أن هذا الاسم مشتق من كلمة أشورية هي (شادُو) أي الجَبَل، وكان اليهود على مدى تاريخهم يقدسون الجبال، مثل جبل سعير في بادية الأردن، وجبل جرزيم بالقرب من نابلس، وجبل الكرمل بالقرب من حيفا، وجبل صهيون الذي كان في القدس، وأزاله سليمان وسوّاه بالأرض.

فليس عجيبا أن يأخذوا الكلمة الأشورية التي تدل على الجبل اسما لمعبودهم، خصوصا أن استعمال اسم الجبل في أشور كان يعبِّر عن السموّ والرفعة والشموخ، وورد في بعض ألقاب أباطرتهم «شادُو ربُّو» أي «الجبل الأعلى».

وعندهم من أسماء الربوبية (إلْ) أو إلُوهْ أو إلُوهيم أي إله، حتى هذا الاسم الأخير بعلامة الجمع في آخره ـ الياء والميم، مثل الياء والنون في الجمع بالعربية ـ ، ويعلّل المفسرون اليهود صيغة الجمع هذه بأنها لتعظيم الذات العلية، وهو تعليل فيه تكلف كثير. ذلك أن إلُوهيم كانت تدل على الكائنات العلوية ـ الملائكة مثلا ـ وعلى الأصنام، أو آلهة الأمم الأخرى. فمن الدلالة على المخلوقات العلويّة، هذه الأسطورة التي روتها التوراة: «ولما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض، ووُلِدَ لهم بنات، رأى بنو الآلهة بنات الناس جميلات، فاتخذوا لهم نساءً ممّن اختاروا منهنّ. وقال الرب: لايحلّ رُوحي على الإنسان أبدا، لأنه جسد، وتكون حياته مائةً وعشرين سنة. وكان على الأرض جبابرة في تلك الأيام، وأيضا بعد أن دخل بنو الآلهة على بنات الناس، وولدن لهم أولادًا، هم أولئك الجبابرة المشاهير منذ الأزل» (التوراة، سفر التكوين ٦: ١ ـ ٤). ووردت إلوهيم بمعنى الأصنام أو معبودات المشركين في قصة أخرى من التوراة، عندما لاحق لابان ـ أبو راحيل ولَيا ـ صهْرَه يعقوب، وهو هارب بزوجتيه وجاريتيه وأبنائه منهنّ وكل أغنام لابان وماله.

وإذا كان تعبير (أبناء الآلهة) في النص الأول، فإن المترجمين وضعوا (الله) مكان كلمة (إلوهيم) أي الآلهة . أما في النص الثاني فإن «لأبَان» يسأل يعقوب: لماذا سرقْت آلهتي؟... وكانت راحيل قد أخذت (الأصنام)، وجعلتها في رحل الجمل وجلست فوقها. (التوراة، سفر التكوين ٣١: ٣٠ ـ ٣٥). فالأصنام، وأبناء الآلهة، والتعبير عن الله الواحد بصيغة الجمع، بصمات واضحة من جاهلية يهودية أساسها الشرْك وعبادة الأصنام.

وقد لازم الشرك اليهود، حتى بعد موسى عليه السلام، فعبدوا الآبار والشجر والحجر. كانوا مثلا يعتقدون أن موقع « بئر سبع» سُمّي بهذا الاسم لأن البئر كان موطنا (لسبعة) آلهة من آلهة العذاب والانتقام، فكان من يريدون أن يتعهدوا بشيء، يأتي كل منهم فيدعو على نفسه مستنزلاً (اللعنات السبع) إن كان كاذبًا أو خائنا في يمينه، فسُمِّيَ بئر سبع لهذا السبب (التوراة، سفر التكوين ٢١: ٣٠، ٣١). ومن هذه الآبار المقدسة موقع اسمه «بئر الحي البصير» وبالعبرية: بئر لِحَيْ رُولِي. وقد ورد اسمه عدة مرات في التوراة إحداها في قصة السيدة هاجر وابنها اسماعيل، ويبدو أنها قصة بئر زمزم محرفة على أيدي رواة التوراة، وترجمة الاسم حرفيا: بئر الحيّ الذي يراني.

أما عبادة الشجر فكان اليهود القدماء، أشدّ إقبالاً عليها من العرب. فالعرب عبدوا شجرة في وادي بطن نخلة هي (العُزّى) التي أرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد لاستئصالها، وعبدوا شجرة في البادية على الطريق إلى الشام، كانوا يقدمون لها الهدايا من الحلّى والجواهر والمنسوجات المزخرفة، وكانوا يعلقون عليها هذه النذور فاشتهرت باسم «ذات الأنواط». أما بنو إسرائيل فكانت معبوداتهم من الأشجار لاتكاد تحصى، حتى بعد موسى عليه السلام بقرون طويلة، وعلى الرغم من تحريم هذه العبادة بنص التوراة: وهذه هي الشرائع والأحكام التي تحفظونها في الأرض التي أعطاك الربّ إله آبائك لتملكها طيلة أيام حياتك في الأرض. تُقوّضون جميع المواضع التي كانت الأمم التي ترثُونها يعبدون فيها آلهتهم، على الجبال الشامخة والتلال، وتحت كل شجرة خضراء، وتهدمون مذابح قرابينهم، وتكسّرون أنصابهم، وتحرقون غاباتهم بالنار، وتحطمون منقوشات آلهتهم، وتمحون أسماءهم من ذلك الموضع. لا تصنعوا هكذا نحو الرب إلهكم. (التوراة، سفر التثنية ١٢: ١ـ ٤). ولكن يبدو أن الكفر، والتهافت على الخرافات، والإقبال على الشرك، كان فيهم داءً مزمنا يستعصي على العلاج، ومازال الكثير من هذا الداء ملازما لهم حتى الآن، بعد أن تعب معهم أنبياؤهم في نصحهم. فنبيهم إرمياء يخطب في تلك الأمة ويقول: كما يشعر اللصّ بالخزْي حين يُضبَط، كذلك خُزي آل إسرائيل هم، وملوكهم، ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم، إذ يقولون للشجر أنت أبي، وللحجر أنت وَلَدْتني! إنهم يُوَلُّونني ظهورهم لا وجوههم، وعند البأساء يقولون قُمْ وخلّصنا! فأين هي آلهتك التي صنعتها لنفسك، فليقوموا لعلهم ينقذونك في شدّتك. إنّ معبوداتك يا يَهُوذا على عدد مدنك! (سفر إرميا ـ بعد موسى عليه السلام بألف سنة ـ الفصل الثاني ٢٦ ـ ٢٨). وقبله بنحو قرن من الزمان يخطب فيهم النبي إشعيا قائلا: اقتربوا إليَّ هنا يا أولاد الساحرة، وأبناء الفاسق والزانية! بِمَن تسخرون؟ وعلى من تفغَرُون أفواهكم، وتحرّكون ألسنتكم؟ ألَسْتُم أولاد الفاحشة، وذرية الباطل؟ المتوجهين إلى الأصنام، تحت كل شجرة خضراء، الذابحين أولادكم في الأوْدية، تحت كهوف الصخر! (سفر إشعيا ٥٧: ٣ ـ ٥). وبعدهما بقليل يصيح نبيهم حزقيال ـ وهو في منفاه في أرض بابل، بأمر بختنصر هو وجماهير من اليهود الذين سيقوا معه إلى الأسْر ـ يقول: وكانت إليّ كلمة الرب، قائلا: يا ابن آدم

وَجِّهْ وجهك إلى جبال إسرائيل وتنبأ نحوها، وقُلْ: ياجبال إسرائيل اسمعي كلمة السيّد الرب! هكذا قال السيد الرب للجبال والآكام والأنهار والأودية؛ ها أنَذَا أسوق إليكم سيفا فأدمّر مشارفكم، فتُهَدَّم مذابحكم وتُحطَّم تماثيل شموسكم، وأُسقط قتلاكم أمام أصنامكم. وأُلقي جثث بني إسرائيل أمام أصنامهم، وأذَرّي عظامكم حول مذابحكم. (سفر حزقيال ٦: ١- ٥). فعلى الرغم من إلحاح اليهود في ادّعاء أنهم الأمة الطاهرة، وشعب الله المختار، فإن تسرّب ذكر جاهليتهم في ثنايا كتابهم، يكذبهم تكذيبا قاطعا في هذا الادعاء. لكن أين أدبهم الجاهلي؟ هناك نماذج من ذلك، إما أصلية، وإما مسروقة من أمم أخرى، وهي كثيرة أعفي القارئ من الإطالة فيها حتى أمضي قدمًا نحو حركتهم في إحياء أدبهم باللغة العبرية بعد الإسلام، وبخاصة في الأندلس.

أما الشعر في (العهد القديم) ـ وهو كثير ـ فإنه على الرغم مما فيه من شاعرية تتجاوب مع مفهوم الشعر لدى البشر جميعا، فإن نظامه الصوتي والموسيقي لايزال غامضا، لكل باحث فيه رأي، لكن الحجج والأدلة تبقى هائمة عائمة، غير حاسمة. ويبدو أنه كان يقسّم إلى أجزاء يدعو بعضها بعضا حتى تتكامل. فإذا ذكر السماء مثلا أورد في مقابلها الأرض، وإن تحدث عن الحياة انتقل بعدها إلى الموت.. وهكذا: الليل والنهار، اليأس والصبر، الدعاء بالبركة والنماء لفلان، ثم يسمّي كل من يريد أن يخصه بالدعاءمن آله و عشيرته. كل هذا في فقَر قصيرة موجزة تنعدم فيها القافية، أو حتى السجع، ويبدو أن (الإنشاد) كان يلجأ إلى المدّ أو القصر في الأداء لتصحيح الموازنة بين أجزاء الفكرة، هكذا كانت مزامير داود، وسفر أيوب، وأناشيد موسى وأخته مريم، بمناسبة الانتصار على فرعون، وبركات موسى للاثني عشر سبطا من بني إسرائيل قبل وفاته، وغزليات نشيد الأناشيد المنسوبة ـ من غير دليل ـ إلى سليمان. ويرى الباحثون أن أقدم نصّ شعريّ في العهد القديم هو قصيدة أنشدتها نبيتهم (ديبُورة) بعد اغتيال القائد الفلسطيني (سِيْسَرا). ولم تكن هذه المرأة معاصرة لموسى أو التوراة بل ترجع إلى أكثر من قرنين بعد موته عليه السلام، وكانت عرّافة تتنبأ وتقضي لبني اسرائيل: «وكانت تجلس تحت (نخلة ديبورة) بين الرامة وبيت إلْ (إقليم نابلس) في جبل إفْرايم» (سفر القضاة ٤: ٥). ومرة أخرى نجد العرّافة تختار مكانا مقدسا عند اليهود، في ظل شجرة ـ نخلة ـ وجبل. وكانت الحرب سجالاً بين بني اسرائيل والفلسطينيين، ومرّ محارب اسرائيلي اسمه باراق بن أبي نوعَم بديبورة، وكان يتأهب لمواجهة سيسرا، ولا يكتم خوفه منه حتى قال لديبورة: «إن أنت انطلقتِ معي انطلقتُ، وإن لم تنطلقي فلا أنطلقُ. فقالت له أنْطَلقُ معك، غير أنه لن يكون لك فَخْرٌ فيما أنت آخذٌ فيه، فإن الرب سيسلّم سيسرا إلى يد امرأة!» (القضاة ٤: ٨، ٩) وتحققت نبوءة ديبورة. إذ مرّ سيسرا وهو عطشان ومتعب من المعركة بخيمة امرأة هي «ياعيل» امرأة حابر القيني فطلب ماء ليشرب، فأتته بلبن، فشربه، ثم استسلم للنوم، فقتلته ياعيل بأن هشمت رأسه بوتد من خيمتها. فأنشدت ديبورة قصيدة حماسية في ذلك اليوم، ينظرُ إليها اليهود على أنها (معلقة) في أدبهم القديم، أولها: لَمّا تقلّد القُوّاد القيادة في إسرائيل، وتطوّع الشعب، سبّحوا الرب. اسمعوا أيها الملوك، وأنصتوا أيها العظماء! إنّي للرب أنشد، وأشيد بالرب إله اسرائيل. يارب! عندما خَرَجْتَ من (جبل) سعير، حين بَرَزْتَ من صحراء أدوم، جفت الأرض، قطرت السماء، وتصبب السحاب ماءً. ذابت الجبال من وجه الرب، حتى سيناء أمام الرب إله اسرائيل! (القضاة ٥: ٢-٥). واستمر هذا النوع من الشعر، إلى أن ماتت اللغة العبرية، ولم يبق مَنْ يكتب فيها الشعر إلاّ قلة من رجال الدين، يقلّدون فيه أشعار العهد القديم، ثم يحاكون أوزان الشعر اليوناني أو اللاتيني أحيانًا.

أما يهود إسبانيا قبل الفتح الإسلامي فقد توالت عليهم حكومات تضطهدهم وتحتقرهم ابتداء من القرن الرابع الميلادي، وحتى منتصف القرن العاشر. فالحكم الروماني أولا، وكان يعتبر مستعمراته بكل أهلها عبيدًا له، لاسيما اليهود، لسوابقهم ضد اليونان ثم الرومان في الشرق، وفي فلسطين على الخصوص، بما أثاروه من فتن انقلبت إلى حروب طاحنة أحيانا، ثم تولى (القُوط) الحكم بعد الرومان، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تبدي نشاطًا كبيرا في تنصير إسبانيا، بقيادة الراهب الداهية (ليَانْدر) أسقف إشبيلية. وكانت المؤتمرات الكهنوتية النصرانية تُعقد بانتظام في مدينة طليطلة. وفي المؤتمر الثالث أفلح هذا الأسقف في إدخال الملك رِكّاريد الأول في النصرانية. وبدأت على الفور أوامر مشدّدة للتضييق على اليهود، وكانت هذه الأوامر تقوى أو تفتر بحسب الحكّام، إلى أن تولى (سيزْبوت) فشدد النكير على اليهود، وقرر تنصير أولادهم بالقوة. بل صدر مرسوم في القرن السابع الميلادي باعتبار جميع اليهود الموجودين في إسبانيا عبيدًا. وفي أوائل القرن الثامن الميلادي انطلق طارق بن زياد من المغرب إلى إسبانيا بجيش صغير قوامه من العرب والبربر. واستغرقت العمليات الحربية أربع سنين إلى أن سيطرت الجيوش الإسلامية على كل إسبانيا.

وفي عام ٧٥٥م بدأت خلافة عبدالرحمن الأموي بالأندلس حيث حكم إلى عام ٧٨٨م. استطاع في هذه المدة أن يجعل من الأندلس، ومن عاصمته قرطبة، الدولة الأكثر حضارة في كل أوربا. وأحس يهود إسبانيا بأن الإسلام قد أنقذهم من الاضطهاد والعبودية والتنصير بالإكراه والابتزاز الاقتصادي، فأخلصوا لهذه الدولة الأموية الإسلامية وتفانوا في خدمتها، وفي الاستفادة من هذه الحضارة الإسلامية الشامخة لإعادة بناء

كان يهود إسبانيا ـ قبل الفتح الإسلامي ـ يعيشون مضطهدين محتقرين بسبب ما أثاروه من فتن نجمت عنها حروب طاحنة

الإسلام ونهضة الأدب العبري

مجتمعهم اليهودي المتصدّع، على أسس من العلم والأدب والفكر في داخل دينهم ولغتهم، إذ كانوا بحكم الشريعة الإسلامية من أهل الكتاب، يمارسون عباداتهم بحريّة تامة، ويؤدون واجباتهم الدينية باللغة التي يختارونها، بل شغل كثير منهم مراكز مرموقة في هذه الخلافة الإسلامية، وفي مقدمتهم حَسْدَاي بن إسحق بن شبروط، الذي خدم في بلاط عبد الرحمن الثالث الأموي (٩١٢ - ٩٦١م) ثم في عهد خلفه الحكم الثاني (٩٦١ - ٩٧٦م). كان حَسْداي طبيب القصر، وكان يقوم بعمل مُراجع في بيت المال، لاسيما ما يتعلق من ذلك بالجمارك والضرائب، كما كان مستشار الخليفة في ما يتصل بالعلاقات السياسية الخارجية، لأنه كان يجيد عدة لغات منها العربية واللاتينية والإسبانية والعبرية والآرامية والبربرية. واقتفى أثر كبار وزراء المسلمين، من حيث اتساع الثقافة، وتشجيع الأدباء والعلماء، وحثهم على التقدم دائما نحو الأحسن، ومكافأتهم عليه. وسهّل للطلبة اليهود تحصيل العلوم، فشجع الأثرياء من أبناء ملته على إنشاء جامعة يهودية في مدينة (أليسنة) القريبة من قرطبة. وقد ورث حسداي عادة تقريب الكتّاب والشعراء والأدباء وتشجيعهم عن أبيه.

وكان من أوائل من قرّبهم من أدباء اليهود «مناحم بن سَرُوق» إذ أحضره من طرطوشة إلى قرطبة، وهيأ له أسباب معاشه وراحته، وَعَيَّنَهُ كاتبا له في رسائله باللغة العبرية، وأشهرها رسالته إلى مملكة بُولان في إقليم الخزَر، وكان مَلِكُها ورعيته قد اعتنقوا الدين اليهودي. وأشار في هذه الرسالة إلى فخامة الحضارة الإسلامية في الأندلس، وإلى تسامح المسلمين مع اليهود. وعندما ماتت أم حسداي بن شبروط كتب مناحم بن سروق شيئا من المراثي بهذه المناسبة حتى تُقرأ في أيام الحداد، كما كتب مثل ذلك في رثاء اسحق بن شبروط، وهو أبو حسداي. كذلك ألف مناحم بن سروق معجما عبريا - آراميا لنصوص العهد القديم، يعدّه اليهود الأول من نوعه في هذا الموضوع، وكان شرح الألفاظ في هذا المعجم باللغة العبرية، دون استعمال العربية كلغة وسيطة، مما سهّل انتشاره خارج إسبانيا، في كل القارة الأوروبية. ومع ذلك فقد نمّ في هذا الكتاب عن جهله بالعلاقات الاشتقاقية واللغوية بين العبرية والعربية، مما عرّضه للنقد القاسي من منافسه ومعاصره دُونَشْ بن لَبْرَط (٩٢٠ - ٩٩٠م) واسمه في الأصل هو (أدونيس) أما لبرط فأصله بالإسبانية القديمة «لِبرَادُوا» أي المُعْتَق أو المحرَّر من العبودية، وكان قد ذهب إلى بغداد وتلقى العلم من «سعديا الفيومي» ثم عاد إلى فاس بالمغرب، ورحل منها إلى قرطبة بدعوة من حسداي. وكانت الخصومة بين مناحم ودونش شديدة، إذ كان الأخير يسجل على خصمه أن جهله باللغة العربية أوقعه في أغلاط كثيرة في تحديد معاني بعض ألفاظ العهد القديم، واشتقاقها. وكان دونش يباهي بأنه تخرج على علماء بابل، لا على يهود إسبانيا. وازداد اللجاج بين مناحم ودونش، وتدخلّ آخرون في هذه المبارزة الكلامية، وتبادل الخصمان أشعار الهجاء باللغة العبرية. لكن دونش فاجأ الجمهور بشيء جديد، هو أن شعره جاء موزونا على تفعيلات العروض التي حصرها الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمة الله عليه، كما راعى أحكام القافية المعروفة في الشعر العربي العمودي.

وبعد تردد من جمهور الأدباء اليهود في البداية، انتهوا إلى أن أدركوا أن شعره أضفى نغمًا من الشعر المجهول الأوزان الذي ألِفُوه في كتابهم، وقرأوه في أشعار قديمة مثل شعر «يوساي بن يوساي» الذي ولد يوم وفاة أبيه فأخذ اسمه واشتهر بين اليهود باسم «يوساي اليتيم». وبدخول الشعر العبري في الموازين العروضية العربية حدثت انطلاقة جديدة في هذا الفنّ، إذ لم يعد مقصورا على الموضوعات الدينية المطروقة عندهم، بل طرق شعراء الأندلس العبريون جميع أغراض الشعر العربي، من مدح وفخر ورثاء وهجاء، وغزل، وخمريات ووصف للطبيعة، وإخوانيات، وشعر فلسفي، وشعرغنائي. وما كاد الموشح يظهر في الشعر العربي حتى أقبل عليه شعراء اليهود باللغة العبرية فأجادوا فيه، حتى بقيت منه موشحات ملحّنة تُنشد في المعابد في بعض الأعياد إلى الآن.

كذلك شجع حسداي بن شبروط الدراسات التلمودية، إذ استدعى أحد مشاهير علماء التلمود بالعراق - «موسى بن حنوك» - فَأرْسى أسس هذه الدراسات في قرطبة. وبعد موته، تعاقبت أحداث جسام على الأندلس، انتهت بمنافسات على السلطة بين المسلمين العرب والبربر. ثم استقرّت الأمور مؤقتا في خلافة «هشام الثاني الأموي» (٩٧٦ - ١٠١٣م) بفضل دهاء وزيره «المنصور بن أبي عامر». لكن البربر هجموا على قرطبة ونهبوها وخرّبوا كثيرا من عمائرها، وقوّضوا معبد اليهود الكبير في قرطبة عام ١٠١٢م. واهتزت هيبة الإسلام في إسبانيا، وراح اليهود يبكون على مصيرهم في قرطبة، ويوهمون بني جلدتهم أنهم ضحية التعصب واللاسامية، وهم يعرفون أن علاّمة الإسلام في قرطبة، الإمام ابن حزم الظاهري، قد تهدّمت داره واضطر إلى الفرار من المدينة في السنة نفسها. وكان شيخ اليهود في قرطبة قبل دخول البربر«صمويل بن يوسف اللاوي المعروف بابن النغرالي» وكانت له مناظرات مع ابن حزم في تفضيل اليهودية على الإسلام!! وقد وصلت إلينا دفاتر هذه المناظرات بقلم الإمام ابن حزم، وتولى تحقيقها ونشرها صديقنا الدكتور صلاح الدين المنجّد، بعنوان: الرد على ابن النغرالي. والنغرالي، اسم محرف من الإسبانية (نِجْريلا)، ومعناه السوداء، وكان يُكتب بالعبرية (نَجْرِيلَه)، فلما عظم أمر الرجل، حرّفوا اسمه إلى «نَجْدِيلَه» وخلعوا عليه لقب «بخَيْد» أي شريف، أو كريم، أو أمير. وكان مُتَبَحِرًا في الفلسفة والرياضيات، كما كان يجيد سبع لغات، في مقدمتها العربية والعبرية. وكان من كبار الخطّاطين في أكثر هذه اللغات، كما كان أديبا وشاعرا. ولما

اضطر هو أيضـا إلى مغادرة قـرطبة هربًا من البـربر، وصل أوّلا إلى (مالقة)، وهناك فتح حانوتا متواضعا يبيع فـيه التـوابل والعطور والنباتات الدوائيـة. وكان بالقرب من دكّانه قصـر للوزير حَبُّوس. وكان خدم الوزير يأتون إلى هذا «العطّار اليـهودي» ليكتب لهم رسـائلـهم إلى ذويهم، وكـان الـوزير يطّلع عليــهـا ليـتـولى إرسـالهـا مع البـريد، فـأعـجـب بأسلوب صـمـويل بن النغـرالـي، وبجـودة خطّه، وبتـبـرعـه بالكتابة لخدمه. فأقنعه بالذهاب إلى غرناطة، وكان يحكم غرناطة ملك من البربر. فـأوصاه الوزير خيرا بصمويل وهو على فراش الموت، ونفذ ملك غرناطة الوصـية، وقلّد صـمويل منصب الوزارة. وفي أيامـه تقاطرت أعداد كبيرة من اليهود على غرناطة، حتى كان الناس يصفونها ساخرين بأنها «مدينة اليهود»! وظلّ صمويل وزيرا ثلاثين سنة.

السـلام شعـراً، ودخلت في ترانيم الاحـتـفال بيـوم الغفران. وله ديوان في الغـزل اسمه «قلادَة العُنُق»، وألف بالعبرية كتابا في بيان علاقة الله تعالى بالعالم سـمّاه «صرَّة الطِّيب» كـمـا كتب بـالعربيـة كـتـابا تعليميا في فنّ الشعر، أشبه بمختصرات البلاغة عند المؤلفين العرب.. ويقـول الرواة إن أشعاره في الحب ترجع إلى أنـه عـشق ابنة أخـتــه ـ وهو جــائز في الشريعة اليهودية ـ ولكن أباها زوجها لآخر. وكان صديقا وفيـا لشاعر آخر هو في الشعر العبـري يعتبر عندهم نـظيـرا للمـتنبي عندنا، هو يـهـودا اللاوي ١٠٨٦ ـ ١١٤١م تقريبا.

كـان يهـودا بن شـمـوئيل اللاوي من مـواليـد طليطلة حوالي ١٠٨٦م، ودرس الطب، ثم بعد أن عـمل طبيـبـا لوقت معـيّن، تـرك المهنة، واشـتـغل بالتجـارة، وزار عدة مدن منها قـرطبة، وتَعَرَّفَ إلى

القصائد باسم «الصهيونيـات»، وأبرزتها الصهيونية المعـاصـرة في ثوب سيـاسيّ، من المؤكـد أن يهـودا اللاوي لم يكن يفكر فـيه. وله شـعر في الخمريات وفي مجـالس الشراب وما فـيها من نشـوة، وحاول كـثيـر من النقـاد تبـرئتـه من تهمـة السُكر وإدمـان الخمر، وزعموا أنه قال هذا مجاراة لغيره من شعراء العبرية والعـربية. وفي قصائده الخمـرية والإخوانية، والمدائح والمراثي كـان يقتـفي أثر شعراء الـعرب في مطلع كـل قـصيـــدة، بالغـزل أو وصف الـرحيل والفـراق. ولمّا كان ذلك جـديدا على اليـهـود فقـد فُتنوا بـه، حـتى قـالوا إن أجــمـل شـعــره هو أول قـصائده. وترك من مـؤلفـاته كتـابا في الدفـاع عن العقيدة اليهودية ضد النصرانية والإسلام والفلسفة، وعنوانه: الحـجّه والدليل، فـي نصـرة الدين الذليل، أو كتـاب «الخزري» لأن موضوعـه سجّله في إقليم الخزر.

ومن أولئك الأدباء: أبراهام بن عزرا (١٠٧٢ ـ ١١٦٧) وهو أخـو الشـاعـر مـوسى بن عـزرا، وإن كـانت شهـرته في تفـسيـر التـوراة قـد غطت على شهـرته في الشعر، وكان كـثير الشكوى في شعره يقـول: لو أنني اشـتـغلت ببـيع الشـمـع/ لم تغرب الشـمس أبدا/ ولو كـان رزقـي من بيع الأكـفـان/ لَعَاشَ الناس خالدين.

وجد اليهود ـ في ظل الإسلام ـ حرية تامة جعلت شعراؤهم يشيدون به، بل ينظمون شعرهم على أوزان الخليل بن أحمد

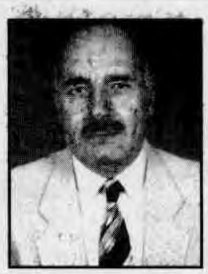
كان صـمـويل البخيد شاعـرا بالعبرية، ولكنه لا يقارن في عمقه وعبقريته بصديقه ومعاصره سليمان بن جبيرول، (١٠٢١ ـ ١٠٦٣م) الذي صنَّفه كثير من المؤرخين بين أشعـر شعراء العـبرية على الإطلاق اعـترافـا ببلاغـته وعـمق فكره في ديوان كـبيـر من التأملات الدينية والفلسفية، عنوانه «تاج المُلك» وقد تعنُّ لنا فـرصـة الـحديث عنه في النشـاط الفلسـفي لليهود الأندلسيين، عندما نقدم تعريفـا بكتاب آخر من كـتـبه ألّفـه نثـرا، وباللغـة العـربيـة، بعنوان «نبع الحيـاة» في الفلسفة على نهج ابن طفـيل وابن باجة وابن رشد. وله كتاب بالعبـرية في فلسفة الأخلاق عنوانـه «تهـذيـب مـقـــاييـس النفــوس». وفي هذه الكوكبة من شعراء العبرية الأندلسيين في عصرهم الذهبي: مــوسى بن عـزرا المولود في غــرناطة عـام ١٠٥٥م. وقد أبدع في الشعـر الديني وكذلك في أغراض الشعـر الإبداعي الدنيوية. وفي النوع الأول له «ابتـهـالات»، كـمـا كـتب قـصـة «يونس» عليـه

مـوسى بن عزرا، وأخيه أبراهام بن عـزرا. وعاصـر بدء الحـروب الصليـبـيـة. وانتشـرت إشـاعـات في الوسط المسيحي واليهودي بأن القيـامة قد اقتربت، فتـرك هذا الشاعـر بيتـه وزوجته وأولاده ليـحجّ في بيت المقدس، حيث وُجد قـتيلاً عند أسوار المدينة. هكذا زعم عـامة اليـهود بـعد مـوته. ولكن الوثائق التي اكتشفت في خزانة المعبد اليهودي بالفسطاط (الجنيزة) تثبت أن هـذا الشاعر ـ أشهر شـعراء اللغة العبـرية في ظل الإسلام ـ قد توفـي بالقاهرة، ودفن فيها، ولم يصل إلى القدس. ويستمد يهودا اللاوي الغذاء لشاعريته من حفـظه كتاب العهد القديم عن ظهر قلب وافتتانه به. تأثر به، كـما تأثر معـاصروه من أدباء الـعـربيـــة بالقـــرآن الكريم. ومـن أشـهـــر مجموعاته الشعرية الأناشـيد الدينية من تحميدات، وبكائيـات على أورشليم، مع بعض المراثي للمـوتى من أصدقائه، وقصائد حنين يقلد فيها حنين الأتقياء من شـعرائنا إلى مكة المكرمـة، وقد اشـتـهـرت هذه

ونظرا لأن (الأدب) بمفهومـه الواسع جدا عند العــرب، وهو الأخـــذ مـن كل فن بطـرف، فـإن الاحاطة بكل الأدباء في المجتمع اليهودي الأندلسي المقيم في ظل العرب، المقتـدى بهم في كل شيء أمر يكاد يكون مسـتحيلاً، فـالشاعر في مجتـمعهم كـان يمكن أن يكون تاجرا أو طبيـبًا أو فقـيـهـا، أو مـهـنـدسـا أو بحـارا أو رحّالة أو تلـمـوديًا أو وزيرا، وكان أولئك جميعا يكتبون النثر، ويؤلفون الكتب، وينظمون الشـعـر، فمـثلا بنامين التطيلي كـان تاجرا ورحــالة، وهو أشــهــر المؤلفين اليــهــود في أدب الرحـلات. والحـريزي (يهـودا بن سليـمـان) كـان تاجرا ورحالة أيضا، ولكنه كان رائد فن «المقامات» عند اليهود، وقد أثر أسلوبه فـي كتابة النثر عندهم، فحـاول أكثـرهم أن يجيء نثره مـسجـوعًا، مثـقلاً بالمحسنات اللفظية، كـما كان في أدبنا العربي وهو ينحدر في مهاوي الانحطاط.

قصة قصيدة

الرزق
بين السعي والقناعة



د. محمود جبر الربداوي

قال عروة بن أُذينة:

لقد علمتُ، وماالإسراف من خُلُقي ... أنّ الذي هو زرقي سوف يأتيني
أسعى له، فيعنِّيني(١) تطلُّبُهُ ... ولو قعدتُ أتاني لايُعنّيني
لاخير في طمع يدني(٢) لمنقصةٍ ... وغُفّةٌ(٣) من كفاف(٤) العيش تكفيني
لا أركب الأمر تزري(٥) بي عواقبه ... ولايُعاب به عرضي ولاديني
كم من فقيرٍ غنيِّ النفس تعرفه ... ومن غنيٍّ فقير النفس مسكين
طبعي كريم، ونفسي لاتحدثني ... أنّ الإلَه بلارزْقٍ يُخَلِّيني
ولااشتريتُ بمالي -قط- مكرمةً ... إلا تيقنتُ أني غير مغبون(٦)
ولادُعيت إلى مجدٍ ومحمدةٍ ... إلا أجبتُ إليها من ينادينى
لأبتغي وصل من يبغي مفارقتي ... ولا أَلينُ لمن لايبتغي ليني

العمل قوام الحياة، وممارسته والسعي الحثيث في طلبه -وإن بدا لبعض الناس متعبًا- يُعطي الحياة طعمها. والعمل وسيلة الرزق، والرزق نُسغ الحياة، بدوامه تدوم، وبانقطاعه تنقطع، والرزق مادة العمر التي لاغنى للعمر عنها.

والناس في طلب الرزق والسعي له مختلفون، مختلفون باختلاف طبائعهم ومؤهلاتهم الجسديّة والنفسية، وكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خلق له، فمنهم من يسعى ويكد في طلب الرزق، ويكدح في ملاحقته، ويناضل في سبيل الحصول عليه، ويطمح في الوصول إلى الرزق الوفير الذي يجلب العيش الرفيه. ومنهم من يقنع بالحد الأدنى من تكاليف الحياة، ويرضى (بلقيماتٍ يُقمنَ صُلبه). وتقوده هذه القناعة إلى شيء من التواكل والاستسلام لما قدَّر الله من رزق وإن كان شحيحًا.

ومن هنا اختلفتْ وجهات نظر المفكرين ومنهم الشعراء إلى الرزق، فمنهم من يرى ضرورة السعي الحثيث، والكدح المتواصل لطرد الفقر والتماس الغنى، كالنابغة الجعدي الذي يقول:

إذا المرء لم يطلب معاشًا لنفسه
شكا الفقر، أو لام الصديق فأكثرا
ولاترضَ في عيش بدونٍ، ولاتنمْ
وكيف ينام الليل من باتَ مُعسرا
فسِرْ في بلاد الله ، والتمسِ الغنى
تَعِشْ ذا يسارٍ، أو تموت فتُعذَرا

وحتى الصعاليك يصيح شاعرهم في وجه زوجته ويقول:

دعيني للغنى أسعى، فإني
رأيت الناس شرُّهم الفقير

ومنهم من يعتقد أن الرزق كالعمر مقدّر مقسوم، لايدرك بالكدح والحيلة، يقودهم هذا الاعتقاد إلى التواكل والقناعة، ويرون أنه من العبث أن يُجدِّف الإنسان ضد تيار الحياة المقدَّر من الأزل والذي يسير إلى الأبد، لاطاقة لمخلوق بتغيير مجراه.

ولذلك قال الشاعر المعبِّر عن وجهة نظر هؤلاء:

وقد علمت، وما الإسراف من خُلُقي
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له، فيعنِّيني تطلُّبه
ولو قعدت أتاني لايعنِّيني

إننا لانقر هذه الفئة من الناس الذين يقعدون عن طلب الرزق، ويستكينون للدعة والراحة انتظارًا أن تنزل عليهم مائدة من السماء، ولكننا نكبر فيهم عدم إقبالهم بنهم شديد على متاع الحياة الدنيا المتزايد يومًا بعد يوم، ونكبر فيهم إقامة التوازن بين السعي الحثيث لطلب الرزق، والقناعة بما قدَّر الله ووهب بالقِسَمِ المتفاوتة بين البشر لحكمة أرادها الباري.

نقول هذا القول بين يدي قصيدة: عروة بن أذينة، وهو شاعر حجازي مدني كناني، يلتقي بنسبه في كنانة مع قريش، وهو رجل من

المعدودين في العلماء الفقهاء الناسكين المحدِّثين، وصفه الذين ترجموا له بأنه كان شريفًا ثبتًا يُحمل عنه الحديث(١)، سمع عن عبدالله بن عمر(٢) وروى عنه مالك في الموطأ(٣) خبرًا واحدًا. ووصفوه أيضًا بأنه من حذّاق فحول شعراء المدينة المقدمين، عُرف بالغزل وغلب عليه، ولم يكن من شعراء المديح والهجاء. عاش أكثر عمره في المدينة المنورة في العصر الأموي، وتوفي سنة ١٣٠هـ. وكانت المدينة، آنذاك، مركزًا للعلم والزهد والحديث؛ لذلك شارك عروة في حياة الصلاح والزهد والنسك والعبادة ورواية الحديث، ولذلك وصفه عمر بن عبدالعزيز بأنه رجل صالح(٤). كما كانت المدينة أيضًا مركزًا للغناء والمغنين والغزل والغزلين؛ لذلك اجتمعت في شخصية عروة هاتان الميزتان؛ فقد كان بطبيعته شاعرًا رقيقًا غزلاً حلو الشعر عذب الأسلوب، مرهف الحس ظريفًا، محبًا للغناء، ويُروى أنه كان في مطلع شبابه يضع الألحان وينحلها غيره فيُغنِّى بها(٥).

إن أشعار هذا الشاعر تعكس صورة صادقة لشخصيته، فهو يعمل للآخرة ولكنه لم ينس نصيبه من الدنيا، فبينما نجد في شعره روح الإنسان المتعفف الزاهد كما في قصيدته النونية هذه التي نتحدث عنها، نجد روح الغزل الرقيق في قصيدته الهائية المشهورة التي منها البيت:

إن التي زَعَمَتْ فؤادك ملّها
خُلقتْ هواك كما خُلقتَ هوىً لها

ونجد مصداق هذه الروح في حواره مع سكينة بنت الحسين التي نقدتْ شعره الغَزل فكشفت في نقدها عن بواطن خصائص شعر الغزل عنده. أما القصة الطريفة المتعلقة بهذه القصيدة فهي ماتناقلته الكثير من المصادر الأدبية والتاريخية حول وجهة نظره في طلب الرزق وكسب العيش. ووجهة النظر هذه تعكس رأي رجل زاهد ناسك عابد ينتمي لفئة الفقهاء والمحدِّثين، يطمح إلى رزق وفير، ولكنه يرتد مُسلِّمًا بقدريّة الرزق ومقسومية العيش، تقول المصادر نقلاً عن يحيى ابن الشاعر عروة:

"أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبدالملك، فنسبهم، فلما عرف أبي قال له: أنت القائل؟ :

لقد علمتُ، ومالإسراف من خُلُقي
أن الذي هو زرقي سوف يأتيني
أسعى له، فيُعنِّيني تطلُّبه
ولوجلست أتاني لايُعنِّيني

فقال له ابن أذينة: نعم أنا قائلها، قال هشام: أفلا قعدتَ في بيتك حتى يأتيك رزقك؟ وغفل عنه هشام، فخرج من وقته، وركب راحلته ومضى منصرفًا، ثم افتقده هشام فعرف خبره، فقال في نفسه: رجلٌ من قريش قال حكمة ووفد إليَّ فجبهتُه ورددتُه عن حاجته، وهو مع هذا شاعر لا آمن مايقول، ثم قال: لاجرم، ليعلمنّ أن الرزق سيأتيه، ثم دعا بمولى له، وأعطاه ألفيْ دينار، وقال له: الحق بهذه ابن أذينة، فأعطه إياها، فسار إليه فلم يدركه إلا وقد دخل بيته، فأعطاه المال، فقال عروة: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل له: كيف رأيتَ قولي: "سعيتُ فأكديتُ، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق"؟ (٦) وقد يكون من المناسب لوجهة نظر عروة بن أذينة أن نورد قصة قصيرة أخرى مشابهة لها، قال ابن أبي الدنيا:

"قدم البصرة رجلان يسترفدان عُبيد الله بن عامر: خال عثمان بن عفان، وكان جوادًا ممدّحًا، أحد الرجلين ابن جابر الأنصاري، والآخر رجلٌ ثقفي، فلما قرُبا من البصرة نَزَلا، فصلى ابن جابر ركعتين، واستخار الله، ثم قال للثقفي: مارأيك في الرجوع؟ فقال الثقفي: أتعبتُ نفسي، وأكللت مطيتي ثم أرجع بغير شيء؟! فقال ابن جابر: إني قد ندمتُ على قصده، واستحييتُ من ربي أن يراني طالبًا رزقًا من غيره، ثم قال: اللهم رازق ابن عامر ارزقني من فضلك، ثم قفل راجعًا إلى المدينة، وكان ابن عامر قد أُخبر بمسيرهما، فلما دخل الثقفي على ابن عامر قال له" أين صاحبك؟ فأخبره بحاله، فبكى، وقال: والله ماقاله أشراً ولا بَطرًا، ولكن قاله حقًا، فلاجرم إني أضاعف جائزته، فأمر للثقفي بأربعة آلاف درهم وكسوة، وبعث لابن جابر بضعفها، فخرج الثقفي يقول:

أُمامة، ماحرص الحريص بزائد
فتيلاً، ولازهدُ المقيم بضائر
خرجنا جميعًا من مساقط رأسنا
على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أنخنا الماعجات ببابه
تخلّف عني الخزرجيُّ ابن جابر
وقال: ستكفيني عطية قادر
على ماأراد اليوم، لليأس قاهر
وقال: الذي أعطى العراق ابن عامر
لَربي الذي أرجو لسد مفاقري
فلما رآني سال عنه مبالغًا
وحنّ كما حنّت طِرابُ الأباعر
وأضعف من حظ له في عطائه
على حظ لهفانٍ من الحرص فاغر
فأُبْتُ، وقد أيقنت أن ليس نافعي
ولاضائري شيء خلاف المقادر(٧)

وتعقيبًا على القصتين نقول: إن على الإنسان أن يسعى سعيًا حثيثًا في طلب الرزق ويكدح في الحصول على كريم العيش، ولكنْ ليضعْ في حسابه أنّ حرصه الشديد على طلب الرزق، واجتهاده في سبيل تحصيله قد لايضمن له النجاح إذا لم يواكبه توفيق من الله، وليصغ إلى حكمة شاعر آخر قال:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى
فأكثر مايجني عليه اجتهاده

معاني الكلمات:

١ – يعنّيني : يتعبني .
٢ – يدني : يقرِّب .
٣ – الغُفَة : البُلغة من العيش .
٤ – كفاف : ماكفٌ عن مسألة الناس .
٥ – تزري: تعيب .
٦ – مغبون: مخدوع .

الهوامش :

١ – الأغاني ١٠٥/٢١ .
٢ – الجرح والتعديل ٣٩٦/٣. البخاري ٣٣/٤ .
٣ – تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك، السيوطي ٢٧/٢ .
٤ – الأغاني ٢٣٩/٢ .
٥ – شعر عروة بن أذينة للدكتور يحيى الجبوري ١٦ .
٦ – شرح درة الغواص في أوهام الخواص لشهاب الدين الخفاجي ١٧٧ .
٧ – المصدر السابق ١٧٧–١٧٨ .

أنطونيو

أدخل ألفي شخص في النصرانية وأسلم

كانت والدته راهبة أندونيسية خلعت رداء الرهبنة لتتزوج من ضابط هولندي برتبة ميجور (رائد) يدعى جوهن فريدريك، وأثمرت الزيجة سبعة أولاد ذكور كان أنطونيو مقار رابعهم، إذ ولد عام ١٩٣٣م، ووضعت والدته آمالها فيه ليكون راهبًا، ليجدد أملها الذي لم تستطع تحقيقه.

نشأة كاثوليكية

أرادت والدته له شيئًا، وأراد الله له شيئًا آخر، وكانت الغلبة في النهاية لما أراده الله الذي لاراد لقضائه أو إرادته.

يروي أنطونيو في كتابه: (لماذا أسلمت؟) الذي ترجمه د. رؤوف شلبي، أن والدته حرصت منذ سنوات عمره المبكرة على أن تغرس في داخله عقيدة التثليث، وتلقنه تعاليمها الروحية التي لاتجوز مناقشتها، ومن أجل ذلك ألحقته بمدرسة سافريوس في قرية توندانو، ثم مدرسة للرهبان خلال عامي ١٩٥٣ - ١٩٥٨م. وبعد تخرجه في تلك المدرسة تم إلحاقه بوظيفة في الكنيسة بمدينة سورابايا في جاوا الشرقية لمدة عامين، حُوِّل بعدها إلى مدينة سمارج في جاوا الوسطى، وتمكن خلال تواجده بهذه المدينة من إدخال ألفي شخص في الديانة النصرانية، وقام ببناء كنيسة جعل مهمتها الرئيسة ردة المسلمين عن دينهم وإلحاقهم بالنصرانية الكاثوليكية، مستغلاً في تحقيق ذلك إمكانات مادية هائلة أتاحتها له بعثات التنصير ومجامع الكنائس العالمية.

المهمة المستحيلة

شاءت الأقدار أن يُنتدب أنطونيو عام ١٩٦٠م إلى منطقة جؤجا كارتا لمواجهة الثورة الإسلامية التي نشبت هناك، وانحصرت مهمته في نقطتين: الأولى تنظيم جهود الكنيسة لمواجهة خطر تنامي إحساس المسلمين بعقيدتهم وتمسكهم بها، والثانية العمل على تنشيط عمليات التنصير الكاثوليكي، مستغلاً في ذلك عوامل الفقر والجهل والمرض المتفشية في البلاد.

عمل أنطونيو بكل إخلاص في تنفيذ المهمة الموكولة إليه، فكان كالنحلة لايهدأ ولايكل في عمل متواصل ليلاً نهارًا، وقدر له في زحمة العمل الالتقاء بأحد علماء المسلمين الذين كان مخطط التنصير يرمي إلى إرباكهم وعدم تمكينهم من توعية المسلمين بدينهم أو تسليحهم بالعقيدة الصحيحة لمواجهة ما يستهدفهم.

وبكل ما تعلمه في مدارس الرهبان من دهاء، عرض أنطونيو بلطف عقيدة النصارى على العالم المسلم الجليل، متوهمًا بذلك أنه يفحمه بما فيها من أسرار وألغاز، إلا أن العالم المسلم واسمه منور خليل - يرحمه الله - فاجأه بمعرفته التامة بأسرار الكنيسة وأسس عقيدة التثليث، موضحًا له بلباقة متناهية أن كل ما يقول عبارة عن ترديد لهرطقات مايزال النصارى يرددونها منذ مئات السنين دون أن يمعنوا الفكر في محتواها، أو يناقشوا مافيها من تناقضات.

مناظرة هادئة

عرض الشيخ منور خليل على أنطونيو عدة أناجيل باللغات الإنجليزية والهولندية والأندونيسية والعربية، مفسرًا الاختلافات بين تلك الأناجيل وبعضها، ومشيرًا إلى التناقضات التي تحفل بها، وما تحويه من فروق تدل على أنها ليست من أصل واحد بل من عدة أصول، مما ينفي نسبتها إلى العقيدة النصرانية في أساسها الصحيح الأول.

وبدأ عقل أنطونيو يتفتح ويكتشف مغالطات العقيدة التي يدعو إليها، وكانت سعادة الشيخ منور خليل عظيمة حين فوجئ ذات يوم بأنطونيو يسأله أن يوضح له ماجاء في دائرة المعارف من أن التثليث إنما هو من صنعة بولس وابتداعه، ذلك اليهودي الذي هو من أشد الكارهين للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ثم تَنَصَّرَ ليفسد العقيدة التي بشر بها عيسى عليه سلام الله، وابتدع عقيدة التثليث المأخوذة من الديانات الوثنية، فَحَرَّفَ العقيدة النصرانية عن أصلها الصحيح وهو التوحيد.

بداية الاهتداء

كان لقاء أنطونيو بالشيخ منور خليل - يرحمه الله - بداية انعتاقه من ظلمات الشرك، إذ بدأ هاجس في داخله يتمرد على التبعية العمياء لتعاليم الكنيسة التي لاتجوز

مناقشتها، وبعد ثلاثة لقاءات مع الشيخ، ذهب أنطونيو ليطلب من الكنيسة إجازة، كان هدفه منها أن يتفرغ للبحث عن أصل عقيدة التثليث، خاصة بعد أن وجد تشابهاً بينها وبين العقيدة الهندوكية.

سافر أنطونيو إلى جزيرة بالي حيث يوجد معبد للهندوك وادّعى أنه يريد الالتحاق بهذه الديانة، ونفذ ما طلب منه من أوامر، مثل حلق شعر الرأس بالموسى، وارتداء ثياب بيضاء لمدة لاتقل عن ثلاثة أشهر، وتقبل تعاليم الديانة دون مناقشة، ولم يصعب عليه تقبل هذه الأوامر لأنها ذاتهــا التي تطبق في سلك الرهبنة في النصرانية.

وأمضى ثلاثة أشهر في الدراسة اطلع خلالها على كتب الهندوكية مثل (الفيدا) والبرهمانا «والبيمنادجيتا» ومن خلالها أدرك أن فلسفة العقيدة الهندوكية تقوم على أساس أن هناك نفساً واحدة كلّية تتحد معها النفوس الجزئية، ولم يصعب عليه أن يكتشف أن «براهما» في الديانة الهندوكية يقابله في النصرانية الأب، وأن «فشنو» يقابله الابن، و«سيفا» يقابله الروح القدس. وانتهت المقارنة إلى اقتناعه بأن النصرانية الكاثوليكية ما هي إلا ظل للهندوكية بما تحفل به من خرافات وغيبيات لا معنى لها. فنظر إلى البروتستانتية فوجدها - رغم تصحيحات لوثر وتوماس مور - لاتختلف عن سابقتيها في التعاليم المحرفة، ولاغرو فالأساس واحد فيها جميعًا.

صراع داخلي

عاش أنطونيو صراعًا داخليًا عنيفًا بين الفطرة السليمة الصحيحة التي أودعها فيه الخالق البارئ، وبين ما تربى عليه ونشأ في ظله من تعاليم النصرانية المحرفة، فكل الدلائل التي تجمعت لديه وتؤيدها الفطرة النقية تشير إلى أن الدين عند الله الإسلام، وأن التوحيد هو أساس العبادة الصحيحة، بينما ما اكتسبه وتعلمه من عقيدة ينادي بغير ذلك، وفي خضم هذا الصراع دعاه شباب الكنيسة الكاثوليكية إلى ندوة لمناقشة التثليث. وكانت ندوة عاصفة، حيث أوضح خلالها ما توصل إليه فكره، وملخصه أن الواحد إذا تكرر ثلاث مرات، فإنه بلغة الحساب وهي أدق اللغات يصبح ثلاثة، فكيف تدعي الكنيسة أن ثلاثة هم واحد في الوقت نفسه؟!

البحث عن عقيدة

حين انتهت الندوة فكر أنطونيو في اعتناق مذهب يؤمن بالتوحيد، لكنه يتماشى مع عقائد النصرانية، ووجد مبتغاه في مذهب الأدفنتست (التسمية مشتقة من أدفنتوس في اللاتينية ومعناها المجيء)، وهو مذهب أسسه وليم ميلر (١٧٨٢ - ١٨٤٩م) يدعو إلى عبادة إله واحد، ويؤمن بأن عيسى عليه السلام رسول الله، لكنه يجعل التوراة والإنجيل هما مصدرا الأحكام الشرعية، وهو ما لم يخف عن فطنة أنطونيو للتناقضات الكثيرة بين العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الأناجيل)، لعل أبرزها أن العهد القديم يحرم عبادة إله سوى الله، فيما يجعل العهد الجديد الصلاة للمسيح وروح القدس وتماثيل الملائكة، وأشياء كثيرة أخرى تناقض بعضها.

وقادت هذه الاختلافات أنطونيو إلى رفض مذهب الأدفنتست مثلما رفض قبله الكاثوليكية والبروتستانتية والهندوكية.

العودة إلى الحق

جاء خلاص الروح الحيري عام ١٩٦٢م، ففي ذلك العام ، وفي إحدى لحظات الضياع قام ليقرأ ترجمة باللغة الانجليزية لمعاني القرآن الكريم، وتوقف عند قوله تعالى: ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة:٢١) وتجلت أمام ناظريه عظمة الديانة الإسلامية وسماحتها حين اطلع على قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرشد من الغي﴾ (البقرة:٢٥٦)، وارتفع في داخله نداء غامض، نداء ينبع من أعماق الفطرة، يدعوه إلى العودة إلى الفطرة التي فُطِرَ عليها الإنسان، وهي الإيمان بالله وحده لاشريك له.

واستجاب القلب المؤمن للنداء الذي كان يلح عليه منذ زمن، ويدعوه إلى معرفة ربه، وكان أن أسلم وجهه لرب العالمين.

وتحول راهب جزر الأرخبيل في أندونيسيا إلى داعية للإسلام مضحيًا بطموحات الدنيا المتمثلة في مركزه الكنسي الكبير، ومرتبه الضخم، والمكانة الاجتماعية التي يحظى بها بين أوساط النصارى، لكنها تضحية ترخص أمام خلاص روحه وعتقه من النار.

الذي نغص حياة أنطونيو بعد إسلامه هو ماكان يحسه من ألم، لكونه أسهم - أيام جاهليته - في تنصير ألفي رجل وامرأة خلال عام واحد، إذ طالما أرقته أشباح هؤلاء، وتضرَّع إلى الله سائلاً أن يغفر له ما كان منه في سابق عمره.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

رد المظالم

هل يمكن رد المظلمة بغير رد الحق إذا كُنتُ مأموراً ؟

ت.س.أ ـ جده.

الظلم لايجوز إيقاعه أبدًا حتى ولو كان المرءُ مأمورًا بهذا، لكن يتطلف مع من أمره بهدوء وسكينة، ويشعره أنه ظلمه، ويتلطف مع الغائب المسكين ويُعطيه حقه بعقل ودهاء وعدل، وهذا لايضر وهو دليل الحكمة والنزاهة، وحب الآخرة. ولايصح رد المظالم إلا برد الحق إلى صاحبه حسًا ومعنى، لأن من أمر أو أوصى بالظلم لن يُدفن معك، ولن يُفيدك غدًا، ويكفيه مايصيبه الله به من العذاب في الدنيا مابين مرض القلب ووخز الضمير، والقلق، حتى ولو عاش المرءُ حياة رغيدة، ملؤها المال والجاه. فهذا كله -والله- سراب. ولابد في هذا من الصدق مع الله تعالى، وعدم ظلم الضعيف بحال ما، ولايكفي في رد المظالم البشاشة وحسن الخلق والتبسم، فهذا من وحي النفس، وتلبيس إبليس، ولكن يكون برد الحق الذي ينال به الآمرُ والمأمورُ الحق خيرًا أو شرًا هنا أو هناك. آمل تدبر الجواب بعد القراءة مرارًا.

ما العقل ؟

ماهر.م. الدار البيضاء ـ المملكة المغربية.

سؤالك هذا معناه كبير. لكن دعني أسألك : لماذا سألت عن هذا ؟

لاجرم فالسؤال ليس غريبًا، لكن هل لم يبق إلا هذا السؤال وسط اللجج المتلاطمة، من العواطف والأهواء والمصالح والسيادة؟ هلا سألت عن العاطفة، المصلحة، الذاتية، الهوى؟

العقلُ غريزة موهوبة من الوهاب، والعقل معنى حي قائم بذاته، يحكم البدن، يوجهه إلى الخير ويحبسه عن الشر.

هذا إذا تَحَكَّمَ في العقل دينُ صحيح، ويقينٌ صادق، وسؤدُد عادل نظيف. أما إذا كان خلاف هذا، فتحكمت فيه العاطفة مثلاً أو الهوى، أو حب الحياة فهو لايعدو عن كونه خادمًا للعاطفة، ومن هنا تحدث الكارثة.

ومايقال عن العقل بأنه البديهة أو الذكاء أو حسن التصور والتصرف، فليس كذلك لأن هذه كلها وماشاكلها إنما هي آثار للعقل. آمل قراءة هذه الكتب: «النبوات» لابن تيمية، «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية، و«تلبيس إبليس» لابن الجوزي.

التوسل بالصالحين

نحن لانعبد صاحب القبر، ولانؤيد من قال بهذا. لكننا نعرف أنهم صالحون فنتوسل بهم فقط؟

م.م.ل، ع.أ.ط، س. مصطفى. ي ـ ج.م.ع.

ليس فوق الأرض أفضل من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا ضَمَّت الأرض خيرًا منهم، ومع هذا فلم يحصل أن توسل صحابي بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، أو جاء إلى قبره بقصد التوسل به عليه الصلاة والسلام، ولا فعل هذا التابعون الأخيار. والصحابة هم أعلم الخلق، وأفضلهم، وأتقاهم لله سبحانه وتعالى.

لكن مايحصل اليوم إنما هو من آثار الفاطميين، ومن تبعهم من أهل البدع في القرن الثالث الهجري. والعبادة ـ قولاً وعملاً ـ أصلها القطع، أي المنع إلا ماشرعه الله ورسوله، والتوسل بصاحب القبر نوع من العبادة. وأكبر من هذا هو الذهاب إلى القبر والتمسح به أو الطواف والبكاء. لكن قد دلّ الشرع على التوسل الذي يمكن أن يكون عبادة، كأن يتوسل العبد بصالح عمله الخالص، وبصدق محبته للرسول ومتابعته له؛ ولهذا ورد رَدُّ هذا الأمر المذكور حكاية عن أهل التوسل الذين لم يعرفوا حقيقة التوحيد الصحيح، فقال سبحانه: ﴿مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (الزمر:٣). والإسلام كما هو نص الكتاب والسنة لايجعل بين الله والعبد واسطة، فيحتاج إلى التوسل به، كلا إنما يلجأ العبد الصالح إلى الله تعالى دائمًا، ولهذا كان النص في هذا واضحًا دون ذكر للوسيلة، قال تعالى: ﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ (النمل:٦٢). والآيات في هذا المعنى كثيرة متوافرة.

الادعاء على الظالم

أين يكون إمام العُراة؟

أين تكون إمامة النساء؟

ما حكم من لم يَدَّعِ على من ظلمه؟

صبري.م.أ، القاهرة ـ ج.م.ع.

إمام العراة يكون وسطهم، وإمامة النساء تكون وسطهن، وراجع: «المغني» لابن قدامة، و«المحلّى» لابن حزم، و«المبسوط» للسرخسي.

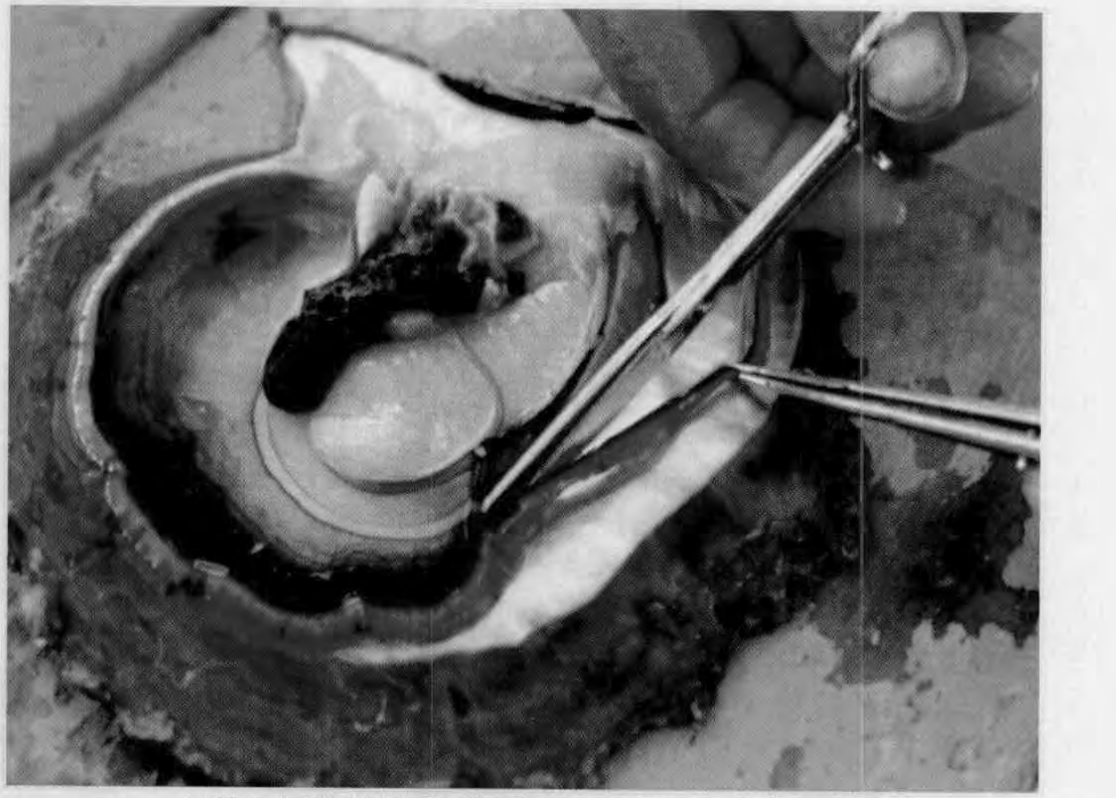
أما من لم يَدَّعِ على من ظلمه فهذا عائد إليه إن كان سكوته عفوًا، وإن شاء كان سكوته بمعنى الدعاء على الظالم، خاصة إذا كان جبارًا، أو جاهلاً. وراجع: «مجابو الدعوة» لابن أبي الدنيا، و«الحلية» لأبي نعيم، وتفسير سورة (يوسف) عليه السلام، وإن شئت فتأمل سورة (هود).

صيد اللؤلؤ
زمان ولى وتقاليد تحيا في الذاكرة



حرفة استخراج اللؤلؤ من المحار كانت عماد حياة الأهالي في الخليج العربي. وفي موسم الصيد الأعظم الذي كان يستمر أربعة أشهر من يونيو إلى أكتوبر، كانت المدن تخلو من رجالها فجميعهم في البحر، وحتى الحياة بصخبها كانت تنتقل إلى البحر الذي يتحول إلى سوق عامرة بالحركة، فتجار اللؤلؤ «الطواشون» يتجولون بمراكبهم للشراء، وتجار الأطعمة يذهبون هناك لبيع المؤن، وعندما يحل موسم العودة أو «القفال» تدب الحياة من جديد في المدن المهجورة، وتصعد الأغاني والأهازيج احتفالاً بعودة الغانمين. وبين كل هؤلاء يبقى صيادو اللؤلؤ بمعاناتهم وتعرضهم للموت والخطر في كل حين، كأنما اللؤلؤ هو دموع يذرفونها أو ذرفها أحبَّة الذين ذهبوا ولم يعودوا، وقد تجمدت فتحولت - وياللعجب - . .

قسم الاستطلاعات - إعداد: نجلاء حسن حامد



لزرع اللؤلؤ يقوم فنّي متخصص بعمل شق بضربة سريعة من المقص في طية الجدار المبطن للمحارة المانحة.

منذ القدم

كانت صناعة استخراج اللؤلؤ معروفة في منطقة الخليج منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة كما تدل الآثار التي عُثر عليها، وكأن بريق اللؤلؤ قد جذب أنظار العالم إلى حوض الخليج منذ القدم وحتى العهد البرتغالي، كما كان حافزاً قوياً للتنافس بين القوى البحرية السائدة آنذاك، إذ كان يمثل مصدراً مهماً لتجارة الشرق.

ويعتقد بعض المؤرخين أن الرغبة في السيطرة على تجارة اللؤلؤ الرابحة، كانت سبباً من أسباب الغزو البرتغالي لدويلات منطقة الخليج في القرن السادس عشر.

وكانت مهنة صيد اللؤلؤ وتجارته هي السمة الغالبة على نشاط أهل الخليج طوال العام، ولاسيما الذين يعيشون على الشواطئ أو في الجزر.

ويتحدث كتاب «دليل الخليج» تأليف الكاتب الإنجليزي «لوريمر» عن اللآلئ وحاصلات الغوص وعدد السفن والرجال العاملين عليها فيقول: «في سنة ١٨٣٣م كانت حاصلات الخليج العربي من اللؤلؤ تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني، وفي سنة ١٨٦٦م بلغت ٤٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني، وفي سنة ١٩٠٦م بلغ ثمن اللؤلؤ المبيع ١,٤٣٤,٣٩٩ جنيهاً استرلينياً، كما بلغ ثمن أصداف المحار المبيع سنة ١٩٠٤م حوالي ٣٠,٣٤٩ جنيهاً استرلينياً».

كذلك أورد «لوريمر» في كتابه السابق إحصائية بعدد سفن الغوص من الكويت والبحرين وقطر والأحساء وساحل عمان وساحل فارس وعدد البحارة لسنة ١٩٠٧م. فكان مجموع سفن الغوص في البحرين يبلغ ٩١٧ سفينة، وعدد البحارة بها ١٧٦٣٣ نفساً، وفي قطر بلغ عدد السفن ٨١٧ سفينة وعدد البحارة ١٢٨٩٠ نفساً، وفي الأحساء بلغ عدد السفن ١٦٧ سفينة يعمل عليها ٣٤٤٤ نفساً، وفي الكويت ٤٦١ سفينة وعدد البحارة ٩٢٠٠ نفساً، وفي فارس كانت السفن تقدر بنحو ٩٢٤ سفينة وعدد بحارتها ١٨٨٤٠ نفساً.

وقد قُدِّر مجموع سفن الغوص في الخليج العربي بنحو ٤٥٠٠ سفينة كبيرة وصغيرة وعدد البحارة الذين يعملون عليها نحو ٧٠٠٠٠ نفس.

حبة اللؤلؤ

تُعتبر حبة اللؤلؤ من الأحجار الكريمة النادرة، وتتميز بالصلابة والاستدارة واللمعان. واللؤلؤ من نسيج الأحياء الصدفية، وهي أحياء منزلها البحار، ولصيقة المحار داخل الصدفة الملساء، ويفرز المحار مادة تغطي باطن الصدفة فتجعلها ملساء ناعمة، مهيئة بذلك للمحار الحي - وهو جسم رخو رقيق لا يتحمل الفراش الخشن - فراشاً أنعم ملمساً.

وعندما تتسلل إلى داخل المحار حُبَيْبَةٌ من رمل أو حيوان بالغ الصغر من أحياء البحر أو أي شيء غريب، يتخذ المحار موقفاً دفاعياً، محاصراً هذا الجسم



بعدئذ توضع خرزة «بذره» من محار بلح البحر بجانب طية الجدار في المحارة ومعه جزء الخلايا الحية الذي أخذ من المحارة المانحة «الأولى» ثم توضع المحارة في مياه البحر.

الغريب الداخل إليه، بأن يفرز حوله تلك الطبقة الملساء التي صنع منها فراشًا يقيه خشونة الصدفة.. ويزيد هذه الطبقة شيئًا فشيئًا... وتكون النتيجة «لؤلؤة».

وتكوين اللؤلؤ مباين لسائر ماعداه من الجواهر الشفافة، لأنها ترابية وهو حيواني، واللؤلؤ نوعان: كبير ويُسمى الدر، وصغير ويُسمى اللؤلؤ، وأجود الدر هو المدحرج الصافي الشفاف كبير الحجم النقي، وأجود اللؤلؤ هو المستدير. واللؤلؤ ألوان، منه الأصفر والأخضر والأزرق. ويرجع سبب هذه الألوان إلى ملاصقتها لأعضاء حيوان المحار الذي جاوره، فالذي جاور الطحال يصبح أحمَر، والذي جاور المرارة يصير أخضَر بحريًا، ومن ألوانه أيضا الأبيض النقي والرصاصي والعاجي، واذا طال زمانه اسْوَدَّ. واللؤلؤ عمومًا سريع التغيّر لأنه حيواني بخلاف الجواهر المعدنية.

ويتكون اللؤلؤ من مادة صدفة الحيوان الرخو (موللك) نفسها، وتتكون الصدفة نفسها من كربونات الكالسيوم، إلى جانب مواد أخرى بلورية ومن مادة عضوية قرنية تُعرف باسم (توتكيولين)، أما داخل الصدفة اللماع فيتكون من عرق اللؤلؤ ـ مادة اللؤلؤ نفسها ـ ولكن الفرق شاسع بين ثمن اللؤلؤ وثمن باطن الصدف الذي تُصنع منه الأزرة والمقابض وغيرها.

مغاصات اللؤلؤ

أشهر اللآلئ في العالم هي المستخرجة من المياه المالحة الدافئة، حيث تمتاز بدرجة عالية من اللمعان والتلون القزحي نتيجة لانعكاس وانكسار ضوء الشمس الذي يسقط على سطح اللؤلؤة بسبب تشابك نسق الألوان البللورية، أما اللؤلؤ المستخرج من المياه العذبة فتنقصه الصلابة.



يتم التفتيش بانتظام على المحار الذي يوضع في أقفاص حديدية في البحر لمعرفة الأمراض التي تصيبه، وتستخدم كذلك اشعة اكس لتفقد أحواله

توجد أشهر مغاصات اللؤلؤ في العالم، في البحر الأحمر وجنوبي المحيط الهادي والبحر الكاريبي، ولكن أفضل أنواعه تأتي من منطقة الخليج العربي، حيث يساعد التكوين الجيولوجي لقاع الخليج وحرارته وضحالة مياهه وملوحتها في تربية محار اللؤلؤ ونموه، وتشغل مغاصات اللؤلؤ نصف ضفة الخليج الغربية تقريبا، اذ تبدأ عند جزيرة «أبو موسى» في مواجهة إمارة الشارقة، وتنعطف بمحاذاة الساحل مرورًا بجزيرة «حالون» ثم أمام ساحل قطر وأرخبيل جزر البحرين التي تشتهر باللآلئ النفيسة، وخاصة في الشمال والشرق بسبب وجود عيون المياه العذبة المتفجرة في هذه المغاصات، ثم قبالة ساحل المملكة العربية السعودية إلى رأس تنورة، وتنتهي أخيرًا قرب الكويت.

وتُعرف المغاصات باسم «الهيرات» وهي كلمة فارسية مفردها «هير»، ويجري تحديد معالمها بواسطة علامات بحرية على الساحل المقابل، أو عن طريق قياس عمقها بواسطة خيط تتدلى منه قطعة رصاص يُعرف باسم «البلَد»، ويزدهر المحار عادة في المياه التي يتراوح عمقها بين ٨ أمتار و ٣٦ مترًا.

ومن أشهر مغاصات الساحل الشرقي في السعودية: هير النيوة، هير أبو عمامة، هير مخيزم، هير أبو سعفة، هير عصفة، هير أم السبيطي، هير السويدة، هير عشيرج.

سفن الغوص

كان لسفن استخراج اللؤلؤ أسماء عديدة مثل «الجالبوت» و«البوم» و«البيتيل» و«البقارة» و«السمبوك»، والقاعدة هي أن يقود رحلة الغوص رجل واحد هو (النوخذة)، وأصل الكلمة فارسي وتعني قائد السفينة، وبيده الحل والربط والجميع يطيعونه، يعاونه مجموعة من الرجال منهم:

«المقدمي» وهو رئيس البحارة والمسؤول عن العمل في السفينة، و«الجعْدي» وهو الشخص الذي يحل محلّ النوخذة في توجيه السفينة وتفقد أحوالها، و«الغيص» وهو الشخص الذي



يغوص في البحر لجمع المحار فيما يشبه الكيس الذي يكون مربوطًا بحبل يُمسك به رجل على ظهر السفينة يسمى السيب، و«السيب» هو الشخص الذي يسحب الغيص من قاع البحر، وأي إهمال منه قد يودي بحياة الغيص، و«التباب»وهو صبي الرحلة الذي يلبي طلبات بقية الرجال ويتولى خدمتهم، وهذا العمل ليس له أجر وإنما له إكرامية من النوخذة والبحارة؛ و«الطباخ» الذي يطهو الطعام، وأخيرًا يأتي «النهام» وهو مطرب الرحلة الذي يؤنس بحارتها وينسيهم وحشة البحر وفراق الأحباب.

ومع أن أغاني الغوص هي أغان جماعية، لكن النهام له دوره الفعّال في قيادة الغناء الجماعي، ومن أشهر ألوان الغناء الخليجي المرتبط بالبحر: «السامري» و«الغجري» و«الخماري» و«الليوة» و«الطمبنورة»، ومن أمثلة هذه الأغاني:

حسبي على أهل الهوى
هم في الهوى ولعوني
من يوم ثوبي ذراع
وإن مت يا أهل الهوى
من بعدكم فأدركوني
بشربة هنية بساع

وبجانب هؤلاء يوجد «الرضيف» وهم صبيان يتدربون على العمل ويقومون بالأعمال الخفيفة.

يتراوح عدد البحارة في سفينة الغوص بين مائة و٣٠ شخصا أو أقل أو أكثر على حسب حجم السفينة ومقدرة النوخذة على جمع أكبر عدد من البحارة، وغالبًا ما يكون عدد السيوب أكثر من عدد الغاصة.

وتضم السفينة عادة نحو خمسة أو سبعة أشخاص زيادة في العدد، يسمونهم «الجلاّسة»، يحلون محل

السيب المريض أو الذي يكون مشغولاً بأداء الصلاة.

أدوات الغوص

من أهم أدوات الغوص التي كانت لا تخلو منها أي سفينة متوجهة لاستخراج اللؤلؤ:

البدلة: وهي رداء من القماش الخفيف الأبيض الذي يشبه البنطلون، وقميص له أكمام طويلة يلبسه الغيص للوقاية من هلاميات البحر وأسماكه المفترسة.

الخطام: ويُسمى الفطام أيضًا، وهو قطعة صغيرة طولها نحو إصبع، تصنع من عظام السلاحف أو الخشب ويضعها الغيص على أنفه.

الحَجر: قطعة من الرصاص أو الحجر لكي تنزل بالغيص إلى قاع البحر.

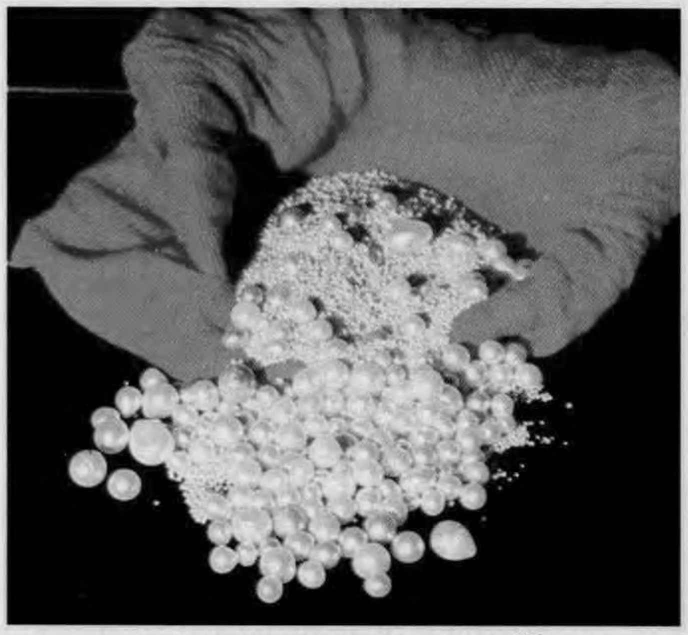
الخَبط: يشبه القفازات لحماية أيدي الغاصة أثناء العمل من الجروح بسبب الاحتكاك ببعض أنواع المحار.

اليدا: حبل ممتد بين الغيص والسيب، وهو وسيلة النجاة الوحيدة للغيص، حيث يقوم السيب بسحبه عند أول إشارة، ويتراوح طوله بين ٧٢ و ٨١ متراً.

الدِّيِن: وعاء جمع المحار ويُصنع من الحبال الرفيعة بطريقة «الغربال» وله قوس خشبي من أعلاه.

الزِّيل: حبل طويل يسحب السيب بواسطته الحجر من قاع البحر بعد وصول الغيص إلى القاع.

الشمشول: سروال قصير أسود يلبسه الغيص بدلاً من الإزار، في حين أنّ السيب يرتدي دائما الإزار.



وَلِعَ خلفاء المسلمين باللؤلؤ، واتخذته نساؤهم للزينة والمباهاة



«البشْتختة» صندوق خشبي لحفظ اللؤلؤ، ويشتمل على أدوات لتحديد حجم اللؤلؤ ووزنه

موسم الغوص

يبدأ موسم الغوص في الخليج العربي في شهر يونيو ويستمر حتى أكتوبر تقريبًا، وفي يوم «الدشة» وهو يوم خروج السفن إلى الماء يتلئ الهواء بأصوات الأهازيج والدعوات المختلطة بالدموع.

وفي كل يوم يبدأ العمل في استخراج اللؤلؤ من الصباح الباكر ويستمر حتى غروب الشمس، وقد يقوم الغيص بأكثر من عشر مرات غوص تُسمى «إقحمة»، وتُسمى مرة الغوص الواحدة «تبة».

وينزل الغيص عادة إلى البحر بعد طلوع الشمس، ممسكًا بحبل قصير مربوط في أحد مجاذيف السفينة، واضعًا «الخطام» الذي يمسكه خيط رفيع يُلف على الرقبة على رقبته، ثم يضع الدِّيِن على رقبته، ثم الحبل الذي يربط به الحجر في رجله (الزِّيل) ثم اليدا ـ وهو حبل الانقاذ الذي يجره السيب بواسطته ـ، وبعد أن يأخذ نفسًا عميقًا من الهواء يبدأ الغوص.

عندما يصل الغيص إلى قاع البحر يسحب السيب الزيبل الذي به الحجر حيث لم يعد الغيص في حاجة إليه،



ويبدأ الغيص في جمع المحار بيديه العاريتين دون الاستعانة بأي أداة حادة.

وعندما يمتلئ وعاء اللؤلؤ أو يشعر بضيق النفس يجذب الحبل بشدة فيقوم السيب بسحبه إلى سطح الماء، وعلى الفور يرفع الخطام من أنفه لكي يتنفس، ويُفرغ السيب حمولة الدّيّن، ويبقى الغيص في الهواء الطلق مدة خمس دقائق قبل أن يعود إلى القاع من جديد.

تتراوح مدة بقاء الغيص تحت الماء بين دقيقتين وأربع، وفي مساء كل يوم يجتمع البحارة على ظهر السفينة ويفلقون المحار بواسطة «المفاليق» وهي سكاكين معقوفة بغرض استخراج اللؤلؤ.

وبعد صلاة المغرب يتناول البحارة على ظهر السفينة طعام العشاء ويتكون من الأرز والسمك، ثم يستكملون عملهم في فتح المحار قبل أن يخلدوا إلى النوم، وقد ينامون على المحار الكثير، ففي هذه الحالة يكون رطبًا وأملس، بينما ينام الغيص في مؤخرة السفينة وهي المكان المخصص للنوخذة.

القفال

يوجد فصل اختياري للغوص يعقب موسم الغوص الكبير، ويمتد من ثلاثة أسابيع إلى شهر يُعرف باسم «الروادة»

وعندما ينتهي موسم الغوص أو تنفد المؤن، يُطلق كبير الغواصين بندقيته أو مدفعًا كعلامة على انتهاء موسم الغوص، وإيذانًا بالقفال الذي يعني عودة الغواصين من رحلة الغوص على اللؤلؤ التي استمرت أربعة أشهر.

وللقفال يوم محدد هو ٢٨ سبتمبر عندما يتساوى الليل والنهار ويكون ماء البحر باردًا. ويعتبر القفال يوم عيد في كل بلدان الخليج العربي التي كانت تعتمد في معيشتها على استخراج اللؤلؤ، حيث تدب الحياة في الأسواق، وترتدي المدن أبهى حللها بعد عودة الغواصين.

تصنيف اللؤلؤ

أثناء رحلة الغوص يتجول تاجر اللؤلؤ ويُسمّى «الطواش» بمركب صغير بين سفن الغوص لشراء اللؤلؤ، وتتم عملية الشراء والبيع بين «الطواشين» و«النواخذة» دون أن يتدخل أي فرد من بقية أفراد الرحلة، وتتحدد قيمة اللؤلؤ تبعًا لنوعه وحجمه.

يرتبط تصنيف اللؤلؤ بعدة أشياء منها: وضع اللؤلؤة في المحارة، حجمها، لونها، شكلها، نوعها، وجمالها، وينقسم اللؤلؤ من حيث الحجم إلى أربعة أنواع: هي الرأس والبطن والذيل والسحتيت، وأكبر أحجام اللؤلؤ هو الرأس وأصغرها السحتيت، وأشهر أنواع اللؤلؤ الجيون والدانة والقولوة.

ويستخدم تجار اللؤلؤ منخلاً خاصًا مكونًا من سبع أوان نحاسية تُعرف باسم «الطوس» وذلك لتحديد أحجام اللؤلؤ وفرزها تباعًا، فاللآلئ التي يحتجزها المنخل العلوي العادي تسمى


أغان ورقصات جماعية يقودها النهام ـ مطرب الرحلة ـ بعد فتح المحار

رأسًا وتُعرف باسم «الدانات» وهي مرتفعة القيمة، أما التي تحتجزها الطاسة الثانية فتُسمى «بطنًا» وتُستخدم لتزيين العقود وفي صنع الأقراط، والتي في الطاسة الثالثة تُسمى «ذيلاً» وتمثل غالبية اللؤلؤ، ثم يأتي تباعًا السحتيت والناعم ثم البوكة، وأخيرا الحاكة وهو تراب اللؤلؤ الذي يُسحق ويُستعمل في تركيب بعض الأدوية.

واللؤلؤ له ألوان متعددة، ويُعتبر «المشير» وهو المشوب بحمرة وردية من أشهر الألوان المتعارف عليها في منطقة الخليج، وهو أكثر ألوان اللؤلؤ روعة وبهاء وأغلاها سعرًا، و«السماوي» وله لون زرقة السماء الخفيفة و«الوردي» و«السنقباني» و«القلابي» و«البصلي» و«الأشعر» و«الأسود».

كذلك من الأشكال الشائعة للؤلؤ، الشكل الكروي الكامل الاستدارة، والشكل نصف الكروي كالكرة المقطوعة من المنتصف، والشكل التنبولي الذي يشبه فاكهة الكمثرى، والشكل البيضي المشابه لشكل البيضة، والرباني المشابه لشكل الربيان والطبلي والعدسي وغيره.

مخاطر الغوص

يتعرض الغواصون ـ أو الغاصة ـ في قاع البحر عند جمع المحار لأخطار عديدة قد يودي بعضها بحياتهم، مثل الجرجور وهو القرش الذي يقطع أوصال الضحايا بأسنانه الحادة، واللُّخمة وهي سمكة مستديرة الشكل لها ذيل طويل كالسوط وبها شوكة سامة، وقد تطلق شوكتها السامة كالسهم أو تجلس على ظهر الغواص فيكون مصيره الموت، والدجاجة وهي سمكة سامة لها أشواك تضرب بها، ومن يراها في القاع يحسب أنها دجاجة راقدة على البيض ولها زعانف كالجناح وفم كفم السمكة، والدول وهو نوع من الحيوانات الهلامية وضربته شديدة كالحريق، ويتقي الغاصة لسعته بارتداء لباس أسود خفيف، والوز وهي سمكة صغيرة تُسمى «فرس البحر» تُصدر صوتًا يشبه الأزيز عندما تدخل في معركة مع الغواص، وذلك عندما يقترب من بيتها الطيني الذي تقيمه بالقرب من المحار، والرّمّاي وهو من قواقع البحر صغير الحجم لونه أسود وله شوك غليظ وعندما يمسك الغواص به بطريق الخطأ يضربه بأشواكه .

أما الأمراض التي يتعرض لها الغواصون فكثيرة، منها انفجار الأذن والجروح والصدمات خاصة عندما تكون سفنهم قريبة من بعضها، وطنين الأذن والأمراض الجلدية بسبب البقاء فترة طويلة في الماء المالح، والتهاب اللثة والأسنان نتيجة سوء التغذية وقلة النظافة، والأمراض الصدرية مثل السعال الشديد وحشرجة الصدر.

كذلك تمثل العواصف والأعاصير خطرًا لايمكن درؤه، فقد تقضي على السفن بجميع من فيها.

وفي أحيان كثيرة يتعرض الغاصة

لخطر الموت السريع، عندما ينتهي نفس أحـدهم وهو في القـاع أو بين القـاع وسطح البحر، فـيخرج إلى السطح وهو في الرمق الأخير.

حساب الغوص

كانت الأحوال المالية للبحارة في سفن صيد اللؤلؤ غاية في السوء، وما كانوا يحصلون عليه بعد مشاق الرحلة يكاد يغطي قيمة السلفة (التسقام) التي تسلموها في بداية موسم الغوص، خاصة أن التقاليد كانت تقضي بانتقال الدَّين من الأب إلى الابن بعد وفاته.

أما ربح السفينة فكان يُقسم على بحارتها بعد خصم مصروفات الطعام والشراب وسائر المصروفات، فيأخذ النوخذة ثلاثة أسهم والغيص ثلاثة أسهم والسيب سهمان والرضيف سهم والنهام سهم وكذلك الطباخ.

فإذا كان نصيب ثلاثة أسهم للنوخذة ـ بعد خصم سائر المصروفات ـ يبلغ ١٢٧١ روبية، يكون نصيب الغيص مثله، ويبلغ نصيب السيب (سهمان) ٨٥٤ روبية والرضيف (سهم واحد) ٤٢٧ روبية.

وفي كل الأحيان كان النواخذة والطواويش يجنون الثروات الكبيرة بينما يعاني سائر العاملين على سفن صيد اللؤلؤ من شظف العيش.

إمارة اللؤلؤ

للغواصين أمير من بينهم يكون عادة أكبرهم في المهنة، فهو الذي يعلن موعد حلول القفال ـ انتهاء موسم الغوص ـ وعودة الغواصين إلى بيوتهم، وفي قطر يسمون الأمير «السردال» وهي لفظة دخيلة تعني القائد، وفي أكثر بلدان الخليج العربي يوجد أمراء للغوص.

كذلك يوجد بين الغواصين (حكم) يطلقون عليه اسم «السّالفة» ويكون بمثابة الحكم بين الغواصين، يحسم الخلافات بينهم ويقبلون حكمهُ، وفي كل الخليج يوجد سالفة يُعينه الحاكم ويقبله الغواصون.

وكان الحكام في الخليج العربي يقررون ضرائب على الغواصين تختلف من بلد لآخر، لأن الغوص كان هو العمل السائد في ذلك الوقت، وفي الكويت كان الحاكم يتقاضى سهم غوص عن كل سفينة إذا حصل أصحاب السفينة على الربح، أما إذا لم يحصلوا على شيء فلا يتقاضى منهم السهم المقرر، وتسمى هذه الضريبة «إقلاطة الشيوخ» أي ضريبة الحكام.

زراعي وصناعي ومصطنع

يقسم البعض أنواع اللؤلؤ إلى أربعة أقسام هي: طبيعي وزراعي وصناعي ومصطنع. وقد سبق الحديث عن اللؤلؤ الطبيعي، أما اللؤلؤ الزراعي فيمكن الحصول عليه بوضع حصاة صغيرة داخل المحارة فتتكون لؤلؤة، وقد عُرف اللؤلؤ الصناعي أولاً في فرنسا عندما رأى رجل يدعى «جاكون» لمعانًا كلمعان اللؤلؤ في ماء عذب غسل فيه نوعًا من السمك وهنا خطر له أن يطلي به خرزًا من الزجاج بعد أن خلطه بقليل من الشمع حتى يلتصق بالزجاج، وفي اليابان ظهر اللؤلؤ الزراعي على يد الياباني ميكوموتو حينما وضع جسمًا غريبًا داخل محارة الصدفة اعتمادًا على نظرية تؤكد أن دخول جسم غريب في صدفة المحارة يجعل الحيوان بداخلها يدافع عن نفسه فتتكون اللؤلؤة. وكانت النظرية صحيحة بالفعل فقد تكونت لؤلؤة من محارة الصدفة التي أدخل فيها حبة رمل. ومنذ ذلك الحين ركز اليابانيون جهودهم في إنتاج اللؤلؤ زراعيا، وفي عام ١٩١٢م خرجت إلى العالم أول لؤلؤة مستديرة مزروعة في اليابان ثم انتشر اللؤلؤ المزروع في بلاد عديدة مثل استراليا.



قارب غوص تقليدي في طريقه إلى الهيرات (المغاصات)، وفي جازان كان يوجد أكبر أسطول لصيد اللؤلؤ في المملكة.

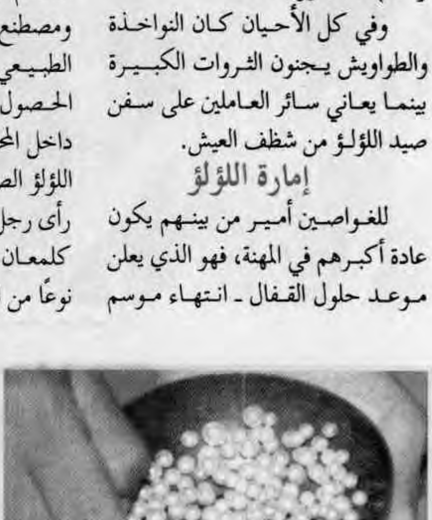
أما اللؤلؤ المصطنع (المصنّع) وهو الذي تلبسه ٩٩٩ في الألف من النساء، فيُصنع من حبات مجوفة من الزجاج تُغطى بالجيلاتين وهي مادة الغراء وتؤخذ من العظام، ولكي يعطي هذا الغطاء أضواء يُمزج بقشور بعض الأسماك.

في القرآن الكريم

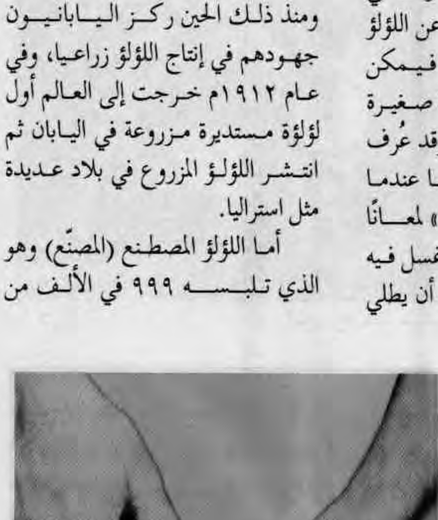
يقول الله تعالى في محكم آياته في سورة الرحمن: ﴿مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لايبغيان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ (الرحمن: ١٩-٢٣). كانت هذه الآيات المباركات محل تفكير عميق من أحد الباحثين العلميين(١)، وقد أراد أن يطبقها على الواقع بعد أن طلب منه إمام الأزهر أن يحدد موقع هذين البحرين ومكان التقائهما وموقع البرزخ الذي يفصل بينهما فلا يبغي أحدهما على الآخر.

وهكذا كان من الواجب توافر عدة صفات في الصورة الواقعية لكي تتطابق مع الآيات القرآنية كما يقول الباحث، ومن هذه الصفات وجود بحرين محددين أحدهما عذب والآخر مالح، وأن يلتقي ماء البحرين معًا، وأن يكون بينهما حاجز مائي من قدرة الله تعالى يفصل بين الماء العذب والماء المالح، وأن يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحرين معًا.

وبالتطبيق على كثير من البحار والأنهار لم تكن الصورة مكتملة، ولكن عند التطبيق على الخليج العربي



تصنيف اللآلئ وفرزها حسب الحجم



فتح المحار بسكين معقوفة لاستخراج اللؤلؤ

وجد الباحث عجبًا.

فالمعروف أن غواصي الخليج كانوا يخرجون في موسمين، وأن الموسم الأعظم منهما كان في الصيف، وفيه كانت الأساطيل تتكون من نحو ٤٥٠٠ سفينة، يعمل عليها نحو ٧٠٫٠٠٠ بحار، ونظرًا لقضائهم فترة طويلة في البحر، كانوا يحملون كثيرًا من مؤن الطعام والماء العذب، ولكنهم كانوا يستنفدون المؤن سريعًا، ثم يُعوِّضونها بما تحمله إليهم سفن التجار التي كانت تزورهم في مواطن الصيد.

أما الماء العذب فكان الغواصون يحصلون عليه من جوف الماء المالح في الخليج بطريقة غريبة، إذ كانوا يحملون قِرَبَ مائهم الفارغة ويحكمون إغلاق أفواهها، ويغوصون بها في ماء الخليج المالح، حتى إذا بلغوا القاع وجدوا عيونًا



الطاس من الأدوات المصاحبة للغناء في سفن استخراج اللؤلؤ.

يتدفق منها الماء العذب، ويندفع إلى أعلى اندفاعًا قويًا وسط الماء المالح بحيث تساعد قوة الاندفاع على تكوين البرزخ المعجزة بين الماء العذب المتدفق من العيون والماء المالح في الخليج ويمنع امتزاجهما.

هذا وتنتشر عيون الماء الجوفي العذب في قاع الخليج العربي حول البحرين ويعرف الغواصون مكانها.

ويقول الباحث إن هذه المنطقة من الخليج تتوافر فيها كل الصفات الواردة في الآيات الكريمة: بحران أحدهما مالح هو الخليج العربي، والآخر عذب هو عيون الماء العذبة في القاع، ويتوافر البرزخ المائي نتيجة شدة انبثاق ماء العيون وقوة اندفاعها، و هو حاجز لايجعل أحد المائين يبغي على الآخر أو يمتزج به، ومنها يستخرج اللؤلؤ والمرجان.

لؤلؤ العرب

يبدو أن العرب قد اخترعوا جهازًا للغوص تمكنوا به من الغوص في المياه دون عوائق.

يقول البيروني في كتابه المُسمى «الجماهر»: «أخبرني أحد أهل بغداد أن الغواصين قد استحدثوا في هذه الأيام للغوص طريقًا زالت به مشقة إمساك النفس، وتمكنوا من التردد في البحر من الصحوة إلى العصر ما شاؤوا، أو بحسب محبة المكري إياهم وتوفره عليهم، وهي آلة من جلود يدخلونها أسفل صدورهم ثم يشدونها عند الشراسيف شدًا وثيقًا ثم يغوصون ويتنفسون فيها من الهواء الذي داخلها، ولابد مع هذا من ثقل عظيم يجذبه مع ذلك الهواء إلى أسفل ويمسكه من القرار، وأصرف منه أن يوصل بأعالي تلك الآلة بإزاء الهامة بربخ من جلد على هيئة الكُم مستوثق من دردزه بالشمع والقير.

وطوله يُقدر بعمق مايغوص فيه، ويوصل رأس البربخ ـ الأنبوبة ـ بجفنة واسعة من ثَقبة بأسفلها ويُعلق في حافتها زق أو زقاق منفوخة يدوم بها طفوها فيجري نفسه في تجويف البربخ جذبًا وإرسالاً ما شاء مدة اللبث في الماء ولو أيامًا.. ويكون الثقل الراسب به أقل مقدارًا لحصول الطريق للهواء ينحصر به، والله أعلم».

وقد تحدث البيروني عن طريقة قياس العمق بالباع المعروف في الخليج العربي وأورد بعض الألفاظ البحرية الشائعة في الخليج حتى اليوم.

لآلئ الأمويين والعباسيين

شاعت اللآلئ الثمينة الفريدة في العصرين الأموي والعباسي، وأشهر لؤلؤة على الإطلاق هي «الدرة اليتيمة» وسُميت بهذا الاسم لعدم وجود مثيل لها وقد قُدِّر ثمنها بنحو ٧٠٫٠٠٠ دينار(٢)، ويردد البعض القول بوجودها في العصر الأموي بينما يؤكد آخرون وجودها لدى العباسيين. وكان الخلفاء الأمويون يستعملون اللآلئ ببذخ في الزينة، حتى إن ملابس الجواري كانت تُطرز باللآلئ، وكان الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك من أشد الناس ولعًا باقتناء اللؤلؤ والأحجار الكريمة، وقد عرض أحد تجار المصوغات في بغداد على يحيى بن خالد البرمكي سفط جوهر فساومه على ثمنه بسبعة ملايين درهم، وكثيرًا ما كانوا يستعملون الجواهر واللآلئ بدلاً من الدراهم في أسفارهم.

وكانت أم جعفر تضع اللآلئ في خفها للزينة، والمباهاة، وكانت نساء الخلفاء يضعن اللآلئ في عصائب رؤوسهن.

وكان المتوكل على الله إذا أنشده أحد الشعراء شعرًا أعجبه أمر بأن يملأ فمه لؤلؤًا.

نهاية اللؤلؤ

بداية من سنة ١٩٢٨م أخذ نجم تجارة اللؤلؤ في الأفول بالخليج العربي، وبعد سنوات قليلة من هذا التاريخ انتهت هذه التجارة المربحة التي كانت عصب الحياة في المنطقة، وهناك أسباب



عديدة أدت إلى وقوع هذه الكارثة، منها ظهور اللؤلؤ المزروع في اليابان بثمنه الرخيص وشكله الجميل البراق، ثم حدوث الأزمة الاقتصادية في الثلاثينيات في أوربا، التي امتد أثرها إلى دول العالم، وما ترتب عليها من عجز الناس عن تدبير أمور حياتهم اليومية، ناهيك عن انصرافهم عن شراء الكماليات ووسائل التزيين، غير أن النجدة بحمد الله جاءت سريعًا، فقد تدفق البترول في دول الخليج وأنعم الله على أهله بمصدر جديد للمعيشة.

وفي الوقت الحالي لايوجد غواصون لاستخراج اللؤلؤ بالمعنى المتعارف عليه قديمًا، ولكن هناك «هواة» يغوصون في المياه القريبة من الساحل وقد يستعينون بآلة غوص أو زورق سريع أو ملابس خاصة تقيهم برودة المياه في الشتاء، وهم يجمعون المحار الذي يعثرون عليه ثم يبيعونه كما هو دون أن يُفتح. وقد يحالف الحظ الطيب بعض المشترين فيعثرون على لآلئ داخل المحار.

الهوامش

(١) الباحث هو الدكتور محمد متولي، وقد وجه إليه الأسئلة السابقة الدكتور محمد تاج إمام الجامع الأزهر ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية ـ العدد الثاني ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

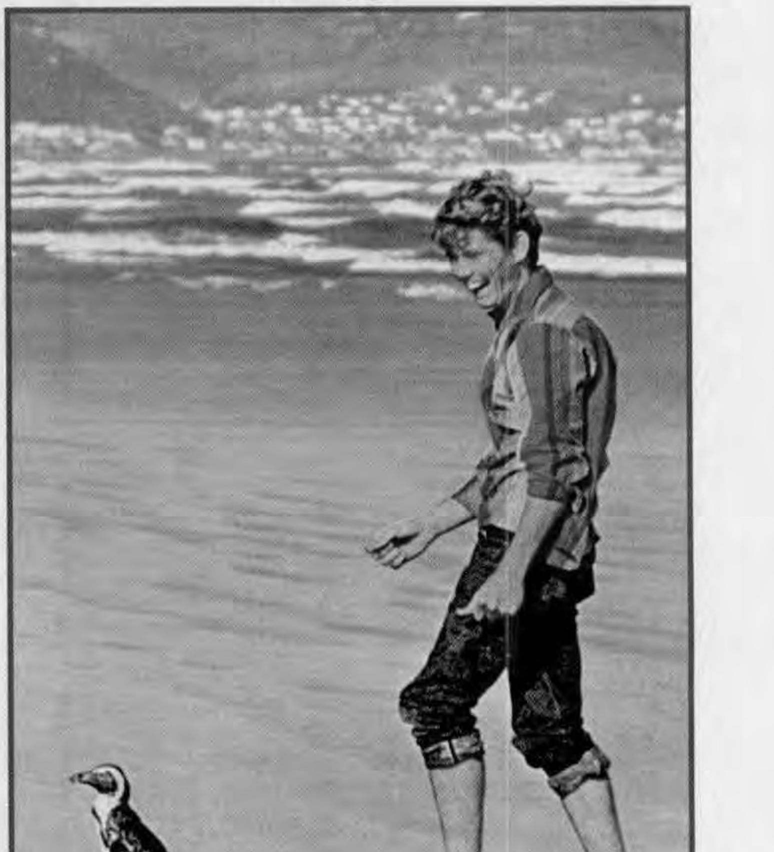
(٢) الأستاذ سيف مرزوق الشملان ـ تاريخ الغوص على اللؤلؤ.

المراجع:

- اتحاد المؤرخين العرب، لجنة تدوين تاريخ قطر، الجزء الثاني، مارس ١٩٧٦م.
- مجلة القافلة، العدد الرابع، ربيع الآخر ١٤٠٩هـ ـ نوفمبر/ديسمبر١٩٨٨م.
- المقتطف، ١١ يونية ١٩٤٥م.
- الفيصل، العدد ٢٨، شوال ١٣٩٩هـ ـ سبتمبر ١٩٧٩م.
- تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، سيف مرزوق الشملان، مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٥م.
- العربي، العدد ٧٣، شعبان ١٣٨٤هـ . ديسمبر ١٩٦٤م.
- المقتطف، العدد ٥، تشرين أول ١٨٨٠م.
- سيف مرزوق الشملان ، مرجع سابق.
- المأثورات الشعبية، العدد ٩، جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ـ يناير ١٩٨٨م.

المشي

د. صلاح يحياوي



لايزال يذكر - وقد بلغ الخامسة والستين من العمر - مشهد والده وهو يؤدي الصلاة، ثم يأخذ في المشي جيئةً وذهابًا في صحن الدار أو في رحبة غرفة الجلوس، يقرأ عن ظهر قلب ما تيسر له من ذكر العزيز الحكيم، وكم من مرة كان الصغير يتساءل بينه وبين نفسه: لِمَ يُتْعِبُ والده جَسَدَهُ بهذا المشي الذيَ لا طائل فيه بدلاً من أن يأخذ قسطًا من الراحة؟

ولم يتغير شيء من المشهد بعد أن أحيل والده على المعاش سوى أن المماشيَ قد تنوعت، فغدت المسجد أو الشارع، وعرف الصبي فيما بعد أن المشي أو السير على الأقدام هو ضرب من الرياضة، لا بل إنه من أكثر ضروب الرياضة شعبية لدى الجميع، وأن بالإمكان القيام به حيثما يكون المرء ومهما بلغ من العمر، ودونما حاجة لأي جهاز.

واليوم يعيد الناس استكشاف هذا الضرب من الرياضة، والباب مفتوح للجميع للانضمام إلى هذه الحركة.

لقد اعتاد أغلب الناس السير جيئة وذهابًا «على أربع عجلات» إلى درجة غَدَوْا معها بحاجة إلى تعلم المشي من جديد! فعندما يمشي المرء سواء للمتعة أو للتدريب الجسمي أو للانفراد بنفسه، فإنه يكتشف من جديد متعًا شبه مَنْسِيَّة. إن السير على الأقدام ليس متعة فحسب بل هو صحي أيضا. إن الأطباء والرياضيين والمدربين المحترفين يعددون فضائل السير على الأقدام، و«يصفونه» لمرضاهم، ويوصون به زبائنهم. إن السير على الأقدام يومًا بعد آخر بخُطى جادة هو الطريقة الأكثر شعبية للتدرب الجسمي وللحفاظ على الحالة الجسدية الملائمة لأداء العمل. قد تحظى النشاطات الأخرى بالمزيد من التعليق، وتُلْفتُ ضروبُ الرياضة الأخرى من الانتباه أكثر مما يقوم به السير على الأقدام، ولكن لا شيء يفوقه من حيث عدد الخبراء والمهرة والمشاركين؛ فالأطفال والأحداث والراشدون يمشون الهُوَيْنا ويجرون، ويتنزهون ويقومون بالتمارين كلٌ على هواه. إنه التمرين الرياضي الوحيد الذي لاتهبط فيه نسبة المشاركة بتقدم العمر. ويتميز التسْيار، بغرض التدريب، من لعبة كرة المضرب، والهرولة - أي الجري بين المشي والعدْو - والتزحلق على الثلج وركوب الدراجة والنشاطات الشعبية الأخرى، بكونه قد مُورس بمثابة استجمام، وبمثابة نشاط جسمي عبرالتاريخ المعروف، فالكثيرون كالشعراء كانوا من المشّائين (١)، وقد شقوا الطريق بمشيهم.

وإذا ما تساءلنا:

- لم نمشي؟

كان الجواب:

- لأسباب عدة، منها المتعة أحيانًا، وأخرى للتخلص من توترات اليوم، أو ربما لننفرد بأنفسنا لوقت ما، أو لمجرد السير من جانب إلى آخر. لكن المدمنين السير على الأقدام هم في أغلبيتهم العظمى مقتنعون بأنه تمرين جسدي جيد.

في الماضي كان الكثيرون - ممن يرغبون في الحفاظ على حالة جسدية ملائمة لأداء العمل، أو إجراء التمارين الرياضية - يحسبون أن المشي «سهل جدًا»، لذلك لايمكن أخذه على محمل الجد، إلا أنهم كانوا في ذلك مخطئين؛ لأن الجميع اليوم متفقون على أن التنزه سيرًا على الأقدام قد حَظي بالاحترام والقبول.

وقد برهنت دراسات حديثة على أن الجهد المبذول في أثناء المشي الحثيث بنشاط وحيوية وانتظام، يجعل الأعضاء تكتسب المزيد من القدرة على استهلاك الأكسجين، ناهيك عن أنه يخفض الضغط الشرياني، ويجعل القلب والرئتين أكثر فعالية. والمهم جداً في هذا المجال أن البدانة والضغط الشرياني المرتفع هما المسؤولان - في الدرجة الأولى - عن النوبات القلبية والسكتات الدماغية، وأن السير على الأقدام يحميك منها.

كما أن السير على الأقدام يساعد أيضا على تبديد الحريرات الزائدة، فبالسير مسافة كيلو متر واحد يتبدد تقريبا العدد نفسه من الحريرات التي تتبدد عند الهرولة المسافة نفسها.

ومن الجدير بأولئك الذين يجدون صعوبة في الركض مسافات طويلة، أن يعرفوا أن المشي بخفة مسافة ١٦٠٠ متر خلال خمس عشرة دقيقة، يبدد العدد نفسه من الحريرات التي تتبدد عند الهرولة المسافة نفسها خلال ثماني دقائق ونصف الدقيقة.

ويُبَدِّدُ الأشخاص الأكثر بدانة من الحريرات أكثر من أولئك الأكثر نحافة، وقد بينت الدراسات أن شخصًا يزن ٥٠ كيلوجرامًا يبدد نصف الحريرات التي يبددها شخص وزنه ٩٨ كيلوجرامًا يمشي بالخطوة نفسها المسافة نفسها، وليس الأمر أمر زيادة السرعة عند المشي الحثيث؛ لأن هذه الزيادة لا تبدد الكثير جدا من الحريرات بالكيلو متر الواحد، بل هو أمر الحصول على مزيد من الإثارة ومزيد من الحركة، أو الشعور بتجويد مقدرة القلب والرئتين . إن كل

شيء يتعلق بالشخص نفسه، فالذي هو بحاجة إلى التمرين سيستفيد منه بالبدء على إيقاع بطيء، في حين أن على من هو أجود شروطًا جسدية أن يمشي بسرعة أكبر، وأن يقطع مسافات أطول كي يستطيع لمس التحسن.

لقد بينت الدراسات أن الاستقلاب أو الأيض (٢) يغدو بَعْدَ فعالية نشيطة أعلى من المعدل النظامي مما يجعلنا نبدد مزيدا من الحريرات. وتمت البرهنة في أبحاث حديثة على أن المشي هو أكثر فعالية من الركض ومن الفعاليات الأخرى، ذلك أنك ما إن تبدأ بممارسته فإنك لن تتخلى عنه، وهو لايكاد يلحق بك الأذى أو الضرر. إنه يعود بالفائدة عليك على أشكال متعددة منها:

- إنه يفيدك فيسيولوجيًا واجتماعيًا، فالمبتدئون يكتشفون التحسن دائمًا تقريبًا عندما يشعرون بأنهم في حالة أجود، وأنهم ينامون على نحو أفضل، وتتحسن قدراتهم الذهنية. بل إن المشي يؤدي بهم أحيانا إلى إهمال العادات الشخصية السيئة كالتدخين وذلك لسببين:

١- لأن من الصعب تحقيق فعالية نشيطة إن كنت تدخن.

٢- لأن الحالة الأجود للجسم تدفعك إلى تجويد الجوانب الأخرى من الحياة.

- وإنه في متناول الجميع تقريبا، ولا حاجة لدروس في ذلك. إن كل ما يحتاج إليه المرء كي يتحول إلى مَشَّاء «على نحو جدي» أن يحث الخطى، ويزيد المسافات، وأن يكرر ذلك ما استطاع.

- يمكن القيام به حيثما كان، وما عليك إلا أن تفتح باب الدار، وتخرج لتمشي على أي رصيف في أي شارع أو طريق أو درب مختصر أو حديقة عامة أو حقل أو شاطئ أو مركز تجاري. إن تَنَوُّعَ المماشي يجعل السير على الأقدام من أكثر الفعاليات عملية وسواغًا.

ويمكن تنفيذه متى تشاء، ذلك أنه لايتطلب تجهيزات أو معدات ولايحتاج إلى مماش. إن بإمكان المرء أن يقوم به وحده، وساعة يشاء، كما أن الطقس لايعد مشكلة، إذ يمكن المشي في الحر وفي البرد.

- لايكلفك قرشًا واحدًا، فلكي تمشي لايتوجب عليك أن تدفع بطاقة دخول، ولا تكون عضوًا في ناد، إن كل ما تحتاج إليه هو حذاء مريح.

يجعلك المشي تحافظ على حالة جسدية ملائمة لأداء العمل، فعندما تمشي بغية الرياضة عليك ألا تقوم بذلك على مهل، ولا تَجُرَّ قدميك، تَحَرَّكْ بخطوات ثابتة وطيدة، وحُثَّ خطاك بما فيه الكفاية كي تُسرِّع قلبك، وكي تتنفس على نحو أعمق.

ولكي يكون نمط مشيك مجديًا عليك:

١- أن تحافظ على رأسك منتصبا، وعلى ظهرك مستقيمًا، واسحب بطنك إلى الداخل.

٢- أن تضع عقب قدمك أولاً عندما تطأ الأرض، ثم أن تضع الوظيف أو مشط القدم بعد ذلك، لأنك إن وطأت الأرض برأس القدم أو براحة قدم منبسطة فسيلحق بك التعب، وقد يسبب ذلك لك الأذى.

٣- سِرْ بخطىً طويلة، ولكن لاتجهد نفَسك كثيرًا، مِلْ بجسمك قليلاً إلى الأمام عندما تصعَد منحدرًا أو عندما تسير بخطى سريعة جدًا.

٤- أن تتنفس بعمق، وإن شئت فبفم مفتوح.

إن السير على الأقدام تمرين رياضي جيد، يفيد الساقين والقلب والرئتين، لكنه ليس برنامجًا تامًا للتمرين الرياضي، فلا تقتصر عليه وحده؛ لأن عضلات الفخدين تميل إلى القصر والتصلب إن أهملتهما. زد على ذلك أن بالإمكان أن يؤدي ذلك إلى إهمال انسجام وقوة الجذع والقسم العلوي من الجسم مما يورثك وضع وقفة أو جلسة رديئة وألما في الظهر.

ابدأ بالسير على قدميك إن كنت لاتعاني من مشكلات صحية، أما إن كنت تعاني من ضغط مرتفع أو مشكلات وعائية قلبية فعليك باستشارة الطبيب قبل البدء.

ويُنصح بالخضوع لفحص طبي سنوي، والنصيحة موجهة بخاصة إلى أولئك الذين تزيد أعمارهم على ٤٥ عامًا.



وعليك - كي تكون أكثر قابلية للتكيف - بـ «تحمية جسمك» قبل المشي، وذلك بمد ساقيك لمدة عشرين ثانية، ولمس رأسي قدميك عشر مرات سواء وأنت على قدميك، أو وأنت مستلق، ثم استلق، وارفع ركبتيك نحو صدرك من ثلاث إلى عشر مرات.

إن لاحظت عند البدء بالسير بأنك بعيد جداً من أن تكون في حالة جسدية ملائمة لأداء العمل، فلا تيأس، لأنك بالصبر والتنظيم ستكتسب النشاط والقوة.

سر في البدء مدة عشرين دقيقة، أربع أو خمس مرات في الأسبوع، بخطى مريحة دونما قلق أو هياج، ثم قم بزيادة المدة إلى ثلاثين دقيقة، وتابع ذلك حتى تتوصل إلى قطع خمسة كيلو مترات في مسيرة خمسة وأربعين دقيقة.

إذا عزمت على المشي فانتعل حذاء جيدًا، أيَّ حذاء مريح، يمسك جيدًا بالقدم، ولا يسبب بثرة أو جسأة (كالوس)، سواء أكان من الجلد أو القماش على أن يكون ذا (نَعْلين) نحيفين من المطاط، وأن تكون فيه دعامة لقوس القدم، وأن يرفع عقب القدم من ١,٣سم إلى ٢سم فوق راحة القدم.

وعليك في الصيف أن ترتديَ من الثياب خفيفها، لأن السير يولد الكثير من الحرارة. ويستحسن في الشتاء أن تلجأ إلى عدة طبقات من خفيف الثياب؛ لأنها أكثر جدوى من ارتداء ثوب أو ثوبين شديدي الثقل.

وغَطِّ رأسك، وسر على بركة الله!.

الهوامش

(١) لقد دُعي أتباع فلسفة أرسطو بالاسم: المشاؤون، نسبة إلى زعيمهم الذي كان يلقي تعاليمه وهو يتمشى.

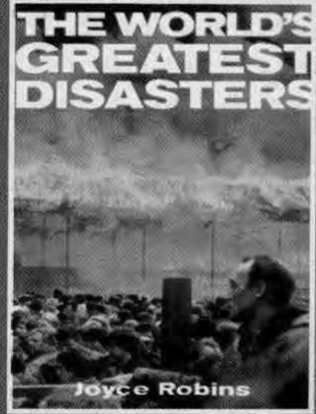
(٢) الاستقلاب أو الأيض هو مجموع العمليات المتصلة ببناء البروتوبلازما أو الجِبِلَّة ودثورهما، وبخاصة التغيرات الكيماوية في الخلايا الحية التي بها تؤمن الطاقة الضرورية للعمليات والنشاطات الحيوية، والتي بها تمثل المواد الجديدة للتعويض عن المندثر منها.


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهم كل أفراد الأسرة

نافذة على ثقافة العالم

أفدح كوارث الدنيا

منذ خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون، الذي يعتبر الكوكب الذي نعيش عليه ـ الأرض ـ جزءًا منه، والحركة فيه لاتهدأ ولا تستقر، وكوكبنا الأرضي هذا يمر بفترات من التغيرات والتحولات هائلة، بعضها قديم قدم خلق الأرض ذاتها، وبعضها حديث يعيشه البشر حتى يومنا هذا ويحسُّون آثاره، بعضها يقع على سطح الأرض نراه بأعيننا، ونكاد نلمسه بأيدينا، والبعض الآخر يقع في باطن الأرض على أعماق بعيدة منا لانكاد ندري عنه شيئا إلا من آثاره التي تصل إلينا على شكل زلازل أو براكين، وذلك ما يسميه علماء الجيولوجيا "بالحركات التكتونية" التي تتم في جوف الأرض المنصهر.



تأليف:
جويس روبنز
عرض وتقديم:
د.محمد عبدالعليم مرسي

وعلى سطح الأرض، منذ خلق الله الإنسان وأمره بالهبوط إليها وهذا الإنسان لايكف عن الحركة أيضاً، وعن محاولاته التكيف مع عناصر هذه الأرض من موقع جغرافي أو مناخ أو سطح، وكذا هو لايكف عن الحركة في التعامل مع جيرانه من البشر القريبين منه، أو مع من يبتعدون عنه، سواء كانت هذه الحركة سلما وتعاونا نشطا، أو حربا وعداوة مستعرة. وخلال هذا التاريخ الطويل للأرض ذاتها الذي يمتد لملايين السنين، أو تاريخ الإنسان على ظهر الأرض، الذي يمتد لآلاف السنين (بعض علماء الأجناس البشرية يصلون به إلى مئات الآلاف من السنين) وقعت كوارث ضخمة وهائلة نتجت عنها تغيرات كبيرة في سطح الأرض، وفي حياة البشر أنفسهم الذين راح منهم ضحايا بالملايين في بعض الحالات، وفي كثير منها بالآلاف.. عشرات منها ومئات.

وتاريخ الأرض والإنسان من فوقها يقول بأن عوامل الطبيعة التي تحركها القدرة الإلهية العظيمة قد تسببت في بعض هذه الكوارث، ومن أمثلتها الزلازل والبراكين والانهيارات الأرضية، بينما بعضها الآخر من صنع البشر الذين دخلوا مع بعضهم بعضا في حروب طويلة مدمرة راح ضحيتها ملايين كثيرة. والقضية المحيرة أنه كلما تقدم الإنسان في العلم وتطبيقاته زادت قدرته على القتل الجماعي وعلى التدمير والتخريب. ويكفي للتدليل على ذلك أن ضحايا الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) قد وصلوا في بعض التقديرات إلى قرابة الخمسين مليونا من البشر المساكين.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا الذي جمع حقائقه وَعَلَّقَ عليها جويس روبنز Joyce Robins، وأرفق معها عددا ضخما من الصور والرسوم المعبرة، وضع له عنوانا دالاً بالفعل هو The World Greatest Disasters، أي أفدح كوارث الدنيا وأفظعها، وقد نشرته مجموعة هيملن المحدودة في لندن عام ١٩٩٠م The Hamlyn Group Limited, London, 1990.

الكتاب ـ باختصار ـ سجلٌ مذهل لكوارث الدنيا، أو لمعظمها على الأقل، وهو يتحدث عن آثار

التخريب الذي تركته تلك الكوارث في سطح الأرض، وفي حياة الإنسان، وقد أفلح المؤلف في تقسيمه لأجزاء رئيسة، ذات عناوين جانبية جمعت كوارث ذات خصائص موحدة نعرض لها كما رتبها وكما أراد لها أن تكون.

أولا: الأرض المتحركة The Moving Land، وتحتها نقرأ:

١- البراكين. وأمثلتها من: بومبي، كراكاتوا. ٢- ثورانات القرن العشرين. ٣- الزلازل. وأمثلتها من: سان فرانسسكو ١٩٠٦م، طوكيو ١٩٢٣م، بيرو ١٩٧٠م، المكسيك ١٩٨٥م، أرمينيا ١٩٨٨م. ٤- انهيارات الأرض والصخور Landslides في كل من: آلاسكا، هونغ كونغ، ريو دي جانيرو، ألبرتا، أبرفان.

ثانياً: عدم إنسانية الإنسان بالنسبة لأخيه الإنسان Man's Inhumanity to Man، وقد أورد الكاتب تحتها مايلي:

١- محاكم التفتيش الإسبانية في القرن الخامس عشر The Spanish In-quisitions ٢- الإرهاب والرعب في فرنسا ١٧٩٣ - ١٧٩٤م. ٣- حرب الخنادق ١٩١٤ - ١٩١٨م. ٤- عمليات التطهير الرهيبة التي مارسها ستالين ضد مواطنيه. ٥- الإبادة الكاملة أو المحرقة The Holocaust. ٦- هيروشيما ١٩٤٥م. ٧- مجاعة بيافرا ١٩٦٧ - ١٩٧٠م. ٨- ضرب بيروت بالقنابل ١٩٨٣م. ٩- مذبحة بكين ١٩٨٩م.

ثالثاً: كوارث الطبيعة Calastrophes of Nature، وضمنها نقرأ:

١- الموت الأسود ١٣٤٦ - ١٣٥٠م. ٢- المجاعة في أيرلندا ١٨٤٦ - ١٨٤٩م. ٣- تراب الأمعاء The Dust Bowel خلال ثلاثينيات هذا القرن. ٤- عدوى الحُمَّى ١٩١٨ - ١٩١٩م. ٥- فيضانات النهر الأصفر بالصين. ٦- فيضانات نهر المسيسبي ونهر فلورنس. ٧- عواصف لونج أيلاند، نيو إنجلاند عام ١٩٣٨م، وعواصف الهندوراس ١٩٧٤م. ٨- عواصف التورنيدو في وسط أمريكا الغربي ١٩٧٤م وغيرها. ٩- الجفاف في الولايات المتحدة الأمريكية وفي إفريقيا. ١٠- طاعون الإيدز.

رابعا: كوارث من صنع الإنسان Man Made Disasters، ومنها:

١- انهيار الأسواق المالية في وول ستريت عام ١٩٢٩م. ٢- الكساد العظيم The Great Depression في الولايات المتحدة الأمريكية خلال حقبة الثلاثينيات من هذا القرن. ٣- سحب الكيمياء القاتلة. ٤- الانتحارات الجماعية في مدينة "جونستون" عام ١٩٧٨م.

٥- كوارث الفضاء أعوام ١٩٦٧م، ١٩٧١م، ١٩٨٦م. ٦- مآسي لعبة الكرة الأمريكية Foot-ball أعوام ١٩٦٤م، ١٩٧١م، ١٩٨٥م. ٧- الحوادث النووية Nuclear Accidents في أعوام ١٩٥٧م، ١٩٧٩م، ١٩٨٦م. ٨- انهيارات السدود في عامي ١٨٨٩م، ١٩٦٣م. ٩- تدفقات البترول المفاجئة دون ضابط Oil Spills.

خامسا: مآسي الجو والبحر والسكك الحديدية، وقد قسمت كما يلي:

(أ) كوارث البحر ومنها:

١- غرق عابرة المحيطات "التيتانيك" The Titanic عام ١٩١٢م. ٢- غرق السفينة العملاقة "لويزيتانيا" عام ١٩١٥م. ٣- غرق السفينة الكبيرة "موركاستل" عام ١٩٣٤م. ٤- غرق السفينة هيرالد فري إنتربرايز Herald Free Interprise.

(ب) كوارث الجو، وتحتها رصد الكاتب:

١- مقتل ركاب الطائرة R ١٥١ وهندينبرج Hindenburg. ٢- التصادم الجوي بنيويورك عام ١٩٦٠م. ٣- تحطم طائرتين ضخمتين على مدرج مطار تينيريف عام ١٩٧٧م. ٤- مأساة الطيران في مياه نهر البوتوماك (واشنطن) عام ١٩٨٢م. ٥- إسقاط طائرة البوينج ٧٤٧ الكورية الجنوبية عام ١٩٨٣م بواسطة الروس. ٦- انفجار الطائرة الأمريكية فوق لوكربي عام ١٩٨٨م.

(جـ) كوارث السكك الحديدية، وتحتها نجد:

١- حادثة كوبري ألتاي Tay Bridge عام ١٨٧٩م. ٢- كارثة شلالات نياجرا عام ١٨٨٧م. ٣- كارثة السكك الحديدية في فرنسا عام ١٩١٧م. ٤- كارثة اسكتلندا عام ١٩١٥م. ٥- كارثتا المكسيك عامي ١٩٥٥م و ١٩٧٢م. ٦- كارثة سكك حديد اليابان عام ١٩٦٢م. ٧- كارثة سكك حديد الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٩م.

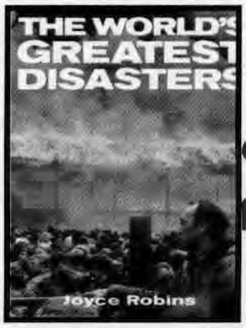
سادسا: الحرائق والانفجارات Fires and Explosions، ومنها:

١- حريق لندن الهائل عام ١٦٦٦م. ٢- حريق مسرح الـ Iroquis بشيكاغو عام ١٩٠٣م. ٣- حريق الـ Coconut Grove عام ١٩٤٢م.



الحروب: كم تكلف البشرية من جهد ومال وخسائر في الأرواح؟

أفدح كوارث الدنيا



٤- حرائق مناجم الفحم في: ولاية فيرجينيا الغربية عامي ١٩٠٧م و ١٩٦٨م، ولاية إلينوى عام ١٩٠٩م، ويلز (انجلترا) عامي ١٩١٣م و ١٩٣٤م، انفجار الـ Piper Alpha عام ١٩٨٨م.

سابعا: كوارث في طريقها للحدوث مثل:

١- تآكل طبقة الأوزون. ٢- تأثير البيوت المحمية The Greenhouse Effect. ٣- الأمطار الحمضية The Acid Rains. ٤- تقطيع الغابات وتعرية التربة Deforestation.

ثم بعد ذلك تأتي خاتمة الكتاب.

والواقع أن هذا الكتاب، رغم ضخامته، حيث هو من الحجم الكبير (حجم الأطالس)، ورغم صفحاته التي أشرفت على المائتين، إلا أنه يشد القارئ المثقف بسبب الكم الهائل من المعلومات الذي يحتويه، وكذا بسبب أسلوب عرضها المتابع، ولأقول الممتع، لأنها تذكر الإنسان بعدد هائل من المآسي التي عاشتها البشرية، واصطلت بنيرانها عبر تاريخها الطويل، بالإضافة إلى أنه حوى قدراً هائلاً من الصور المعبرة التي تعيد إلى ذهن القارىء الإحساس بتلك المآسي وكأنها وقعت بالأمس القريب.

والكتاب - في النهاية - يكاد يكون سجلا كاملا لتاريخ الأرض، وكذا للبشر من فوقها، وكأنه يذكرهم بفترات من تاريخهم انحرفوا فيها عن جادة الصواب، وأعني بذلك فترات الحروب الكونية المدمرة، التي حولوا فيها الخيرات والإمكانات التي أودعها الله في أيديهم وعقولهم وقدراتهم إلى أسلحة للدمار الشامل والهلاك القاتل، وقد صدق فيهم قول شاعرنا العربي الحصيف:

كلما أنبت الزمان قناة
ركّب المرء في القناة سنانا

ثم لعل نفراً من القراء يتعجبون أو يستغربون أن يبذل كاتب هذا الجهد الكبير في تجميع هذا القدر الهائل من المآسي التي وقعت للبشر، وقد يكون معهم الحق في ذلك حين يتساءلون عن الفائدة التي يحصلون عليها من قراءة تلك الأحداث والمآسي، ولكن لعل الرد على ذلك يكون في محاولة المؤلف تذكير الإنسان بما صنعت يداه، وكذا في محاولة إثارة وعيه وإيقاظ ضميره ببيان مايمكن أن يجره عليه جشعه وحبه للتسلط والسيطرة من مآسٍ وكوارث تحصد بني جنسه بالملايين.

ولكن - وآه من لكن هذه - منذ متى كانت الكتابة مانعة للإنسان من الانحراف عن جادة الصواب وعن القتل والحرق والتخريب والتدمير؟.

أكتب هذا قُبَيْلَ فجر أحد أيام صيف ١٩٩٤م وقد جافاني النوم من هول المناظر التي بثتها بعض محطات التلفزيون هنا في أمريكا عما يجري في تلك الدولة المنكوبة المسماة "رواندا"، التي راح ضحية الأحداث فيها - حتى الآن - مئات الألوف من البشر، ويقال إنهم ربما يكونون قد وصلوا إلى المليون، ومن يهتم بهم حتى لو قضي عليهم جميعا طالما أنهم هم أنفسهم لم يهتموا ببني جنسهم، وطالما لم يراعوا حق إخوان لهم في الحياة.

لقد صار الحديث عن الأرقام، أرقام القتلى والمشوهين والمعوقين والمهجرين والفارين واللاجئين، وكأنه بلا معنى على الإطلاق، بعد أن فقد مدلوله من كثرة ماتردد في الأخبار ووكالات الأنباء، وكأنما أصبح الإنسان مجرد رقم لاقيمة له ولامعنى، وبالتالي لاثمن له ولاتقدير.

بقي شيء أخير من حق القارىء علينا أن نقوله، وهو أننا لن نستطيع - بطبيعة الحال - أن نلخص في هذا العرض السريع المختصر كل المآسي التي حفل بها هذا السفر الضخم، وليس هذا مطلوبا على أية حال، ولكننا سننتقي بعضا منها مما له ذكرى معينة، أو مما يحمل معنى يهم القارئ العربي المسلم أن يعرفه، وسوف يكون لنا - إن شاء الله - تعقيبات في حينها إذا لزم الأمر، وعسى أن نستفيد مما نكتب ونقرأ، وعسى أن يكون لما نكتب ونقرأ قيمة في حياتنا نحن المسلمين بحيث نجعل يومنا خيرا من أمسنا، وغدنا خيرا من يومنا، والله من وراء القصد، وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.



تثور البراكين فتكون النتيجة كارثة ماحقة

كارثة بومبي

بدأ المؤلف موضوعها بحديث عام عن البراكين وعن خطورة ثوراناتها التي صاحبت الكرة الأرضية منذ تكونها وحتى اليوم، ثم وصل إلى ماحدث لمدينة بومبي الإيطالية في عام ٧٩ الميلادي حين دمرها بركان فيزوف الشهير، وقضى على الحياة فيها، بعد أن دفن تحت رماده المحرق وغازاته السامة أكثر من عشرين ألفا من سكانها. وعلى الرغم من أن سكان منطقة جبل فيزوف هذا كانت لهم خبرات سابقة مع الثوران البركاني، إلا أن ماحدث في يوم ٢٤ أغسطس من العام المذكور كان شيئاً مختلفا، جاءتنا أنباؤه من شاهد عيان يدعى "بليني Pliny" الأصغر حين وصف الرعب والهلع اللذين أصيب بهما السكان حينما رأوا سحبا داكنة هائلة ترتفع من فوهة البركان على قمة الجبل، رأوها وهي ترتفع من قمة البركان كشجرة صنوبر هائلة، ثم تبعثرت على شكل فروع ضخمة أخذت تنتشر في سماء المدينة، وكانت تلك مجرد البداية.

ثم أخذ الرماد الساخن بل المنصهر يمطر المدينة، ومعه قطع بلا عدد من الحجارة المنصهرة بالإضافة للغازات السامة، وكانت المفاجأة مذهلة ومرعبة لساكني تلك المدينة المنكوبة لدرجة أنه لم يهرب من سكانها إلا شخص واحد من بين كل أربعة أشخاص، أي إن ٧٥٪ منهم دفنوا تحت ذلك المطر الحارق، ومما زاد من مخاطر ذلك الثوران البركاني الهائل أن هبّت رياح حملت غازاته السامة لتغطي بها مناطق قريبة من المدينة المنكوبة وتزيد من عدد الضحايا، وكانت تلك الغازات السامة والساخنة تتحرك مثل الطوفان الهائل فوق سطح الأرض بحيث حولت نهارها إلى ليل دامس كئيب، ولم يعد يرى أي شيء، يقول بليني: لم يكن يسمع إلا



ضرب بيروت بالقنابل (١٩٨٣م)، مثال يدل على وحشية بعض بني البشر

صراخ الأطفال وعويل النساء، وقد مات عمه أمام عينيه حين حاول - في قارب - أن ينقذ صديقا له، ولكن الرياح السموم داهمت الجميع. ولقد استمرت هذه الأمطار المحرقة مدة يومين كاملين بحيث إنه في نهايتها دُفنت المدينة تماما تحت غطاء كثيف من الرماد المحرق، وفقد كل الذين هربوا أحياء منها الأمل تماما في إنقاذ أي من ذويهم من تحتها.

وعلى مسافة قريبة من مدينة بومبي كانت توجد مدينة ساحلية تدعى "هيركيولانيم -Herculaneum" ترقد على شاطىء البحر إلى الغرب من بومبي، وقد تأثرت بالثوران البركاني الهائل الذي دمر بومبي، وعلى الرغم من أنها لم تتأثر بالغبار والغازات السامة إلا أن الأمطار جلبت إليها كميات هائلة من الطين البركاني Volcanic Mud من منحدرات جبل فيزوف بحيث إنها دفنت تماما تحت كميات منها قدرت ارتفاعاتها بثمانية عشر مترا (٦٠ قدما).

هذا، ولقد قُدِّرَ لهذه المدينة المنكوبة «بومبي» أن ترقد في مدفنها هذا لأكثر من ألف وخمسمائة عام، ولم يعرف العالم عنها شيئاً إلا في القرن السادس عشر حين كان بعض العمال يقومون بالحفر ففوجئوا بوجود قطع من النقود والحلي، ولكن الأمر لم يؤخذ مأخذ الجد إلا في عام ١٧٤٨م حين اكتشف جدار مدفون، وأمر حكام "البوربون" في نابولي بأعمال الحفر والتنقيب حوله، وهنا ظهرت معالم المدينة المدفونة، وقد اختفى كثير من الكنوز الفنية التي كانت تحتوي عليها آثار المدينة.

وفي عام ١٨٦١م بدأت أعمال الحفر والتنقيب المنظمة تحت إشراف عالم الآثار جيوسيب فيوريللي Giuseppe Fiorelli، وقد نبشت شوارع المدينة واحداً بعد الآخر، وبعد هذا العمل المنظم والدؤوب ظهرت بومبي القديمة إلى الوجود من جديد، وأعلنت عن نوعية الحياة المترفة التي كانت تلفها. كذلك فإنها أعطت صورة كاملة عن لحظاتها المرعبة الأخيرة التي عاشتها أثناء الثوران البركاني الهائل الذي قضى عليها.

لقد تَجَمَّدَ الناس في أوضاعهم التي فاجأهم عليها قدرهم المرعب، فكان هناك من قضوا نحبهم في الشوارع وهم يجرون هرباً من المصير المحتوم، وكانت أيديهم على أفواههم وهم يحاولون حماية أنفسهم من الغازات الخانقة، بينما كانت هناك عائلات بأكملها وقد مات أفرادها في أقبية منازلهم التي ظنوا أنها آمنة، كما وُجدَتْ امرأة حامل وقد رقدت على وجهها محاولة حماية الجنين الذي في بطنها، ثم إن كثيراً من أبواب المنازل قد تركها أصحابها مفتوحة على مصراعيها مما يدل على أنهم قد هربوا سراعا دون أن يهتموا بإغلاقها، لأن حياتهم كانت أثمن كثيراً - بلا شك - مما كان بداخلها، بينما كان بعضها مغلقا وقد ظن أصحابها بأنهم عائدون إليها سريعا بعد انكشاف الغمة.

بل إن هناك من الآثار مايدل على أن المفاجأة كانت صاعقة لسكان بومبي، فلقد وُجدَتْ قدور كان أصحابها يعدون فيها أطعمتهم فوق المواقد فلم يكادوا يلمسونها، كما وجد المنقبون واحدا وثمانين رغيفا محترقا تفحمت في أحد الأفران، كما ترك الأفراد الملتاعون كومة من النقود في مدخل إحدى الحانات يبدو أنهم كانوا يحاولون جمعها والخروج بها، فتركوها بجوار زجاجات الشراب.

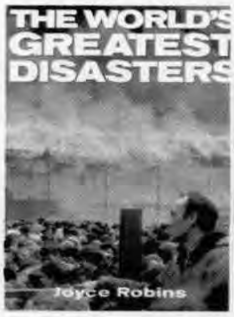
وفي القصر الفاخر المدعو Lucius cecilius Jucundus وجدت ١٥٣ وثيقة كتبت على أوراق شمعية تبين ديونا على آخرين، ومعها إيصالات بالشراء كثيرة، كما وجدت جدران من الموزاييك وتماثيل وحدائق ذات نافورات فخمة وأمور أخرى تبين كلها فخامة الحياة التي كانت سائدة آنذاك وثراءها، بل وأنواع الفن الراقي بها. كما كانت هناك دلائل تبين الترف الزائد الذي عاشه بعض سكانها، بل الانحراف الذي انجرفوا إليه من قمار وجنس محرم بحيث إنهم كانوا قد سجلوا أسماء الداعرات في بعض أماكنهم التي يرتادونها، وقد لانذهب بعيدا إذا قلنا إن القدرة الإلهية كانت وراء العقوبة التي أُنزلت بهم، حيث نعلم جميعا من القرآن العظيم أن كل شيء عنده بمقدار، وسبحان الله العظيم.

وأخيراً ينبغي للقارىء أن يعلم أن مدينتي بومبي وهيركيولانيم هما مدينتان إيطاليتان سياحيتان تجتذبان السياح إليهما، وكذا لازال بركان فيزوف يشد الأنظار إليه، ولايزال الناس يعيشون ويعملون في الإقليم حوله، يزرعون المحاصيل والأعناب على منحدرات جبله الخضراء رغم أنه يثور من حين لآخر، وبعض ثوراته خطيرة ومدمرة، كما حدث عام ١٦٣١م حيث قتل ١٨٠٠٠ منهم، وكان آخر ثوراته عام ١٩٤٤م، والخبراء يخشون ماهو أخطر.

عدم إنسانية الإنسان

إن من أقسى ألوان المعاناة التي يتعرض لها الإنسان هي التي يتسبب فيها البشر تجاه إخوانهم في البشرية، خاصة من جانب أولئك الذين هم في السلطة ولديهم القوة حين يضطهدون مواطنيهم الذين وضعتهم الأقدار تحت سيطرتهم فلم يراعوا فيهم إلاً ولا ذمة.

وبعد هذه المقدمة يمضي الكاتب ليقول بأنه إذا كان العالم الغربي قد نظر بهلع إلى ماجرى في الصين منذ عدة سنوات حين أُطلقت النيران على الطلاب العزل هناك المطالبين بالحرية الذين قتل



أفدح كوارث الدنيا

منهم مئات ومئات، إلا أن التاريخ ممتلىء بالكثير من المآسي الأفظع من ذلك، ابتداء من محاكم التفتيش في القرن الخامس عشر في إسبانيا، ومرورا بما جرى في روسيا على يد ستالين، وماجرى في ألمانيا في عهدها النازي، حيث كانت طرقات منتصف الليل The Midnight knocks مؤذنة بعمليات متتابعة من القبض والاعتقال، والتعذيب الرهيب الذي كان يفضي في كثير من الأحيان إلى الموت.

إن كل طاغية من طواغيت الحكم وجبابرته الذين مارسوا التعذيب ضد شعوبهم، ابتداء من روبسبير في فرنسا إلى بول بوت Pol Pot في كمبوديا، كان يتحدث عن حياة أفضل لمواطنيه وعن الحرية والديمقراطية؛ بينما كانت أنظمتهم تمارس أشد أنواع التعذيب والقتل للمساكين من بني شعوبهم.

وقبل أن نبدأ بتلخيص ماكتبه Robins عن محاكم التفتيش في إسبانيا في القرن الخامس عشر ننبه القارئ العربي المسلم إلى أنه ـ للأسف الشديد ـ قد ركز حديثه فقط على ماحدث بالنسبة لليهود هناك، وتناسى تماما ـ ولايعقل أن يكون قد نسي ـ ماجرى للمسلمين هناك من محاكمات وتعذيب وقتل، بل تقطيع أوصال بشر على قيد الحياة، فقد شهدت الأقبية المظلمة مصرع آلاف وآلاف منهم في أكبر حركة تطهير عرقية تمت لشعب، وماكان ذلك إلا لأنهم قالوا: ربنا الله.

لقد تناسى الكاتب ذلك تماما عن عمد، ولسنا من المتجنين عليه فكتابه يشهد بهذا، وكان ينبغي أن يكون موضوعيا محايدا وهو يؤرخ للكوارث البشرية، بل إن موضوعيته قد خانته وهو يتحدث حتى عن الزلازل وكأنه لم يسمع ولم يقرأ شيئا عن زلزال أغادير في المغرب، وزلزال ذمار في اليمن، وقد راح ضحيتهما آلاف من البشر. وسبحان الله.

وقد اخترنا من هذا القسم الحديث عن ستالين ومافعله مع مجتمعه الروسي حيث استطاع أن يثير الرعب في قلوب أفراده جميعا، فلم تنج أسرة من الأسر من ضرر وقع على فرد من أفرادها، ولقد تمكن هذا الشخص ـ ستالين الذي كان أبوه صانع أحذية ـ من أن يتحكم في مقدرات أمته وفي مصائر أفرادها، فعلى الرغم من أنه، كما يقول المؤرخون المخدوعون، قد جعل من روسيا القوة العالمية الثانية، بعد الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن الثمن الذي دفعه الشعب كان باهظاً، حيث قتل منهم في عمليات التطهير التي أمر بها ملايين بلغت العشرين، بخلاف ملايين أخرى أُرسلوا إلى مجاهل سيبيريا للعمل هناك في ظل ظروف رهيبة، كان الموت بالنسبة لهم فيها أمنية غالية.

حينما أقام ستالين نظام المزارع الجماعية Col-lectivizations عارضته طبقة ملاك الأراضي الزراعية هناك لأنهم رأوا أن ناتج عملهم على مدار العام سوف تجمعه الدولة منهم وتأخذه بلا مقابل، فقاوموا ذلك لدرجة أن بعضهم قتل الحيوانات التي عنده وأحرق المحاصيل التي جادت بها الأرض، وكان أفراد هذه الطبقة يعرفون باسم "القولاق The Kulaks"، فقام ستالين بالقضاء عليهم جميعا دون رحمة أو شفقة، وفي إحدى لقاءاته مع ونستون تشرشل الذي كان رئيسا لوزراء بريطانيا آنذاك أخبره أنه قضى على عشرة ملايين منهم، وعلق ببساطة شديدة: وماقيمة جيل من البشر What is one generation؟.

ولم يقتصر الأمر على كبار المزارعين ومتوسطي الحال منهم، وإنما امتدت عمليات التطهير الشنيعة إلى العمال في مصانعهم ومعاملهم، فكل من تحدث عن المبادئ أو العدالة، وكل من لم يسارع بالانضمام للحزب الشيوعي، أو حتى كل من أبدى رأيه همسا في النظام جرت محاكمتهم محاكمات صورية سريعة، وكانت عقوبة الإعدام هي الأمر السائد دوما. وبحلول عام ١٩٣٤م كان قد جرى إعدام الملايين منهم، كما أُرْسلَ منهم ملايين آخرون لمعسكرات العمل الجماعية في سيبيريا، ولقد استمر هذا الوضع حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، وكان ستالين قد أفلح في مد نظامه وتأثيره إلى دول أخرى في شرق أوربا مثل رومانيا والمجر وبولندا وبلغاريا، وعندما حانت نهايات تلك الحرب فإن آلافاً كثيرة من الجنود الذين شك في أنهم حاربوا في صفوف هتلر قد جرى إعدامهم فوراً حينما وصلوا الحدود الروسية في عمليات قتل جماعية رهيبة.

وقرب نهاية حياته عاش الطاغية في رعب هائل، وفي خوف وهلع، خوفاً من أن يغتاله أقرب المقربين إليه، ولقد كتبت عنه ابنته سفيتلانا Svet-lana واصفة أيامه تلك بالمرارة ضد العالم كله، حيث كان يتخيل أعداءه محيطين به في كل مكان؛ بحيث وصل إلى درجة مَرَضيَّة يطلق عليها: الجنون المرضي للشعور بالاضطهاد Pothological of Persecution Mania.

ولنا أن نتذكر ذلك، وأن نعي أن الحياة الإنسانية التي كرمها الله، سبحانه وتعالى، ينبغي أن تصان



إحدى السفن العملاقة تغوص في المياه نحو مصيرها المحتم

وأن تحترم ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠). ثم لعلنا لاننسى أن إمبراطورية الشر تلك (الاتحاد السوفييتي) التي أقيمت على البغي والظلم والقتل ماكان لها أن تدوم أو تستمر، فدولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، ولاينبغي أن نختم هذا الجانب حتى نُذكّر المسلمين بأن ستالين هذا فعل مع المسلمين في الاتحاد السوفييتي كل الأفاعيل، بل إنه خدعهم حين لاحت بوادر الحرب العالمية الثانية ووعدهم بالحرية في عبادتهم، حتى إذا ماانتهت تلك الحرب عاد فانقلب عليهم قاتلا ومشردا إياهم ومدمراً المساجد، عليه اللعنة هو وكل من حذا حذوه من الحكام الظالمين.

مرض الإيدز

وهو مايعرف باسم "مرض نقص المناعة المكتسب" ومصطلحه الأجنبي الذي وضعته منظمة الصحة العالمية هي Acquired Immune Deficiency Syndrome ويطلق عليه اختصارا AIDS، وهو أفظع الكوارث المرضية التي أصابت البشرية عبر تاريخها الطويل على الإطلاق. كانت بداية التنبه له في عام ١٩٨١م، ومنذ ذلك التاريخ أخذت معدلات الإصابة تتزايد بشكل مخيف، حيث يقدر أنه مابين ٥ ـ ١٠ ملايين من البشر باتساع العالم قد أصيبوا بهذا المرض المفزع(*)، وذلك على الرغم من الجهود العلمية المكثفة والبحوث المتواصلة التي رصدت لها أموال ضخمة، بل إنه لايبدو أن العلماء قد باتوا على مقربة من التوصل لفهم فيروس ذلك المرض الذي ينتشر من خلال الدم الملوث وسوائل الجسم المختلفة.

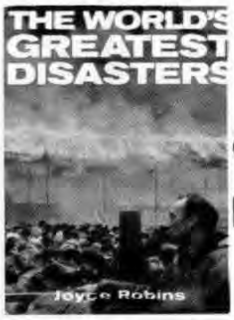

الإيدز: العبث اللاأخلاقي يقود إلى الدمار

ويذكر أنه في عام ١٩٨١م جاءت التقارير بوجود مرض جديد غير معروف ومنتشر بين الشواذ جنسيا Homosexuals، وقد جاءت هذه التقارير من مراكز السيطرة على الأمراض في مدينة أتلانتا بولاية جورجيا الأمريكية Centers for Disease Control، ولاحظ العلماء في هذه المراكز أن أعداد المصابين بهذا المرض قد أخذت تتضاعف بمعدل منذر بالخطر، ففي عام ١٩٨٤م كانت هناك ٥ر٥٥٧ حالة معروفة في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما بلغت هذه الحالات ٩ر٥٨١ في العام التالي مباشرة، وبعد ذلك بدأ الرقم يتضاعف مرة كل ثلاثة عشر شهراً أو نحوها.

وعلى الرغم من أن مجتمع الشواذ جنسيا، كما هو الحال في مدينة سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا هو المجتمع المعرض أفراده للإصابة بالإيدز أكثر من غيرهم، إلا أن المرض ينتقل بالعدوى من خلال الدم الملوث، خاصة بين الذين يحقنون في الأوردة، مثل متعاطي المخدرات الذين يحقنون بالإبر نفسها. ويقدر عدد الذين أصابتهم العدوى بأربعة ملايين في إفريقيا وحدها، بل إن هناك أرقاما مرعبة تقول بأن نسبة الوفاة بين الأفارقة عالية جدا بسبب هذا المرض اللعين.

وهناك بعض النظريات العلمية التي حاول أصحابها أن يفسروا بها وجود ذلك المرض وطريقة انتشاره، ومنها نظرية تقول بأن فيروس الإيدز قد انتقل من القردة الخضراء في إفريقيا الوسطى Green Monkeys in Central Africa إلى الإنسان عن طريق العض. بينما هناك نظريات أخرى، يعوزها الدليل، تقول بأن ذلك المرض الخطير جاء نتيجة بعض الأبحاث العلمية التي تُجرى على السرطان كأثر جانبي لها، أو أن فيروس ذلك المرض قد جمع عن عمد ليستخدم كسلاح في الحرب الجرثومية، وأنه جرى تجربته على بعض المسجونين الذين أطلقوا بعد ذلك في

أفدح كوارث الدنيا



المجتمع دون أن يتنبه أحد لفترة الكمون التي يمكن أن تعيشها فيروساته، ولقد كثر الحديث عن فحص الداخلين إلى الولايات المتحدة، بل عن مناطق عزل حتى للمصابين من الأمريكيين أنفسهم.

وعلى كل حال فإن هناك الآن ـ باتساع العالم ـ ١٢٢ دولة تقول التقارير عنها بأن فيها حالات للمرض، وكانت مراكز السيطرة قد تنبأت ـ وقت تأليف الكتاب ـ أنه بحلول عام ١٩٩١م سوف يكون عدد حالات الإصابة في الولايات المتحدة ذاتها ٧٤ر٠٠٠، وأن ٥٤ر٠٠٠ سوف يموتون بالفعل، ومن جانب آخر فإن الأموال المطلوبة لمواجهة ذلك الخطر الداهم كثيرة جدا، وأنها سوف تبلغ ـ في أمريكا فقط ـ ٦٦ر٤ بليون دولار، بل إن نصف الميزانية المرصودة للصحة في ولاية كاليفورنيا تلتهمها مشروعات البحوث المتعلقة بالإيدز.

إن مرض الإيدز يعتبر أخطر الأمراض بالنسبة للجنس البشري حتى الآن، ونتيجة لذلك فإن منظمة الصحة العالمية توقعت أن يكون عدد الإصابات به عام ١٩٩٣م حوالى ٧٥ر٠٠٠ر٠٠٠ حالة.

بقي شيء آخر ينبغي علينا نحن المسلمين أن نفكر فيه جيدا وبعمق، فلقد ظهرت عدة نظريات تحاول تفسير الأسباب وراء ذلك المرض الخبيث، ولكن لم يكن من بينها من حاول أن يمد البصر إلى مايرتكبه البشر من معاص، ويقول لبني جنسه إن ذلك المرض قد يكون عقوبة إلهية للمنحرفين من البشر حتى يفيقوا ويعودوا إلى الطريق السليم.

وأخيراً، تكفينا هذه النماذج من المآسي التي تعرضت لها البشرية ـ ولاتزال ـ ومن أراد حصرا لها أو قراءة حولها فذلك الكتاب ـ السفر ـ موجود، وعسى أن نعتبر. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الهوامش:

(*) كتب المؤلف هذا الكلام عام ١٩٩٠م، والأرقام الآن تختلف بلاشك، حيث لم تتمكن جهود العلماء من محاصرة المرض أو وقف خطره.

العلاقة بين العقاد والعطار ادعاء أم حقيقة ؟

(الحلقة الأولى)



د. حسن بن فهد الهويمل

أعددت مسودة هذا المقال في حياة العطار ـ رحمه الله ـ ، ولم أكن متردداً في أمر من الأمور ترددي في نشر حديث يتناول العطار، وهو حي يرزق، ومرد ذلك إلى أمور كثيرة، من أهمها: مكانته في نفسي، وشفقتي عليه وهو في خريف عمر حافل بجلائل الأعمال، كان في مقدمتها خدمته اللغة العربية. ومن حقه علينا، وحق روادنا جميعا رد بعض مالهم في حياتهم، لكيلا تخيب آمالهم في ناشئتهم، فيفارقوا هذه الحياة بمرارة العقوق. ولأنه على ما عُرف عنه من قسوة وحِدَّة مع الخصوم يُكن لي الاحترام، فحين كتبت عما لسور الأزبكية من أمجاد في الزمن الماضي، وعرضْتُ لبعض مافيه من كتب التراث، وما يتوافر فيه من كتب مستعملة طُبعت قبل مائة سنة، تعقبني بمقالتين، وأثنى عليَّ وتلطَّف في عرض رأيه على غير عادته، فكان ذلك تفضلاً منه. على أن كلمة الحق لايُداهَنُ فيها، والتنبيه على الخطأ لايؤجل عن لحظته. واستعراضي لكتاب العطار عن صديقه ورفيق دربه عباس محمود العقاد ليس منطويا على باطل، ولا مشتملاً على خطأ متعمد، فكل ما في الأمر اختلاف في وجهات النظر، وهو اختلاف مشروع، ولايتم تحريك الساحة الأدبية إلا بهذا اللون من المواجهات.

لقد سعدت بما كتبه العطار عن العقاد فهو من خلطائه، وصديق من أعز أصدقائه، ومن ثم يعرف عنه مالا يتأتّى لغيره من الكتبة الذين يتسقطون الأخبار من هنا وهناك. وسعدت بهذا الكتاب على الرغم من أن العقاد كُتب عنه أكثر من ستين مؤلفا، وتعقبه لداتُه وألداؤه بمقالات كثيرة تعد بالآلاف، ومع كل ذلك بقي من العقاد الشيء الكثير، وكلما نهضتُ لممارسة الكتابة عنه أقعدني جُهد المقل وضآلة البضاعة، مع كثرة المشاغل وتشتت الفكر والانشغال بهذا الطارئ الذي كاد يغمرنا؛ فيطمس معالمنا، ويحتل سوحنا، ثم لايكون لنا بعد ذلك من أثر. ومع كل هذه المعوقات فقد كتبت عدة مقالات، وألقيت أكثر من محاضرة عن العقاد. ومصدر اهتمامي به وإعجابي بفكره، ماله من رأي واضح وموقف صريح لايحيد عنه. ولما يتسم به من فكر عربي إسلامي لاغبار عليه، مع استفادته من كل المستجدات، واستخدام ماتوصل إليه رواد الفكر الغربي دون أن تذوب شخصيته. كما استطاع أن يبقي على فكره نظيفا وسط تيار متلاطم من الأفكار المناوئة للإسلام.

وأُعجبت به لأن رأيه في المرأة رأي جاد وصادق؛ ينسجم مع تكوينها النفسي والجسمي، ومع ما رسمه الإسلام لها. وأُعجبت به لأنه آمن بالحرية ودعا إليها، وأتاح الفرصة لكل الآراء المتضادة. وإن كان له في ذلك بعض المهادنات التي لاتليق به.

لقد وجدتها مناسبة طيبة، بعد أن لحق العطار برفيقه في الدار الآخرة، أن أتناول هذا العمل الذي أراد له العطار أن يكون وفاء لحق صديقه، ودفاعا عن حريته التي انتهكها أقرب الناس إليه، فلو كان العقاد حيا لما تجرأ عليه أولئك الخصوم، ممن لايراعون فيه إلا ولا ذمة، لقد كان من حقه

العلاقة بين العقاد والعطار
ادعاء أم حقيقة ؟

عليهم أن يبحثوا عن جد حياته، وما تحفل به من جلائل الأعمال.

وإذا كانوا قد صمتوا هيبة وخوفا في حياته، فمن الأولى أن يستمر هذا الصمت، وإن كان ثمة رغبة في الحديث عن العقاد للكسب أو الشهرة، فإن في حياة العقاد الجادة مايوفر لهم المال والشهرة. ولكن من العسير على أمثالهم تناول الجانب الفكري من حياة العقاد، فكان أن تحدثوا عن غرامياته، وعن علاقاته، وعن المرأة في حياته، وعما هو في هذا السياق الغث العابث. والعقاد بشر له وعليه، ولكن من الخير للجميع أحياءً وأمواتا، أن نذكر محاسن الأموات، وأن نكف عما بدر منهم ممّا هو متوقع من البشر.

لقد كان العطار - كعادته - جادا عنيفا في جده، لايشغله إلا جد الحياة، ولاينظر من حياة صاحبه إلا ذلك الجد الصارم، والعنف الصاخب، والإباءالعنيف. فحين خلوت لقراءة هذا الكتاب، وضعت في اعتباري التخلي عن العنف الذي مازلنا نضيق بذيوله، كما وضعت في اعتباري فوق ذلك كله، التخلي عن العنف الذي واجهه العطار من بعض المتعصبين للرافعي، كادعاء البعض أن ليس هناك أية علاقة ود وصداقة وخلطة بين العطار والعقاد، وحين قرأت هذا القول في بعض صحفنا دهشت كثيرًا، وقلت في نفسي إن مثل هذه التهم التي تثار، تنحرف بالنقد والجدل إلى نزاعات شخصية، تعكر الصفو، وتزيد الجفوة، وتؤكد العقوق للرجال الذين قضوا شطرا من حياتهم في خدمة لغة القرآن وآداب الأمة الإسلامية.

كما أن مثل هذه الاتهامات لاتترك للمهتمين بالأدب أي جدوى، والذي يدعي أن العطار لاتربطه بالعقاد أية رابطة، إنما يريد التقليل من شأنه، واتهامه بالادعاء، والتشبع الكاذب.

والعطار بعلمه وسنه وسائر إنجازاته الطويلة الشاملة ليس فقيرا إلى مثل هذا الادعاء، فهو عندنا كالعقاد في مصر، له وعليه، ولكنه في مجمل عطائه علم من أعلام الأدب، ورائد من رواد اللغة. وإذا كان خصوم العطار يستاؤون من عنفه، وهذه حقيقة لاتملك القدرة على نفيها، وهي في الوقت نفسه مأخذ نأخذ به العطار، فإن الرد عليه يجب أن يكون هادئا وموضوعيا.

وحين يتضح للعطار وجه الحق فلن يتردد في الرجوع إليه، فهو ضالة المؤمن، وعالم كالعطار لايمضي في المكابرة، ولايذعن للعناد. ومواجهة العنف بالعنف لاتخلف إلا تعميق الفرقة، واستدامة الجفوة، ونحن أحوج مانكون إلى جدل موضوعي بعيد كل البعد عن العنف والصلف، والصواب في ذلك أن نكبر العطار، وأن نُجلَّهُ، وأن نناقشه بأدب واحترام، تقديرًا


أحمد عبد الغفور عطار

لمآثره، وتكريمًا لسنه، وإبقاء على سمعة روادنا وكبار أدبائنا، ومالم يتذوق الكبار دفء الوفاء، فمن يستحقه من بعدهم؟ أقول هذا وأنا بعد لم أشرع في استعراض التقميشات والتهميشات التي أرصدتها هنا وهناك عن هذا الكتاب الذي يدل على وفاء العطار لزملائه وأصدقائه، ولم يدفعني لذلك إلا حب الرجلين، لما لهما من مآثر، ولما قدماه من أعمال جادة، وليكن بعد ذلك مايكون من عنف لانرضاه، أو قسوة لانحفل بها، والكمال المطلق لخالق الأناس، ومقسم أخلاقهم.

والعطار الذي دفع إلينا بهذا الكتاب، ووعد باستكماله في جزء لاحق، قضى نحبه قبل أن يفي بوعده، وعسى أن تكون مسودة الجزء الثاني فيما خلف من مخطوطات .

وكتاب العطار مجموعة مقالات كتبت في أزمنة متفرقة، ومناسبات متعددة، وظروف نفسية متباينة، أتيح لشتيتها أن يجتمع، ولمتفرقها أن يلتئم. والكتاب حين يفقد المنهج الذي اعتاد المؤلفون رسمه للأعمال المشابهة، فإنه لايفقد وحدة الهاجس، ووحدة الموضوع.

أما الهاجس فإنه الحب المطلق للعقاد، والتأييد المطلق لآرائه في الفكر والأدب وسائر شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وأما وحدة الموضوع فأمر واضح لايحتاج إلى دليل، فهو مجموعة مقالات ومقدمات كتبت عن العقاد، وعن بعض كتبه في حياة العقاد، وبعد مماته، ثم جُمعت في هذا الكتاب الذي تقرؤه على مهل.


مصطفى صادق الرافعي

والعطار حين أراد أن يخرج هذا الكتاب وفاء لحق زميله وصديقه، جمع له ما أمكن جمعه من مقالات وبحوث تمس العقاد أو فكره.. وكنت أود لو أن بعض مريدي العطار تطوع بترتيب تلك المقالات، وأخذ في اعتباره الترتيب الزمني أو الموضوعي إن أمكن، مع استبعاد بعض المقالات الوقتية التي تنتهي بانتهاء مناسبتها، كمقاله عن تفسير القرآن الكريم لأنه دعوة للتبرع، ومازاد عن هذا فآراء مبثوثة في مقالات أخرى.

والكتاب في جملته مجموعة من الخواطر التي فرقها الزمن، وجمعتها مشاعر الحب والإكبار. ولما لم يكن المنهج مرسومًا قبل البدء به تكررت بعض الآراء، وتقدم بعضها على بعض، ففقد الكتاب تسلسل الفكر، وانتظام المراحل،

وأصبح من الممكن إعادة الترتيب والصياغة. ومجمل القول إنه مجموعة انطباعات، فيها الرأي، وفيها الدفاع، وفيها الوصف، تشكل في النهاية رأي العطار في أحب الناس إلى قلبه وآثرهم عنده. والذين لايحبون العقاد، أو لاينفلونه بحب دون سواه، يضيقون ذرعا بهذا الثناء، ويودون لو أن العطار قضى نحبه قبل أن يجمع هذه المقالات في كتاب واحد، يعيد الناس قراءته متى شاؤوا.

وحين أكون محبا للعقاد، معجبا بفكره، وصرامة هذا الفكر، فإنني سعيد بهذا العمل، متطلع إلى مزيد من الأحاديث عنه. لقد دافعت عن فكر العقاد، وعن سمعة العقاد، وآخذت ابن أخيه عامر العقاد ـ رحمه الله ـ حين كتب عن غرامياته، وضقت ذرعا بكل خلطاء العقاد، والمسترفدين منه الذين بدؤوا يكتبون عن خصوصياته لمجرد الكسب المادي، وحاضرت عن المرأة في فكر العقاد، وكتبت عن فلسفة العقاد في المرأة.



زكي مبارك

ومع هذا فإنني لا أمضي مع العطار إلى نهاية رأيه في العقاد، ومرد ذلك ـ على أحسن الفروض ـ أنني أجهل بعض ما يعرفه العطار، ولا أريد لنفسي الأمعية رغم ثقتي بالعطار واطمئناني لآرائه.

وأنت حين تقرأ العطار في هذا الكتاب، أو في غيره من الكتب، تشم في أعطاف كلماته نكهة زكي مبارك من ثناء على النفس، وإمعان في الثناء. والكبارُ الذين يظلمهم الأقربون يحسون بهذا الظلم، ويمعنون في رفضه. وتزكيةُ النفس شيءٌ، والدفاع عنها شيء آخر. فثناء العطار والمبارك على نفسيهما محسوب في قائمة الدفاع، وليس هو من الادعاء في شيء، وإن كنت أريد ذلك وأقبله على لسان المريدين والمحبين، ولكن حين يطول الطُّوَلُ ويأتي الناس بما لايشتهيه الرواد، ينبرون للدفاع عن أنفسهم، وعما أنجزوه وقدموه للأجيال. وفيما قدم العطار خير كثير لايقل عما قدمه المبارك للناس كافة.

لقد فوجئت بما لاعهد لي به حين قرأت للمبارك ثناء مسرفا على نفسه، وكتبت مقالاً عن شطحات الدكاترة أثقلته بالمؤاخذة والسخرية، ولم أكن يومئذ قد عرفت مالاقاه من عقوق وتنكر، وأحسست بعد أن قرأت عما لاقاه المبارك من جفوة وتحد، أنني تحاملت عليه، والذي نبهني إلى ذلك بعض مريديه. فأعدت القول، وخففت من حدة المؤاخذة. ولكنني لم أشأ أن أسقط كل ما قلت. والعطار لم يلق جفوة عنيفة مؤثرة كالمبارك، كما أنه لم يسرف في الثناء على نفسه، كما فعل المبارك. ومع هذا فأوْجُهُ الشبه واضحة بين الاثنين.

والعطار في هذا العمل يكتب على سجيته، كأنه جالس يتحدث إلى الناس، لاينقح، ولايتصنع، وكأنه أراد لنفسه ولقرائه التخفف من جهد التأنق، وكلفة التنقيح، والتشذيب. ولهذا جاء الكتاب ذا نكهة خاصة، أشبه شيء بأحاديث الذكريات والمذكرات، فيه استرسال وترسل واستطراد وتذكر. فأنت حين تقرأ هذه الخواطر تحس وكأنك في ربوة ذات قرار مكين، تحميك من معاضلة البناء والأسلوب المحكم الذي يأخذ به العطار نفسه في بعض ما يكتب.

والعطار في دفاعه عن العقاد عنيف إلى حد يكاد يتخطى الموضوعية، وعنف العطار لايعف عن كلمات غاية في البشاعة كقوله: (أصحاب الأقلام المومسة الفاجرة)، (يريدون أن ينشروا الإيماس والدعارة). وورود مثل هذه المفردات في الدفاع تدفع إلى رد فعل أعنف، وهذا العنف إذا قبلناه فيما استدبرناه من الأيام لايمكن القبول به فيما هو آت، لأننا في عصر عقلاني، نحتاج معه إلى رباطة الجأش وهدوء النفس والجدل الموضوعي.

وعنف العطار جاء في وقت كان العقاد فيه في أوج قوته وعنفوانه، مع أنني أحس أن مثل هذا العنف جاء نتيجة معايشة آنية لتصديات متلاحقة ضد العقاد، وضد الخط الإسلامي الذي اختطه العقاد لفكره وأطال الحديث فيه. ولا أعد الرافعي من الذين يعارضون الفكر الديني عند العقاد، فالرافعي نفسه ممن اجتهد في خدمة اللغة والدين، ولكنه لايريد أن تمس آراؤه بغير الثناء والحمد، ومن ثم لايحتمل إغفال جهوده واقتحام العيون له. وإحساسه المفرط جعله يثور ويمور لأتفه الأسباب، وجعله معاندا لاينفك من الإغارة ومفاجأة الخصم من كل جانب. وهو صاحب عاهة، وهذا النوع من الناس يرد بعنف، وخصوماته مع طه حسين والعقاد وغير هؤلاء خصومات عنيفة وغير مهذبة. لقد كان خلافه مع العقاد بسبب نقد وجهه العقاد إلى كتابه (الإعجاز القرآني)، واتسعت رقعة الخلاف حتى أكلت الرطب واليابس. ولعلّنا نذكر ذلك الكتاب السخيف الذي أخرجه الرافعي إلى الناس عن العقاد تحت اسم مستعار عرف الناس صاحبه من لحن القول، وهو كتاب (على السفود)، ويمثل أحط أساليب النقد وأعنفها. والفترة التي أنتجت هذا اللون من العنف لم تقتصر على العقاد والرافعي، بل شملت كل الأدباء. فالمازني وشكري، وطه حسين وزكي مبارك، وأحمد أمين وزكي مبارك. ولعل القارئ يذكر كتاب (جناية أحمد أمين على الأدب) لزكي مبارك، أو يقرأ (الديوان) للعقاد والمازني، أو ما شئت من هذه الكتب لإسماعيل مظهر وعبد الفتاح رمزي.

فهذا المازني يقول عن صديقه ورفيق دربه عبدالرحمن شكري إنه: (دعي/أخرس/أبكم/منكود/حقود/مجنون/مائق). ولك أن تبحث عما قاله بعض نقادنا عن كاتب هذه السطور. إنها موجة من الضيق والبرم بالحق تخرج الإنسان عن طوره، وتفقده السيطرة على نفسه، فيتفوه بما لايليق بمثله.

(للحديث بقية).

الانفجار السكاني

وانفجار النخبة

د. خير الدين عبدالرحمن

توقعت دراسة للأمم المتحدة، صدرت في منتصف العام ١٩٩١م، ونشرها المعهد الفرنسي للدراسات السكانية (الديموغرافية)، أن يبلغ عدد سكان العالم قبل حلول العام ٢٠٢٥ مايزيد على (٨٦٠٠) مليون نسمة. سوف يرتفع عدد سكان الصين مثلاً من مليار ومائتي مليون نسمة إلى مليار وستمائة مليون نسمة، على الرغم من الإجراءات الحكومية الصارمة للحد من نمو سكان الصين. وسوف يرتفع عدد سكان الهند من تسعمائة مليون نسمة إلى مليار وثلاثمائة وستين مليون نسمة، على الرغم من قسوة الحملة الحكومية في مواجهة تكاثر السكان، والتي بلغت حد الفظاظة أحياناً عبر تعقيم إجباري للرجال من أجل إفقادهم القدرة على الإنجاب. بل إن عدد سكان نيجيريا سوف يقفز من مائة وخمسة وعشرين مليوناً حالياً إلى ثلاثمائة وخمسة ملايين نسمة في العام ٢٠٢٥م، ويرتفع عدد سكان أندونيسيا من (١٨١) مليون نسمة إلى (٢٨٢) مليون نسمة، ويرتفع عدد سكان بنغلاديش من (١١٦) مليون نسمة إلى (٢٢٦) مليوناً. ومضت الدراسة محذرة من أن عدد سكان العالم سوف يقفز مجدداً خلال الربع الثاني من القرن الحادي والعشرين ليصل إلى أحد عشر مليار نسمة في العام ٢٠٥٠م، بل إن عدد سكان إفريقيا سوف يتضاعف ثلاث مرات ليشكل في ذلك الحين ٣٤٪ من سكان العالم، وفقاً لتقديرات صندوق السكان التابع للأمم المتحدة للعام ١٩٩٢م.

تلاحقت صرخات التحذير إثر نشر هذه التقديرات متسارعة على نفس النهج الذي بدأه مالتوس، حين حذر بأن السكان يتضاعفون وفقاً لمتوالية هندسية، بينما تتضاعف الموارد وفقاً لمتوالية عددية. قال العالم الانثروبولوجي كلود ليفي شتراوس مثلاً: إن الكثافة السكانية على الأرض سوف تتضاعف خلال العشرين سنة القادمة، وشدد على «أن البشر قد تجاوزوا الحد الأقصى(!!) منذ قرن، عندما بدأ عدد سكان العالم يتجاوز المليارى نسمة، بعدما توافرت لهم رفاهية مؤكدة، إذ كان نموهم متوازياً مع نمو بقية الأنواع الحية. أما اليوم، فقد أصبحت الرفاهية غريبة عنا، ولايمكن الإمساك بها مجدداً مهما بلغت جهودنا وعلومنا». لسنا بحاجة إلى طول جدال مع هذا المنطق، ولا نحن بصدد الدخول في تفصيلات دحضه، فقد سعى غيرنا إلى هذا. لكننا نسوق ملاحظتين: أولاهما أن الرفاهية التي تحدث شتراوس ورفاقه عنها، وأكثروا من رثائها، هي رفاهية الشمال التي قامت أساساً على جرف موارد الجنوب وثرواته، ولعل العالم البريطاني هاريسون قد اعترف ببعض الحقيقة في كتابه (الثورة الثالثة) إذ قال: «أفقر سكان الأرض هم أخفهم وطأة على البيئة، فهذه الفئة من المعدمين يشكلون خمس سكان الأرض، أو نحو ذلك حاليًا، أي مليار نسمة، ولا يمتلكون أرضًا يستنزفون تربتها، ولا يتجاوزون على الغابات فيقطعون أشجارها، ولا يملكون المواشي التي تستنزف المراعي...». ونضيف إلى ما قاله هاريسون أن هؤلاء، ومعهم ثلاثة أخماس أخرى من سكان الأرض، لايمتلكون المصانع التي تقذف نفاياتها الكيماوية في الأنهار والبحيرات والبحار، ولايدفنون النفايات ذات الإشعاعات القاتلة تحت رمال بلادهم وترابها، ولايلوثون الأجواء أو يدمرون طبقة الأوزون التي تغلف جوَّ الأرض، ولايتسابقون إلى إجراء التفجيرات النووية وتجربة أسلحة القتل الجماعي والإبادة الشاملة من كيماوية وجرثومية. لقد أجمعت الدراسات على أن متوسط استهلاك الفرد الجنوبي من الماء، الذي جعل الله منه كل شيء حي، لايتجاوز العشرين لترًا في اليوم، لشرابه وحياته المنزلية وزراعته وصناعته وسقاية مواشيه معًا، بينما يزيد معدل استهلاك الفرد الأمريكي من الماء على ألف لتر يوميًا. وإذا ما أخذنا استهلاك الطاقة مقياسًا لمدى التفاوت الهائل بين ندرة إلى حد العوز وإسفاف في الإفراط، تلفت نظرنا إحصائيات منظمة أوكسفام التابعة للأمم المتحدة، إذ توضح أن أقل من ربع سكان العالم الذين ينتظمون في المجتمعات الصناعية يستهلكون ثمانين في المائة من الطاقة المستعملة في العالم، بأشكالها ومصادرها كافة، بينما يتبقى عشرون في المائة من هذه الطاقة لأكثر من ثلاثة أرباع البشر.

لاتحرك هذه المفارقات الصارخة، وغيرها كثير، قادة الشمال ومفكريه ممن يصرون على تصوير مايدَّعونه بنزوع سكان الجنوب إلى الإنجاب الزائد باعتباره أصل كوارث الإنسانية وسبب شقائها وبلائها. ﴿وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون﴾ (البقرة:١١، ١٢).

أما ثاني الملاحظتين فهي أن الخالق، إذْ شرع أنه: ﴿من قتل نفسًا بغير نفْس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناسَ جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (المائدة:٣٢)، والذي أوصى: ﴿... ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم...﴾ (الأنعام:١٥١)، وحذّر: ﴿ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها...﴾ (الأعراف:٥٦)، وطمأن إلى أنه: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها...﴾ (هود:٦)، وبيّن أنه: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر...﴾ (الرعد:٢٦) قد أوضح واحدةً من قواعد الخَلق الخارقة إذ قال: ﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر:٤٩). في هذه القاعدة تبيان لتوازن الكون الدقيق، وللتوازن الدقيق في الكون: توازن بين الكواكب المختلفة، وتوازن بين الإنسان وباقي

المخلوقات، وتوزان بين الحياة والموت، وتوازن بين اليابسة والماء، وتوازن بين ما هو على سطح الأرض وماهو في باطنها، وتوازن بين الإنتاج والاستهلاك، وتوازن بين إرادة الإنسان وغرائزه.. كل إخلال بشري بهذا التوازن إفساد في الأرض، لكنّ هذا الإخلال البشري يظل محدودًا، إذ تظل القدرة البشرية واهية مهما طغت.. وفي كل الأحوال: ﴿إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ (يونس: ٤٤).

عرَّض القرآن الكريم بالظلم والظالمين في ثلاثمائة وعشرين آية من آياته، وأمر بحفظ الحياة وتوفير أسبابها في ثمانين آية، وشدد على المساواة بين الناس في مائة وخمسين آية، وأوصى بالعدل في أربع وخمسين آية، وجعل للحرب شروطًا ومنهاجًا. لكن طغيان الأنا الضيقة في عصرنا، وإصرار الشمال على أن يتجاوز برفاه سكانه حدود الترف إلى الإسفاف، على حساب أبسط مقومات الحياة لمعظم سكان الجنوب، قد جعل الصراع من أجل الهيمنة يتفجر حروبًا على امتداد سنوات القرن العشرين. تقول أرقام أحدث الدراسات عن حروب القرن العشرين هذه إن عدد ضحاياها من القتلى قد بلغ تسعين مليون قتيل.. ويلاحظ مركز دراسة الأولويات الأمريكي هنا أن المتوسط السنوي لقتلى حروب القرن العشرين يبلغ مليون إنسان، بينما بلغ مجموع قتلى حروب البشر على امتداد ألفي سنة سبقت القرن العشرين، منذ صعود الإمبراطورية الرومانية وحتى غروب القرن التاسع عشر، مليون قتيل. أي إن ما سقط من قتلى في كل حروب البشر طوال ألفي سنة يعادل متوسط ما يسقط في سنة واحدة من سنوات القرن العشرين. لازالت الجروح تنزف في فلسطين والبوسنة وبلدان إفريقية وآسيوية عدة، ولازالت النذر تتوالى بحروب أخرى.. ذلك أن الصراع مستمر، تحكمه قاعدة عبادة العجل الذهبي التي استشرت بصياغة عصرية: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾ (العلق: ٦، ٧).

إذ يتسارع قرع أجراس الإنذار في أوربا وشمال أمريكا من أخطار كوارث الانفجار السكاني في العالم، وتتلاحق اقتراحات مختلفة لحلول عاجلة أو طويلة الأمد، تستمر تلك الاقتراحات في المخاتلة، والالتفاف على جوهر المشكلة. ذلك أن معظم هذه الاقتراحات ينطلق من قناعة يقينية في وعي الشمال ولاوعيه، تحولت إلى بديهية سائدة تحكم تفكير أجياله، وتطبع سلوكها وتصرفاتها منذ الطفولة، خلاصتها أن العالم هو مجتمعات أوربا الغربية وشمال أمريكا، ولابأس من أن يشمل امتداداتها في استراليا ونيوزيلندا والمستوطنين اليهود في فلسطين والمستوطنين البيض في جنوب إفريقيا، أما باقي شعوب العالم فهي غبار بشري، في معظمها، تتخلله قلة من بؤر تمرد حضاري كما في اليابان. هذا المنطق السائد في تقسيم البشر إلى نخبة وغبار بشري، لم يكن الدافع الرئيس لما طبع القرن العشرين من حروب وصراع محتدم



فحسب، ولا كان محور تسابق محموم للهيمنة فقط، وإنما كان ولايزال العامل الأساس لانهيار القيم الأخلاقية وتدهور العلاقات الإنسانية، على الصعيد الفردي وعلى الصعيد الجمعي في آن واحد، بما يجعل الخواء الروحي معضلة الشمال الكبرى.

لكن هذا التقسيم السائد ما كان ليقف عند الحدود الفاصلة ما بين شمال وجنوب، جغرافيًا وحضاريًا، وإنما يمضي إلى مداه، ليتفاعل حتى في نطاق المجتمعات التي توافقت على اعتبار ذاتها متميزة بالفطرة، والتي احتكرت لنفسها حق الرفاه وحق الحياة. ولايقتصر هذا التفاعل على صراع خفي أو ظاهر فيما بين مجتمعات الشمال ذاتها، وإنما تعدى هذا إلى تقسيم مماثل في إطار المجتمع الواحد. فكان آخر ما اجترحته حضارة الشمال في سعيها إلى معالجة القضية السكانية هو التركيز الأمريكي المتزايد على التحكم في التكوين البشري للأجنّة، والتكييف المبرمج للخصائص الحيوية للجنين، من أجل «إنتاج» «أنواع» بشرية محسّنة، ومبرمجة برمجة تقنية حيوية «بيوتكنولوجيًا»، عبر إدخال تعديلات على تكوين الأجنة بما يتيح ولادة ونشوء أجيال خارقة الذكاء والقدرات. أي، باختصار، «إنتاج» مواليد منفصلين عن الإيقاع الإنساني العام، متميزين ذهنيًا ونفسيًا وجسديًا، بحيث يشكل هؤلاء نخبة النخبة.

هذا الجنون الذي يمثل افتئاتًا على إرادة الخالق، والذي تعتبره مجتمعات «النخبة» الشمالية اليوم من أبرز قمم إنجازاتها الحضارية، يبدو لنا إشارة إلى مانرجح أنه الانفجار الحقيقي القادم في عالمنا. ليس التكاثر السكاني انفجاراً يهدد الحضارة البشرية كما يروج الترديد الببغائي في مجتمعات النخبة، إنما الانفجار الكبير هو ذلك الذي يصيب مجتمعات «النخبة» ذاتها وهي تواصل الانتفاخ تميزًا وتمايزًا، بما يتجاوز حدود قدرة الاستيعاب الإنسانية لديها، إلى حد «تصنيع» نخبة النخبة في تلك المجتمعات من الأجنّة. أليس الدافع واحدًا، وإن اختلفت التسميات والأشكال، بين تصنيع نخبة النخبة، ونازية العرق الألماني الذي ادّعوه فوق الجميع، وصهيونية من زعموا أنهم «شعب الله المختار»، وعنصرية المستوطنين الأوربيين البيض في إفريقيا ممن قدموا أنفسهم «رسل الله ووكلاءه»؟

كيف تتخفف من أحزانك؟

د. عبدالمنعم شحاته محمود

قُدِّرَ لكل فرد أن يواجه موت شخص حميم له (أب، أم، زوج، ابن، صديق) في فترة ما من حياته، قد تكون مرت، وقد تكون منتظرة. وهذه المواجهة مؤلمة، وتعد أكثر مآسي الحياة وأشقّها على النفس، وقد تؤدي إلى مخاطر كثيرة، كإصابة المكروب - من فقد عزيز- بأعراض مرضية - بدنية أو نفسية - مختلفة، وقد تصل خطورتها إلى وفاته أو محاولته الانتحار. هذا بالإضافة إلى عدم التوافق النفسي الاجتماعي الذي يعانيه المكروب فترة طويلة بعد وفاة من يحب، قد تصل إلى عدة سنوات، فوفاة شخص عزيز حَدَثٌ:-

أ - شديدُ الشيوع، فلاينجو منه أحد.

ب - مفاجئ يأتي بغتة، فلا يتهيأ - انفعاليا - لاستقباله أحد.

جـ - يترتب عليه مدى واسع من الآثار الجسمية والنفسية والاجتماعية، وتمتد معاناة المكروب من هذه الآثار لشهور، وربما لسنوات(١).

لكل ما سبق فإن تناول الحزن بالدراسة أمر شديد الأهمية، فمن خلال هذه الدراسة يتم نشر ثقافة التعامل مع الحزن بين أفراد الجمهورالعام، وكذلك يتم تبصيرهم بالقواعد المنظمة لعملية التخفف من الحزن بشكل يمكنهم من:-

أ- اتباع السبل الملائمة للتغلب على أحزانهم الخاصة.

ب - معرفة الأساليب الأكثر فعالية لمساعدة الآخرين في التخفف من أحزانهم.

جـ - تجنب ما ينجم عن المحاولات الذاتية التلقائية، أو تلك التي يقوم بها الآخرون، من آثار سلبية قد تعوق عملية التخفف.

ونظرا لأهمية هذا النوع من الدراسات، ونظرا لما تحققه من مزايا، يتزايد اهتمام علماء النفس الغربيين بها(٢). في الوقت الذي لم يلتفت - في حدود المعلومات المتاحة لنا - علماء النفس المصريون والعرب إلى هذا الموضوع، على الرغم من تناول الفلاسفة المسلمين المتميز له، والذي لم يقتصر على مظاهره وأسبابه كما فعل ابن سينا (ت:٤٢٨هـ)(٣)، وآثاره كحصر أبي الفرج ابن الجوزي (ت:٥٩٧) للآثار الانفعالية المترتبة على موت محبوب(٤)، وإنما اهتموا بكيفية التغلب عليه، حيث أوضح أبو إسحاق الكندي (ت: نحو٢٦٠هـ) طرق التغلب على الحزن الناتج من فقد محبوب وفوت مطلوب(٥)، وأشار أبو زيد البلخي (ت ٣٢٢هـ) إلى أن تسكين الجزع - فرط الحزن وشدته - يكون بحيلتين: خارجية كوعظ الواعظين، وداخلية تتمثل في ترويض النفس على تقبل الأمر(٦)، كما وضع ابن ناصر الدين الدمشقي (ت:٧٧٧هـ) كتابا لهذا الغرض، ضمنه مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأخبار الصحابة والتابعين والإرشادات التي تعين على تحمل الحزن على وفاة من نحب(٧)، ومع ذلك لم يتناول المحدثون من علماء النفس العرب هذا الموضوع.

والتساؤلات التي تطرح نفسها على ذهن القارئ وتستحثه للبحث عن إجابة لها هي:

١- ما عواقب المبالغة في الحزن (الأسى)؟.

٢- ما العوامل التي تزيد شدة الحزن؟

٣- متى وكيف يتم التخفف من الحزن؟

أولاً: عواقب الأسى:

١- الاكتئاب: تؤكد البحوث(٨) أن وفاة شخص عزيز تولد شعوراً بالاكتئاب، إذ يعاني ثلث الأرامل من الاكتئاب الشديد مدة تصل إلى شهرين بعد وفاة أزواجهن، وأن خُمسَهن يعانين منه مدة عام، وتشير البحوث إلى أن وفاة ابنٍ تُحدثُ أسىً أكثر شدة - وبالتالي عواقب أكثر ألما - بالمقارنة بوفاة زوج أو أب.

٢- ترتبط وفاة شخص عزيز بزيادة معدل الشكاوى البدنية (مثل: آلام المعدة والظهر وفقد الشهية وعسر الهضم وعدم انتظام ضربات القلب والأرق)، والنفسية (اختلال الإحساس بالواقع والخداع الحسّي والإحساس بالفشل وعدم التوافق النفسي والاجتماعي ومحاولة الانتحار)(٩).

٣- وكل هذا يؤدي إلى ضعف البناء الاجتماعي، ويحدث مزيداً من المشكلات التوافقية سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، ومع ذلك فإن لانفعال الأسى مزاياه، اذ يُمكِّن الفردَ من إتيان فعل لايجرؤ عليه في الظروف العادية، مثل الإفصاح عن مشاعره بشكل علني أو الغياب عن العمل (أو الدراسة)، أو تلقي العون من الآخرين. وإن كانت لهذا الانفعال حدوده أو قيوده، إذ يجب أن تناسب شدته الموقف، فلا تكون ضعيفة جدا أو مبالغًا فيها. فعلى سبيل المثال: يؤدي عدم حزن الزوجة الحزن المناسب (كما يتوقعه الآخرون) لوفاة زوجها إلى التشكيك في وفائها له، كما تؤدي مبالغتها في الحزن، أو إطالة مدته أكثر مما يلزم، إلى اعتبارها «حالة هستيرية». وبالإضافة إلى مزايا الأسى وحدوده، فإن له التزامات، تختلف من مجتمع لآخر، ومن عمر - للمكروب - لآخر، ومن فجيعة - وفاة زوجٍ أو ابنٍ أو جار - لأخرى، فلكل من الحالات السابقة ضروب سلوكية معينة تعارف عليها المجتمع.

ثانيا: العوامل التي تسهم في تحديد حجم الأسى، ارتفاعا وانخفاضا:

تعد شدة الحزن محصلة التفاعل بين فئات ثلاث من العوامل، تتصل الفئة الأولى منها بالمكروب (الذي توفي له عزيز) وتتعلق الثانية بالسياق الاجتماعي الذي يعيش فيه، ويمثل سياق موقف الوفاة (ظروفها وكيفية العلم بها) الفئة الثالثة، وفيما يلي عرض موجز للعوامل التي تؤكد البحوث أنها الأكثر تأثيرا في تحديد حجم الأسى:

أ- عوامل المكروب

١- العُمر:

الأكبر سنا عند الوفاة أكثر تدهورًا صحيا. وهذا ليس صادقا في كل الأحوال، ففي إحدى الدراسات التي وازنت بين أرامل شباب ومن متوسطي العمر ومن كبار السن تَبَيَّنَ أن الأرامل الشباب أكثر تأثرًا، خصوصا إذا كانت وفاة القرين مفاجئة ودون مقدمات. وتظهر دراسة أخرى أن العمر ليس المؤثر وحده، وأن هناك عوامل تحدد حجم تأثيره، منها: المدة المنقضية بعد الوفاة، فالأصغر سنا أكثر تأثرا على المدى القريب، بينما الأكبر سنا أكثر تأثرا على المدى البعيد، ربما لأن صغار السن يتلقون العون أكثر، أو يتجدد أملهم في المستقبل، كما أن الأصغر سنا يعانون أكثر من مشكلات نفسية، بينما الأكبر سنا يعانون أكثر من مشكلات بدنية، ومن المحتمل أنهم يستبدلون بالأسى - كاستجابة انفعالية نفسية لا يتوقع المجتمع استمرار ظهورها من الكبار- أعراضًا بدنية يمكن قبولها.

ويبدو أن كبار السن بحاجة للتشجيع من خلال علاقات تستوعبهم في المجتمع، ويبدو أيضا أن الفروق بين كبار السن وصغاره من المكروبين ليست في شدة الأسى وحده ولكن في أنماط استجابية أخرى.

٢- النوع:

قليلة هي الدراسات التي تناولت الفروق بين النوعين في تحمل الفجيعة، ويعتقد بعض الباحثين أن الأرامل النساء أكثر معاناة صحيا من الذكور، بينما يعتبر آخرون أن الذكور الأرامل يواجهون مشكلات أكثر وأكبر، في حين يذهب فريق ثالث إلى عدم وجود فروق بينهما، وقد تمت هذه الموازنات على مقاييس لمعدلات الوفيات نتيجة وفاة الزوج، والأعراض البدنية والاكتئاب والاضطرابات الانفعالية والجوانب الإيجابية مثل إعادة الزواج.

وقد تبين أن الرجال أقل معاناة من النساء، وإن كان النوعان يذكران أعراضا مختلفة، فالرجال أقل معاناة للاضطرابات الانفعالية وخصوصا الاكتئاب والأعراض العصابية، وتكشف الدراسات التتبعية أنه بعد عامين إلى أربعة أعوام من الوفاة لا تظهر الأرامل النساء فروقا في درجة الاكتئاب موازنةً بالمتزوجات من العمر نفسه، بينما أظهر الرجال الأرامل درجة أعلى من الاكتئاب موازنةً بالمتزوجين من العمر نفسه. والرجال الأرامل أكثر معاناة لأنهم أكثر اعتمادًا على زوجاتهم في العلاقات الاجتماعية، وأقل خبرة في تكوين علاقات جديدة، وأقل مهارة في مواقف التفاعل الاجتماعي. وفي المقابل، فإن النساء الأرامل أكثر قدرة على طلب عون الآخرين مما ييسر عليهن وقع الفجيعة، فتقلّ فترة معاناتهن منها.

وقد لوحظ - أيضا - أن الأم تظهر حزنا أشد على وفاة ابن موازنةً بالأب، وقد يرجع ذلك لارتباط الأم بالابن أكثر. ربما لانشغال الأب في العمل معظم يومه، وربما لبدء علاقة الأم بطفلها في وقت مبكر جدا، وشعورها أنها بفقده تفقد جزءًا من نفسها.

٣- المكانة الاقتصادية الاجتماعية:

تؤدي وفاة الزوج إلى ضعف دخل الأسرة وانخفاض مكانتها، مما يزيد من الآلام المصاحبة للوفاة، حتى إن البعض يقول إن الآثار السلبية التي نعزوها إلى الترمل ليست نتيجة الترمل بقدر ما هي نتاج حالة الأرملة الاقتصادية، والتي تزيد من قلقها ومشكلاتها الصحية، إلا أن بعض الباحثين يرى أن الدخل المنخفض لايسهم مباشرة في عواقب الأسى، لكنه عامل مهيِّئ لها.

٤- سمات شخصية المكروب:

يتحدث الباحثون عن نمط من الأشخاص أكثر تهيُّؤًا للفجيعة وللأسى الناتج منها، ويتسم أفراده بأنهم خائفون، متوترون، وَجِسُون، غير مستقرين انفعاليا.

٥- الحالة الصحية قبل الفجيعة:

تظهر الآثار الحادة لوفاة محبوب لدى أشخاص يعانون مسبقا من أعراض مرضية، فالذين حاولوا الانتحار بعد وفاة عزيز عليهم، كانوا يعالجون قبل الوفاة من اضطرابات نفسية.

ب - السياق الاجتماعي

١- الأزمات المتزامنة:

تكشف البحوث أن تعدد الوفيات بالنسبة للمكروب الواحد يزيد شدة أساه، كذلك تزامن الوفاة مع أزمة مالية أو مهنية أو اجتماعية.

٢- البناء الاجتماعي:

يؤدي اضمحلال الأسرة المعتدة على المتوفَّى إلى زيادة شدة الأسى، حيث تتزايد فرص أن تعيش الأرملة أو الأرمل - مثلا - وحيدين، إما لأن الأبناء قد تزوجوا واستقلوا سكنا ومعيشة، وإما لعدم الإنجاب. ويؤدى الشعور بالوحدة إلى آلام بدنية ونفسية مصاحبة للحزن على وفاة عزيز.

كما يؤدي خلل البناء الاجتماعي إلى صعوبات الاتصال بالأقارب والأصدقاء، فلا يتمكنون من مساندة المكروب المساندة الملائمة إما لتأخر توقيت تقديمها(١٠)، وإما أن تكون دون توقع المكروب، ويزيد تجاهل الآخرين له وعدم مساندتهم من أساه ومن خطورة عواقبه.

٣- التصورات السائدة حول الموت:

تختلف مظاهر الأسى ودلالتها من مجتمع لآخر لاختلاف الإطار الثقافي الذي يشمل معايير دينية وأعرافا اجتماعية وعادات متوارثة، وجميعها تحدد الممارسات التي يقوم بها الفرد تعبيرا عن أساه لوفاة عزيز عليه، وتسمى هذه الممارسات «الحداد». وتكشف البحوث(١١) أن العرب يظهرون حزنا أقل موازنة بالغربيين وذلك لإيمانهم بالقدر، وقد أشار الدمشقي(١٢) إلى أهمية الإيمان بالقدر والصبر وعدم المبالغة في إظهار الحزن عملا بالكتاب والسنة، إذ يوجد تفاعل بين ممارسة طقوس الحداد ومشاعر الأسى، بمعنى أن عدم التزام هذه الطقوس يقلل الشعور بالحزن.

جـ - ظروف الوفاة

١- الموت المفاجئ:

وتؤدي الوفاة المفاجئة - موازنةً بالمتوقعة - إلى اضطراب طويل المدى يؤثر في التوافق النفسي والاجتماعي للمكروب، ويجعله أقل تطلعًا للمستقبل، وأقل استمتاعًا بحاضره، وبالتالي يختل دخل الأسرة نتيجة سوء التوافق اجتماعيا ومهنيا، ويصل الأمر إلى ارتفاع معدلات الطلاق في حالات فقد الأبناء. و قد أمكن تمييز زمرة أعراض يطلق عليها «الفقد غير المتوقع» وتشمل: الانسحاب الاجتماعي وعدم الاعتراف بحدوث الوفاة والارتباك النفسي والمعيشي، فالمكروبون بوفاة أحد أحبّائهم

كيف تتخفف من أحزانك؟

فجأة أكثر تعرضًا للأمراض الجسمية والنفسية ممَّن فجعوا بوفاة متوقعة، وإن كانت هناك أدلة على أن هذه الآثار تكون في المدى القريب فقط.

٢- كيفية العلم بالوفاة:

إن نقل نبأ الوفاة إلى المكروب بشكل مباشر يزيد أساه أكثر من نقله إليه مُجَزَّءًا، ربما لأن نقل الخبر على مراحل يساعد المكروب على التهيؤ للموقف.

عرضنا لبعض العوامل التي تسهم في زيادة شدة الأسى وخطورة عواقبه، ونحاول الآن معرفة الأساليب التي تعين على التخفف منه.

ثالثا: متى وكيف يتم التخفيف من الأسى؟

تستغرق عملية التخفف ما بين عام إلى عامين، وهذا التخفف يتم تلقائيا، ومن الممكن تقليل هذا الوقت والإسراع بإيقاع التخفف من خلال الكشف عن العناصر الفعالة التي تيسره فيتم الحفاظ عليها، وتلك التي تعوقه واستبعادها. وتكشف البحوث(١٢) عن عدد من الأساليب المفترض فعاليتها في التخفف من الأسى، ومنها:

١- الإفصاح عن المشاعر، أي أن يعبر المكروب عن انفعالاته الإيجابية منها والسلبية - نحو الفقيد - حتى لا يصبح الأسى مزمنا، ويصطدم هذا الإجراء مع القيود الاجتماعية في بعض المجتمعات التي لاتحبذ إظهار المشاعر عند وقوع الوفاة.

٢- المساندة الاجتماعية، ويقصد بها أي عون أو مساعدة يقدمها الآخرون للمكروب وتشعره بالراحة، سواء كانت لفظية كالتعليقات على شكوى المكروبين، أم غير لفظية كنبرة هذه التعليقات وتعبيرات الوجه والإيماءات، وما تعكس من تجاوب انفعالي وتعاطف مع المكروب، أو كانت المساعدة أدائية كزيارته (مدة الزيارة ومعدلها) والمساهمة في حل المشكلات الناتجة من الفجيعة، ويتوقف تأثير فعالية المساندة على طبيعتها ومقدارها وتوقيت تقديمها وهوية مقدمها، وكذلك على إدراك المكروب لها ومدى تناسبها مع توقعاته وملاءمتها لمرحلة الأسى التي يجتازها، ففي المرحلة الأولى حيث الأسى شديد تكون المساندة الوجدانية وخصوصا من أفراد الأسرة (الزوج أو الوالدين) مهمة جدا، وفي المرحلة اللاحقة حيث تنخفض شدة الأسى ويتهيأ المكروب للقيام بمسؤولياته الاجتماعية والمهنية، فإن مساندة الأصدقاء والزملاء تصبح أكثر أهمية. ومع أن غياب المساندة أو كونها دون توقع المكروب يزيد من شدة الأسى ومن خطورة عواقبه إلا أنه قد يثير الحافز للاعتماد على الذات أيضا.

٣- التخلي عن المظاهر الحدادية، ويعد أكثر أساليب التخفف فعالية، فالالتزام بهذه المظاهر يزيد الحزن، والتخلي عنها يقلله، حيث توجد علاقة بين طقوس الحداد ومشاعر الحزن كما سبقت الاشارة، وتؤدي الضغوط الاجتماعية - من الأهل - دورًا بارزًا في مساعدة المكروب على التخلي عن الطقوس الحدادية.

٤- الاقتداء من خلال موازنة المكروب أحزانه بأحزان الآخرين والاستفادة بخبراتهم في التخفف، وقد أشار الكندي إلى أهمية هذا الأسلوب.

٥- إدراك الجوانب الإيجابية في الموقف، وكما أشار القرآن الكريم: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾ (البقرة:٢١٦)، ويسهم الآخرون - بنصائحهم - في إعادة إدراك المكروب للموقف، وأن الخسارة مهما كانت ضخمة فإنها تنطوي على مكسب ما، وأن إدراك ذلك ييسر عملية التخفف ويعجل بها، ولعل أكبر المكاسب هو زيادة القدرة على تحمل المصائب اللاحقة، إذ تعد أهون من وفاة عزيز. وكما قال الشاعر:

لقد جر نفعا فقدنا لك أننا
أمنا على كل الرزايا من الجزع

٦- الممارسات الدينية: فقد تبين أن لقراءة القرآن الكريم دورًا كبيرًا في تقليل الحزن الناتج من وفاة عزيز، ومرجعُ ذلك أن القرآن يتضمنُ آيات تحث على الايمان بالقدر والرضا بالقضاء، والصبر عند المصاب، والوعد بالإثابة (الجنة) لمن صبر، والوعيد بالعقاب (النار) لمن لايرضي بقضاء الله. ولهذا الإيمان دوره الكبير، ليس في هذه الحالة فقط - الحزن - وإنما هو وسيلة للاحتفاظ بالصحة النفسية وتحمل المشاق. وأحد مكاسب وفاة عزيز- الأسلوب السابق - الشعور بالقرب من الله.

٧- الاستبدال، كأن تستبدل الأرملة بدورها كأرملة دورها كامرأة عاملة، ودورها كأم بدورها كزوجه، أي تعوض فقدها لمحور نشاطها (الزوج) بتكثيف أنشطتها في محاور بديلة كالعمل والاهتمام بالأولاد والتقرب إلى الله والزواج اللاحق.

٨- تقليص الروابط الوجدانية مع الفقيد تدريجيا، ويتم ذلك بواسطة تجنب التحدث عنه مع الآخرين وتجنب وضع ما يذكر المكروب به في تناول اليد كمتعلقاته الشخصية أو صوره، فهذه كلها مهيِّجات للأسى.

عرضنا لأساليب التخفف من الحزن، وتعتمد غالبا على مبادرة شخصية من المكروب، فالتسليم بالواقع - الفقد - ومواجهة مقتضياته، وإدراك الجوانب الإيجابية فيه، والنفور من الطقوس الحدادية والتخلي عنها، وتكريس الجهد في أنشطة بديلة (العمل - الاهتمام بالأولاد - التدين ..الخ) وتقليص الروابط الوجدانية بالفقيد، كل هذا يعتمد على مبادرة المكروب ورغبته في التعجيل بعملية التخفف من الحزن، ويكاد يقتصر دَوْرُ الآخرين على تشجيع المكروب إذا بادر باتخاذ خطوة ما. خلاصة القول إن التخفف من الحزن عملية ذاتية في المقام الأول.

الهوامش

١- انظر مقال: J.PENNBAKER وآخرين «تعجيل عمليات التغلب على الأسى». المنشور بمجلة «الشخصية وعلم النفس الاجتماعي» (تصدرها: جمعية علم النفس الأمريكية) مجلد ٩٨: ٥٢٨ - ٥٣١، ١٩٩٠م.

٢- حتى إن المجلات العلمية المتخصصة مثل: (SOCIAL ISSUES) تخصص أعدادا كاملة لمثل هذه الدراسات.

٣- يذكر ابن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ) في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» بيروت: دار مكتبة الحياة (د.ت) أن لابن سينا (ت:٤٢٨هـ) رسالة عنوانها «ما الحزن وما أسبابه».

٤- انظر: أبا الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧) «روح الأرواح»، القاهرة: المطبعة العلمية ١٩٨١م، الفصل السادس.

ر: أبا زيد البلخي «مصالح الأبدان والأنفس». معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ص ٣١٤ - ٣٣٣، ١٩٨٤م.

٧- انظر: كتاب ابن ناصر الدين الدمشقي «برد الأكباد عند فقد الأولاد»، القاهرة: مطبعة المدني.

٨- انظر مقال: S. ZISOOK & S. SHUCHTER «الاكتئاب خلال العام الأول بعد وفاة الزوج»، المجلة الأمريكية للطب النفسي، مجلد ١٤٨: ١٣٤٦ - ١٣٥٢، ١٩٩١م.

٩- انظر مقال M. STROEBE وآخرين «قلوب محطمة أو روابط قطعت»، مجلة «الإخصائي النفسي الأمريكي»، مجلد ٤٧: ١٢٠٥ - ١٢١٢، ١٩٩٢م.

١٠- انظر: عبد المنعم شحاته وطريف شوقي «التغلب على الأسي الناتج عن وفاة ابن»، مجلة علم النفس ٢٨: ١٠٠ - ١١٠، ١٩٩٣م.

١١- وكما يقول المثل المصري: «يامعزي بعد سنة يامجدد الأحزان».

١٢- الدمشقي، ص١٤، ص٣١.

١٣- انظر: طريف شوقي وعبد المنعم شحاته «التخفف من الأسى الناتج عن وفاة الأزواج» مجلة علم النفس، ٣١، ١٩٩٤م.



جائزة الملك فيصل العالمية

للأدب العربي عام ١٩٩٦م

(أدب الرحلات في التراث العربي تحقيقا أو دراسة)

والدراسات الإسلامية عام ١٩٩٦م

(الدراسات التي عنيت بالسيرة النبوية)

دعوة ترشيح

يسر الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية أن تدعو الجامعات والمؤسسات ومراكز البحوث العلمية في جميع أنحاء العالم لترشيح من تراه مستحقًا لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي والدراسات الإسلامية وذلك وفق ما يلي:

١- أن يكون العمل المرشح:
أ- منشوراً، وأصيلاً في موضوع الجائزة.
ب - مفيداً للبشرية، ومثريًا لفكرها.
٢- أن يشتمل الترشيح على:
أ- خطاب رسمي من الجهة المرشحة .
ب - نص على العمل المرشح، وتبرير لترشيحه.
ج - ست نسخ من العمل المرشح.
د - بيان مطبوع عن حياة المرشح العلمية والعملية، وقائمة بعناوين أعماله المنشورة.
هـ - ثلاث صور شمسية حديثة وملونة.
و - عنوان المرشح وأرقام الهاتف والفاكس والتلكس.
٣- آخر موعد لقبول الترشيحات السادس من ربيع الآخر ١٤١٦هـ (الموافق ١ سبتمبر ١٩٩٥م).
٤- تخضع الترشيحات لقرار لجنة الاختيار.
٥- يجوز أن يشترك في الجائزة فائزان أو أكثر.
٦- تعلن أسماء الفائزين في شهر شعبان ١٤١٦هـ (يناير ١٩٩٦م). وتمنح الجائزة في احتفال رسمي يحدد زمانه ومكانه في وقت لاحق.
٧- لايقبل الترشيح إذا:
أ- كان فرديا أو من أحزاب سياسية
ب - كان غير مستوف لشروط الجائزة
٨- تتكون الجائزة من:
أ- شهادة (براءة) تحمل اسم الفائز وملخصًا للأعمال التي أهلته لنيل الجائزة.
ب - ميدالية ذهبية.
ج - مبلغ (٣٥٠,٠٠٠) خمسين وثلاث مئة ألف ريال سعودي.
٩- لا تعاد أوراق الترشيح والأعمال المرشحة إلى مرسليها، فاز المرشحون أو لم يفوزوا.
١٠- ترسل الترشيحات بالبريد الجوي المسجل إلى :

الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية
ص.ب: (٢٢٤٧٦) - الرياض ١١٤٩٥
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ (١) (٩٦٦)
فاكس: ٤٦٥٨٦٨٥ (١) (٩٦٦)
تلكس: ٤٠٤٦٦٧ PRIZE SJ
برقيا: جائزة

لمحات عن الحركة التعليمية في منطقة الأحساء

(٢)

د. محمد بن عبد اللطيف آل ملحم

٢ـ المدخل الثاني

منذ الستينيات من القرن الهجري الماضي و«مقاطعة الأحساء» فخورة بنمو الحركة التعليمية وتطورها فيها من خلال تجربة «مدرسة الأحساء الابتدائية» التي تأسست في منتصف الخمسينيات من القرن نفسه، والتي كانت منذ أن شبت عن الطوق قلعة علم، وجامعة معارف، ومنتدى سُمّار، ومحط أنظار كل من زار مقاطعة الأحساء ـ آنذاك ـ من حكام، وأمراء، وموظفين، وأدباء، ورجال صحافة، ورجال تربية وتعليم بغرض تعرف أوضاع الثقافة والعلم فيها.

وكانت صحافة الحجاز وهي: «صوت الحجاز»، و«البلاد السعودية»، و«المدينة المنورة»، و«أم القرى» قنوات «توثيق» لحركة التعليم في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز.

والأدلة على ما ذكرته سوف تتوالى في نمط تاريخي متسلسل منذ تأسيس أول مدرسة ابتدائية في مقاطعة الأحساء في مدينة الهفوف في عام ١٣٥٦هـ، إذ عَبَّر أكثرُ من شاعر في ذلك العام عن فرحة مجتمع الأحساء بافتتاح مدرسة ابتدائية بديارهم، وكان منهم ـ على سبيل المثال ـ الشاعر وقاضي بلدة المبرز وأول رئيس لمجلس المعارف بالأحساء ـ فيما بعد ـ الشيخ محمد بن عبدالله آل عبدالقادر الذي حبَّر قصيدة من أبياتها:

لِسَانُ الشَّعْبِ يَصْدَحُ بِالتَّهَانِي
وَنُورُ الأُنْسِ أَشْرَقَ فِي المَغَانِي
وَأَعْلَنَتِ البَشَائِرُ فِي سُرُورٍ
عَلَى مَا تَمَّ مِنْ نَيْلِ الأَمَانِي
أَلاَ أَهْلاً بِيَومِ الفَتْحِ أَهْلاً
فَلَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ فِي الزَّمَانِ
جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ احْتِفَالٌ
وَتُتْلَى فِيهِ أَشْعَارُ الزَّمَانِ
بِمَدْرَسَةٍ زَهَتْ فِي أَرْضِ هَجْرٍ
تَفُوقُ بِحُسْنِهَا كُلَّ المَبَانِي
عُلُومُ الدِّينِ، والآدَابِ شِيدَتْ
بِآدَابٍ، وَأَخْلاقٍ حِسَانِ
فَلَبُّوا دَعْوَةَ الدَّاعِي إِلَيْهَا
وَحُلُّوا عَنْكُمُ قَيْدَ التَّوانِي
فَإِنَّ العِلْمَ أَفْضَلُ كُلِّ شَيءٍ
وَيَهْدِيكُم إِلَى سُبُلِ الجِنَانِ
فَذُو العُرْفَانِ لَوْ يَفْنَى فَحَيٌّ
وَرَبُّ الجَهْلِ لَوْ يَحْيَا فَفَانِ

وَحَبَّر الأستاذ الأديب أحمد المبارك قصيدة عصماء بمناسبة افتتاح المدرسة، ومن أبياتها:

افْتَحِ البَابَ، وَحَيِّ الدَّاخِلِينْ
وَادْعُ بِاسْمِ العِلْمِ أَشْبَالَ العَرِينْ
كُلُّ مَجْدٍ لَمْ يُعَزَّزْ فِي غَدٍ
بِقُوَى العِلْمِ، ذَلِيلٌ مُسْتَكِينْ!
يَا فَتَى الأَحْسَاءِ شَمِّرْ، لا تَهِنْ
وَاطْلُبِ العَلْيَاءَ بِاللهِ المُعِينْ
لا تَقُولُوا الدَّهْرَ، أَوْ حَادِثَهُ
إِنَّمَا الدَّهْرُ بِأَيْدِي النَّاهِضِينْ
سَلْ «جَوَاثَى»، والرَّزَايَا جَمَّةٌ
هَلْ وَرَاءَ الجَهْلِ مِنْ دَاءٍ دَفِينْ؟
سَيُجِيبُ الصَّمْتُ مِنْ أَطْلالِهَا
وَجَلالُ الصَّمْتِ نُطْقُ الصَّامِتِينْ
أَيَرُومُ المَجْدَ فِي الدُّنْيَا فَتًى
عَاشَ غُفْلاً فِي زَوَايَا الخَامِلِينْ!
إِنَّمَا المَجْدُ لِشَهْمٍ بَاسِلٍ
أو لِسَانٍ فَيْصَلٍ فِي النَّاطِقِينْ
وَلَنَا اليَوْمَ رَجَاً فِي «عَاهِلٍ»
فَاتِحٍ فِي شَعْبِهِ الفَتْحَ المُبِينْ
هَذِهِ «الأَحْسَاءُ» لَوْلاكَ غَدَتْ
نُهْبَةً سَائِغَةً لِلطَّامِعِينْ
مَثَّلَ الدَّهْرُ عَلَى مَسْرَحِهَا
عِبَراً شَتَّى تَرُوعُ النَّاظِرِينْ
وَلَكَ البُشْرَى فَذِي مَدْرَسَةٌ
مَلْجَأُ العِلْمِ، وَغَابُ الطَّامِحِينْ
كُتِبَ العِلْمُ عَلَى جُدْرَانِهَا
ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينْ
وَاخْرُجُوا مِنْهَا كَمَا شَاءَ الهُدَى
وَأَعِيدُوا مَجْدَهَا الزَّاهِي الثَّمِينْ
يَا شَبَابًا صَبَرُوا، وَاجْتَهَدُوا
فَغَدَوْا مَفْخَرَةَ المُفْتَخِرِينْ
فَهَنِيئًا لَكُمُو مَا نُلْتُمُو
مِنْ نَجَاحٍ كَانَ مَعْدُومَ القَرِينْ
وَحِّدُوا سَعْيَكُمو، وَاتَّحِدُوا
فِي ظِلالِ المَلِكِ البَرِّ الأَمِينْ

كما أقيم حفل بهيج بمناسبة افتتاح مبنى المدرسة في الأول من محرم عام ١٣٦٠هـ، ترأسه وكيلُ سمو أمير مقاطعة الأحساء، وأشادت بهذا الحفل كلٌّ من جريدة «أم القرى» في عددها رقم ٨٤٣، (١٣٦٠/١/١٨هـ)، وكذلك جريدة «صوت الحجاز» في عددها رقم ٥٥٣، (١٣٦٠/٢/٧هـ)، وذكرت صحيفة «صوت الحجاز» التي وصفت وقائع الحفل بأن من بين الخطباء في الحفل الشيخ «بكر ناظر»، الموظف في مالية الأحساء الذي ألقى كلمة

لمحات
عن الحركة التعليمية في منطقة الأحساء

نصيحة إلى طلبة المدرسة.

وبعد شهرين من افتتاح مبنى المدرسة - أي في شهر ربيع الثاني من عام ١٣٦٠هـ - زار المدرسة معالي وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان الحمدان، حيث أقيم له فيها حفل بهيج، ألقى فيه معاليه كلمةً جاء فيها: «إن الفضل الأكبر في إنشاء هذه المدرسة يعود لجلالة الملك، حيث بفضل تشجيعه وعطفه قامت هذه المدرسة»، ثم أجاب معاليه على ما جاء في خطاب الطلبة الذين التمسوا من معاليه مساعدة المدرسة وتعضيدها قائلاً: «إن ذلك من أهم واجبات الحكومة التي لن تغفل عنها»، ثم وجه معاليه الخطاب إلى جمهور الحاضرين طالبًا منهم الاهتمامَ بتعليم أبنائهم وتثقيفهم، وأن لايتهاونوا في ذلك، إذ إن الأيام قد تطورت، وأصبح هذا العصرُ عصرَ العلم والتقدم، ولايمكن أن ينجحَ فيه غيرُ المتعلم، وأنه قد مضى ذلك الزمن الذي كان الناس يعتمدون فيه على ما خلف لهم آباؤهم من مال وجاه، ويعدون التعليم أمرًا ثانويًا.(١)

وزار مدرسةَ الأحساء الابتدائية الأستاذُ محمد علي أسد الله الكاظمي - خريج المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة في عام ١٣٤٩هـ - الذي كان في رحلة استجمام في الأحساء في شهر ربيع الأول من عام ١٣٦٠هـ، ودار الزائر أسد الله على فصول المدرسة بصحبة الأستاذ عبد الجليل الحلبي، وكان من رأي الزائر أن بناية المدرسة تشبه بناية المدرسة المباركية في الكويت.

واجتمع الأستاذ أسد الله كذلك بالشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي الذي كان - آنذاك - مساعداً لرئيس مجلس المعارف بالأحساء.

كذلك زار الأستاذ أسد الله مدرسة الأحساء الابتدائية في يوم آخر - أي في يوم ١٣٦٠/٤/٥هـ - وكان بإدارة المدرسة الأساتذة عبد الرؤوف الصبان، و عبدالوهاب نائب الحرم اللذان كانا في مهمة تفتيشية في مقاطعة الأحساء، وأفاد الأستاذ أسد الله بأنهما رحبا به بصفته قادمًا من مكة المكرمة، ثم تحدث الأستاذ عبد الوهاب نائب الحرم، وكانت أحاديثه كلها تدور حول نعمة الأمن التي شملت الربوع، والمناطق، والبلاد التي يحكمها جلالة الملك عبدالعزيز كافة، وعن مكارم أخلاق جلالته، وكيف أكرم وفادته عندما قدم عليه، وأنه عاش في استنبول ٢٣سنة، ومع ذلك لايجد في نفسه حنينًا لا إليها، ولا إلى أي بلد أوربي، ولا إلى مصر، بل يحن ويشتاق أن يزور بلاد عسير، وأرض حائل، وأن يكرر زيارة الأحساء، وأن يزور بقية الأراضي في المملكة.(٢)

وزار مدرسة الأحساء الابتدائية معالي أمير مقاطعة القطيف - آنذاك - الأمير خالد بن أحمد السديري. وعن وقائع هذه الزيارة تحدثت جريدة أم القرى في عددها رقم ١٠٥٩ وتاريخ ١٣٦٤/٧/٥هـ.

وزار المدرسة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد، وفي وصف لهذه الزيارة قالت جريدة أم القرى في عددها رقم ١٠٦٣ وتاريخ الجمعة ١٣٦٤/٨/٣هـ - من بين أمور أخرى - ما يلي:-

«بمناسبة تشريف حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد وحضرات أصحاب السمو إخوانه الأمراء «الأحساء»، أقامت مدرسة الهفوف احتفالاً رائعًا ترحيبًا بسموه الكريم، حضره ما ينيف على ألف شخص من علماء البلاد، وأغنيائها، وكبار موظفيها، وقد كانت المدرسة - في تلك الليلة ويومها - تلبس ثوبًا قشيبًا من الزينة داخلاً وخارجًا، وكانت الأعلام العربية الخفاقة ترفرف على شرفاتها، وقد مُثّلت في الحفل بعضُ الروايات العربية، والمحاورات الطريفة التي كان لها أحسن الأثر، وأجمل الوقع في نفوس الحاضرين، كما كان الخطباء والشعراء يُقَاطَعُونَ بالتصفيق الحاد والاستحسان، وقد كانت فرقة الأناشيد تشنف الأسماع بين الفينة والأخرى بأناشيدها الرائقة.

ثم تفضل سمو الأمير المعظم بتسليم شهادات ناجحي العام الماضي إلى أربابها بيده الكريمة، وبعد ذلك خرج سموه مشيَّعًا بمثل ما قوبل به من التحية والإكرام».

وكان من بين الأناشيد التي ألقاها الطلبة في حفل استقبال صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد وصحبه الكرام النشيد التالي:-

إنَّ عَهْدَ الظُّلْمِ وَلَّى
وأَتَى عَصْرُ السُّعُودْ
فَجَمِيعُ العُرْبِ أَضْـ
حَوا فِي أَمَانِ ابْنِ السُّعُودْ
قَدْ أَقَامَ الشَّرْعَ فِينَا
وَوَفَانَا بِالعُهُودْ
فَأَمِنَّا، وَسَعِدْنَا
وَلَهُ الفَضْلُ يَعُودْ
سَيَنَالُ الشَّعْبُ عِزًا
دَائمًا رَغْمَ الحَسُودْ

«وزار جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - يرحمه الله - مقاطعة الأحساء في يوم الأربعاء ١٣٦٦/٣/٧هـ - كما ورد في جريدة «البلاد السعودية» -، وحال وصول جلالته مطار الأحساء المؤقت القريب من عين نجم استقبله أمير الأحساء، سمو الأمير سعود بن جلوي وأعيانها، وتقدم معتمد المعارف الأستاذ عبدالعزيز التركي فألقى كلمة قيمةً نالت الاستحسان، ثم ألقى طلاب من مدرسة الأحساء الابتدائية وهم: «إبراهيم المنقور» الذي ألقى قصيدةً رائعة، و«عبدالله الحقيل» الذي ألقى كلمةً، و«عبدالرحمن الحقيل» الذي ألقى قصيدةً جميلة، و«خالد العبدالقادر» الذي ألقى قصيدةً أخرى جيدة، وأخيراً «عبدالرحمن الخوفي» الذي ألقى قصيدة ذات وقع حسن»(٣)

«وفي يوم السبت الموافق ١٣٦٦/٣/١٠هـ تناول جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله - كما ورد في جريدة «البلاد السعودية» - طعام الغداء على مائدة آل القصيبي، وفيها ألقى طالبان من مدرسة الأحساءالابتدائية وهما: محمد المنقور، وعبد الرحمن الزامل قصيدتين أمام جلالته على التوالي».(٤)

واعتاد أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة وموظفوها القيام برحلات إلى بساتين الأحساء، وكذلك إلى عيونها المشهورة، أو إلى جبالها، أو إلى خارج مدينة الهفوف حسب مقتضيات المناخ للفسحة والمتعة. وكان من أهم ما يشجع هيئة التدريس بالمدرسة للقيام بمثل هذه الرحلات قدوم زائر من رجالات التربية والتعليم في «الحجاز» للمدرسة، حيث يتم الاحتفاء به في أحد مرابع الأحساء الغنّاء.

وعلى سبيل المثال زار السيد أحمد العربي - أحد رجالات التعليم بالحجاز - مقاطعة الأحساء في عام ١٣٦٨هـ، ومعه وفد من الحجاز لتعرف معالم البلاد، وكان من هذه المعالم التي زارها معتمدية معارف الأحساء، وكذلك « مدرسة الأحساء الابتدائية» التي أعدت له ولرفقائه دعوةً في إحدى مزارع الأحساء، وحَيّا المدرس بالمدرسة الأستاذ عبدالله بن الشيخ علي المبارك أعضاء الوفد، وعلى رأسهم السيد أحمد العربي بقصيدة من أبياتها:(٥)

عَبَقُ الحَدَائِق، وَالنَّخِيلِ، وَظِلُّهَا
يَتَملَّكُ الشُّعَرَاءَ، وَالكُتَّابَا
البُلْبُلُ الغِرِّيدُ رَتَّلَ لَحْنَهُ
وَالجَدْوَلُ الخَلاَّبُ فِيهِ انْسَابَا
إنَّا لَنَعْجَبُ بالنَّخِيلِ وَظِلِّهَا
وَنَرَى بِهَا بَعْدَ العَنَاءِ مَثَابَا
وَاليَوْمَ حازَ بَهَاءَهَا، وجَمَالَهَا
وَفْدٌ مِن «البلد العَتِيقِ» اجْتَابَا
السَّيِّد العَرَبِي فيه يُجِلُّهُ
عِلْمٌ، وتَجْرِبَةٌ تَفِيضُ صَوَابَا
أَبْنَاءُ «مَدْرَسَةِ الحَسَاءِ» تَحُوطُكُمْ
شِعْراً، وَقَدْرُكَ يَسْتَحِقُ «كتابا»
هَذِي تَحِيَّتُنَا إِلَيْكَ نَزُفُّهَا
وَتُشِيدُ باسْتِقْبَالِكُمْ إعْجَابَا

وكذلك اعتاد رجالات معتمدية المعارف في الأحساء والمشرفون على شؤون مدرسة الأحساء الابتدائية القيام برحلات إلى مغاني الأحساء وربوعها.

وعلى سبيل المثال قام رئيس مجلس المعارف بمقاطعة الأحساء الشيخ محمد بن عبدالله آل عبدالقادر برحلة إلى عين أم سبعة مع ثلة من أصحابه، وعن هذه المناسبة - حيث ضفاف عين أم سبعة وأنهارها السبعة الثرة، وكثبان رمالها

الذهبية النقية - حَبَّرَ قصيدة من أبياتها:(٦)

رَعَى اللّهُ يَوْمًا قَدْ طَوَيْنَا نَهَارَهُ
بِكُثْبَانِ رَمْلٍ زَيَّنَتْهَا الجَدَاوِلُ

تَجُودُ عَلَيْهَا دَائِمًا «أُمُّ سَبْعَة»
بِمَاءٍ كَبِلُّورٍ جَلَتْهُ الصَّيَاقِلُ

يَزِيدُ عَلَى بَرْدِ الشِّتَاءِ تَوَقُّدًا
كَأَنَّ بِذَاكَ المَاءِ تَغْلُو المَرَاجِلُ

كَأَنَّ جُمُوعَ النَّخْلِ فِي عَرَصَاتِهَا
صُفُوفُ عَذَارَى جَمَّلَتْهَا الغَلائِلُ

إِذَا رَوَّحَتْ رِيحُ الشَّمَالِ، رُؤُوسُهَا
تَمِيلُ كَمَا مَالَ المُحِبُّ المُوَاصِلُ

فَيَا حَبَّذَا بَرْدُ النَّسِيمِ بِظِلِّهَا
وَيَا حَبَّذَا ذَاكَ النَّقَا، وَالمَنَازِلُ

أَدَرْنَا كُؤُوسَ الشَّايِ فِيهَا كَأَنَّهَا
نُجُومٌ تَلالاً لِلسُّرُورِ، وَسَائِلُ

وَعَزَّزَهَا السَّاقِي بِبُنٍّ حَكَى لَنَا
لَمَى شَفَةِ الحَسْنَا، فَنِعْمَ المَنَاهِلُ

بِأَجْمَعِهَا نَجْنِي الهُمُومَ، وَنَجْتَنِي
ثِمَارَ الهنا والأنس، والكلُّ حاصلُ

بِإِخْوَانِ صِدْقٍ زَيَّنُوا كُلَّ مَحْفَلٍ
فَمَا مِنْهُمُو إِلاَّ سَخِيٌّ، وَفَاضِلُ

وزار المدرسة وفد مصري في عضويته الدكتوره «بنت الشاطئ» في عام ١٣٧٠هـ، وكنت وقتها طالبا في الصف الخامس بالمدرسة، لقد استقبلنا أعضاء الوفد ونحن في غبطة وسرور، ورددنا الأناشيد المدرسية أمامهم، وكان من بين هذه الأناشيد المقطوعة التالية:

طَابَتِ النَّفْسُ سُرُورًا
بِلِقَا الوفد الكِرامْ

مَرْحَبًا، أَهْلاً، وسَهْلا
مَعْشَرَ القَوْمِ الفِخَامْ

زُدْتُمُونَا اليَوْمَ أُنْسًا
فانْجَلَى عَنَّا الظَّلامْ

نَحْنُ مِنَّا أَلْفُ شُكْرٍ
وَمِنَ اللّه السَّلامْ

وعلى إثر انتهاء النشيد وكلمات الترحيب من هيئة التدريس بالمدرسة، تحدث أحد أعضاء الوفد - وربما كان الأستاذ أمين الخولي في صوت جهوري متهدج وذي رنين ونحن في صفوفنا بفناء المدرسة وقوفًا - عن مشاعر الغبطة بهذه الزيارة، وعن حسن الحفاوة التي استقبلوا بها بمنطقتي الحجاز، والأحساء، مع حث الطلاب الواقفين أمامهم على التزود بالعلم، والحرص على مواصلة الدراسة إذ هم بناة المستقبل.

وفي المحرم من عام ١٣٧١هـ زار معالي وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان الحمدان مقاطعة الأحساء، وبرفقته وفد صحفي مكون من مندوب جريدة «أم القرى»، الأستاذ محمد علي بابصيل، ورئيس تحرير جريدة «المدينة المنورة»، ورئيس تحرير جريدة «البلاد السعودية» ومندوب من الإذاعة السعودية، وكان من بين الأماكن التي حرص الوفد الصحفي على زيارتها مدرسة الأحساء الابتدائية، حيث زارها الوفد ظهر يوم الجمعة الموافق ١٣٧١/١/٢٥هـ بصحبة معتمد المعارف بـ «مقاطعة الأحساء» الأستاذ عبدالعزيز بن منصور التركي، وقابل الوفد مدير المدرسة، وأساتذتها الذين طافوا بهم على غرف المدرسة، وفصولها، وأقسامها ومحتوياتها، فسرهم ما شاهدوه فيها من نظام وترتيب، وذكر أعضاء الوفد أن عدد طلاب المدرسة يزيد على ستمائة (٦٠٠) طالب، وأسفوا لضيق وقتهم حيث إن زيارتهم للمدرسة جاءت في غير وقت الدراسة حيث لم يشاهدوا الطلاب في فصولهم.(٧)

وكان من بين الوفد الصحفي الأستاذ عبدالله عريف الذي كان - آنذاك - رئيسا لتحرير جريدة «البلاد السعودية»، وبمناسبة زيارته للأحساء كتب سلسلة من المقالات تحت عنوان «رحلتي إلى المنطقة الشرقية - كنتُ في الأحساء»، وكنتُ وقت نشر الأستاذ عبدالله عريف هذه المقالات طالبا في الصف السادس بمدرسة الأحساء الابتدائية، وكانت تلك المقالات - التي مضى عليها أربعة وأربعون عامًا - ذات طابع صحفي، تحدث الأستاذ عبدالله عريف فيها عن مشاهداته وانطباعاته عن الأحساء حيث كان يزورها لأول مرة، وكنت أتابع قراءة تلك المقالات بشغف، وأكثر ما شدني إليها أسلوب الإثارة الصحفية إذ خيل للكاتب أنه في كل ما كان يكتبه عن انطباعاته عن الأحساء كأنه يكتشف أسرارًا لأول مرة، ولعله كان مُحقًّا في ذلك، وذلك لعدم وجود مصنفات تاريخية، وأدبية، وجغرافية تتحدث عن جغرافية الأحساء، وتاريخها، وعاداتها، وتقاليدها، ومزارعها، ولهذا يبقى ما كتبه على عجل - كمادة صحفية تنشر في صحيفة يومية آنذاك - وثيقة حية تتحدث عن فترة مضت، وهي فترة لعل الجيل المعاصر من أبناء محافظة الأحساء لا يعلم عنها كثيرا. يقول الأستاذ عبدالله عريف في العدد رقم ١١٠٦ وتاريخ ١٣٧١/٢/٢٧هـ من الجريدة:

«على الرغم من أن الرحلة من الرياض إلى الأحساء أو على الأصح إلى الهفوف عاصمة الأحساء الإدارية كانت بطريق الخط الحديدي، وكانت صعبة بعض الشيء... فقد شعرت براحة نفسية عندما غادرنا القطار، وتلقانا المستقبلون الذين تجمعوا لاستقبال معالي وزير المالية وعلى رأسهم الأمير عبدالعزيز بن سعود بن جلوي، نجلُ أمير مقاطعة الأحساء - وكبار موظفي المنطقة وتجارها. وقبل أن أحدثك عن سمو الأمير، وعما لقيناه من حفاوة هي في الواقع - والحق يقال - بعض آثار الحفاوة بالوزير، ومن حفاوة خاصة بنا، لابد أن أقول كلمة عن الأحساء نفسها، وهي - كما لا أحتاج أن أقول - المنطقة الغنية بالبترول والتي أضافت إلى بلادنا سمة جديدة - غير سمات مقدساتها وتاريخها - تُعرف بها الآن في أوربا وأمريكا، وهي سمة الزيت».

وعن معالم الأحساء ومغانيها تحدث الأستاذ عبدالله عريف في مقالاته عن جبل القارة، وبعض العيون مثل عين نجم، وعين الحقل، وعين الجوهرية، وتضمنت هذه المقالات بعض الطرائف. ومنها أنه حينما طُلبَ منه وصحبه أن يقوموا بزيارة لعيون «الأحساء» كشف لصحبه أنه لايجيد السباحة، وفي هذا الخصوص أردف قائلاً:

«وأنا إنسان لايجيد السباحة مطلقًا، وكيف أجيدها وأنا من أبناء مكة الصحاح؟ ومكة - إلى ما قبل العهد السعودي - لاتجد الماء للشرب إلا بكل صعوبة.. فكيف بعدها السباحة؟.. وحتى البركة الصغيرة التي في أطراف مكة كنت دائم النفور منها بحكم الوراثة.. فآبائي من هذيل كانوا لايجدون الماء في ديارهم بجنوب مكة إلا بعد مسيرة أيام، وأحسب أن كثيرًا منهم لايعرفون الاستحمام إلا في كل شهر مرة، أو مرتين.. ولذا أجدني مفتونًا ببيت ابن الرومي حين دعي لركوب سفينة:-

وَيَبْلُغُ إِشْفَاقِي مِنَ المَاءِ أَنَّنِي
أُمِرُّ بِهِ فِي الكَأْسِ مَرَّ المُجَانِبِ».

ثم يواصل الأستاذ «عريف» حديثه عن عيون «الأحساء» حيث بدأ بعين نجم واصفًا إياها بأنها:

«عين معدنية ذات ماء كبريتي، شديد الحرارة، يقول الأطباء عنها: إنها ضد كثير من الأمراض ومنها الروماتزم، وقد استشفى بها صاحب الجلالة الملك قبل سنوات، وقد عدنا إلى عين نجم ثلاث مرات، وبعد ذلك استحممنا بها، ولاتعجب أيها القارئ من شجاعتي، فالماء عند منبعها مقام عليه غرف للاستحمام، وهو لايتجاوز في ارتفاعه أكثر من عشرة سنتيمترات، ولكني ظللت أكثر من عشر دقائق أضع رجلاً تارة، وأرفعها تارة أخرى لشدة الحرارة حتى تعودته».

وعن الحياة الاجتماعية في الأحساء قال الأستاذ عبدالله عريف: «إن الحياة الاجتماعية بها لاتختلف عنها في غيرها من مناطق المملكة، وقد كان لوجود موظفين كثيرين من الحجاز ومن مُدُنه المختلفة بعض التأثير في تطور الحركة الاجتماعية هناك، وإن كانت الاتصالات بينهم ضعيفة حيث إن سهراتهم كانت نادرة جدًا».

ويبرر الأستاذ «عريف» هذا الوضع قائلاً: «بأن هذا طبيعي لمنطقة زراعية يعمل أهلها في حقولهم أو تجارتهم نهارًا كاملاً، ثم يأوون مع أهليهم وذويهم ليلاً».

«للحديث بقية»

الهوامش:

١- راجع جريدة «المدينة المنورة»، العدد رقم ١٦-٢٠٣، في ١٣٦٠/٦/١٣هـ.
٢- المرجع السابق.
٣- جريدة البلاد السعودية، ص٢، تاريخ ١٣٦٦/٣/١٢هـ.
٤- جريدة البلاد السعودية، ص٢، تاريخ ١٣٦٦/٣/١٩هـ.
٥- هذه القصيدة والتي تليها محفوظة في وثيقة ضمن أوراقي.
٦- راجع تحفة المستفيد، ص٤٩.
٧- جريدة أم القرى، العدد ١٣٩٢، وتاريخ ١٣٧١/٣/٢٢هـ.

العنوان: ذكريات طفل وديع.
المؤلف: عبدالعزيز الربيع.
الناشر: نادي المدينة المنورة الأدبي، ط٢، ٢٨٠ص.


عبد العزيز الربيع



تندرج كتابة الذكريات تحت فن السيرة الذاتية، وكلما عبّر هذا الفن الذاتي بصدق، تكشّفت فيه معالم وأبعاد مثيرة من شخصية كاتب الذكريات أو السيرة الذاتية.

ولهذا سنضرب صفحًا عن الجوانب الأخرى لتلك الذكريات مما لا تفيدنا شيئًا في جانبها الفني، وإن كانت ذكريات عبدالعزيز الربيع عن طفولته وبيئته وتعليمه تزخر بالمعلومات التي تصلح لأن تكون وثيقة تاريخية عن المدينة المنورة، والحرم النبوي، وهما بيئة عبدالعزيز الربيع يوم كان ذلك الطفل الوديع. والكلام عن تلك المعلومات يخرجنا عن منهجنا الفني في تحليل السيرة الذاتية، والوقوف عند خصائص شخصية صاحبها وسماتها، وبخاصة النفسية والاجتماعية. على أننا يجب ألا نغفل تلك المعارف والمعلومات مما لها صلة ووقع نفسي ووجداني على أديبنا الربيع، مثل كلامه عن الحرم، والصلاة، وتلاوة القرآن وحفظه فيه، ووسائل الترغيب والتشجيع على ذلك، فضلاً عن المدارس والكتاتيب والمواد الدراسية فيهما، ووسائل الترهيب من عقوبات مسيئة للتربية والشخصية، ثم الحي الذي يقطنه، وغيرها، مما يساعدنا ذلك كله على الوقوف عند نقاط وصوىً قد ترسم لنا شخصيته الوديعة وتحددها، وإن كان صاحبها يكره تلك الوداعة فيه: «ماكرهت شيئًا في حياتي كرهي للوداعة في هذا الطفل». وقد ذكر في مقدمته أن الأدباء والنقاد الذين تعرضوا لدراسة كتابه أرادوا بالوداعة غير التي أرادها. ربما كان يريد بها الضعف الذي فُطِرَ عليه، أو الخوف أحيانًا، أو السذاجة، أو البراءة والانصياع إلى الفطرة، أو عدم معرفة (الشقاوة) التي يتميز بها كثير من الأطفال والفتيان، وحتى الشباب. إن الأديب الربيع لم يشر إلى واحدة من هذه السمات الشخصية التي لازمته في طفولته، ولكننا نحسها فيه، أو يحسها هو في تكوينه النفسي والشخصي، وقد عبّر عنها على نحو ما، كما سنقف عندها في هذه العجالة الفنية والفكرية، وإن كنا نعثر أحيانًا على بعض المفارقات في شخصيته، قد تخرجه من دائرة الوداعة.

وقعت له، مثلاً وهو في حوالي الثانية عشرة من عمره، حادثة مؤلمة موجعة، إذ بينما كان يسير في الحرم متجهًا إلى الروضة، التفّت إحدى رجليه على الأخرى، وسقط سقطة عنيفة، ثم استطاع بعدها أن يقف ويواصل السير دون أن يشعر بألم من شدة الإصابة، لكن الوجع يداهمه، فيصف حالته قائلاً: «وقضيت ليلة ليلاء أمضتها والدتي بجانبي في التدليك والتمريخ وكل ماتعرف من وسائل العلاج. وخفّ الألم قليلاً، واستعملت بعد ذلك كل ألوان العلاج في محاولة للقضاء على الألم ولكن دون جدوى، فقد بقي الألم حتى اليوم رغم مرور سنوات طويلة» (ص٥٨). ويعلق على سبب الحادثة بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلكم معْيان إلاّ مَنْ بُورك..». وكأن العين هي سبب الإصابة. ربما صحّ ذلك، لما لعيون الآخرين من فاعلية في نفاذ سهامهم وسحرهم المؤذيين. وقد يكون للسبب وجه آخر، هو عدم ثقة الطفل بنفسه، فاختلّ مسيره وتعثّر ظانا أن الآخرين يراقبون طريقة مشيه، أجل لكل جواد كبوة، ولكن كثرة الكبوات دليل عدم الأصالة، كما أن كثرة تعثر الطفل دليل عدم التوازن في الشخصية، إما لخوف أو عدم ثقة بالنفس أو ما يشبه ذلك. وقد تنسحب هذه الظاهرة على الرجال، إذ وجدنا صاحب السيرة - الربيع -، وكأنه يؤكد هذه الفكرة بلا وعي، حين يوردها في مقدمته كحادثة مرت به أيام كتابة ذكرياته، وهو في طريقه إلى منزل أسرته، وتعثّره خوفًا من: «قدوم القطار بوجهه الأسود وشكله المرعب وصوته المخيف».

كما يذكر في تلك المناسبة أنه سقط سقطة عنيفة، غير سقطة الحرم، من سلالم بيته في المدينة، خلّفت له عقابيل في ظهره، لم يتخلص منها حتى اليوم. ولم يكن اللهو سبب الإصابة في يوم من الأيام، وإنما السهو وعدم السيطرة على النفس.

ومن الحوادث المؤلمة التي وقعت له في الحرم ضربة موجعة انهالت عليه من أحد المصلين، ولم يتخذ موقفًا مجابهًا لمن آذاه، سوى إحساسه بالمرارة والضعف، وعبر عن ذلك الموقف بقوله: «وما مررت بالمكان الذي حدثت فيه من الحرم الشريف، إلا وشعرت بطعم المرارة في فمي، وسخطت أشد السخط على تربيتي المنزلية التي جعلت مني - مع شديد الأسف - ولدًا مؤدبًا يؤثر الحسنى، ولو على حساب صحته وأعصابه، وتمنيت لو كنت ولدًا شريرًا يجابه الناس ويأخذ حقه بيده» ص٦٢. ولهذا نراه أخيرًا يلوذ ببيت من شعر الحكمة عسى أن يجد فيه العزاء من ذلك الضعف الذي يغزو شخصيته:

ليس في الأرض للضعيف حقوق
إنما الحق للقوي استدام

كما وصف ضعفه، وعزاه مرة أخرى إلى طبيعته الخلقية والانطوائية التي اكتسبها من تربيته المنزلية، إذ يقول: «وكان من رفاقنا في الحي رفيق يكبرني سنًا، ولسبب لا أدريه كان مولعًا بشتمي وإيذائي والإساءة إلي.. ربما لأني كنت أكثر الأطفال هدوءًا، وأرقهم حاشية، وأبعدهم عن الخشونة ومحبة الاعتداء» ص١٩٩.

ولهذا أصبح يلعن تلك التربية التي ألحقت به كثيرًا من الهزائم والإحباطات، وأذاقته المرارة والهوان. فوجدناه مرة يلعن في سره ذلك الأسلوب الذي تربّى عليه: «لأنه أسلوب مثالي بعيد عن الواقع وغير عملي». كان ذلك إثر تهمة ألصقها به أحد السارقين

من الطلبة الأشقياء؛ حطّمت أعصابه، وجعلته يتمنى قائلاً: «كم تمنيت أن كنت كزميلي السارق في الجرأة والوقاحة والخفة والشعور المتبلّد والاستهانة بما يسمى بمكارم الأخلاق» ص٢٢٢.

والأديب الربيع لايتورع أن يبوح ببعض المواقف والقصص التي تكشف خوفه، كقصته مع الكلبة وجرائها، حين هجمت عليه، وهو يحمل لوح الخبز إلى الفرن، فسقط ذلك اللوح بما فيه على الأرض، وأطلق ساقيه للريح صوب المنزل.

على أن له مواقف أخرى تنفي عنه تلك الصفات والطبائع من خوف، وضعف، وعدم ثقة بالنفس، واضطراب، وغيرها من عيوب في الشخصية؛ فيتبدّى لنا بشخصية أخرى مغايرة للأولى تمامًا، ويخيل إلينا وكأنه يعيش ازدواجية أو فُصامًا. فنراه في أحد المواقف يفصح عن ثقته بنفسه، وقوة شخصيته، حين اختير ليلقي الشعر، وهو في الصف الرابع الابتدائي، أمام الزعيم السوري شكري القوتلي، وكذلك حين يتزعم أحد الفريقين في المباراة الشعرية، والمحافل المدرسية منافسًا ومتفوقًا. وفي ما كان يؤديه من أدوار تمثيلية مع زملائه في المدرسة، أمام جمهور كبير، وكذلك حين وجدناه أيضا يهجم على ذاك الطالب المعتدي عليه، ويشبعه ضربًا ولكمًا.. متعجبًا من تلك الشجاعة التي واتته.

وإذا كان يعبر أحيانًا عن الوداعة بقالب من المثالية - كما رأينا - التي ترعرع عليها في أحضان والديه، في بيت ممتلئ بالتربية الخلقية، فإن تلك الوداعة المثالية تلازمه في رؤاه وأحكامه على الآخرين، ولاسيما المربين والمعلمين وشيوخ العلم والدين. من هنا نراه يمنح المواقف والحكايات والنوادر والأحداث التي ترد على لسانه رؤية وانطباعًا يتفق مع شخصية رجل كان يومًا طفلاً وديعًا، ولاسيما إن وجدنا في القصة غمزًا أو مسًا لأحد العباد؛ كقوله مثلاً: «ولست بحاجة إلى التنبيه إلى أنني لا أرمي برواية هذه الحادثة إلى التهوين من شأن أحد، فمعلمو الكتاتيب وسائقو السيارات وقائدو العربات كلهم رجال عاملون في خدمة الأمة، وهي لاتستطيع أن تستغني عن فريق دون فريق، لأنها في حاجة إليهم جميعًا كل في مجاله» ص٣٨.

ومع ذلك فإن الحقيقة قد تؤدي به إلى الاعتراف بتلك المفارقات الساخرة، ولكنه يسند شيوعها إلى من كان السبب في تراثنا الأدبي: «وإن كان من الحق أن أشير هنا إلى أن النصيب الأكبر يقع على عاتق أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، فهو الذي رفع لواء الحملة الظالمة ضد الكتاتيب ومعلميها، سامحه الله وغفر له» ص٤٠.

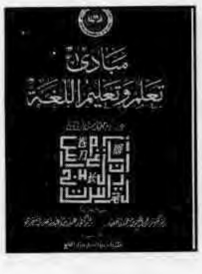
ونظل نلمس في وصفه لمعلميه روح الحب والتقدير والاعتراف بالجميل لهم. فضلاً عن منحنا صورة مثلى لمعظمهم، فكنا نقرأ مثل هذا الوصف: «كان رحمه الله لطيفًا باشًا محبًا محبوبًا، موفقًا في دروسه، عارفًا نفسيات تلامذته، مدركًا ما يعتلج فيها، قادرًا على الوصول إلى أهدافه العلمية والتربوية دون ما حاجة إلى عنف أو عقاب صارم» ص٤٦.

والأديب الربيع لايتظاهر بغزارة معلوماته الثقافية، ربما من باب التواضع والوداعة، أو لأنه كان يسرد في ذكرياته أحداثًا ماضيه يومية ومدرسية ومهنية لاتستوجب منه التظاهر الثقافي والمعرفي. على أنه قد يوردها عفو الخاطر حين تستدرجه واقعية السياق إلى ذكرها، كخواطره، وهو بصدد الحيوانات التي تجر العربات وبخاصة الحمار، حيث كل العربات يجرها حصانان أو بغلان، إلا الحمار فيجرها بمفرده، ولايعرف سرّ ذلك، ربما وجده عند: «أصدقاء الحمار: نصر الدين حماد، الكونت دي سيجور، ورامون خمينز، وتوفيق الحكيم.. فعندهم الخبر اليقين» ص١٤٤.

زخرت كتابات الربيع بالأخطاء، ولاسيما النحوية والإملائية، فلم نجد حذفًا لهمزات الوصل وحروف العلة في المضارع المجزوم، مما لم يشر إليها الأستاذ محمد المجذوب بدراسته المستفيضة عنها، مع أنه أورد الكثير من الأخطاء الأخرى، ورأى أن تعاد الصياغة في الطبعة القادمة.

على أن ذكريات طفل وديع لعبدالعزيز الربيع، قد احتوت على بعض خصائص السيرة الذاتية، ولاسيما في بوحها الصريح الصادق، أو الاعتراف بالعيوب والنواقص الذي كشف لنا شخصية واضحة، مما ميزها من غيرها ممن كتبوا سيرهم الذاتية بروح التفاخر والادعاء، والتستر على نواقص شخصياتهم.

العنوان: مبادئ تعلم وتعليم اللغة
المؤلف: هـ. دوجلاس براون.
ترجمة: الدكتوران: إبراهيم بن حمد القعيد، وعيد بن عبدالله الشمري
الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م (٤٩٠ص)

د. إبراهيم القعيد

الترجمة عملية ناجحة في نقل معارف الشعوب وثقافاتها إلى شعوب أخرى، ولولاها لما تَمَّ ذلك التعارف الثقافي؛ ولاسيما إن كانت تلك المعارف تتناول قضايا مهمة من حياة الناس التعليمية، وعلى رأسها قضية تعلم اللغة وتعليمها، من خلال جوانبها النظرية والتطبيقية.

ومن هنا يجيء كتاب «مبادىء تعلم وتعليم اللغة» المُترجَم، حاملاً معه تجربة علمية جديدة، قدمها مؤلفه «هـ. دوجلاس براون» الخبير في مجال اللغة تطبيقاً وتأصيلاً منهجياً؛ لأنه كان -إضافة لعمله في التدريس- رئيس منظمة معلمي اللغة الانجليزية لغير الناطقين بها في

الولايات المتحدة الأمريكية.

وهذا ما يمكن أن يستفاد منه في عملية تعلم اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها، حين يترجم ذلك العلم الجديد. ويبدو أن مكتب التربية العربي لدول الخليج يعي جيدا ماينطوي عليه ذلك العمل المترجم من نتائج وأهداف، ربما تُساء على نحو ما إن لم يؤخذ في الحسبان قضايا حضارتنا وثقافتنا العربية والإسلامية الذاتية الأصيلة وتجربة المسلمين في عصورهم الأولى مع قضية الترجمة، لذلك فقد حدد هذا الإطار المدير العام للمكتب الدكتور علي بن محمد التويجري بقوله في تقديم هذا الكتاب: «إننا لاندعو إلى التقليد الأعمى، أو نقل خبرات الأمم دون تمحيص، ولكن باطلاعنا على هذه التجارب، ونظرتنا إليها نظرة الناقد الخبير، يمكننا أن ننشئ إطاراً خاصاً لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ظل ثقافتنا وحضارتنا الإسلامية، التي قدمت نموذجاً فريداً لتعليم لغتنا العربية لغير الناطقين بها في عصور الإسلام الأولى، تلك التجربة التي لم تؤد إلى نشر اللغة العربية فقط، بل أصبحت لغة أولى لدى كثير من الشعوب التي دخلت الإسلام». وإنها لتجربة لم تأخذ نصيبها من البحث والدراسة إلى الآن. وهذا ماحدا بصاحب تمهيد الكتاب الدكتور محمود إسماعيل الصيني للإشارة إلى ذلك، بأننا مازلنا في العالم العربي - إلى عهد قريب - غافلين عما يدور حولنا في ذلك المجال الخطير. ولقد كانت الكتب التي تعالج تعلم وتعليم اللغات الأجنبية باللغة العربية لاتزيد كثيراً على أصابع اليدين. وللدكتور الصيني نصيب كبير من تلك الكتب، بصفته «أستاذ اللسانيات التطبيقية ومدير مركز الترجمة في جامعة الملك سعود».

ويبدو أن «دوجلاس براون» مؤلف الكتاب يدرك جيداً أنه ليس هناك علم محدد أو نظرية أو نموذج أو عنصر يمكن أن يقدم وصفة سحرية للكشف عن سر اكتساب اللغة الثانية. ولكنه يرى أن تطور نظرية موسعة حول الموضوع تساعد على اختيار البدائل المعتبرة فيما يتعلق بطرق وتقنيات تعليم اللغة في الفصل الدراسي. وهذا بالتحديد ماهدف إليه في كتابه هذا. ولذلك فقد انتجه ليكون مرجعاً علمياً لطلبة الدراسات العليا وطلبة المراحل الجامعية المتقدمة المتخصصة في تعليم اللغات، ومرشداً للمعلمين الراغبين في الحصول على فكرة عامة عن القضايا النظرية المعاصرة في هذا المجال، ومشجعاً لهم على تنمية فهم متكامل للمبادئ التي يعتمد عليها تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها.

ولقد اشتمل الكتاب على اثني عشر فصلاً، وعرض في كل فصل القضايا النظرية، وربطها في النهاية بالاعتبارات العملية التي تتضمن ارشادات المؤلف المتمرس في العملية التعليمية، الموجهة إلى المعلمين ليستفيدوا من الطروحات النظرية في مجال التدريس والتعامل مع الصف الدراسي، كما أنه في كل فصل من فصول الكتاب يقدم بعض الطرق والمذاهب التعليمية المشتهرة، ويشرح خلفياتها ومبادئها والانتقادات الموجهة إليها.. فضلاً عما أضافه من أسئلة للدراسة والمناقشة مما يسهم في خدمة طلاب العلم، ويجعل من الكتاب مرجعاً ملائماً للدارسين والممارسين لمهنة التعليم تدريساً وتخطيطاً وإدارة. والكتاب يتميّز بشموليته وتغطيته المتوازية لقضايا التعلم والتعليم من نواحيها النظرية والتطبيقية. وقام ذلك التميّز على التعريف بالقضايا الجوهرية الذي تسبقه بعض التساؤلات، مثل تعريفه للتعلم والتعليم، فإنه يبدأه بقوله: «ماالتعليم وماالتعلم؟ وماالعلاقة بينهما؟» ليُذكّر القارئ ببعض التعريفات التقليدية، وما أوضحته المعاجم المعاصرة من أن التعلم هو: (اكتساب المعرفة أو الحصول عليها في موضوع معين، أو اكتساب مهارة بالدراسة أو الخبرة أو التلقين)، وكأن هذا التعريف لايفي بغرضه، فيلجأ إلى تعريف آخر أكثر تخصصاً، هو: (تغيير في الميول السلوكية، يتسم بالديمومة نسبياً، ويكون نتيجة لعمليات التعزيز). أو هو: (مساعدة شخص، أو توضيح الطريقة له لتعلم كيفية عمل شيء ما بإعطاء التعليمات، أو توجيه الدراسة، أو توفير المعرفة التي تؤدي إلى العمل أو الفهم). كذلك فإن المؤلف حين أراد أن يناقش المكونات الأساسية لتعريف مطول لاكتساب اللغة الثانية، ومن خلال أسئلته المعتادة، لجأ إلى سؤاله المحيّر: (ماذا يعني اكتساب لغة ثانية؟)، ومما لاحظه وأجاب عليه هو أن اكتساب اللغة الثانية لايختلف كثيراً عن اكتساب اللغة الأولى، لأنه يمثل فرعاً من التعلم البشري العام. ويتضمن تعلم اللغة الثانية تغيرات إدراكية، وإنه ذو صلة بشخصية الإنسان، ويتصل بتعلم الثقافة الثانية، ويشتمل على شيء من التداخل، وعلى نظم لغوية جديدة، وعلى تعلم الوظائف الكلامية والاتصالية للغة.. وتشكل كل هذه الفئات والتعريفات التي تنطوي تحتها الأساس لبناء نظرية متكاملة لاكتساب اللغة الثانية.

وهكذا يستمر المؤلف على هذا المنوال في أسئلته وتعريفاته، ونتائجه، عن كل من اللغة، والتعلم، والتدريس، والفطرة، والذكاء، وغيرها.

ورغم التنظير الذي يحاول المؤلف أن يثبته ويؤكده في كتابه «مبادئ تعلم وتعليم اللغة» فإنه يعترف بعجز تلك النظريات التي لايمكن أن تحقق غاية وجودها. لأن الخبرة والممارسة والتدريبات العملية في أصول التدريس تظل هي محور العملية التعليمية.

ولهذا فإننا نستغرب ممن يضع بعض التوجيهات والتعليمات في طرق تدريس اللغة العربية التي تقوم على مفاهيم مستمدة من تعاليم وأنماط ومناهج غربية.. نستغرب منهم كيف يفرضونها على مدرسيها، مما لايمكن أن تحقق جدواها وقيمها، لاسيما إن طلبناها ممن أفنوا أعمارهم في التعليم أن يطبقوها بحذافيرها

دائرة المعارف

التمور في المملكة العربية السعودية

إعداد:
عبدالحميد حساني حسن علي

أ

أبْكير (بكيرَة): يعتبر في الدرجة الثانية من ناحية عدد أشجاره، حيث يشكل حوالي ١٠٪ من مجموع نخيل القطيف، وهو صنف مبكر النضج، مألوف للمواطنين بسبب نكهته اللذيذة وملمسه الناعم ومحصوله الوفير، ويستهلك معظم محصوله غضاً (طازجاً).

ب

البِرْحي: توجد منه عينات قليلة، جُلبت إلى الأحساء من البصرة، ويعتبر أحد أحسن أصناف التمور، ويعطي محصولاً جيداً، وهو متأخر النضج، ثماره صغيرة إلى متوسطة الحجم، وقيمته في أنه يُستهلك رطبًا.

البِرْني: من الأصناف المعروفة في المدينة المنورة، وفي منطقة العُلا، وتستخدم تموره في التصنيع، كما يوجد أيضاً في تربة وبيشة، وإن كان في هذه المناطق يفوق أمثاله في المدينة من ناحية الحلاوة والجودة. والثمرة المكتملة النمو لونها أصفر، وتنضج وسط الموسم.

ح

حاتمي: توجد أشجار قليلة من هذا النوع في مزارع كثيرة في الأحساء، وهو صغير إلى متوسط الحجم، ينضج مبكراً، وهو من مرتبة متوسطة، ويستهلك غضاً وجافاً، ويستهلك في البادية.

حلاو: تنتشر زراعته في نجد، البُسر منه لونه أحمر دموي، شكله أسطواني، الثمرة كبيرة الحجم، ونوعيته جيدة.

حلو(أحمر): توجد أشجار قليلة من هذا الصنف في عدة مزارع في منطقة القطيف، وثمارها متوسطة إلى كبيرة الحجم، من مرتبة جيدة، ولكنه متأخر النضج، ويستهلك معظمه غضاً.

الحلوة: من تمور المدينة المنورة، وهو صنف ممتاز واسع الانتشار، ثماره مستساغة في مرحلتي البسر والرطب، وهي إذا نضجت وأصبحت تمراً كان حجمها متوسطاً ولونها داكناً، ونخيل هذا الصنف غزير الحمل، وتموره من أجود الأصناف.

الحليّة (حلِيَّة مَدَني): تكثر زراعته في المدينة المنورة، وهو من الأصناف المبكرة جداً التي تنزل الأسواق قبل الأصناف الأخرى، ولهذا تجد رواجًا واسع الانتشار بالرغم من كونها متوسطة الجودة، وهي تؤكل في دور البسر والرطب، وشكل الثمرة بيضي مستطيل، وحجمها متوسط، ولون الثمرة أحمر في دور البسر، وأسمر داكن في دوري الرطب والتمر، وثمرتها حلوة المذاق في دور البسر.

خ

أم الخشب: تنتشر زراعتها في مختلف مناطق المملكة، وهي من النخيل التي يحافظ تمرها على قوامه فترة طويلة سواء خُزن مبردًا، أو بالطرق التقليدية.

خَصاب: من نخيل الأحساء، وهي تؤكل رُطَبًا ولاتصلح تمرًا، وتتأخر بالإرطاب، ولاتتأثر بارتفاع الرطوبة النسبية أو البرد إن لم يكن شديداً جداً، ويصلح رطبها للتسويق ويلاقي إقبالاً.

خَصيب (أحمر): أكثر الأصناف تأخراً في النضج بالمنطقة الشرقية، وتوجد منه عينات قليلة في كل مزرعة تقريبًا، وهو مرغوب لأنه يعطي محصولاً كبيراً كثمار غضَّة بعد انتهاء الموسم للأصناف الأخرى، وثماره متوسطة الحجم.

الخَضْري: واسع الانتشار في نجد، ثماره حمراء قانية، مستطيلة الشكل كبيرة الحجم في مرحلة البسر، وبُنِّيَّة داكنه اللون، لَينة في مرحلة التمر، ويعتبر هذا الصنف من أهم الأصناف التجارية.

الخِلاص: ثمرة لينة، متوسطة الحجم، صفراء اللون في مرحلتي البسر والرطب، وهي متوسطة الإنتاج وتلائمها التربة العميقة ذات المنسوب المائي المنخفض، وهو من أفضل أنواع التمور في العالم. وتشكل نسبة نخيل الخلاص في الأحساء نحو ١٥٪ من مجموع أشجار النخيل، وبعد الدراسات والأبحاث على هذا النوع من التمور، اتضح أن له قيمة غذائية كبيرة،

دائرة المعارف

كما أن تحليل النوى أثبت احتواءها على عناصر مهمة خاصة الدهون والبروتينات مما يفتح مجالاً لاستخدام النوى في أعلاف الحيوانات. وهو من الأصناف التجارية الممتازة في العالم، إذ يحتفظ بنكهته الطيبة عند خزنه لفترة طويلة.

الخِنيزي: ثمرة لينة حمراء اللون في مرحلة البسر، وضاربة إلى السواد في مرحلة التمر، متوسطة الحجم، ونخلتها متوسطة الإنتاج، ويكثر هذا النوع في منطقة القطيف، حيث يناسب ظروفها. ويمثل حوالي ٦٥٪ من مجموع أشجار النخيل. ولا يرجع السبب في زيادة أعداد صنف الخنيزي بالمنطقة إلى جودته، حيث يعتبر من هذه الناحية متوسط الجودة، بل يرجع ذلك إلى سرعة نموه وازدياد محصوله.. وتنضج ثمار الخنيزي في وسط الموسم، وهي متوسطة الحجم، وتعتبر من أهم أصناف القطيف التجارية.

د

داحسِيَّة: من نخيل منطقة حائل، وهي جيدة المذاق عالية المواصفات التجارية، ويمكن حفظها مبردة، وهي غير منتشرة إلا في منطقة أصلها.

دُقْلَة شويش: من نخيل بقعاء في منطقة حائل، غير منتشرة إلا في هذه المنطقة.

ر

أم رحيم: تزرع في الأحساء بأعداد قليلة، البسر منه أصفر فاتح، بيضي صغير الحجم، حلو المذاق، يؤكل بسراً أو رطباً، وهي نخلة غزيرة الإنتاج.

الرزيز: ثمرة لينة، صفراء اللون في مرحلة الرطب، ضاربة إلى الاحمرار في مرحلة البسر، ونخلة رزيز كثيفة الإنتاج. وهي موجودة بأعداد كبيرة في كل من الأحساء والقطيف، ويعتبر الرزيز من أكثر الأصناف انتشاراً في الهفوف، حيث يمثل حوالي ٦٠٪ من أعداد النخيل، ويأتي بعد الخلاص من ناحية جودة الثمار، وينضج الرزيز في وسط الموسم، وهو غزير المحصول، وأهم صنف تجاري في منطقة الأحساء.

روْثانة: تكثر زراعة هذا الصنف في كل من المدينة المنورة وينبع النخل، وثماره تؤكل في أطوار البسر والرطب والتمر، وتعتبر من أجود الرطب في المدينة، وشكل الثمرة بيضي عريض، وحجمها متوسط، ولون البسر أصفر، أما التمر فلونه ذهبي ضارب إلى السمرة، وتنضج الثمار في وسط الموسم، ونوعية الثمار جيدة.

س

سُكَّرة ينبع: تكثر زراعة هذا الصنف في وادي ينبع النخل، ويعتبر من الأصناف الجيدة، وشكل الثمرة بيضي متوسط الحجم، ولون الثمار المكتملة النمو أصفر، حلو المذاق، والتمر ذهبي ضارب إلى السمرة، وتنضج الثمار مبكراً، ويؤكل بسراً ورطباً وتمراً.

السُكري (السُكَرِيَّة): يوجد هذا الصنف في منطقة القصيم، ويعتبر من الأصناف الممتازة، والثمار في دور اكتمال النمو صفراء منتفخة الوسط قليلاً، متوسطة الحجم، وتمره طعمه ممتاز ذو حلاوة زائدة، ويعبأ في صفائح.

سلَّج: ينتشر في المنطقة الوسطى، ثماره أسطوانية لونها أصفر كهرماني، وهو مرغوب في الأسواق.

ش

الشَّبيبي: وهو ثالث صنف من ناحية الكثرة في الأحساء، وثمرته متوسطة إلى كبيرة في الحجم، ثماره جذابة في جميع أطوارها، وينتج محصولاً طيباً، وينضج في وسط الموسم، ونوعية الثمار متوسطة الجودة، ويكثر هذا الصنف في كل من الأحساء والقطيف.

شَقْرَة مُبَارَك (شقرة القصيم): من أشهر تمور القصيم، وشكل الثمرة أسطواني قصير ذو حجم متوسط، ولون الثمار المكتملة النمو أشقر مائل إلى الاحمرار، ولون التمر أسمر، وتنضج الثمار في وسط الموسم.

الشلّبي: يكثر في المدينة المنورة، وثمرته لينة كبيرة مستطيلة ذهبية اللون، ونخيل هذا الصنف متوسط الحمل، وهو من أحسن الأصناف للتجفيف والحفظ والتعبئة بمنطقة المدينة المنورة، ويأتي هذا الصنف في المرتبة الثانية بعد العنبرة من حيث ارتفاع السعر، ويتميز بقلة المحصول.

شَهْل (شهلة): من تمور الأحساء الاعتيادية، ينضج متأخراً، والرطب منه ذو نوعية جيدة، والبسر أشقر بيضي، متوسط الحجم، ينضج متأخراً.

الشّيشِي: يوجد قليل من أشجاره في مزارع كثيرة في الأحساء، ثماره متوسطة إلى كبيرة الحجم، ونوعيته طيبة. يعتبر من الأصناف العادية في الأحساء، ولايصل في الجودة إلى صنف الخلاص أو الرزيز، كما أن أعداده لاتتعدى ٥٪ من مجموع نخيل الأحساء، وينضج هذا الصنف وسط الموسم.

ص

الصَّفَاوي: شكل ثمرته بيضي مستطيل، وحجم الثمرة متوسط، ولونها أحمر في دور اكتمال النمو، وكستنائي قاتم في طور التمر، وتنضج ثمار هذا الصنف في أواخر الموسم، وتتميز أشجاره بوفرة المحصول. تستخدم ثمار هذا الصنف في التعبئة والتصنيع بكل من المدينة المنورة وينبع، ويعتبر من الأصناف الممتازة التي تقبل عليها مصانع التمور بالمدينة.

الصَّفْري: من نخيل بيشة ومنطقة الرياض، ثماره كبيرة مستطيلة، متوسطة الحجم إلى كبيرة، صفراء اللون في مرحلة البسر، لينة ذهبية اللون داكنة في مرحلة التمر، ونخيله غزير

الحمل واسع الانتشار.

صِقْعي: وهو من نخيل العراق، وأشجاره منتشرة في معظم مناطق المملكة ولاسيما الرياض والقصيم وحائل، وهو من الأصناف المعروفة في نجد، وشكل الثمرة أسطواني، غليظ، وثمرته المكتملة النمو لونها أصفر فاتح، وينضج وسط الموسم.

ع

العَجْوَة: ثمارها لينة سوداء اللون، متوسطة الحجم، وهي من الأصناف الشهيرة في المدينة المنورة، وتتمتع بسوق رائجة خلال موسم الحج، ونخيل هذا الصنف متوسط الحمل، وزراعته مازالت محدودة، وتنضج ثماره وسط الموسم.

العَنْبَرة: يعتبر من أفضل أصناف المدينة المنورة على الإطلاق، ويباع تمره بسعر مرتفع جدًا، وعدد أشجار هذا الصنف محدود جدًا، ونخلته متوسطة الحمل، وثمره لذيذ الطعم، وهذا الصنف يتأخر نضج ثماره.

غ

الغُرَّة (الغُرّى): ثمرة لينة متوسطة الحجم مستطيلة، صفراء في مرحلة البسر، وذهبية ضاربة إلى الحمرة في مرحلة التمر، ويكثر وجودها في واحة القطيف والأحساء، ويبلغ تعداده : في القطيف ٥٪، وفي الأحساء حوالي ٣٪، وثماره متوسطة الحجم مبكرة النضج وذات نوعية جيدة.

ف

فَنخاء: من نخيل القصيم ، وتوجد كذلك في حائل والرياض والمدينة.

ق

قِطَّار: يزرع في نجد وحول الرياض، البسر أصفر فاتح، وشكل الثمرة بيضي مستطيل وحجمها وسط إلى كبير، ونوعيته جيدة.

ك

أم كبار: من نخيل منطقة المدينة أو القصيم، وهو صنف جيد جدًا، لكن انتشاره قليل إلا في مناطق الأصل.

ل

لولو: من أصناف تمور القطيف النادرة، البسر أصفر، ينضج متأخرًا، يؤكل رطبًا، وهو ذو نوعية جيدة، غزير الحمل.

م

مَرْزَبَان: قليل الانتشار في الأحساء والقطيف، البسر منه أصفر، ينضج وسط الموسم، وثمرته متوسطة الحجم إلى كبيرة.

المَسْكَاني: يعتبر من الأصناف الجيدة في منطقة نجد، وشكل الثمار بيضي منتفخ الوسط، متوسط الحجم، وهو قريب الشبه من صنف نبوت سيف إلا أنه أطول قليلاً وأقل انتفاخا منه، ولون الثمار عند اكتمال النمو أصفر مخضر، ولون التمر أصفر ضارب إلى السمرة ، وهو ذو طعم جيد، غير لاذع الحلاوة في دور التمر، وينضج في وسط الموسم.

المَسْكَانية: من نخيل حائل، وهي تشبه البرحي في المذاق والتأخر في الإرطاب، إلا أنها أقل جودة من البرحي، وهذه المسكانية هي غير النخلة التي تسمى بهذا الاسم في منطقة الرياض.

مِطواح: يزرع في الخرج، البسر أشقر محمر، والثمرة بيضية الشكل، متوسطة الحجم.

المَقْفَزي: يزرع هذا الصنف في وادي تربه ووادي بيشه، وشكل الثمار بيضي متوسط الحجم، والثمرة ذات لون أصفر عند اكتمال النمو، حلوة المذاق، والتمر أصفر ضارب إلى السمرة، جيد الطعم والنكهة، وينضج هذا الصنف وسط الموسم.

المَكْتومِيَّة (المكتومي): من الأصناف الممتازة في المنطقة الوسطى، والثمرة حجمها متوسط، ولون البسر أصفر فاقع، ولون الثمر عند النضج أحمر، وهو يؤكل بسرًا ورطبًا وتمرًا، وينضج هذا الصنف وسط الموسم.

ن

نُبْتَة زامل: يزرع حول مدينة الرياض وفي نجد بقلَّة، والبسر منه أصفر فاتح، والشكل بيضي، متوسط الحجم، وهو من أنواع التمور ذات النوعية الجيدة.

نَبْتَة سلطان: من نخيل الرياض، وهو من الأصناف الممتازة، وبدأت زراعته تنتشر في المناطق الأخرى.

نبوت سيف: وهو من أفضل أصناف النخيل في نجد، وثمرته لينة صفراء في مرحلة البسر، وذهبية ضاربة إلى الحمرة في مرحلة التمر، وثمارها غير مستساغة في مرحلة البسر (الأخضر)، ويؤكل رطبًا وتمرًا، وينضج هذا الصنف في وسط الموسم، وتصلح زراعتها في مختلف مناطق المملكة.

هـ

هلالي: وهو من أكثر الأصناف تأخرًا في النضج بالمنطقة الشرقية، وتوجد منه عينات قليلة في كل من الأحساء وحول القطيف، وهو متوسط الحجم ويستهلك فقط طازجًا.

و

ونَانَة: من نخيل القصيم، وهي منتشرة في منطقة الأصل وحائل.

المراجع:

---

١ - يقال إن الجزيرة العربية مهد النخلة، وقد كانت منطقة الأحساء شرقي المملكة العربية السعودية الموطن الأصلي للنخيل.

٢ - النخيل وتصنيع التمور في المملكة العربية السعودية، حسن مرعي، الرياض: وزارة الزراعة والمياه، إدارة الإرشاد والخدمات الزراعية، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٣ - النخيل والتمور بالمملكة العربية السعودية، طاهر خليفة ومحمد زيني، الرياض: وزارة الزراعة والمياه، إدارة الابحاث الزراعية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤ - مناطق انتشار أصناف النخيل بالمملكة العربية السعودية، طاهر خليفة، الرياض: وزارة الزراعة والمياه، إدارة الابحاث الزراعية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٥ - طبائع النخيل ومعاملتها، سعد خلف العفنان، مطابع المحيسن الحديثة بحائل، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

الحركة الثقافية في شهر

«الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد» ندوة تقيمها مؤسسة الملك فيصل في القاهرة

الاحتفال بتوزيع جوائز «مؤسسة الكويت للتقدم العلمي»

ندوة قاهرية تؤكد: الدين أساس الحضارة

فتح باب الترشيح لجوائز مؤسسة عبدالحميد شومان

بريطانيا تقيم معرضا عن: تجارة العبيد عبر الأطلنطي

السعودية

قناة فضائية إسلامية

يُنتظر أن تُرفع قريبا إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز نتائج اجتماعات اللجنة المشكّلة لوضع الدراسات النهائية الخاصة بإنشاء القناة الفضائية الإسلامية، تمهيدًا لبدء بث القناة.

يجيء إنشاء هذه القناة في إطار اهتمام حكومة المملكة بالدعوة الإسلامية، وحرصها على أن تحظى جموع المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة بالثقافة الإسلامية اللازمة لحماية عقيدتهم، وتعريفهم بمبادئ الدين الإسلامي وحضارته.

الاحتفال بتسليم جائزة المدينة

رعى صاحب السمو الملكي الأمير



الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز

عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة حفل توزيع جائزة المدينة النبوية على الفائزين بها. وقام سموه بتسليم الشيخ ناصر العامر الرميح جائزة الخدمات الاجتماعية والخدمة التطوعية، وتسلم جائزة الخدمات العامة مناصفة كل من لجنة التنسيق والمتابعة لأعمال الحج، ومثّلها الأستاذ عبدالله الفائز، ومشروع مياه آبار الماشي، ومثّله المهندس عبدالفتاح أحمد فؤاد، وتسلم المهندس عبدالواحد الوكيل جائزة التصميم المعماري عن تنفيذه لمسجد الميقات بالمدينة المنورة، والدكتور محمد عبدالله السلمان جائزة البحث العلمي عن بحثه «توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي».

وشمل التكريم الطلاب الفائزين بجوائز التفوق الدراسي، حيث تسلموا جوائزهم من سمو أمير المدينة المنورة.

ندوة فكرية تقيمها مؤسسة الملك فيصل في القاهرة

تنظم مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالتعاون



الأمير خالد الفيصل

مع الأزهر ندوة ثقافية في القاهرة بعنوان «الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد»، خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ شعبان الجاري الموافق ٢١ إلى ٢٣ يناير ١٩٩٥م.

يشارك في الندوة أكثر من مائة عالم ومفكر ومثقف، يتقدمهم الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية منذ عام ١٩٧٩م وإلى عام ١٩٩٤م في

مجالات خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، وفي مقدمتهم الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش، إضافة إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام للمؤسسة، ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية.

وكان صاحب السمو الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام للمؤسسة، قد قام بزيارة للقاهرة خلال شهر جمادى الآخرة الماضي، حيث تباحث مع فضيلة شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق حول سبل التعاون بين المؤسسة والأزهر، وتنظيم الندوة.

معرض «السعودية» التشكيلي الثاني

أقامت الخطوط الجوية العربية السعودية - مؤخرًا - معرضها التشكيلي الثاني في قصر طويق بحي السفارات في الرياض.

ضم المعرض ٤٤ لوحة تشكيلية لعدد من كبار الفنانين السعوديين، ينتمون إلى مدارس تشكيلية مختلفة، ونفذت أعمالهم بخامات متنوعة، وتتحدث عن موضوعات ثقافية وتراثية ووجدانية، وتعد الرياض المحطة الثالثة للمعرض الذي سبق عرضه في جدة وأبها.

الفائزون بمسابقة نادي جيزان الأدبي

أعلن نادي جيزان الأدبي - مؤخرا - أسماء الفائزين في مسابقته الأدبية لعام ١٤١٤هـ في مجالات: الشعر، القصص الموجهة للأطفال، والدراسة الأدبية.

تقاسم الجائزة الأولى للشعر كل من: أحمد بن علي عكور عن قصيدته «لحن المنون»، ويس قطب الفيل عن قصيدته «دفء المرافئ»، وجاء في المركز الثاني مناصفة كل من: محمد بخيت الربيعي عن قصيدته «آمال مبعثرة»، وجميل محمود عبد الرحمن عن قصيدته «الدخول في فلك المحاق»، وتقاسم الجائزة الثالثة كل من: جلاء محمد عزت عن قصيدته «صباح جميل»، وعزت عبدالحافظ الطيري عن قصيدته «أنا الأسود».

وفي مجال القصص الموجهة للأطفال، حُجبت الجائزة الأولى، وتقاسم الثانية كل من: إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، وفاروق حسان السيد، وجاء في المركز الثالث مناصفة كل من: عادل البطوسي، ومحمد محمد عبدالمطلب.

وحجبت جائزة الدراسات الأدبية لعدم رقي الأعمال المقدمة إلى مستوى المسابقة.

كتب جديدة

الحيدة والاعتدال في الرد على مَنْ قال بخلق القرآن، تأليف أبي الحسن عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز الكناني المكي، تحقيق د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، صدر ضمن سلسلة عقائد السلف عن مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.

التنصير في الأدبيات العربية، تأليف د. علي بن إبراهيم النملة.

طريقة الخدمة الاجتماعية مع معتنقي الإسلام حديثا؛ دراسة احتياجاتهم ومشكلاتهم والبرامج المخصصة لهم بمدينة الرياض، تأليف د. رشاد أحمد عبداللطيف.

صدر الكتابان السابقان عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

شرح المعرفة وبذل النصيحة، تأليف الحارث المحاسبي، تحقيق صالح أحمد الشامي، صدر عن دار البشير في جدة.

نشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين، (في تراجم مؤرخي مكة المكرمة)، إعداد عاتق بن غيث البلادي، صدر عن دار مكة للطباعة والنشر.

تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، تأليف د. عبدالله عبدالرحيم العسيلان، صدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

الإمارات

ندوة ومعرض عن الرحلات إلى الخليج

تستضيف دبي في إبريل ١٩٩٥م أول ندوة ومعرض عالمي عن الرحلات والرحالين ونتائجها ومأثوراتها الكتابية والفوتوغرافية والتوثيقية مما تخص دول الخليج بعامة والإمارات بخاصة.

ينظم الندوة والمعرض قسم التراث الوطني بمركز جمعه الماجد للثقافة والتراث، ويشارك في الندوة باحثون من مختلف بلدان العالم، حيث يناقشون على مدى ثلاثة أيام اثنتي عشرة ورقة حول هذا الموضوع.

ويحتوي المعرض المصاحب للندوة على كتب الرحالين الذين جاؤوا إلى المنطقة، وعلى خرائط جغرافية قديمة، ومايتوافر من لوحات ورسوم وصور فوتوغرافية لمعالم ماضي الحياة في الخليج بعامة، والإمارات بخاصة.

بينالي مجلس التعاون

شارك خمسون فنانًا من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بما يقارب مائة وعشرين لوحة في بينالي دول المجلس الثالث الذي أقيم - مؤخرًا - في الشارقة.

الحركة الثقافية في شهر

ووزعت جوائز البينالي لأفضل عمل في كل دولة، حيث نالها عبدالله الشيخ (السعودية)، عمر راشد (البحرين)، حسين البلوشي (عمان)، النحات عباس بن مالك (الكويت)، النحات أحمد حسن (قطر)، وخليل عبدالواحد (الإمارات).


د. عبدالحليم رضوي

وتم - للمرة الأولى - تكريم رواد الفن التشكيلي بدول المجلس بتوزيع الجوائز عليهم، والمكرمون هم: د. عبدالحليم رضوي (السعودية)، راشد العريفي (البحرين)، أيوب حسين (الكويت)، محمد علي عبدالله (قطر)، أنور بن خميس سونيا (عمان)، وأحمد الأنصاري (الإمارات).

آثار
من الألف الخامس
قبل الميلاد

عثر على مجموعة من القطع الأثرية المتنوعة تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد في أحد تلال منطقة الحمرية شمال الشارقة.

تشمل القطع أدوات وآلات مصنوعة من حجر الصوان، ورؤوس سهام نادرة، وعقودا من الخرز، وشباكًا لصيد السمك، وبعض الفخاريات المصبوغة والمصنوعة من الطين المائل إلى الاخضرار، من بينها إناء متوسط الحجم يحمل زخارف خارجية، يماثل ما تم العثور عليه سابقًا في مواقع العبيد المكتشفة في العراق، التي تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد. كما ظهرت في الموقع طبقة من الأصداف البحرية بلغ سمكها ما بين ٢٠ و ٢٥ سنتيمترًا وهي أصداف كان سكان المنطقة يتغذون عليها.

الأيام
العربية - الإيطالية

استضاف المجمع الثقافي في أبو ظبي - مؤخرًا - فعاليات الأيام العربية - الإيطالية، التي أقيمت تحت عنوان «حوار الحضارات».

تضمن المهرجان معرضًا تشكيليا، وأمسيات شعرية وقصصية، وقراءات مشتركة، ومحاضرات متنوعة وحوارات نقدية.

البحرين

اكتشاف
أقدم هيكل بشري

عثر في مدينة حمد على أقدم هيكل بشري، يعود إلى فترة نشأة حضارة دلمون (فترة جمدة نصر) التي سادت منذ ٢٨٠٠ عام.

وصف الكشف بأنه فريد في نوعه، وعثر على الهيكل في وضع القرفصاء، وتتحلى رقبته وخصره بعقود من الأحجار البركانية السوداء، وأصداف اسطوانية الشكل، ووجدت بجانبه معدات جنائزية عبارة عن ثلاث جرار، وخرز رباعية الشكل.

سلطنة عمان

قرية تراثية

تقام حاليًا في مدينة نزوى قرية للتراث، يتم من خلالها عرض التراث العماني ومظاهره، مثل الصناعات التقليدية والأزياء الوطنية، والألعاب الشعبية، والفنون والموسيقى التقليدية، وغير ذلك من ألوان التراث المختلفة.

يجيء إنشاء القرية في إطار احتفالات السلطنة بعام التراث العماني.

معرض
«الفن والتراث»

أقيم في مسقط معرض تشكيلي بعنوان «الفن والتراث» في النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة الماضي.

ضم المعرض ٨٨ لوحة استلهمت من البيئة والتراث العماني، والنقوش التي وجدت على القلاع والحصون العمانية، قدمها ٥١ فنانًا ينتمون إلى مختلف مدارس الفن التشكيلي المعاصر.

مجلة «نزوى»


سيف الرحبي

انضمت إلى ركب المجلات الثقافية الفصلية مجلة جديدة تحمل اسم «نزوى»، يرأس تحريرها

الشاعر سيف الرحبي.

تضمن العدد الأول من «نزوى» معالجات فكرية وثقافية ونقدية متنوعة إضافة إلى تحقيقات صحافية وإبداعات شعرية وقصصية.

الكويت

مهرجان القرين والملتقى الفكري لمجلس التعاون

نظّم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الثلث الأخير من شهر جمادى الآخرة الماضي مهرجانًا ثقافيًا هو الأول من نوعه في الكويت تحت مسمى «مهرجان القرين»، إحياء لاسم الكويت القديم.

شارك في المهرجان ما يزيد على ١٢٥ شاعرًا ومفكرًا وفنانًا من خارج الكويت، واستمر شهرًا، وتضمن عروضًا شعبية ومسرحية وموسيقية، وندوات فكرية وأدبية، وأمسيات شعرية ومحاضرات متنوعة، ومعارض فنية.

رافق المهرجان انعقاد الملتقى الفكري الثاني لدول مجلس التعاون الخليجي الذي استضافته الكويت خلال الفترة من ٩ إلى ١١رجب الماضي، وتركزت نقاشاته وأعماله حول الجانب الثقافي في وسائل الإعلام الخليجية.

توزيع جوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

احتفلت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في نهاية شهر جمادى الآخرة الماضي بتوزيع جوائز المؤسسة لعام ١٩٩٣م.

فاز بجائزة الكويت كل من: د. محمد جودت جودة (مصري) في مجال العلوم الأساسية «علم الحاسوب»، و د. إسماعيل عبدالحميد سراج الدين (مصري) في مجال العلوم الاقتصادية والاجتماعية والسياسة السكانية والقوى العاملة في الوطن العربي.

وفاز بجائزة آثار العدوان على الكويت كل من: مراد إبراهيم الدسوقي (مصري) في مجال البحوث التاريخية، والسيدة ثريا البقصمي (كويتية) في مجال القصة والرواية.

ونال جوائز معرض الكتاب الثامن عشر كل من: د. عبدالله رمضان الكندري (كويتي) في مجال أحسن كتاب مؤلف في العلوم عن كتابه «البيئة والتنمية المستديمة»، و د. عبدالله العروي (مغربي) في مجال أحسن كتاب مؤلف في الفنون والآداب والإنسانيات عن كتابه «مفهوم التاريخ» بالمناصفة مع د. أحمد ماهر زغلول (مصري) عن كتابه «آثار إلغاء الأحكام بعد تنفيذها»، و د. أحمد عباس عبدالله (كويتي) في مجال أحسن كتاب مترجم في الفنون والآداب والإنسانيات عن ترجمته لكتاب «لماذا لايتعلم طفلي؟».

وحجبت الجوائز في المجالات الأخرى لعدم رقي الإنتاج المقدم لنيلها.

كتب جديدة

المفتش، مسرحية نيقولاي جوجول، ترجمها إلى العربية وقدم لها هاشم حمادي، وصدرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي».

فواتح الجمال وفواتح الجلال، تأليف نجم الدين كبري، تحقيق د. يوسف زيدان، صدر عن دار سعاد الصباح للنشر.

مصر

استعدادات مكثفة لمعرض القاهرة الدولي للكتاب

تجرى حاليًا استعدادات مكثفة في الهيئة المصرية العامة للكتاب من أجل الإعداد لمعرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته السابعة والعشرين، المقرر افتتاحها في العاشر من شهر شعبان الجاري الموافق ١١ يناير ١٩٩٥م.

يستمر المعرض الذي يعد ثاني أكبر معرض للكتاب بعد معرض فرانكفورت الدولي مدة خمسة عشر يومًا، وتقام على هامشه ندوات فكرية وثقافية وأدبية، فضلاً عن محاضرات وأمسيات شعرية وقصصية ونقدية، وقراءات ولقاءات مفتوحة.

ولم يتم حتى لحظة إعداد هذا الخبر الإعلان عن البرنامج الثقافي والفكري المصاحب للمعرض.

وقف العمل في الطريق الدائري حماية للأهرامات

جاء قرار الرئيس محمد حسني مبارك بوقف العمل في الطريق الدائري الذي يخترق هضبة الأهرام منهيًا زوبعة كبيرة بين المثقفين والحكومة.

وكانت صحيفة «الأخبار» قد شنت حملة تدعو لوقف العمل في جزء من الطريق يخترق الهضبة نظرًا لطبيعة المنطقة الأثرية، وشارك في الحملة الآثاريون والمثقفون، إضافة إلى هيئة اليونسكو العالمية التي هددت برفع

الحركة الثقافية في شهر

منطقة الأهرامات من قوائم محميات التراث الإنساني الدولي.

«نداء» شكري عياد



د. شكري عياد

يعد الناقد د. شكري عياد لإصدار مجلة أسبوعية جديدة تهتم بالثقافة والفكر والفلسفة والعلم والتقنية، وتحمل اسم «نداء».

ودعا د. عياد المثقفين إلى الإسهام في تمويل المجلة عن طريق الاكتتاب في أسهمها البالغ عددها مائتي سهم، بواقع خمسمائة جنيه مصري للسهم الواحد.

الأدب والتاريخ في ندوة بجامعة القاهرة

نظمت كلية الآداب بجامعة القاهرة ندوة حول «الأدب والتاريخ» خلال الفترة من ١٨ إلى ٢٠ رجب الماضي (٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٩٤م).

دارت محاور الندوة حول موضوعات متنوعة أبرزها: الالتزام بالصدق التاريخي في المعالجة الأدبية ومدى ضرورته، وأدب المقاومة، والاحتجاج السياسي والاجتماعي، وألقيت خلالها عدة أبحاث لأساتذة أجانب وعرب ومصريين.

افتتاح مقابر فرعونية

افتتحت في نهاية شهر جمادى الآخرة الماضي ست مقابر فرعونية، ثلاث منها للملوك «آي» و«سبتاح» و«رمسيس السابع»، والثلاث الأخرى لأفراد هم: «حجوتي مس» و«نفرنبت» و«نفر سخرو» وجميعها تقع في البر الغربي لمدينة الأقصر.

وترجع أهمية هذه المقابر إلى أنها تفتتح للمرة الأولى منذ اكتشافها، ومقبرة الملك «آي» شبيهة لمقبرة توت عنخ آمون، فيما عدا منظر واحد للملك آي و هو يصيد في الأحراش.

من ناحية أخرى كشفت عملية حصر آثاري عن امتداد دمار السيول الأخيرة التي عصفت بمصر إلى ٦٣ مقبرة فرعونية في وادي الملوك، و ٢٠ مقبرة في وادي الملكات خلف معبد رمسيس الثاني في الأقصر.

وفاة الناشر محمد المعلم

فقد عالم النشر العربي واحداً من رواده بوفاة الناشر المصري محمد المعلم مؤسس «دار القلم» و «دار الشروق».

ورحلة محمد المعلم مع النشر سبقتها

محاضرات وندوات

«العقول الإسلامية المهاجرة وإسهامها في البناء الحضاري» موضوع محاضرة جماعية نظمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض. شارك فيها كل من د. فاروق الباز، و د. أحمد القاضي.

«المرأة التونسية شريك كامل في مسيرة التنمية» عنوان ندوة نظمها في لندن مكتب الوكالة التونسية للاتصال الخارجي، وشارك فيها ممثلون وممثلات لأبرز الجمعيات النسائية في بريطانيا، وعدد من الشخصيات والباحثين.

«اللقاء مع الغرب في أعمال يوسف إدريس» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، د. رشيد العناني.

«شعر محمد عبد القادر فقيه: ركائزه ومنطلقاته» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جازان الأدبي، د. محمد مريسي الحارثي.

«الأشعة الذرية وأثرها في الإنسان والبيئة» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي، د. عبدالعزيز عبدالله الشهري.

«الدلالة الشعرية: عصرية المصطلح» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي ببريدة ، الشاعر صالح عوض.

«القصة القصيرة في تونس» عنوان محاضرة ألقتها في مقر اتحاد كتاب الإمارات وأدبائها في الشارقة، ريم العيساوي.

«الفن في القرن العشرين: الفن الحديث» موضوع محاضرة ألقاها في المركز الثقافي بالشارقة، ولفجانج هونيك.

«المثقف المصري ومتغيرات التسعينيات» عنوان ندوة نظمتها رابطة التربية الحديثة في القاهرة، تحدث فيها د. غالي شكري.

ألقى الشاعر بلند الحيدري محاضرة في ديوان الكوفة بلندن عن سيرته الذاتية.

رحلة مع الصحافة، إذ عمل بعد تخرجه في كلية العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٤٢م مدرسًا في المدارس الثانوية ثم معيدًا بالجامعة فمحررًا وسكرتيرًا لتحرير جريدة «البلاغ»، كما عمل في الإذاعة مديرًا لقسم العلاقات الخارجية والشؤون السياسية، وتولى في أوائل الخمسينيات الميلادية رئاسة تحرير مجلة «الإذاعة» باللغتين العربية والإنجليزية، فكان أصغر رئيس تحرير، وفي عام ١٩٥٩م أسس «دار القلم» التي أممتها الحكومة فيما بعد، كما تولى رئاسة الشركة القومية للتوزيع، وفي عام ١٩٦٨م أسس «دار الشروق» بالقاهرة، وأتبعها بمطابع الشروق في بيروت عام ١٩٧٢م، ثم شروق إنترناشيونال في لندن عام ١٩٨٣م.

وكان آخر مشروعاته - وأهمها - إصدار أول موسوعة عربية شاملة، بدأ الإعداد لها قبل عدة سنوات، وترأس جهاز تحريرها المكون من نحو ٢٥٠ من صفوة العلماء والمفكرين والأدباء المصريين والعرب.

مؤتمر «ابن رشد والتنوير»

نظمت الجمعية الفلسفية في القاهرة مؤتمرًا دوليًا هو الأول من نوعه تحت عنوان «ابن رشد والتنوير» خلال الفترة من ٣ إلى ٦ رجب الماضي (٥ - ٨ ديسمبر ١٩٩٤م).

شارك في المؤتمر عدد كبير من الفلاسفة والمهتمين بفلسفة ابن رشد، بأبحاث تناولت أعمال المفكر المسلم، ودوره في تنشيط حركة البحث، وموقعه بين الفلاسفة العرب والأجانب.

اتحاد للمثقفين

تأسس - مؤخرًا - في القاهرة اتحاد للمثقفين المصريين يحمل اسم «اتحاد المثقفين للدفاع عن حرية الفكر والتعبير».

وانتخب سعد الدين وهبة وكيلاً للاتحاد الذي ينضوي معظم أعضائه تحت لواء الاتجاه العلماني.

مهرجان مصر وأوربا

شاركت ١٤ دولة أوربية في مهرجان ثقافي علمي أقيم - مؤخرًا - في القاهرة تحت عنوان «مصر وأوربا».

تضمن المهرجان مجموعة من المحاضرات العلمية، معظمها عن الحفائر الأوربية في مصر ونتائجها، إضافة إلى معرض في المتحف المصري ضم ٥٦ قطعة أثرية، تعرض للمرة الأولى، ومن المقرر أن يستمر المعرض حتى نهاية شهر شعبان الجاري.

كتب جديدة

صخب البحيرة، رواية لمحمد البساطي، صدرت عن دار شرقيات.

تفسير رسالة أدب الكاتب، تأليف الإمام أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق د. عبدالفتاح السيد سليم، صدر عن معهد المخطوطات العربية في القاهرة.

«نشاط الدعوة الإسلامية في جنوب أفريقيا» موضوع محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي، أحمد ديدات.

«حقوق المرأة في الإسلام» عنوان ندوة أقامتها الجامعةالأمريكية في القاهرة، تحدث فيها الدكتور محمد سيد طنطاوي.

«الجامعة المصرية وتحديات القرن الواحد والعشرين» عنوان ندوة نظمتها جامعة حلوان، وتحدث فيها الدكاترة: حسين كامل بهاء الدين وعبدالوهاب عبدالحافظ ومحمد الجوهري.

«تحرير بعض المفاهيم النقدية» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي، د. محمد مريسي الحارثي.

«العمارة في الكويت وتحديات العصر» عنوان محاضرة ألقاها في جمعية المهندسين الكويتيين، د. مهندس وداد السويح.

«الرواية وجمهورها» عنوان محاضرة ألقاها في الجمعية المصرية للنقد الأدبي في القاهرة ، د. عبدالمنعم تليمة.

ناقش نادي القصة بالقاهرة مجموعة القاص صفوت عبدالمجيد «الكلاب الجائعة»، أدار المناقشة نبيل عبدالحميد، وشارك فيها كل من: د. رمضان بسطاويسي، د. يسري العزب، محمد جبريل، محمد محمود عبدالرازق، ومجدي توفيق.

«الأندلس في الشعر العربي الحديث» عنوان محاضرة ألقتها في المركز الثقافي الإسباني بالقاهرة»، اعتدال عثمان.

«التوجهات الفنية المعاصرة في التسعينيات» عنوان محاضرة ألقاها في إتيليه القاهرة، الفنان التشكيلي أحمد نوار.

«التنشئة على طريق الإبداع»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة القاهرة، د. مصطفى سويف.

«الأجزاء الزمانية» موضوع محاضرة ألقتها في قسم الفلسفة بجامعة الكويت د. شفيقة بستكي.

الحركة الثقافية في شهر

تاريخ الأباضية وعقيدتها مع رسالة في كتب الأباضية، تأليف أبي الفضل بن أبي القاسم بن إبراهيم البرادي؛ تحقيق د. محمد زينهم، صدر عن دار الفرجاني في القاهرة.

التراث المجهول: إطلالة على عالم المخطوطات، تأليف د. يوسف زيدان، صدر عن دار الأمين.

عصر سلاطين المماليك، تأليف د. قاسم عبده قاسم.

إظهار الإسلام، تأليف روجيه دوباسكويه.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق.

جئت بعد الغرق، ديوان للشاعر السفير عبدالعزيز محيي الدين خوجه، صدر عن دار الزهراء للنشر.

نهاية الكون الزمني، تأليف د. جلال عبد الفتاح، صدر ضمن سلسلة عالم الفضاء عن منشورات الفارابي.

الكاريكاتير السياسي في مصر، تأليف شفيق عبده، صدر عن دار الأمل.

أزمة المعرفة التاريخية: فوكو وثورة في المنهج، تأليف بول فيين، ترجمة وتقديم إبراهيم فتحي، صدر عن دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

يوسف إدريس وعالمه في القصة القصيرة والرواية، تأليف عبد الرحمن أبو عوف، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ندوة قاهرية تؤكد: الدين أساس الحضارة والقومية لاتعني فقدان الهوية

نظمت مؤسسة الأهرام الصحفية ندوة في القاهرة بعنوان «نحو مشروع حضاري عربي» خلال الفترة من ١ إلى ٣ جمادى الآخرة الماضي (٥ ـ ٧ نوفمبر ١٩٩٤م).

شارك في الندوة عدد من الوزراء المصريين الحاليين والسابقين، ومجموعة كبيرة من المفكرين من أقطار عربية مختلفة، ناقشوا على مدى ثلاثة أيام ثلاثة محاور رئيسة هي: العلاقات العربية ـ العربية، والعلاقات العربية ـ الإقليمية، والعلاقات العربية ـ الدولية.

ووجَّه الأديب نجيب محفوظ ـ الذي لم يتمكن من المشاركة لوجوده في المستشفى ـ رسالة من عشرة أسطر للمؤتمرين أكد فيها أن المستقبل الحضاري يجب أن يقوم في أساسه على الإسلام، وفي قدرته على الحوار مع سائر حضارات العالم، والاستفادة من كل نقطة نور لاتتناقض مع مبادئنا الأساسية، وأن يكون الاعتماد على دعامتين: القيم الموروثة من ناحية، والعلم من ناحية أخرى، فضلا عن كل ما ثبت أنه مفيد في تطوير البشرية.

وجاءت رسالة محفوظ بمثابة لطمة لنفر من المثقفين الذين حاولوا استثمار محاولة اغتياله في الكيد لكل ما ينتمي إلى الإسلام.

وانتهى المشاركون في الندوة إلى طرح صياغة أولية لما أسموه عناوين أو رؤوس مسائل لمشروع حضاري عربي، يعتمد على الحضارة العربية الإسلامية، مستخدمًا أدوات العصر وأوعيته، مستوعبًا مفاهيمه، وتضمنت العناوين المطروحة:

١ـ الدين مكون أساسي للحضارة، يجب إعلاء مفاهيمه، والتأكيد على أنه تنوير وأساس لكل نهضة.

٢ـ الديموقراطية لم تعد مجرد مذهب سياسي، لكنها ضرورة للتقدم.

٣ـ القومية لاتعني فقدان الهوية الفطرية.

٤ـ إن الثقافة ـ بمعنى المعرفة ـ حق أساسي للإنسان، وشرط أساسي لتكوين معرفة متنامية، تستوعب التجربة الحضارية، فالثقافة بمفهومها الواسع تنمية للبشر على مدى العمر، وعلى ذلك يجب توحيد المناهج التعليمية والتربوية في الأقطار العربية، واعتبار محو الأمية مشروعًا قوميًا عربيًا، والاهتمام بالعمل والتقنية في مراحل التعليم المختلفة، والتأكيد على أن الثقافة والإعلام والفنون تعد صناعات ثقيلة سواء من حيث أهدافها أو تأثيراتها، ومن هنا تدعو الندوة إلى إنشاء مؤسسات ثقافية وإعلامية وفنية عربية مشتركة.

٥ـ الوعي بما هو من أهم ما ينبغي الاهتمام به وهو صيانة الإنسان العربي وحماية عقله ووجدانه.

٦ـ دعوة رجال الاقتصاد والأعمال لعقد ندوة متخصصة لبحث الواقع الاقتصادي، وآفاق الاستثمار في الأمة العربية، وسبل التعاون المشترك.

٧ـ ضرورة إقامة كيانات اقتصادية ومالية عربية كبيرة مثل إنشاء بنك قومي استثماري برأسمال لايقل عن خمسين مليار دولار.

٨ـ الدعوة لتأسيس شركات قومية متعددة الوطنية برؤوس أموال ضخمة وتيسيرات حكومية تعمل في كل المجالات.

٩ـ دعوة الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز إلى تخصيص صفحات أو برنامج بعنوان «نحو مشروع حضاري عربي» يطرح المفكرون والمثقفون آراءهم من خلاله.

١٠ـ إعلاء كلمة القوى العاملة العربية وتسهيل تنقلاتها بين الأقطار العربية، ومنحها الأولوية.

وأعرب المشاركون في الندوة في بيانها الختامي عن أملهم في اتفاق العرب على مفاهيم مشتركة تجعل من الممكن توصيف وتحليل مايدور، والمشاركة في صياغة المفاهيم الدولية التي تؤثر في المصالح العربية، ودعوا إلى تشكيل مؤسسة قومية للعناية بالمشروع الحضاري العربي.

شـعب يوليـو، رواية نادين جـورديمر، ترجـمهـا إلى العـربيـة أحـمـد هريدي، وصدرت عن الدار المصرية اللبنانية.

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تأليف الشيخ يوسف البديعي، تحقيق مصطفى السقا، محمد شتا، وعبده زيادة عبده، صدر - في طبعة جديدة - عن دار المعارف.

لبنان

معرض الكتاب العربي

شاركت ١٤٤ دار نشر لبنانية و ١٤ دار نشر عربية، إضافة إلى بعض الجامعات في المعرض العربي والدولي للكتاب في دورته الثامنة والثلاثين، التي اختتمت في شهر رجب الماضي.

رافقت المعرض مجموعة من النشاطات الثقافية والأدبية، ما بين أمسيات شعرية وقصصية، ومحاضرات وندوات، أبرزها ندوة بعنوان «المكتبات في لبنان: مشكلات وحلول».

يذكر أن المعرض ينظمه كل عام النادي الثقافي العربي في بيروت.

كتب جديدة

دراسات في تأصيل المعرّبات والمصطلح من خلال رسالة تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا، تأليف د. حامد صادق قنيبي، صدر عن دار الفكر المعاصر في بيروت.

المنخّل مختصر إصلاح المنطق، تأليف الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي، تحقيق د. جمال طلبة، صدر عن دار الكتب العلمية.

معجم الأمثال العربية، إعداد د. محمود صيني، مصطفى عبدالعزيز، ومصطفى أحمد سليمان، صدر عن مكتبة لبنان.

المونولوج الداخلي عند نجيب محفوظ، تأليف زياد أبو لبن، صدر عن دار الينابيع.

لغات عربية: دراسة في خريطة الإبداع اللغوي السابق وتساؤل حول إبداع لاحق، تأليف د. أمين البرت الريحاني، صدر عن دار الجديد.

الأردن

فتح الترشيح لجوائز عبدالحميد شومان

أعلنت مؤسسة عبدالحميد شومان عن فتح باب الترشيح لجوائزها المقدمة للعلماء العرب الشبان عن عام ١٩٩٤م في مجالات: العلوم الطبية الأساسية، العلوم الطبية السريرية، العلوم الهندسية، العلوم الزراعية، العلوم الحياتية، العلوم الاجتماعية، العلوم الإنسانية، الرياضيات (بما فيها الأنظمة والحاسب الآلي)، العلوم الفيزيائية والجيولوجية، والكيمياء.

اشترطت المؤسسة أن يكون المتقدم عربي الجنسية، ويعمل داخل الوطن العربي، ومن مواليد ١٩٥٤م، وأن يتم ترشيحه كتابيًا بتوقيع أستاذين من الجامعة أو المؤسسة العلمية التي ينتمي إليها، على أن يضم كتاب الترشيح ترجمة مختصرة للمرشح، ولائحة منشوراته العلمية، ويتم إرسال ثلاث نسخ من الإنتاج العلمي الكامل له، وكذلك الوثائق والمعلومات الأخرى المذكورة في نموذج يمكن الحصول عليه من المؤسسة.

جمعية للمترجمين

تأسست - مؤخرًا - في عمان جمعية باسم «جمعية المترجمين» بهدف تشجيع الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، وبالعكس، لتنمية التفاعل الثقافي بين الشعوب العربية وغيرها من الشعوب.

وتقوم الجمعية حاليًا باختيار عدد من الكتب العربية لترجمتها إلى اللغات الأخرى، وانتقاء عدد من المؤلفات الأجنبية لتقديمها إلى قراء العربية.

كتب جديدة

طيور في سماء الأردن، تأليف أرسلان رمضان، د. هالة الخيمي الحوراني، صدر عن منشورات بنك الأعمال.

أيام القرية، رواية لماجد ذيب غنما، صدرت عن مطبعة جامعة اليرموك في أربد.

ند القمر، رواية لأنور الخطيب، صدرت عن دار الكرمل للنشر في عمان.

العراق

تكريم نازك الملائكة

أقام ملتقى الإبداع العراقي الذي تشرف عليه وزارة الثقافة والإعلام ندوة تكريمية للشاعرة نازك الملائكة (٧١ عاما).

شارك في الندوة مجموعة من الأدباء والشعراء العراقيين والعرب، الذين تحدثوا عن دور نازك في ريادة الشعر العربي الحديث،

الحركة الثقافية في شهر

ودورها في النقد.

المعروف أن نازك الملائكة تعالج حاليًا في أحد مستشفيات الأردن.

وفاة جبرا إبراهيم جبرا



جبرا ابراهيم جبرا

توفي في بغداد (١٠ رجب ١٤١٥هـ/ ١٢ ديسمبر ١٩٩٤م) الكاتب والناقد والروائي جبرا إبراهيم جبرا عن عمر يناهز الرابعة والسبعين.

وكان الأديب الفلسطيني الأصل قد استقر في العراق منذ بداية الخمسينيات الميلادية، وتجنس بالجنسية العراقية، وقد اشتهر بين أبناء جيله ـ والأجيال التي تلته ـ بترجمته الراقية لأعمال وليم شكسبير، وبعض الروايات العالمية الأخرى.

مارس جبرا عدة ألوان من الإبداع ـ إلى جانب الترجمة والنقد ـ مثل كتابة الرواية والرسم. ففي مجال الرواية كتب عدة روايات، من أبرزها «البحث عن وليد مسعود»، كما صدر له أكثر من أربعين كتابا في مختلف الفنون، وترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأخرى.

سورية

كتب جديدة

السلام الأجوف، تأليف بلال الحسن، صدر عن دار الأهالي.

الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي، تأليف د. فاطمة عبدالفتاح، صدر عن دارالفكر.

مفارقات الحداثة الخمس، تأليف أنطوان كامبانيون، ترجمة د. محمد عضيمة، صدر عن دار المواقف.

الشاعر في المسرح، تأليف رونالد بيكوك، ترجمة ممدوح عدوان، صدر عن وزارة الثقافة.

أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج، تأليف د. مسعود بوبو، صدر عن مؤسسة نوري.

إطلالة على الإعجاز اللغوي في القرآن، تأليف حسن عباس، صدر عن دار الحوار.



إقبال

الأندلس بين شوقي وإقبال: دراسة في الأدب الإسلامي المقارن، تأليف د. حسين مجيب المصري، صدر عن دار الوعي.

أوراق الليل والياسمين، رواية لفيصل خرتش، صدرت عن دار النافذة.

رسائل جامعية

«مفهوم الذات والاضطرابات السلوكية للأطفال المحرومين من الوالدين» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عين شمس، تقدم بها أنس محمد أحمد قاسم.

«تطوير العمليات الإدارية في الأجهزة الأمنية لمواجهة مشكلات الحجاج: دراسة تطبيقية على إمارة مكة المكرمة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها عويض سويلم القثامي.

«عبدالله الطائي: حياته وأدبه» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان، تقدم بها محسن بن حمود بن محسن الكندي.

«أحكام الإعسار المالي في الفقه الإسلامي» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها فضل الرحيم محمد عثمان.

«دوال التكاليف لمصفاة الرياض: دراسة تطبيقية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها مطلق مشعل فهد الحارثي.

«الواقعية الاجتماعية في أدب نجيب محفوظ وكاميلو خوسيه ثيلا: دراسة مقارنة تحليلية» موضوع رسالة دكتوراة نوقشت في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، تقدم بها شكري طه شوكت.

«أثر البيئة الصحراوية في طرق القوافل في شبه الجزيرة

ليبيا

وفاة الصادق النيهوم

توفي في جنيف - مؤخراً - الكاتب والمفكر الصادق النيهوم عن عمر يناهز ٥٧ عاماً.

والنيهوم من مواليد بنغازي عام ١٩٣٧م، وفي كليتها الوحيدة «كلية الآداب» تخرج عام ١٩٦٠م، وغادر إلى القاهرة لمتابعة دراساته العليا، ومنها إلى هلسنكي في فنلندا لدراسة مقارنة الأديان. ومارس الكتابة الصحافية في صحيفة «الحقيقة»، ثم في مجلات عربية أخرى مثل «الأسبوع العربي» و «الناقد»، وأسهم في تأسيس المؤسسة العامة للصحافة في ليبيا في بداية السبعينيات الميلادية.

وترك الراحل نحو تسعة كتب، من أبرزها: «تحية طيبة وبعد»، «القرود»، و«كلام الناس».

المغرب

المخطوطات - للمرة الأولى - في معرض الدار البيضاء للكتاب

شارك نحو ١٨٦ عارضاً و ٤٣٥ مؤسسة عربية وأجنبية في معرض الدار البيضاء الدولي الخامس عشر للنشر والكتاب.

ضم المعرض أحدث الإصدارات، كما عُرِضَتْ - للمرة الأولى - مخطوطات نادرة، تجاوز عمر بعضها الألف عام، وَخَصَّصَ جناحاً لمسجد الحسن الثاني، لإبراز فنون المعمار المغربي من خلال الصور والكتب وكذلك مواد البناء التي استخدمت في بناء المسجد، كما أقيمت على هامشه مجموعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات الشعرية والقصصية.

وفاة مترجمة معاني القرآن للفرنسية

توفيت - مؤخراً - في مراكش المستشرقة الفرنسية دنيز ماسون عن عمر يناهز ٨٨ عاماً.

وتعد ماسون من المتخصصات في الشؤون الإسلامية، وقد استقرت في المغرب منذ عام ١٩٢٩م، وتعلمت اللغة العربية وأجادتها، وعكفت على ترجمة معاني القرآن الكريم، حيث استطاعت بعد ٣٠ عاماً من البحث في الشريعة الإسلامية إنجاز ترجمة لمعاني القرآن نشرتها دار جاليمار عام ١٩٧٦م، وأقرها الأزهر عام ١٩٧٩م.

وكرست ماسون حياتها لدرس القرآن وتعزيز الحوار الإسلامي المسيحي، وصدرت لها عدة كتب من أبرزها «القرآن والديانة اليهودية والمسيحية: دراسات مقارنة»، و«التوحيد في القرآن والتوراة؛ نظريات مقارنة»، و«الماء والنار في الضوء»، كما نشرت مذكراتها تحت عنوان «باب مفتوح على حديقة مغلقة».

كشف أثري

عثر على مجموعة من الأشكال الهندسية في مقبرة مهجورة تسمى «للاهنية الحمرية» في مدينة آسفي على ساحل المحيط الأطلنطي يعتقد أنها تعود إلى العصر الموحدي ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين.

تضم الآثار المكتشفة بقايا أسوار، وحفرة كبيرة يرجح أنها كانت خزانات للمياه، وجاء اكتشافها مصادفة أثناء قيام شركة للبناء بتجهيز قطعة أرض لبناء مساكن.

أوزبكستان

افتتاح أول مركز ثقافي عربي

افتتح - مؤخراً - في طشقند المركز الثقافي المصري، الذي يعد أول مركز ثقافي عربي

العربية» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الخليج العربي بالبحرين، تقدم بها بندر فهد الجويعي.

«فلسفة التنوير عند السوفسطائيين» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الفلسفة بكلية الآداب بسوهاج في مصر، تقدم بها محمود مراد.

«أحكام التطوع في الصلاة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات بالرياض، تقدمت بها البندري بنت عبدالله محمد جليل.

«الأسفار التاريخية في العهد القديم: عرض ونقد» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، تقدم بها صابر أحمد طه.

الحركة الثقافية في شهر

يقام في آسيا الوسطى.

قام بافتتاح المركز وزير التعليم المصري د. حسين كامل بهاء الدين أثناء زيارته لأوزبكستان على رأس وفد ثقافي ـ تعليمي مصري، بحضور وزيري الخارجية والتعليم في أوزبكستان.

الهند

دعوة لإنقاذ تاج محل

ناشد عالم بيئة هندي المجتمع الدولي العمل على إنقاذ «تاج محل» من الخطر الذي يتهدده بفعل تعرضه للمؤثرات الطبيعية على مدى قرون.

وتاج محل مقبرة شيدها ـ من الرخام ـ السلطان الهندي المسلم «شاه جهان» لتكون مثوى لزوجته «ممتاز محل»التي توفيت، ويعيش الرخام ـ عادة ـ حسب نوعه مابين ٤٠٠ إلى ٩٠٠عام.

إسبانيا

جائزة سيرفانتس لفارجاس

منح الروائي ماريو فارجاس يوسا جائزة سيرفانتس للأدب لعام ١٩٩٤م اعترافا بالأهمية البالغة لأعماله.

وعُرف فارجاس (٥٨ عاما) ـ وهو من بيرو ـ برواياته ومسرحياته ومقالاته ذات النمط المميز، وقد بدأ الكتابة عام ١٩٥٩م بمجموعة قصصية عنوانها «الرؤساء»، وبدأت شهرته بصدور روايته «المدينة والكلاب» عام ١٩٦٣م، وسبق له أن حصل قبل عامين على جائزة بلانيتا الأدبية الإسبانية عن روايته «ليتوما في الأنديز»، وجائزة أمير استورياس للأدب عام ١٩٨٦م، وهو يحمل إلى جانب جنسية بيرو، الجنسية الإسبانية، ومن أشهر أعماله: «نقاش في الكاتدرائية» و «حرب نهاية العالم».

النرويج

مركز إسلامي جديد

يقام حاليا في أوسلو أول مركز إسلامي متكامل في النرويج لخدمة الجالية المسلمة البالغ تعدادها ٤٤ ألف نسمة.

ينتظر أن يضم المركز ـ إلى جانب المسجد ـ مدرسة لأبناء المسلمين، ومكتبة ومركزًا ثقافيًا يقدم برامج ثقافية متنوعة.

جمهورية التشيك

مؤتمر نادي القلم الدولي

عقد في براغ ـ مؤخرًا ـ المؤتمر العام لنادي القلم الدولي برعاية رئيس الجمهورية التشيكية الكاتب المسرحي فاتسلاف هافل.

تعد هذه ثاني مرة تستضيف فيها براغ المؤتمر، حيث سبق أن عقد فيها عام ١٩٣٨م، وقد ناقش المؤتمر في دورته الأخيرة قضايا التسامح والالتزام ودور الكُتّاب في المجتمعات الديموقراطية.

النمسا

معرض ثقافي لأعمال جوزيف روث

يقام حاليا في فيينا معرض ثقافي يضم أهم أعمال الكاتب والأديب النمساوي جوزيف روث.

يستمر المعرض حتى الحادي عشر من شهر رمضان المقبل (١٢فبراير ١٩٩٥م)، ويتضمن إلى جانب أشهر أعماله ومؤلفاته بعض المؤلفات التي تناولت قصة حياته وأعماله، ومجموعة من أشهر الصور الفوتوغرافية لمراحل حياته المختلفة.

فرنسا

معهد العالم العربي يكرم السيّاب



بدر شاكر السياب

ينظم معهد العالم العربي في باريس ندوة عن الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على وفاته، خلال يومي ١٩ و ٢٠ شعبان الجاري الموافق ٢٠ و ٢١ يناير ١٩٩٤م،

بمشاركة عدد من الشعراء والنقاد العرب والأجانب.

تنقسم الندوة إلى أربع جلسات تتخللها نشاطات فنية مختلفة، حيث تعقد الجلسة الأولى بعنوان «السياب حياته وشعره»، وتتخذ الجلسة الثانية شكل حلقة شعرية حية، يقرأ فيها كل شاعر بلغته مقاطع من شعر السياب دون توقف أو ترجمة، وتعقد الجلسة الثالثة في صباح اليوم الثاني للندوة، موضوعها «السياب وحركة الشعر العربي الحديث»، أما الجلسة الرابعة فتعقد تحت عنوان «شهادات»، ويتحدث فيها عدد من الشعراء بشهاداتهم في شعر السياب.

من أبرز المشاركين العرب والأجانب: د. إحسان عباس، جمال الدين بن شيخ، محمد بنيس، أحمد عبدالمعطي حجازي، أدونيس، عبدالوهاب البياتي، جاك لاكرير، أندريه ميجل، وآخرون.

قناة تلفازية فرنسية بالعربية

في محاولة لطمس الهوية الإسلامية بين أبناء الجالية المسلمة في فرنسا، تجرى حاليًا دراسات لبث قناة تلفازية فرنسية ناطقة باللغة العربية، في إطار سياسة دمج المهاجرين مع المجتمع.

ترمي هذه القناة إلى الحد من انتشار الهوائيات وأجهزة الاستقبال الفضائية والحيلولة دون استقبال العائلات العربية والمسلمة القنوات العربية والإسلامية التي تضاعف عددها، خشية ما قد ينجم عن البرامج الدينية التي تذيعها من تمسك المسلمين بعقيدتهم.

العرب يحصدون جوائز فرنسا

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز «جونكور» و «رونودو» و «الأكاديمية الفرنسية» و«محمود الهمشري».

كانت جائزة جونكور من نصيب الكاتب ديديه فان كويلارت، عن روايته «تذكرة ذهاب». ولكويلارت البالغ من العمر ٣٤ عامًا سبع روايات وبضع مسرحيات.

ومُنح غيبوم لوتوز جائزة رونودو عن روايته «مثل والدك»، ولوتوز مخرج فني في السادسة والعشرين من عمره، وله عدة روايات آخرها «كم تغيرت» الصادرة عام ١٩٩٢م.

وفاز الكاتب الجزائري محمد ديب بالجائزة الكبرى للفرانكفونية لعام ١٩٩٤م التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية، ويعد محمد ديب من أوائل الروائيين العرب الكاتبين بالفرنسية، وقد ألف أول قصة روائية عام ١٩٥٢م بعنوان «البيت الكبير».

ونالت الباحثة اللبنانية ـ الفلسطينية نائلة فاروقي جائزة مورون للفلسفة، والشاعر والطبيب اللبناني إدوار عازوري جائزة إشعاع اللغة الفرنسية، واللبناني جيرار خوري جائزة ديان بوتييه ـ بواس عن كتابه «فرنسا والشرق العربي»، وجميع الجوائز السابقة تمنحها الأكاديمية الفرنسية.

كما فاز الشاعر الفلسطيني محمود درويش بجائزة محمود الهمشري التي تمنحها جمعية التضامن الفرنسية ـ العربية عن كتابه «ذاكرة النسيان».

مهرجان «فياك»

افتتح ـ مؤخرًا ـ في باريس المهرجان العالمي الحادي والعشرون للفنون الذي يُعرف باسم «فياك».

ويشكل هذا المهرجان سوقًا عالمية لأنواع الفنون التشكيلية من نحت ورسم وحفر وتصوير وفيديو، وغير ذلك، حيث تتسابق إلى حضوره مختلف صالات العرض في العالم.

أحدث الكتب

نحن والتراث، والأصالة والمعاصرة، كتابا د. محمد عابد الجابري ترجمهما إلى اللغة الفرنسية أحمد محفوظ ومارك جيوفري، وصدرا عن منشورات لاديسكوفيرت في باريس.

البلدة الأخرى، رواية إبراهيم عبدالمجيد، صدرت ترجمتها إلى اللغة الفرنسية عن دار اكتوسود للنشر.

قاضي الظل، مسرحية لعبداللطيف اللعبي، صدرت عن منشورات الاختلاف.

زمن الأخطاء (سيرة ذاتية للكاتب المغربي محمد شكري)، ترجمها إلى اللغة الفرنسية محمد الفليزوري، وصدرت عن دار لوسوي.

الولايات المتحدة

معرض للأطباء المسلمين

يقيم المعهد الأمريكي للصحة معرضًا بواشنطن للأطباء المسلمين عن الفترة ما بين القرنين الميلاديين الحادي عشر والتاسع عشر.

الحركة الثقافية في شهر

يضم المعرض مخطوطات طبية عربية، من أقدمها وأهمها مجلد عن الأمراض المعوية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، يعود تاريخه إلى ماقبل تسعمائة عام.

متحف لطب الأسنان

يفتتح في مدينة بالتيمور بولاية ميرلاند في بداية العام الميلادي المقبل ١٩٩٦م، أول متحف من نوعه لطب الأسنان، تقرر أن يطلق عليه اسم «صامويل هاريس» الذي تبرع بمليون دولار لإنشائه.

يرمي المتحف إلى رفع الوعي الصحي للعناية بالأسنان، ويعرض نحو ٤٠ ألف آلة خاصة بطب الأسنان، تبين الطرق المستخدمة قديمًا في خلع الضروس والأسنان، ومن ضمن المعروضات طاقم الأسنان الصناعي السفلي للرئيس الأمريكي الأسبق جورج واشنطن، المصنوع يدويًا، والمغطى بطبقة من العاج.

وتعد مدينة بالتيمور أول مدينة أمريكية أقيمت بها كلية لطب الأسنان عام ١٨٤٠م.

معرض الفن القديم

يستضيف متحف بول جيتي حاليًا وحتى الرابع عشر من شهر شعبان الجاري (١٥ يناير ١٩٩٥م) معرضًا بعنوان «الفن القديم».

يضم المعرض أعمالاً فنية قديمة ونادرة، استعيرت من عدة معارض في بلدان العالم المختلفة، تغطي فترة زمنية تبدأ من عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد، وحتى عام ٤٠٠ الميلادي.

بريطانيا

معرض تجارة العبيد عبر الأطلنطي

افتتح ـ مؤخرًا ـ جناح خاص في متحف منطقة ميرسيسايد البحري بمدينة ليفربول يسرد قصة أربعمائة عام من تجارة العبيد عبر المحيط الأطلنطي، التي بدأت في القرن السادس عشر، واستهدفت الأفارقة بخاصة.

أطلق على الجناح «الرق عبر الأطلسي ضد الكرامة الإنسانية»، ويشرح الجناح جذور الرق عبر المحيط، ولماذا أراد المستعمرون استخدام العمالة الأفريقية في القارة الأمريكية، ويتضمن نموذجًا لغرفة مرسومة من القرن الثامن عشر، فيها كل ما يتعلق بالحياة اليومية للعبيد، أو أغراض تتعلق بهذه التجارة غير الإنسانية، تظهر مدى الاعتماد على اقتصادياتها.

كما يكشف الجناح كيف كانت الفنون والثقافة والتقنيات المختلفة مزدهرة في غرب أفريقيا، ومهارة الأفارقة في الطب والحساب والفلك والصناعات اليدوية بأنواعها، مما جعلهم يثرون ثقافات أوربا وأمريكا بحضاراتهم.

ألمانيا

سمبرون يفوز بجائزة الناشرين الألمان

منح الأديب والكاتب الإسباني خورخه سمبرون جائزة السلام للناشرين الألمان تقديرًا لكتاباته التي أسهمت في إذكاء روح الحرية والسلام في العالم.

وخورخه المولود في مدريد عام ١٩٢٣م له تاريخ طويل في الكفاح من أجل الحرية، حيث كان أحد أعضاء المقاومة الفرنسية ضد الألمان إبان الحرب العالمية الثانية، وكاد أن يُعدم، كما عُرف بمعارضته ديكتاتورية حاكم إسبانيا الراحل الجنرال فرانكو، وعاد إلى بلاده عندما مات الديكتاتور، وبدأت مرحلة الديموقراطية.

وله عدة قصص وروايات من أبرزها قصته «يوم الأحد الجميل»، وقصة «الموت الثاني لرومان مركاديه»، إضافة إلى سيرته الذاتية التي نشرها في كتابيه: «أسرار باريس الجديدة» و«حياة فريدريكو سانشيز».

الفائزون بجائزة ماربورج الأدبية

منح الأديب الألماني راينهارد برجل والأديب النمساوي روبرت مانكاس، ـ مناصفة ـ الجائزة الأدبية لمدينة ماربورج الألمانية لعام ١٩٩٤م، ومنحت السيدة إلزا أوتموس جائزة أفضل ترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة الألمانية.

وراينهارد روائي ألماني شرقي، من أشهر رواياته «الأب والأم»، أما مانكاس فهو أستاذ جامعي نشر عدة قصص طويلة، أبرزها «أزمنة الروح والعالم المندثر»، وتعد إلزا أوتموس واحدة من أبرز المترجمات، وقد نالت الجائزة عن ترجمتها لقصة: «جنرال اتحادي من مدينة بيج سور» للكاتب الأمريكي ريتشارد براوتيجام.

تنويه

نشرت المجلة في العدد (٢١٤) قصيدة بعنوان «أمة المجد» للشاعر محمود حامد، خطأ باسم: عدنان عبدالرحمن أبو العطا، والمجلة تعتذر من هذا الخطأ غير المقصود.

كتب وردت

الحرمان الشريفان: قمة العمارة الإسلامية المعاصرة.

كتاب توثيقي عن الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، دعمه المؤلف منصور حسين عطار بحوالي (١٧٠) صورة حديثة وقديمة «تاريخية»، إلى جانب المصورات والجداول الإحصائية والرسوم البيانية والتوضيحية عن تطور المدينتين المقدستين والمراحل التي مَرّتا بها، حتى تم تنفيذ مشروع خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز لعمارة الحرم المكي والمسجد النبوي الشريف وتوسعتهما.

وقد ضم الكتاب حقائق وأرقامًا عن أكبر مشروع لتوسعة الحرمين الشريفين، من المصدر الهندسي المسؤول عن تنفيذ المشروع، فقدم المؤلف، وصفًا دقيقًا لهذه العمارة الإسلامية في الحرمين الشريفين: مناراتُها، قبابُها، أعمدتها، مداخلُها، سلالمُها المتحركة، الأعمالُ الكهربائيةُ، النظام الصوتي، التهوية والتكييف والخصائصُ الإنشائية والمعمارية.

صدرالكتابُ عن دار الخثرمي في جدة، وقدم له كل من الدكتور عبدالله عمر نصيف نائب رئيس مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، والدكتور رضا محمد سعيد عبيد عضو مجلس الشورى.

دليل الدعاة

كتاب يرشد الخطباء والدعاة والقائمين على تنظيم المحاضرات، لاختيار الموضوعات وانتقاء الأفضل منها، وفقًا للمقتضيات والظروف. يشتمل الدليل على أفكار وقضايا تصلح أن يعالجها الخطيب والداعية حسب حاجة الناس، ويضم رؤوس موضوعات تحت عناوين: العلم، التوحيد، الإسلام، الإيمان، العبادات، التجارة، الأسرة، التربية، الدعوة، الجهاد، الأدب، المحذورات، الحوادث، منوعات، الجزئيات. وكذلك يساعد الدليل على توجيه الدعاة والخطباء ومنظمي المحاضرات لاستكمال جوانب القضية التي يتناولونها بالسعي إلى جمع عناصرها من آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وحقائق علمية، وغير ذلك من المعلومات التي تثري القضية وتقدم رأيًا مقنعًا.

قام بإعداد الدليل إبراهيم بن محمد بن عبدالله آل سلطان، وصدر في ٤٠ صفحة من القطع الصغير عن دار طويق ضمن «السلسلة المنبرية».

النص الأدبي للأطفال: أهدافه ومصادره وسماته

كتاب يتوجه إلى من يهتمون بأدب الطفل المسلم، وهو في الأصل دراسة نقدية، قسمها المؤلف د. سعد أبو الرضا إلى بابين: تنظيري وتطبيقي. يضم الباب الأول ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول الأدب والثقافة وأهميتهما، ووظائف التجسيد الفني في أدب الطفل، وأهمية هذا اللون من الأدب. وتناول الفصل الثاني الأدب ومراحل الطفولة، محددًا أربع مراحل سنية للطفل. وتحدث الفصل الثالث عن مصادر أدب الأطفال مبتدئًا بالمصادر الإسلامية، وهي القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والحديث الشريف، ثم المصادر التراثية، فالترجمة، وأخيرا المتغيرات العصرية.

وفي الباب الثاني يقدم المؤلف جوانب تطبيقية تعالج أجناس أدب الأطفال، ويقسم هذا الباب إلى فصلين يتناول في أولهما المسرحية: وظائفها، وخصائصها، وانتشارها، ويوازن بين مسرح الطفل والمسرح المدرسي، ويعرض نموذجين تحليلين من المسرحيات الإسلامية. ويناقش في الفصل الثاني موضوع القصة موضحًا الفارق بينها وبين المسرحية، ومبينًا بناء القصة في الأدب الإسلامي، من حيث الفكرة، والحبكة الخلفية، والبيئة، والزمن، والشخصيات، كما يعرض في هذا الفصل لقصص الخيال العلمي موضحًا مفهومها ونشأتها، ومزاياها، ويقدم نماذج تطبيقية للقصص والمعلومات.

يقع الكتاب في ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية.

صرخة

كتاب يناقش حقيقة الموت وعلاماته عند العلماء، ويعرض موقف الطب الشرعي منه، ويقدم مؤلفه طلال بشير النوري وقائع من أخطاء الحكم بموت الإنسان، دون التثبت والتبصر، منذ القدم وحتى الوقت الحاضر، والحالات المأساوية التي تنتج من الإسراع بدفن من يُعتقد موتهم دون التحقق اللازم والضروري. ولذلك اختار المؤلف لكتابه عنوان «صرخة.. لاتدفنوا أحياءكم أحياءً». وعالج موضوع الكتاب في (١١) فصلاً، وقد خصص الفصل العاشر لتناول العلاقة بين الأحياء والأموات في الثقافات المختلفة، والحقيقة التي جلاها الإسلام في هذا الأمر.

يقع الكتاب في (١١١) صفحة من القطع المتوسط، وصدر في جدة بالمملكة العربية السعودية.

ديوان الشعر العربي في القرن العشرين

كتاب يتضمن توثيقًا لـ ٣٤٣ شاعرًا، يمثلون مختلف الأجيال والمراحل والتيارات في العالم العربي والمهجر، وذلك من خلال التأريخ بإيجاز وافٍ لكل شاعر، وموقعه على خارطة الشعر العربي، ودوره في النهضة الشعرية - إن كان ثمة دور له - وأعماله المنشورة، مع نموذج أو أكثر من إبداعه الشعري.

بذل المؤلف راضي صدوق، في الجزء الأول من كتابه جهداً لجمع معلومات جديدة عن عدد من الشعراء الأعلام والمشهورين، كما قام بتصحيح معلومات مغلوطة عن كثير من الشعراء العرب البارزين في هذا القرن، وحرص على إنصاف الشعراء المبدعين الذين تعرضوا للظلم من النقاد والدارسين، أو تم تجاهلهم إعلاميا لأسباب لاتتصل بالمعايير الفنية والأدبية الصحيحة، ويكشف الكتاب الستار عن عشرات الشعراء المبدعين المغمورين أو المجهولين لدى القراء.

الكتاب يقع في ٨٣٠ صفحة من القطع الكبير، وقد صدر عن دار كرمة للنشر في روما.

مسابقة مجلة الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ـ مجلة الفيصل،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١٥)

ج١: أمر الله ـ عز وجل ـ الناس أن يدعوه ويضرعوا إليه، ووعدهم بالاستجابة لهم. قال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أُجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة:١٨٦). وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء». رواه الترمذي وابن ماجة. وروى الترمذي أيضًا، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «مَنْ سَرَّهُ أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء».

وللدعاء آداب ينبغي مراعاتها، منها:

١ـ تحرّي الحلال في الرزق. ٢ـ استقبال القبلة إن أمكن. ٣ـ ملاحظة الأوقات الفاضلة والحالات الشريفة. ٤ـ رفع اليدين حذو المنكبين. ٥ـ البدء بحمد الله وتمجيده والثناء عليه. ٦ـ حضور القلب وإظهار الفاقة والضراعة إلى الله ـ جل شأنه ـ وخفض الصوت بين المخافتة والجهر. ٧ـ الدعاء بغير إثم أو قطيعة رحم. ٨ـ عدم استبطاء الإجابة. ٩ـ الدعاء مع الجزم بالإجابة. ١٠ـ اختيار جوامع الكلم. ١١ـ تجنب الدعاء على نفسه وأهله وماله. ١٢ـ تكرارالدعاء ثلاثا. ١٣ـ إذا دعا لغيره فليبدأ بنفسه. ١٤ـ مسح الوجه باليدين عقب الدعاء.

* * *

ج٢: غزا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمسلمين غزوات عديدة ضد المشركين لإعلاء كلمة الله، وكانت غزواته سبعًا وعشرين غزوة، لكنه لم يقاتل فيها جميعها، وإنما قاتل في تسع منها فقط. هذا عدا ما أرسله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من سرايا وبعوث بلغ عددها ٣٨. وهذه الغزوات ـ حسبما ذكر ابن هشام في السيرة ـ هي: غزوة ودَّان، وهي غَزْوة الأبواء، ثم غزوة بُواط، من ناحية رَضْوَى، ثم غزوة العُشَيْرة، من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى، يطلب كُرْزَ بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى، التي قتل الله فيها صناديد قريش، ثم غزوة بني سُلَيم، حتى بلغ الكُدْر، ثم غزوة السَّويق، يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غَطَفان، وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بَحْران، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حَمْراء الأسد، ثم غزوة بني النَّضير، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دُومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُرَيْظة، ثم غزوة بني لحْيان، من هُذَيْل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المصْطَلق من خُزَاعة، ثم غزوةالحُدَيْبية، لايريد قتالاً، فصدّه المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم عُمرة القضاء، ثم غزوة الفَتْح، ثم غزوة حُنَيْن، ثم غزوة تَبُوك. وقاتل في تسع غزوات هي: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمُصْطَلق، وخَيْبر، والفتح، وحُنَين، والطائف.

* * *

ج٣: هي «رقية» ـ رضي الله عنها ـ بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وقد أُطلق هذا اللقب ـ ذات الهجرتين ـ على صحابية أخرى، هي «أسماء بنت عُميس» ـ رضي الله عنها ـ، التي وصفت بذات الهجرتين ومصلية القبلتين. كما وُصفت به أيضا أم المؤمنين «أم سلمة» ـ رضي الله عنها ـ، وكذلك أم المؤمنين «حبيبة بنت أبي سفيان» ـ رضي الله عنها ـ.

* * *

ج٤: صاحب الألفية التي سبقت ألفية جمال الدين محمد بن مالك، هو

للاشتراك املأ هذه القسيمة (عنوان الاشتراك من الخلف)
الاسم: ....
العنوان: ....

أسئلة مسابقة العدد (٢١٨)

السؤال الأول:

نهى الإسلام عن موالاة الكفار والأعداء، لما فيها من تعريض الأمة الإسلامية للخطر. اذكر ثلاث آيات من كتاب الله تدل على ذلك.

* * *

السؤال الثاني:

حث الإسلام على احترام حرمة أموات المسلمين، ونهى عن سبِّهم أو ذكر مساويهم. لكنه أباح ذلك عمن عُرفت عنه المجاهرة بالبدعة أو الفسق، للتحذير من حاله. اذكر حديثًا شريفًا يدل على ذلك.

* * *

السؤال الثالث:

يعد «البنسلين» أول المضادات الحيوية التي اكتشفت لعلاج العديد من الأمراض. من الذي اكتشفه؟

* * *

السؤال الرابع:

عرف العالم الطباعة بطرق مختلفة منذ عهد بعيد، وتطورت هذه الطرق مع مرور الزمن. منْ ضمن هذه الطرق، طريقة «الليتوجراف». عرّفها باختصار.

* * *

السؤال الخامس:

من صاحب هذين البيتين:

ذريني أَنَلْ مَالا يُنَالُ من العُلا
فصعبُ العُلا في الصَّعبِ والسَّهلُ في السَّهلِ
تريدين لِقيانَ المعالي رخيصةً
ولا بُدَّ دون الشَّهدِ منْ إبَرِ النَّحلِ

* * *

ابن معط، يحيى بن عبدالمعطي المغربي (٦٣٨هـ)، وسمّاها: «الدرة الألفية في علم العربية». وعليها تقوم شهرته، وقد احتذاها ابن مالك في ألفيته، وشرحها عدد من العلماء.

* * *

ج٥: ١ـ الاتقان في علوم القرآن: ألفه: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي.

٢ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا: ألفه: تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي.

٣ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ألفه: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي.

* * *

نتائج مسابقة العدد (٢١٥)

أ ـ فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، منصورة شريف محمد الناطور، عمّان ـ الأردن.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، حيدر سليمان علوان، الدوحة ـ قطر.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، خالد لطيف عبدالله الهبيدي، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

* * *

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ـ كفاية الله نبي خيل، إسلام أباد ـ الباكستان.

٢ـ كوثر عبدالرحيم الحسين العمري، الدار البيضاء ـ المغرب.

٣ـ عبد الرزاق محمد رسول العبد الحنان، حلب ـ سورية.

٤ـ أحمد حبيب محمد البحراني، القطيف ـ المملكة العربية السعودية.

٥ـ بولنوار السعدية، بوسعادة ـ الجزائر.

* * *

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ـ مروان خالد عبد الرؤوف، البقعة ـ الأردن.

٢ـ أبو العينين القطب أبو العينين، الشرقية ـ مصر.

٣ـ داود يحيى أتيم أبوه، أم درمان ـ السودان.

٤ـ الأمين بن الهادي خلفة، تطاوين ـ تونس.

٥ـ فخر الدين أبو العيد الطاهر الفقهي، طرابلس ـ ليبيا.

٦ـ وليد فاضل حسين ناصرالعامري، صنعاء ـ اليمن.

٧ـ مها إبراهيم حافظ، السالمية ـ الكويت.

٨ـ ناصر عبد الفتاح حماد جامع، أسوان ـ مصر.

٩ـ سيدة بنت الطيب التركي، مدنين ـ تونس.

١٠ـ أمل طه علي صالح، أم درمان ـ السودان.

* * *

د ـ كما فاز بجائزة إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١ـ حمد بن علي بن محمد السيابي، مسقط ـ سلطنة عمان.

٢ـ سامية عبدالرحمن محمد هايل، صنعاء ـ اليمن.

٣ـ بكريم الحسين تكيوت، أغادير ـ المغرب.

٤ـ رزق أبازيد، حلب ـ سورية.

٥ـ نور حمزة ناضرة، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٢١٨)
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال:

النّاسُ أخْيافٌ

يضرب هذا المثل في اختلاف الأخلاق.

والأخْيفُ الذي اختلفت عيناه، فتكون إحداهما - مثلاً - سوداء، والأخرى زرقاء، والخَيَفُ جمع أخْيَف وخَيْفاء، والأخياف جمع الخيَف أو الخَيْف الذي هو المصدر، وهو اختلاف العينين، والتقدير: الناس أولو أخياف، أي اختلافات، وإن كانت المصادر لا تُثَنَّى ولاتُجْمَع، لكنها إذا اختلفت أنواعها جمعت كالأشغال والعلوم.

علامات

قيل لبعض العلماء: ماعلامة الإيمان؟ قال: حسن الخلائق، واتباع الحقائق، وبذل المرافق، وحفظ العهود والمواثق، والتسليم للقدر السابق. قيل فماعلامة النفاق؟ قال: نقض العهد، وخلف الوعد، ومنع الرفد والكذب في الهزل والجد. قيل: ففيم النجاة؟ قال: عمل مبرور، وقلب صبور، ولسان شكور، وإدخال السرور، والرضى بالمقدور. قيل: ففيم الهلكة؟ قال: كثرة الفجور، واقتحام الشرور، ومطاوعة الغرور، وعصيان الغفور.

الصدق والكذب

قال الشعبي: عليك بالصدق حيث تظن أنه يضرك فإنه ينفعك، وإياك والكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك، واعلم أن لا جُنة أوقى من الصدق، ولاشيء أقوى من الحق، ولاسبيل أخوف من الكذب، ولاحادث أقبح من الزور، وقد ينتج الله للصادق النجاة العظيمة وإن لم ينوها، والخلاص من النازلة وإن لم يتوهمها.

وليتك تسلم!

لما قدم حاتم الأصم إلى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد الترحيب به: أخبرني كيف التخلص إلى السلامة من الناس، فقال حاتم: بثلاثة أشياء. قال أحمد: ما هي؟ قال: تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم، وتقضي حقوقهم ولاتطالبهم بقضاء حقوقك، وتصبر على أذاهم ولاتؤذهم. فقال أحمد: إنها لصعبة، قال حاتم: وليتك تسلم!

أثقل دماغ

يزن دماغ الرجل البالغ - في العادة - نحو كيلو جرام وأربعمائة وعشرة جرامات، إلا أن دماغ الكاتب الروسي إيفان سيرجيفيتش (١٨١٨ - ١٨٨٣م) بلغ وزنه كيلو جرامين واثني عشر جرامًا، ويقال إن الانجليزي أوليفيه كرومويل (١٥٩٩ - ١٦٥٨م) بلغ وزن دماغه كيلو جرامين ومائتين واثنين وعشرين جرامًا!

صحفي

في عالم اليوم تعني كلمة «صحفي» محررًا مثقفًا يتولى تحرير جريدة، لكن مما قد لايعرفه القراء أن معنى هذه الكلمة أصلاً، كما ورد في معجمي «العين» و «لسان العرب»، هو «الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف». كما عرّف «تاج العروس» الصحفي بأنه الذي يخطئ في قراءة الصحف.

عذره ويعذره

جاء كيسان إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي يسأله عن شيء، ففكر فيه الخليل ليجيبه، فلما استفتح الكلام، قال: لا أدري ماتقول، فأنشأ الخليل قائلاً:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
أو كنت أجهل ماتقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني
وعلمتُ أنك جاهل فعذرتكا

ماأراد غيرهما!

دخل ابن الحصاص على ابن له قد مات، فبكى، وقال: كفاك الله يابني محنة هاروت وماروت. فقيل له: وماهاروت وماروت؟ فقال: لعن الله النسيان، إنما أردت يأجوج ومأجوج. قيل: ومايأجوج ومأجوج؟ قال: فطالوت وجالوت. قيل: لعلك تريد منكرًا ونكيرًا. قال: والله ما أردت غيرهما.

من عجائب الخلق

يبلغ مجال الرؤية للإنسان دون أن يحرك رأسه حوالي ١٦٠ درجة، فيما يمكن للأرنب أن يرى في مجال يبلغ ٣٦٠ درجة دون تحريك رأسه.

أندر طابع

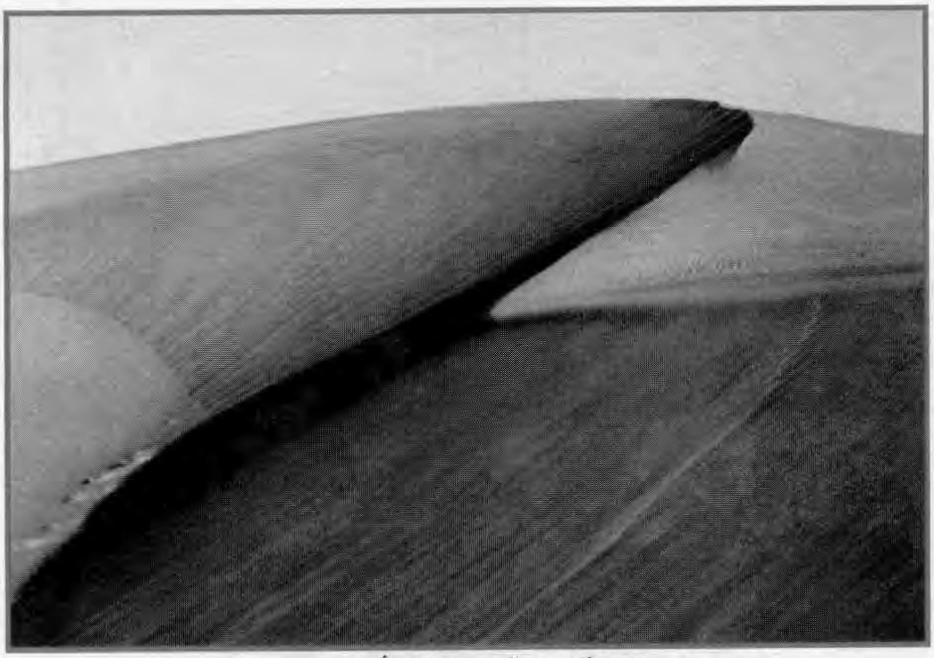
أندر طابع بريد في العالم، هو ذلك الذي صدر في بريطانيا عام ١٨٥٦م من فئة البنس الواحد، حيث لايوجد في العالم أثر لأي إخوة له، فهو وحيد وفريد.

شكر النعمة

قال فيض بن إسحاق: كنت عند الفضيل بن عياض، إذ دخل رجل فسأله حاجة، وألحّ في السؤال عليه، فقلت: لاتؤذ الشيخ! فقال لي الفضيل: اسكت يافيض، أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاحذروا أن تملّوا النعم فتتحول نقمًا، ألا تحمد ربك أن جعلك تُسأل، ولم يجعلك تَسأل.

لهذا سادوا!

كان سلم بن نوفل سيد كنانة، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما، فأُتي به إليه، فقال له: مَنْ أمنك من انتقامي؟ قال: ماسوَّدناك إلا أن تكظم الغيظ، وتعفو عن الزلة، وتحلم عن الجاهل، وتحتمل المكروه. قال: صدقت. وخلى سبيله.



كثيب من الرمل، سبحان من أبدعه

اعتقه من الخطأ

قال الوليد بن عتبة : أسَرَّ إليّ معاوية حديثًا، فأتيت أبي وقلت له: إن أمير المؤمنين أسَرَّ إليّ حديثًا، ولا أظنه كان يطوي عنك ما بسطه إليّ أفأخبرك به؟ قال: لا يابني إن مَنْ كتم سرًا كان الخيار إليه، ومَنْ أفشاه كان الخيار عليه، فلاتكن مملوكًا بعد أن كنت مالكًا. قال: فقلت: يا أبت إن هذا لايدخل بين الرجل وابنه. قال: لا يابني، ولكن أكره أن يتذلل لسانك بأحاديث السر. فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بيني وبين أبي، فقال: ويحك ياوليد، أعتقك أخي من الخطأ.

أربعة وأربعة

أربعة لايزول معها ملك: حفظ الدين، واستكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم. وأربعة لايثبت معها ملك: غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية.

هكذا كانوا

قال خالد بن صفوان: شهدت عمرًا بن عبيد ورجل يشتمه، فما ترك منه شيئًا، فلما فرغ قال له عمرو: آجرك الله على ماذكرت من صواب، وغفر لك ماذكرت من خطأ. فما حسدت أحدًا حسدي عمرًا على هاتين الكلمتين.

نصيحة

أوصى الرشيد ولده المأمون فقال: لاتتكل على أن تقول: كان أبي الرشيد، واعمل على مايتكل عليه مَنْ يقول: كان أبي المأمون.

ثلاثيات

ثلاثة مطلوبة: الصحة وضبط النفس والصديق.

ثلاثة ممتازة: قوة الإدراك والفطنة واللطف.

ثلاثة مرضية: الإخلاص والأخلاق الحسنة والعدالة.

ثلاثة يجب ضبطها: اللسان والأعصاب والهوى.

ثلاثة يجب تجنبها: الكسل والمزاح والخرافات.

ثلاثة مكروهة: القسوة والتشاؤم ونكران الجميل.

دجاج آل فرعون

ذهب أشعب يومًا إلى جار له وقت الغداء كي يأكل معه، إلا أن المضيف ضاق به ولم يكن يرغب في مشاركته الطعام فقال له: إن الدجاج المعد للغداء بارد ويحتاج إلى تسخين، وقام وسخنه، ثم تعمد تركه حتى برد، فقام مرة أخرى وسخنه، وكرر هذا العمل عدة مرات لعل أشعب يمل ويترك البيت. فلما أدرك أشعب مقصده قال له: أرى دجاجك وكأنه آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيه!

كلب يتهجى الكلمات

استطاع الكلب تريكس البالغ من العمر ثلاث سنوات الفوز بخمسة آلاف جنيه استرليني في مسابقة التهجئة الدولية للكلاب التي أقيمت ـ مؤخرًا ـ في مدينة جلاسجو باسكوتلندا، حيث تمكن بطريقة صحيحة من اختيار اثنتي عشرة كلمة من أصل أربع عشرة كلمة، متغلبًا على نحو ١٢٢ كلبًا شاركوا في المسابقة، التي تتم عبر انطلاق الكلاب إلى أحد ثلاثة أبواب، يحوي أحدها الكلمة الصحيحة، بينما يحتوي الآخران على الكلمات الخاطئة.

يزوره في وقت آخر

كان الكاتب الألماني الشهير ليسنج معروفًا بشرود ذهنه، وحدث أن عاد يومًا إلى منزله في ساعة متأخرة من الليل، فلما وصل إلى الباب اكتشف أنه نسي المفتاح في الداخل، فدق الباب بعنف، وسمعه الخادم وأطل النافذة ليرى من الطارق، لكنه لم يتمكن من معرفة سيده بسبب الظلام، وظنه زائرًا غريبًا فقال له: الأستاذ لم يعد بعد، فأجابه ليسنج وهو يستدير عائدًا من حيث أتى: حسنًا قل له إنني سأزوره في وقت آخر!



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

آخر ليالي الصدق

عباد المصري

شاهرًا وجهه لأعلى.. يتأبط حزنه..

يجر الحبل لأسفل، فيرتفع العلم فوق الصاري مرفرفا.. وتدب الحركة فوق المركب.. وتكثر الأقدام المتثائبة.. فتهزها هزا.. فتبدو وكأنها تختال، وترقص فوق سطح المياه.. محدثة تموجات متتابعة.. ترسلها إلى جبين الشاطئ النائم.. فتوقظ أشجار النخيل وتخرفش عيدان الخوص بأناشيد الصباح:

ومابين رفرفة العلم وخرفشة الخوص انسجام حركي، يذكرنا برايات النصر في الأيام الخوالي.. يهبط إلى الشط.. ينتزع الهلب بقوة من بطن البر.. فيخلف وراءه جرح عميق [جرحًا عميقًا].. فتفر من عينيه دمعة يلحظها دسوقي فيسأله: مابه؟

عافت نفسه الإجابة.. وبنفس الحماس [الحماسة] يدير المحرك.. فتنطلق المركب زاعقة [فينطلق المركب زاعقًا]... تشق [يشق] مجرى النيل.. وتشتد ضربات الرفاس في المياه.. فينداح عنها طوفان من الموج الصارخ والزبد.. يستقيم وراء الدفة.. يميل يمنه مرة.. ويسرة مرة، وعيناه زائغتان في الأفق.. تبحث عن شيء ما.. تزداد حبات العرق الساخنة.. تختلط بدموعه فتبلل شاربه، فيدفن وجهه في كُم يديه يجففه.. فيبرز كرشه متكورًا من أسفل الصديري.

في هذه المرة يستحلفه دسوقي: مابه؟

يجيبه بلوعة وهو يجتر ذكرى أليمة: طلَّقْتُ أم العيال!

يندهش [يَدْهَشُ] دسوقي ويبدو عليه الانزعاج.. فيحاول أن يقاطعه، لكنه يستمر في الكلام ولقد لفته الحسرة والارتباك.. لأدري ماالذي جرى لمدينتي تلك.. كنت أظن أن كل العشاق نَبْتُ هذه البلدة.. ولم لا! والبحر يعانق فيها النيل.. وهذا عذب فرات وذاك ملح أجاج.. أنظر إليه الآن أجده غريبًا لايعرفني.. قديمًا كنت أسبح من دمياط إلى رأس البر جيئة وذهابا لاأتعب.. أتعرف لماذا؟

- لماذا؟

- لكثرة مامررت على المياه وُلدَتْ عشْرَةٌ.. فكان الماء يحملني دون أن أسبح.. أمّا أم العيال فلم تُبق على عشرة.

- اصمد ياريس علي..

- علي.. غيروا طبيعة ماؤه [مائه].. لايستطيع أن يسبح في هذه المياه الراكدة..

فجأة.. ينحرف يمنة بالدفة معلنًا عن دخوله البحر.. بينما سحب السماء تتجمع منذرة بالبكاء..

ويستمر: كانت تحاول أن تثنيني مرارًا.. وأحيانًا تلسعني كلماتها: (ياما جاب الغراب لأمه)! وأحاول أن أقنعها بأن البحار الواسعة تسكنها الحيتان المتوحشة وعليّ أن أحاربها؛ لأنها تغلق الممرات والمضايق على الأسماك الصغيرة.. ولكن دون جدوى.. كنت أنتفض من العش إلى الفضاء الرحب، وهي تتقوقع داخل وكرها المظلم، تحاول بكل قوة أن تسحبني إليه.. انظر هناك.. إلى ذاك النورس.. أنا هو.. لا أستطيع البعد عن الماء.

يدوي [يلمع] البرق.. وتفتح السماء عيونها.. ويكثر الهرج.. ويزداد عدو الموج الصاخب في طوفان متتابع سريع.. لتنال كل واحدة منهن شرف مصافحة البر، وتعود الأولى مسرعة لتصطدم بأختها القادمة.. ومابين القادمة بشوقها والعائدة بخصوبتها عناق عنيف تنتج عنه طرطشات وزوبعات مدوية.. يسرك أن تنظر إليها لا أن تقع فيها.

يأتي صوته مدويًا: (الهمة يا رجالة)، وهو يعتلي القلع يحركه في اتجاه الريح بضع دقائق.. انتهت الزوبعة.. وتبددت الوحشة، ويندى قلبه بالمرح وتلفه ابتسامة عريضة.. ورذاذ المطر بدا وكأنه يغسل كل شيء حوله فيبدو نضرا.. ومياه البحر استيقظت من نومها على إثر هذا الدش اللذيذ.. فبعثت في نفسه ذكريات الصبا الجميلة.. تذكر اللحظات التي كان يخرج فيها من الماء منتصرًا.. ومحافظ البلدة وأناسها يصطفون لتحيته.. فأينعت في قلبه خفقات لذيذة ونشوة غريبة.

استخفه طوفان من الضحك والبكاء.. وبدا كأنه يرقص ويترنح، فأشفق عليه من حوله وشهقت الأنفس حسرة.. حاول دسوقي أن ينتشله مما [هو] فيه، ويذهب به إلى الفراش ليستريح. صرخ بصوته الجهوري: كلا.. النورس لايطير إلا ليحدد هدف الصيد.. ولايحط إلا ليسبح وأنا هو.. راحتي الموت.. فإليك عني.. واستعدوا جميعًا، فقد اقتربنا من جبل الألس حيث معركتنا مع حيتان البحر..

فجأة، دوت في الأفق طلقة مدوية كأنها برق [رعد].. فزع منها كل من تناهت إلى سمعه.. حتى الطيور هجرت المكان، وتبادرت إلى الألسن همهمات تتساءل بفزع: ماهذا؟ بينما صوت الفرقاطة ينعق في الأفق كنعيق البوم مرسلة التحذيرات تلو التحذيرات، والنجمة الشهيرة ترفرف فوقها.. خفق قلب صاحبنا خفقة عنيفة.. وقد لَفَّته الدهشة ولسعته الحسرة، ولأول مرة يشعر أن أحلامه في الصيد اغْتُصِبَتْ فجأة.. فغادر المركب، وبدا كأنه يمشي على الماء.. حتى توارى في الحجب.

تناقلت أخباره وكالات الأنباء.. ونُشرت صوره في التلفاز.. أصدقاؤه أكدوا أنهم حضروا حفل زفافه على [إلى] عروس النيل.. وآخرون يقولون إنه يسكن في كوخ صغير على نهر الليطاني.. ونفر رأوه يصطاد في نهر الفرات.. بينما إخواننا في الخليج شاهدوه، وهو ينثر حبات الرمل للمحار في الخليج العربي.

موجود إذًا.. هنا.. وهناك.. وفي أماكن أخرى لاندري عنها شيئًا ستأتي في حينها.. غير أن أكثر ما يميزه.. تلك الابتسامة المنتصرة التي تستمد قوتها من السماء..



عابد مصطفى المصري

- من مواليد محافظة دمياط، مصر ١٩٦٧م.

- حصل على المركز الثاني في مسابقة «طاهر أبو فاشا» في مجال القصة ١٩٩٤م.

تعليق:

الفن القصصي له مقوماته الفنية، ومقاييسه الإبداعية التي تعارف النقاد والدارسون عليها.

والقصة شأنها شأن أي عمل فني؛ إذ تتحدد أهميته بقدر رسوخه في واقع الحياة، وتعبيره عن تجربة شعورية صادقة.

والقصة التي بين أيدينا (آخر ليالي الصدق) ترمي إلى نقد أوضاع غير سوية في المجتمع، وتعد - بالنسبة لكاتبها - خطوة على الطريق لا بأس بها، ويمكن له أن يملك زمام هذا الفن إذا ماوقف على عناصر القصة الفنية، وتثقف بثقافة واسعة في هذا الميدان مطالعة وإبداعا.

ومع أن القصة التي نحن بصدد الحديث عنها قد احتفظت ببعض عناصر العمل القصصي، إلا أنها لاتخلو من هنات، وهذه الهنات تتمثل في البساطة التي نلمحها في البناء القصصي، وفي اللغة وفي الأسلوب، وفي أهم عنصر تتصف به القصة القصيرة، وهو عنصر التركيز. إذ أسهب الكاتب كثيرًا في مواقف كان المقام يتطلب فيها الإيجاز غير المخل لا الحشو والتطويل، ويتمثل ذلك في حديث الكاتب عن حركة المركب في المياه وماتحدثه من أصوات، إذ استغرق ثلث ماحوته القصة من كلمات.

أما لغة السرد في القصة فقد تضمنت عبارات عامية عديدة، مثل: كُم يديه، فيبرز كرشه [وإنما الكَرِش للحيوان المجتر، وهو بمنزلة المعدة للإنسان]... من أسفل الصديري.. تنطلق المركب زاعقة... الخ. وعلى كل فهو يخلط في حواره بين الفصحى والعامية، ومن ثم اتسمت لغة السرد في القصة بالبساطة والسهولة. علما بأن التعبير بأسلوب فني رفيع يحتاج إلى كثير من المران والدربة.

والقصة كما يتضح تعتمد على تجارب الكاتب الذاتية، حتى إنه أسند البطولة إلى نفسه، ولم نعثر في القصة إلا على شخصية أخرى هي شخصية "دسوقي". وهذا البناء الفني الذي يعتمد على شخصين فقط أقرب إلى فن المقامة، حيث تُبنى على الكاتب والراوي فقط.

ولايعني ذلك أن القصة خلت من عنصر التشويق الذي يشد القارئ إلى متابعة الفكرة حتى نهايتها، وهذه من مميزات القصة التي بين أيدينا.

والقصة تبشر بانضمام كاتب قصصي جديد إلى مضمار الفن القصصي، وما عليه إلا أن ينمي موهبته الفنية عن طريق القراءة المتشعبة، والوقوف الجيد على عناصر العمل القصصي.

وماذُكر من هنات لايقلل من القيمة الجمالية للقصة، لكن القصد منه التقويم والتوضيح ما أمكن ذلك.

د. عمر عبدالمعبود

عودة إلى الصوفية



لقد اطلعت على مقالة الدكتور محمد بن سعد الشويعر بعنوان: «نافذة على الصوفية» المنشورة في العدد ٢١١ من مجلة الفيصل. حيث تطرق لموضوع الصوفية بصفة عامة، ولأنني من المهتمين بهذا الموضوع فأملي أن يتكرم الدكتور محمد، ويمدني بأسماء بعض المراجع التي يمكنني الحصول عليها وخاصة عن الحلاّج وابن عربيّ، والفرق الصوفية، وبخاصة القادرية.

لطفي كنن
حمام سوسة ـ تونس

هذا الموضوع اختلف فيه الكتاب ـ كما ذكرت من قبل ـ إلى ثلاثة نفر: مؤيد رفع قدرها، ومعاد أكثر فيها القول، ومنصف درسها دراسة علمية وأعادها إلى جذورها في الديانات الأخرى، ويدخل في القسم الثاني من عرف بعض أسرارها الخفية التي تتنافى مع الكتاب والسنة..

وقد تحدثت كتب المِلَلِ والنِّحَلِ قديما وحديثا عن هذا الجانب، وكذلك بعض الدارسين الغربيين أمثال: ديورانت في موسوعته «قصة الحضارة»، وألفرد بل في كتابه «الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي» ـ الذي ترجمه د. عبدالرحمن بدوي عن الفرنسية ـ إذ تعرض لهذا في الفصل الثاني من (ص٣٣٣) حتى نهاية الكتاب (ص ٤٥٣). ومجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة يأتي فيها موضوعات ودراسات عن هذا الموضوع، وللدكتور صابر طعيمة حديث مفيد في كتابه «دراسات في الفرق» حيث عرج على الصوفية من (ص٩٨) إلى (ص١٢٦).

كما تعرض الدكتور أحمد صبحي منصور في كتابه «السيِّد البدوي بين الحقيقة والخرافة» للصوفية: نشأتها واعتقادات أصحابها، وربط ذلك بالسيد البدوي الذي له ضريح ينسب إليه في طنطا بمصر. والكتاب يقع في ٣٧٠ صفحة..

وللدكتور أحمد بن محمد البناني كتاب عنوانه «موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية» يقع في ٣٠٤ صفحات، وللغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» مقدمة في الصوفية فيها بعض التجاوزات، لكن كتاب أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧هـ المسمى: «نقد العلم والعلماء» أكثر مناقشة لهذا الموضوع وتحليلاً لما يدعيه أهل التصوف من كرامات، وهو مفيد لمن يريد تعرف حقيقة الصوفية.

أما عن الحلاج الذي ذكر ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» أنه: «كان يظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعى حلول الإلهية فيه، فقد كثرت الوشايات فيه إلى المقتدر العباسي، فأمر بالقبض عليه فَسُجِنَ وعُذِّبَ، وضُرِبَ وهو صابر وقُطِّعَتْ أطرافه الأربعة ثم حُزَّ رأسه، وأُحرقت جثته عام ٣٠٩هـ، ولما صارت رمادًا أُلقيت في دجلة، ونُصب الرأس على جسر دجلة، وادعى أصحابه أنه لم يُقْتَلْ وإنما أُلقِي شبهه على عَدوٍّ له». فإن من يريد معلومات عن سيرة حياته ومعتقده يجدها في الكتب التالية: «الفهرست» لابن النديم (١: ١٩٠)، و«طبقات الصوفية» (ص٣٠٧) و«البداية والنهاية» لابن كثير (١١: ١٣٢) و«لسان الميزان» (٢: ٣١٤)، و«الكامل» لابن الأثير(٨: ٣٩)» و«الوفيات» لابن خلكان (١: ١٤٦)، و«تاريخ بغداد» (٨: ١١٢ ـ ١٤١)، و«مرآة الجنان» (٢: ٢٥٣)، وغيرها من الكتب.

وابن العربي المعروف بمحيي الدين بن عربي المتوفى عام ٦٣٨هـ في دمشق، قد ذكر عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «هو قدوة القائلين بوحدة الوجود، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة.. ولد بالأندلس في مرسية ثم انتقل إلى أشبيلية، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديارالمصرية شطحات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمة كما أُريق دم الحلاج وأشباهه، وقد حُبِسَ فسعى في خلاصة عليّ

بن فتح البجائي من أهل بجاية فنجا، واستقر في دمشق حيث توفي بها».

ومصادر سيرته وأخباره كثيرة، منها لراغب الفائدة والمهتم: «فوات الوفيات» للصفدي (٢٤١:٢)، و«جذوة المقتبس» (١٧٥)، و«مفتاح السعادة» (١٨٧:١)، و«ميزان الاعتدال» (١٠٨:٣)، و«لسان الميزان» (٣١١:٥)، و«نفح الطيب» للمقري (٤٠٤:١)، و«شذرات الذهب» (١٩٠:٥)، وغيرها..

ولا أقول إنني أرويت - في هذا الحيز - غليل الأخ السائل ولاغيره ممن يريد الاستزادة والبحث عن حقيقة الصوفية، حيث اهتمت بها الجامعات في الرسائل العلمية دراسة وتحليلاً، ولكني أسهمت في وضع اليد على بعض الأمور المعنية بتلمس المصادر لهذا الموضوع.. لأن الحيِّز المتاح لايحتمل أكثر من ذلك، وللأخ السائل شكري.

د. محمد بن سعد الشويعر

الغزو الثقافي.. حقيقة



أحيانا تقف الكلمات عاجزة عن التعبير عما يجول في خبايا النفس، واليوم وأنا أقرأ إطلالة د. زيد بن عبدالمحسن الحسين «لا شرقية ولاغربية» في العدد (٢٠٩) على أولى صفحات مجلتنا «الفيصل» ومع كل إطلالة له، كنت أجد نفسي معه في كل كلمة وسطر. إن المسألة التي طرحت في غاية الأهمية.. فيجب علينا جميعًا أن ندق جرس الخطر حيال هذه المسألة - الغزو الثقافي - وإذا كنا نحن العرب ننادي اليوم بالأمن المائي والأمن الغذائي العربي، فيجب أن ننادي أيضا بالأمن الإعلامي والثقافي العربي.

إن مسألة الغزو الثقافي ومحاولة قتل العقول العربية لايمكن إنكارها، فمكتباتنا تزخر بآلاف الكتب ولكل فئات المجتمع من كبار وصغار، وهذه الكتب إما كتب لكُتَّاب عرب أو لكتاب أجانب وعُرِّبت بعد ذلك. وإذا ما لفت انتباهك عنوان كتاب وبادرت إلى شرائه وتصفحته بعد ذلك، فغالبًا ماترى أن مضمون الكتاب لايلم بعنوانه، وقد يبتعد كل البعد عنه، هذا إذا لم تجد في بعض الكتب - وبخاصة المترجمة منها - بعض الأفكار المقصود إيصالها للإنسان العربي بقصد التشكيك في شخصيته العربية والإسلامية، فتُحشد هذه الأفكار بين السطور عسى أن تجد لها مكانًا في عقل القارئ العربي وفكره.

ففي كتاب من مكتبة اكسفورد للأطفال بعنوان «العالم العربي» يُطرَح سؤال: من هو العربي؟ يقول مؤلف الكتاب: العربي هو العامل الذي يرتدي البنطلون الفضفاض وينام على زاوية الرصيف، لايشعر بالضيق إطلاقًا إذا انتهى عمله اليوم أو غدًا أو لم ينته إطلاقًا، إنه الفلاح الذي يركب الحمار بينما تسير زوجته بلباسها الأسود الفضفاض من خلفه وهي تحمل رُزمة الأمتعة.

محطات التلفاز والإذاعات العربية تصدح ليل نهار دون توقف، وتقدم للمشاهد والمستمع العربي برامج متنوعة، بعضها من إنتاج عربي وبعضها الآخر من إنتاج أجنبي مستورد، أما الأولى فنادرًا ماترتقي إلى المستوى المطلوب، وتقدم ماهو جيد ومفيد، وأما الثانية وهي البرامج الأجنبية المستوردة فإنها تدخل الوطن العربي بغزارة شديدة، ونحن ننظر إليها نظرة المشتاق، لذلك فإننا نتلهف إليها باستمرار طالبين المزيد، وغالبًا ماتُقدم إلينا هذه البرامج على طبق من ذهب وبأبخس الأثمان، وأحيانًا تأتي على شكل إهداء، فهل هذا دليل حب للعرب..؟ أم هي غاية في نفس يعقوب..؟ في رأيي أن الإجابة بالإيجاب على السؤال الثاني، وأن هناك غاية يراد الوصول إليها من أجل تحقيق مرامي كبرى تتضمن تشويهًا متعمدًا للشخصية العربية والإسلامية، ولقد أُنتجت أفلام سينمائية خصيصًا لهذه الغاية، منها فيلم تم إنتاجه في الصين، وأرادت الشركة المنتجة لهذا الفيلم إشراكه في مهرجان القاهرة الدولي

الثالث لسينما الأطفال. فكرة هذا الفيلم مأخوذة من ألف ليلة وليلة، وتدور أحداثه حول عناصر شريرة داخل مطعم إسلامي.. ويتمثل الشرّ في شيخ معمَّم يعتلي عمامته الهلال... وهذا الشيخ يتخذ من الأهرامات وكرًا لعمليات السحر والشعوذة التي يمارسها، وتتوالى الأحداث بصعود هذا الشيخ من فوهة الأهرامات ليهبط من أعلاها إلى مدينة عربية ينشر فيها شره وسمومه. بعد ذلك يتصدى لهذا الشيخ طفل تتمثل فيه الشجاعة والإقدام لينقذ أهل المدينة من شروره، ويظهر الطفل في منزل رسمت على حوائطه نجمة داود، وهذه إشارة واضحة لليهود، وإشارة متعمدة لتشويه الشخصية العربية والإسلامية، وفي النهاية تم رفض الفيلم.

في دراسة لنا حول التلفاز والطفل - وهي دراسة تطبيقية مقارنة بين تأثير البرامج الأجنبية المستوردة وتأثير البرامج العربية، وطبقت على عينة من الأطفال، وعينة من المربين - جاءت النتائج موضحة أن نسبة ٧٥٪ من الأطفال يميلون نحو مشاهدة البرامج الأجنبية المستوردة، ونسبة ٦٢٪ من المربين أكدوا إقبال الأطفال على البرامج الأجنبية المستوردة أكثر من إقبالهم على البرامج العربية، وهذا عائد إلى جودة البرامج الأجنبية واتباعها الأساليب المشوقة التي تشد انتباه الطفل.

وردًا على سؤال: «هل التعاون العربي في مجال إنتاج برامج الأطفال يكفي للوصول إلى برامج متكاملة وهادفة؟» جاءت الإجابة لصالح هذا التعاون بنسبة ٦٤٪.

وهذا التوجه في الدراسة - ودراسات عديدة حول هذا الموضوع - عائد إلى أن العالم أدخل نظامًا جديدًا في البث، هو البث عبر الأقمار الصناعية، الذي جعل العالم «قرية كبيرة» فالأسرة العربية تشاهد برامج عديدة بثتها كثير من المحطات الأجنبية عن طريق جهاز الاستقبال «الدش» المستخدم لالتقاط البث غير المرئي، وهنا تكمن الطامة الكبرى.

فالطفل سيقلد السلوك الذي يشاهده عبر برنامج معين، وخوفنا من أن تكون تلك السلوكيات عدائية وسلبية إلى أبعد الحدود، وستقف الأسرة (الأب، الأم) موقف المتفرج، وستعرض كل البرامج دون حسيب أو رقيب. فماذا نحن فاعلون...؟

في بواطن الكتب والمجلات والجرائد والبرامج التلفازية الأجنبية، هناك مجموعة من القيم والمبادئ الخاصة بالغرب، والمعروف أنّ الغرب يختلف عنا في قيمه ومبادئه التي تقوم عليها حضارته كل الاختلاف، فكيف لنا أن ندخل الثقافة الغربية إلى بلادنا عبر وسائلها المختلفة دون مراقبة؟ ونحن هنا لسنا بصدد إعلان حرب على المنفتحين على الغرب، ولكننا نؤكد مرة ثانية على اختلاف القيم الإنسانية بيننا وبين الغرب. وليس معيبًا أن نأخذ من حضارة الغرب وثقافته، بل علينا عند إدخال أي برنامج أجنبي أو كتاب أو مجلة أن نقوم بتفحص مضمونه، وهذا الحرص بسبب تلك القيم والمبادئ التي تخص مجموعة معينة، والتي قد تتناقض مع القيم والمبادئ الموجودة لدينا.

علينا أن نكيف هذه البرامج مع مايتناسب مع قيمنا ومبادئنا، ونقوم بحذف كل مالا يتناسب مع قيمنا، وينطبق الشيء نفسه على الكتب والمجلات.

ولأن الإعلام معركة، والأقوى هو المنتصر، فعلينا أن نعمل على إنتاج البرامج التلفازية والسينمائية الجيدة، وتشجيع المبدعين من الكُتَّاب العرب وإعطائهم الفرص المناسبة وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم، وهذا كله من أجل إيجاد إنتاج متكامل قادر على منافسة الإنتاج الأجنبي، ومن أجل كسب ثقة المشاهد والقارئ العربي، ونحن قادرون على ذلك.

مما تقدم نجد أنفسنا أمام هوة كبيرة متزايدة السعة، ولن نستطيع ردمها إلا بتضافر جهود الجهات المختصة بالثقافة والإعلام وصانعي القرار.

وإذا كنا اليوم نستطيع أن نتحكم في نوع الانتاج المستورد وكمه، فلن نستطيع في الغد أن نفعل ذلك في ظل إعصار الحضارة الذي لايرحم الضعفاء ولايتوقف.

ولنستعد من الآن من أجل المواجهة، ومن العبث أن نؤجل ذلك إلى الغد، فغزارة الإنتاج الغربي ستكتم أنفاسنا في المستقبل القريب!

إبراهيم عبد الكريم الحسين
دمشق - سورية

دائرة المعارف... تعقيب وتوضيح



اطلعت على دائرة المعارف: «كتب تراثية: من أشهر كتب البيليوجرافيا العربية» للدكتور محمد علي الجندي، والمنشورة في العدد "٢١٦" من مجلة الفيصل الغراء. وقد تحدث د. الجندي عن الكتب البيليوجرافية الموسوعية التي استوعبت كثيرًا من كتب التراث مابين مطبوع ومخطوط. وليسمح لي أن أعقب على بعض ما جاء في مقالته، فأقول:

١ـ "تاريخ الأدب العربي" لكارل بروكلمان:

المترجم من هذا الكتاب ستة أجزاء لا ثلاثة، فقد قام الدكتور رمضان عبدالتواب والدكتور سيد يعقوب بكر بترجمة ثلاثة أجزاء أخرى، وسارا على النهج نفسه الذي سار عليه المرحوم الدكتور عبدالحليم النجار. ومجموع هذه الأجزاء الستة يمثل ـ تقريبًا ـ ثلث أصل الكتاب المؤلف باللغة الألمانية، وقد قام قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بترجمة بقية الكتاب إلى اللغة العربية وتخزينه في الحاسب الآلي، وسار على النهج نفسه الذي انتهجه المترجمون السابقون للكتاب.

٢ـ "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سزكين:

ذكر الدكتور الجندي أن سزكين زاد على ماذكره بروكلمان معلومتين جديدتين، هما عدد صفحات الكتاب، وتاريخ نسخه.

وأقول: إنه زاد كذلك عدد أجزاء المخطوطة الموجودة في كل مكتبة أشار إليها. وأخالف الدكتور الجندي فيما ذهب إليه في قوله عن فؤاد سزكين «إن رؤيته للمخطوطات نفسها قد أتاحت له أن يضيف ذلك». فهذا القول لا يؤخذ على إطلاقه. صحيح أن سزكين اطلع على كثير من المخطوطات، ولكن اطلاعه هذا لم يمكنه من تحديد عدد أوراقها وتواريخ نسخها، حيث إن معظم المخطوطات لاتكون مرقمة الصفحات ولا تكون مؤرخة أيضًا. إلا أن فؤاد سزكين دوّن هذه المعلومات من فهارس المكتبات الموجودة فيها كل مخطوطة، بينما اكتفى بروكلمان بذكر رقم المخطوطة من تلك الفهارس.

٣ـ أغفل الكاتب ذكر بعض الكتب البيليوجرافية الأخرى التي اهتمت بالكتاب العربي مخطوطًا ومطبوعًا.

فمن الكتب التي ذكرت المخطوط من كتب التراث:

ـ "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون"، لإسماعيل باشا البغدادي، صاحب كتاب «هدية العارفين» الذي ورد ذكره في المقالة. وقد رتب البغدادي كتابه ترتيبًا هجائيًا، إلا أنه لم يتوسع في ذكر الشروح والحواشي والمختصرات لكل كتاب. وقد مكث في تأليفه أكثر من سبعة وعشرين عامًا كما يُفهم من قوله في الكتاب نفسه (١/١٥٨).

ـ "ذخائر التراث العربي والإسلامي" لعبدالجبار عبدالرحمن، المطبوع في العراق سنة ١٩٨١م.

ذكر المؤلف في كتابه هذا الكتب المطبوعة حتى عام ١٩٨٠م، التي أُلفت قبل القرن الثاني عشر الهجري. أما طريقة ترتيب الكتاب، فهي على الترتيب الهجائي لشهرة المؤلفين، ويلخص طريقة ترتيبه الكتاب، فيقول: «نأتي على ذكر جميع ما توصلنا إلى معرفته أو اطلعنا عليه من الكتب والرسائل المطبوعة لذلك المؤلف، مرقمة ومرتبة هجائيًا بحسب عناوينها، وفي حالة وجود أكثر من طبعة للكتاب الواحد صادرة من مطابع مختلفة، أو ناشرين مختلفين، نذكر جميع هذه الطبعات بغض النظر عن كونها محققة تحقيقًا علميًا، أو منشورة نشرًا عاديًا، وترتيبها بحسب سنوات ظهورها، بادئين بالأقدم».

وهو يذكر أيضًا غير اسم المؤلف: اسم المحقق، والناشر، ومكان الطبع، واسم المطبعة أو دار النشر، وسنة النشر، وعدد صفحات الكتاب، أو عدد مجلداته، أو إذا كان قد حُقق كرسالة علمية قدمت لإحدى الجامعات، وغير ذلك من المعلومات. ثم أتبعه بفهارس مفصلة شملت أسماء الكتب، وأسماء المؤلفين، والمحققين، والناشرين، والمحررين، والمقدمين، والمصححين.

إبراهيم باجس عبدالمجيد

مركب الأوج

فاطمة حداد

كفى يانفسُ حِقدًا وارتيابا   بليتِ العمرَ هدْرًا والشبابا
كفى لؤمًا، كفى لومًا، وذمًّا   كفى هَمًّا، وغمًّا، واكتئابا
لعمري ماعهدتكِ بنتَ شؤمٍ   ومنكِ الطيبُ ينسكبُ انسكابا
عرفتكِ تمرحينَ بكلِّ وادِ   وتحيينَ المغانم والرغابا
تنيرينَ المسالكَ في الدواجي   وتجتازينَ بالحُلُم الصِّعابا
أما قلتِ الدجى مفتاحُ فجرٍ   وقلتِ النورُ يخترق الضبابا
وقلت إذا استطالت بي الليالي   سألتُ الليلَ قِصرًا فاستَجابا
وكُنتِ إذا رَحى الإعصَار دوَّتْ   رقصتِ لصوتها واللحنُ طابا
وكم حوّلتِ مُرَّ الصابِ شهدًا   وقلتِ كفى نظنُّ الشهدَ صَابا
وكم في اللّجِ والحيتانُ تهفو   تجاوزتِ المدى والحُوتُ خابا
على الأمواجِ ترقين الأماني   وتحتَ اليمِّ تلقين الطلابا
ذراعكِ للعُلى مجذافُ أوجٍ   وزندكِ إن رمى هدفًا أصابا
وقلبكِ كأسُ خمرٍ مستباح   لنبضٍ دقَّ ألحَانًا عِذابا
فلم لاترتعينَ اليومَ فيما   حباكِ المجدَ والمجنى وحابى
حرامٌ مركبُ العلياءِ يرسو   ببحرٍ شائبٍ يهوى الخرابا
حرامٌ والجناح سما سماءً   يزيل الرملَ عنه والترابا
لدُنيا الصفح يانفسي تَعالي   ورفّي وارتقي واطوي السحابا
وإن ماسفَّ قلبُكِ أو تدنّى   يحاسِبُ معَشرًا جَهلوا الصّوابا
تَسامَيْ عن سَوادِ الحقدِ واعفي   وخلّي اللوْمَ نسيًا والعتابا
ألانفسي عشيرُ الوَردِ شَوكٌ   ونبعُ الماءِ طيَّ الصخرِ ذابَا
فما الوردُ اشتكى يانفس شوكًا   ولا الماءُ استجار ولا استغابا
فكوني الوَردَ طيبًا وابتهاجًا   وكوني الماءَ وِردًا وانسيابا
وقولي رُبَّ صخرٍ فيه دُرٌّ   وشَوكٍ منه نفحُ العطرِ طابا



ردود خاصة

الأخ القاسمي أنس، الجلفة ـ الجزائر:

نشكر لك إشادتك بالمجلة، وقولك إنها تطورت تطوراً مذهلاً. واقتراحك بشأن مد فترة المسابقة أحيل إلى الجهة المسؤولة، وسوف نبعث إليك بعض الأعداد التي تناولت تاريخ المملكة العربية السعودية.

الأخ إبراهيم أحمد مقرش،
حلب ـ سورية:

نشكر اهتمامك بالإطلال على «الإطلالة» والإشادة بها، وأبلغنا تحياتك إلى الدكتور حسن ظاظا، أما الأعداد التي طلبتها فهي في طريقها إليك.

الأخ عبدالرحيم قصيري،
الرباط ـ المملكة المغربية

كان بودنا أن يكون هناك باب للكلمات المتقاطعة حتى يمكننا الإفادة من إسهامك. وعموماً لك وافر الشكر، ومرحبا بك صديقًا للمجلة.

الأخ محمد محي الدين رحمو،
حلب ـ سورية:

أُحيل استفسارك الخاص بطريقة الحصول على الكشاف العام إلى القسم المختص، أما صورة أبنائك في أحضانك «الفيصل» فهي معبرة فعلاً عن اهتمامك باقتناء المجلة، ولكن لامجال لنشرها في المجلة، وسوف نبعث إليك ببعض الأعداد التي تنقص مكتبتك من «الفيصل»، ونأمل أن يكون أبناؤك ـ مستقبلا ـ من قراء «الفيصل».

الأخوة عبدالله الردادي ـ المدينة المنورة، مجاهد أحمد النور الزاكي، أم درمان ـ السودان، سوسن محمد داريا، دمشق ـ سورية.

وصلت رسائلكم إلى الدكتور حسن ظاظا، وهو يشكركم على الاهتمام بمقالاته والحماسة لها، ويفيدكم أن بإمكانكم طلب مؤلفاته بمراسلة الأستاذ محمد علي دولة صاحب دار القلم للنشر بدمشق، أو من مكتبة المنارة بجدة.

أما بخصوص استفسار الأخ عبدالله وزملائه عن الديوان المذكور في خطابهم، فإننا نفيدهم بأن الديوان لايتوافر في مكتبة المجلة، ومن ثم لايمكن الإجابة عن الاستفسار.

الأخوة حدى صاك محمد، جلفة ـ الجزائر، عربوش أمحمد، تيبازة ـ الجزائر، أشرف أبو بكر، القاهرة، مصر، عالية توفيق ـ السودان:

نشكر من أرسل منكم بطاقات مصورة على سبيل التحية والتواصل، ونفيدكم أن المجلة ليس فيها باب للتعارف، وإن كنا نرحب بمشاركاتكم وإبداعاتكم لنشرها في حالة إجازتها، وبخاصة أن هناك باب «تباشير»الذي يتيح الفرصة للمواهب الأدبية الناشئة لإثبات الذات، والإفادة من النقد الذي يكتبه في كل عدد من أعداد المجلة أحد النقاد المتخصصين.

الأخ محي الدين بو عونية،
سوسة ـ تونس:

أحيل خطابك بخصوص العدد الذي طلبته واستفساراتك عن المجلدات والاشتراك إلى القسم المسؤول، وسوف نبعث إليك بعض الأعداد التي تناولت تاريخ المملكة العربية السعودية، كما أحلنا سؤالك إلى الشيخ د. صالح اللحيدان للرد عليه في باب «طريق الهدى».

الأخ أسعد محمود يغمور،

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ـ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

مطار الظهران الدولي - المملكة العربية السعودية:

إشارة إلى استفساراتك عن المسابقة، نفيدك أن باستطاعة أي متسابق سبق له الفوز أن يشترك مرة بعد مرة في المسابقة، ولو حدث أن فاز قارئ ما بجائزة اشتراك في عدد ما، ثم فاز مرة أخرى بعدها، فإن الجائزة التالية تؤجل حتى تنتهي أعداد الجائزة السابقة، بمعنى أننا نرسل أعداد المرة الأولى، وبعد أن تنتهي، نرسل له أعداد المرة التي تليها، ونتمنى لك الفوز دائمًا.

الأخ محمد جاسم الموسى، الأحساء - المملكة العربية السعودية:

نطمئنك بأنه لاتوجد سلة مهملات لرسائل القراء في المجلة، إذ إننا حريصون على التواصل مع القراء، وسوف تصلك الردود على استفساراتك قريبًا، وإذا حدث أي تأخير في الرد عليك أو على غيرك من القراء، فإنه يكون لظروف خارجة عن الإرادة.

الأخ فايز سعيد علي الشهري، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران:

نشكر لك إطراءك، ونعتقد أن مانقوم به واجب لانستحق عليه كل هذا الشكر، وسوف تصلك أعداد الاشتراك على العنوان الجديد المذكور في خطابك.

الأخ بوريب سمير، براقي - الجزائر

سعدنا كثيرًا بعاطفتك النبيلة تجاه إخوانك في الجزيرة العربية، ونأمل أن تتدعم أواصر الأخوة والمودة بين كل أبناء الأمة الإسلامية.

الأخ غلام مصطفى السندي، السند - باكستان

اقتراحاتك وجيهة، وتستحق الدراسة، وعنوان الدكتور حسن ظاظا هو عنوان المجلة نفسها، وللأسف ليس لدينا عنوان الشاعر محمود درويش.

الأخ فراس أوسكان، القامشلي - سورية:

أرسلت قسيمة الاشتراكات دون إرفاق شيك بالقيمة، وتقديرًا منا لحرصك على الاستزادة من العلم، ولكونك لازلت في المرحلة الإعدادية من التعليم، فإننا نبعث إليك بعض الأعداد السابقة من المجلة، واقتراحك بأن يكون هناك اشتراك لستة أعداد كما هو واضح من تعديلك لقسيمة الاشتراك سيكون محل دراسة إن شاءالله. ونأمل أن تبعث بقيمة الاشتراك إذا كنت حريصًا على الحصول على المجلة، مع وافر أمنياتنا لك بالتوفيق في دراستك.

الأخوان فيصل سعد ربيع، عبد الرحمن عجيل، ممباسا - كينيا:

أحيل خطابكما إلى قسم الاشتراكات الذي سيتولى الرد عليكما، وهناك أعداد من المجلة ستصلكما إن شاء الله.

الأخوة نايف بن عبدالله الحصيني - القصيم، لبوازدة الحسين، ولاية المسيلة - الجزائر، رياض لطوشي، قسنطينة - الجزائر، خُنوسي سليمان، المنطقة التاسعة - الجزائر، قرماط عادل، المسيلة - الجزائر. حمد بن فهد بن عبدالعزيز العشاب - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية:

سيتولى قسم الاشتراكات الرد عليكم، ونشكر لكم ثقتكم واهتمامكم بالاطلاع على المجلة.

الأخ خالد عواد حمود الزليباني - المدينة المنورة:

لاتتوافر لدينا المعلومات التي طلبتها عن جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ولكن يمكنك الاتصال على هاتف الجامعة ورقمه (٨٩١٣٠٠٠)، وإن شاء الله سوف تجد إجابات وافية عن استفساراتك.

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ -
- ٤٦٤٧٨٨٤
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:

السعودية ٨ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسا - الإمارات ٧دراهم - قطر ٧ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - عُمان ٧٥٠بيسة - الأردن ٥٠٠فلس - اليمن ٢٥ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦دراهم - تونس ٦٠٠مليم - الجزائر ١٠دنانير - العراق ٤٠٠فلس - سورية ٢٠ليرة - ليبيا ٨٠٠درهم - موريتانيا ١٠٠أوقية - الصومال ٢٠٠٠شلن - جيبوتي ١٥٠فرنكًا - لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على موعد

فكرة ذات خطر



محمد علي الجفري

صفوف السيارات التي تراها في كل طريق بأبسط شيء ودون تكلفة، وكذلك الطائرات والصواريخ، وحتى القنبلة النووية، كلها بدأت بفكرة.

فكرة انقدحت من رؤية أرجل البغال والحمير والجمال، ومع الفكرة فكرة ثانية وأخرى، ثم خطوة لتحويل الفكرة إلى حركة، وخطوة أخرى لتحويل الحركة إلى شيء، حتى وصلنا إلى السيارة، ثم الصاورخ، ثم القنبلة النووية.

كانت الفكرة هي النواة، وكانت الفكرة في النهاية هي التي فجرت النواة. قال محمد إقبال الشاعر الفذ:

أراك بسرٍّ أفلاك تجولُ
وتجهل سرَّ نفسِك ياجهولُ
فَوُجّهْ كالنواة إليك عينًا
لينبت من قرارتك النخيلُ

فانظر إلى هذه الفكرة التي صورها إقبال أبدع تصوير، وأوجزها في أروع تمثيل. ولكن من المؤكد أن أفكارك وحدها لن تصنع القنبلة النووية، غير أنه لا غنى عنها. كمثل قطرات المطر، فهي لاتصنع جدول مياه إلا إذا انهمرت غزيرة. ولابد من أن تسجل أفكارك، وأن تعلنها للملأ كي يستفيد منها صاحبها، وصاحبها رجل ظامئ إليها، قد أضلَّها ونشدها كالأم فقدت وليدها، حتى إذا عثر عليها قام بتربيتها وتطويرها. وهذه هي الطريقة نفسها التي سلكها مخترعو السيارات، لقد أبصروا المركوبات الحيوانية، فصنعوا مركوبات حديدية بدأت بعربات تجرها الخيول، وانتهوا بمركبات الفضاء التي تبحث أسرار الأفلاك وتتجول فيها، ولاتزال المخلوقات إلى اليوم ـ كما قال إقبال رحمه الله ـ تجهل سر نفسها..

لقد أودع الله هذا العقل في أنفسنا، ودعانا إلى استعماله واستغلاله وتشغيله، ولكنه لا يشتغل في ظلام الجهل، فلابد من محو الأمية، ومع إزالة الأمية لابد من الانطلاق إلى المزيد من العلم والتقنية (التكنولوجيا)، كي نستطيع أن نلحق بالركب.

وللأسف فقد فشا القلم فشواً حتى أصبح «محو» الأمية إلى«نحو» الأمية أقرب. والإنسان أيام محدودة وأنفاس معدودة. وها هي قنواتُ «نحو الأمية» بما فيها من أطباق لاقطة أو قبب مقلوبة تنهب الساعات نهبًا، فما عاد لدى المرء من مخرج منها إلاَّ الفرار إلى البراري، حيث لاتوجد أطباق ولا أسلاك، فإذا به يقع في براثن الجهل بعينه.

ماالحل؟

ذهبت الشهر الماضي أسأل في مكتبة للأشرطة عن محاضرات عطية محمد سالم ـ أحد علماء المسجد النبوي ـ، وقد تعبت كثيرًا بين محلات الأشرطة الإسلامية في استخراج أشرطة هذا الشيخ الجليل من بين أكوام الأشرطة، فوجدت ذلك العلم الأصيل ـ في القليل من الأشرطة ـ وكنت أستمع إلى الأشرطة في السيارة طبعًا، وواصلت السير، واكتشفت أشرطة بصوت الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب تفسير «أضواء البيان» عليه رحمة الله، وقررت أن تكو ن سيارتي موئلاً لهذه العلوم المخبوءة في الأشرطة السمعية.

ولقد قرأت قبل سنوات إحصائية عن وقت الشباب في قُطر عربي، ذكرت أنه يقضي ثمان ساعات يوميًا في سيارته، ولو كنا نقضي ساعة واحدة في اليوم نستمع في سياراتنا إلى الأشرطة الثقافية القيمة، لكان بالإمكان الاستفادة العلمية حتى في مجال الهندسة النووية.. فما المانع أن نطلب من محلات الأشرطة، أن تستقطب كبار العلماء في كل مجال، بحيث يمكن للطالب والعالم والعالم أن يستمع إلى المحاضرات، فيزداد عقله علمًا، وتنقشع عنا غشاوة «نحوالأمية» الفكرية والثقافية والعلمية والأدبية والفقهية؟

فكرة خطرت لي، رأيتها ذات خطر، فأحببت أن يقتحمها القراء معي، عملا بقول إقبال:

فوجه كالنواة إليك عينا
لينبت من قرارتك النخيل